

تاريخ الموصل

لمؤلفه

القس سليمان صائغ

الجزء الأول

HISTOIRE DE MOSSOUL

PAR

SULEIMAN SAIGH

Prêtre Chaldéen

١٩٢٣ - ١٣٤٤

المطبعة السليمانية - بمصر
تفصيل : مكتبة المطبعة ودار الفنون

تاريخ الموصل

المؤلفه

الفن سليمان صائغ الموصل

المجلد الأول

HISTOIRE DE MOSSOUL

PAR

SULEIMAN SAIGH

Piètro Chaldéen

١٩٤٣ - ١٣٤٢

المطبعة السليمانية - بصرى

مطبعة محمد الطيب ومطبعة سعد

698/1
X 519

فنون البيع والحظوظ



جلالة ملك العراق
فيصل الأول
خلد الله ملكه بالنصر والسمد

تقديم الكتاب

الى أعتاب إكليل هام المعالي والسيادة ، ودرّة تاج
مفرق الاقبال والسعادة * فرع الدّوحة
الهاشمية ، ورافع الاعلام العربية *
جلالة مليكنا المفدى فيصل الاول
اطال الله نقاءه ، وخلد ملء
الدهر سناءه *
آمين

باصحاب الجلالة ،

لا غرو اذا كان العرب عموماً ، واناء العراق خصوصاً ، يعطرون
الفضاء ، بنسرفعالكم الغراء ، وذكر اياديكم البيضاء . كيف لا وقد
ربعوا تحت ظل عدلكم مرتع الامن والهناء . وبلغوا بمساعيكم شأواً
من الرقي لم يبلغه النظراء . فالبستموهم من السعد والعزابهى توب
قتيب ، واحرزتم لهم من الفلاح أوفر نصيب . ورفعتهم في ظهرايهم
للعلم مناراً ، وشدتم في ربوعهم للمعارف نخاراً

باصحاب الجلالة الرأسمية ،

ان القلم حاسر ، واللسان قاصر . فكأنني بالقلم ينادي : ألا أقصر
فلن تحصى أو تحصى النجوم ،

وقل ما شئت فيه من مقال تجده فوق ما نطق المدح

تحقيق بآبناء العراق ان يردوا الاماني من بحر كرمكم ، ويزدحموا
على عذب مناهلكم ؛ وألسنتهم تلج ثناء ، وقلوبهم تخرج حباً وولاء ،
وتروم ان تكتب على صحف الاجيال كلمة شكر ان ذهبية

فيرفع الخادم الامين الى اعتباركم كتابه - وهو أول تاريخ
لام الربيعين - ويسترحم نشره هدفاً للنقد في عصركم الفبصلي ،
المستمد نوره من المقام الحسيني الرأسمي الجليل ، استمداد القمر من
الشمس . فقد ذكرت عهد الرشيد والمامونه ، ووقع في ساحتى الطائر
الميمون . وتقدمت بكتابتى مستمطراً وابل فضلكم ، لينتعش روضه ،
وتتفتح ازهاره ، لنفع امتي ، وبني نزعتي . لازلتكم ترسلون على رياض
العلوم من هواطل ايادىكم وابلا وطلا ، وتبسطون الامن واليمن على
العراق ظلاً . آمين

الفس سليمان صائغ





صاحب السمو الملكي

الامير زيد بن جلالة الملك حسين

مقدمة

حداً لمن جلّ عن التحديد والتبيان . وعجز عن حصر أسمائه وصفاته
القلم واللسان . الموجود الكامل الذي بالنسبة إليه أطلق الوجود على الملائكة
الأعلى والحيوان . الأزلي الذي لا يمينه تاريخ وزمان : العظيم الذي لا يحده
وضع ومكان * اللهم انا نحمدك حمد مقربين بفروض شأيب النعماء والاحسان .
ومستعجبين عن ابداء مكنونات الثناء ونجاوى الشكران

أما بعد فلما كان التاريخ من العارم الجليلة الفائدة ومن الفنون الجزيلة
النايدة لطبقات الهيئة الاجتماعية جماء . من علماء اعلام . وسوقة طغام .
سعى أرباب العلم في تدوين حوادث الأمم الغابرة . والدول السالفة تدويناً
اجالياً . وتوسيعاً لمنطقه فرزوا لكل أمة أو مدينة تاريخاً خصوصياً مدوناً
قصد أن يقتدي الاخلاف بالاسلاف . فتكون أخبارهم مشكاة يهتدي
المستيريون بها الى مناهج الصواب وحسن العمل . أو منجاة لخاصة والعامه
من مواطن الزلل . وذلك اقتفاء أو اعتباراً بالماضي الأول

وعلى هذا نجد انوم تواريخ دسطرة لكل مدينة اشتهرت بآثارها .
وأخبار دولها ومشاهير رجالها . الا اننا لسوء الحظ لم نجد في دول اخضراء
تاريخاً خاصاً بها يوقفنا على قدميتها . وينطوي على أخبارها قبيل الفتوحات
الاسلامية وبعدها . مع أن الموصل لم تكن أقل رقياً من أخواتها بعض
المدن الشرقية ، بل قد تبارى بها مجداً وتكاد تناطحها رقياً . بأدوار حكوماتها
ودولها المهمة رسير مشاهير رجالها ، وتضارعها بآثارها العريقة في القدمية
الصاعدة الى الأعصر الآثورية الشهيرة بمدنيتها بين شعوب الحمل في تلك
الازمنة كالبابليين والمصريين والفينيقيين

وقد عني المتقدمون من خول علماء الموصل في تدوين تاريخها واستيعاب الطارف والتأله من أخبارها « كتاريخ الموصل » لقاضيا أبي زكريا الأزدي الذي عاش في أواخر القرن الثالث الهجري و « كتاب الباهر » في أخبار ملوك الموصل الاتابكيين المؤرخ الشهير عز الدين بن الأثير في أواخر القرن السادس الهجري . هذه وغيرها من الكتب النفيسة التي لم أفد لها على أثر وربما اغتالتها يد الضياع فلم يتبق لنا من أخبار دول الموصل وسير مشاهير رجالها الا النزر الذي نراه في خلال أسطر صحف المؤرخين

خملتني رغبتني في خدمة أبناء وطني من العامة الذين لا يستطيعون مطالعة مجلدات ضخمة للوقوف على بعض أحوال الموصل أن أجمع شتات هذه الأخبار والانقلابات وأحبر تاريخاً لأمة الربيعين . فسمتُ النصف وأنا المفلس وتعنيت أمراً ليس من شأنني ولا أنا من رجاله . رجاء تنفع العامة ونيل رضى الخاصة . والمرء ايها الكرام ممدوح أو مقدوح بنيته اذا انما الأعمال باننيات . وما قصدي في هذا العمل الا المحاض للخدمة لوطني . وبعد شارة متواصلة على المطالعة مدة سنة ونيف توقفت بموئنه تعالى الى وضع هذا الكتاب وقد سميت جهدي في احكام الرصيف ونقل الحقائق التاريخية الممحصنة من مواردنا وما أخذها معتمداً على أشهر المؤرخين الذين هم النبراس المتهتدي والعمدة المنتدب اليهم ، كالطبري وابن الأثير وابن خلدون وابي الفداء وابن خلكان وشهاب الدين المقدسي وغيرهم من المؤرخين الحداث ، وطنبير وغرباء . هذا عدا ما تلقيت من أقوال مأثورة ونقلته من أوراق خطية قديمة . وقد رطأت هذا الجزأ الاول بتوطئة وحيزة تاحص للقاريء اللبيب أخبر الدول التي حكمت بلاد الموصل قبيل الفتح الاسلامي تمهيداً لمعرفة مبدأ تأسيس الموصل

ثم قسمت الكتاب أبواباً وفصلته فصولاً تشتمل على جل أخبار الدول الناشئة في الموصل بعد الاسلام وتطرفت زيادة في الايضاح الى ذكر بعض

حوادث صومية كما اقتضاه الحال في إيراد ما يهمننا منها وفرزت لكل دور انقلابي كلاماً موجزاً عن تقدم العلوم أو تأخرها وعن الآثار الباقية والعافية التي لم أجمعها في فصل خصوصي وإنما ذكرتها في الفصول على سبيل الاستطراد فأقدمه الى ساداتي الكرام لا كبناء رصيف مستوفى الهندام بل كأساس مرصوص خالص المادة يستطاع التمويل عليه . فأتقدم الى أنصار العلم وأرباب الفضل راجياً أن يسبلوا عليّ ذيل السماح كرمًا في ما يجردونه في كتابي هذا من النقص والخطأ سيما وأن تاريخ الموصل عسر المنال لقلة منابعه ومصادره . وسلفاً أشكر لهم مما اذا وقفوا فيه على بعض النقص والسهو وأطلعوني عليه لأنه أول مؤلف في تاريخ الموصل

وفي الختام أشكر الكرام الذين وازروني بتشجيعهم وتفَضُّلوا عليّ باسكتيب والمعلومات سيما أسدي امتناني وشكراني لساتتي الأفاضل سيادة تقيب الأشراف مولاي عبد الغني أفندي وصاحب السعادة الحاج أمين بك الجليلي الذي أفادني معلومات جلية وحضرة عبد الله بك آل سليمان بك الذي دلي على موارد تاريخية مهمة وحضرة أمجد أفندي آل العمري الذي تكرم عليّ بأوراق خطية قديمة جزيلة الفائدة والشكر لله أولاً وآخراً وهو حسبنا ونعم الوكيل



﴿ أخص الكتب التاريخية ﴾

« التي اعتمدت عليها في هذا التأليف »

- ١ تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (طبري)
- ٢ كتاب الأغاني للإمام أبي الفرج الأصبهاني (أغاني)
- ٣ تاريخ الكامل لأبي الحسن عز الدين بن الأثير (ابن الاثير)
- ٤ وفيات الأعيان لأبي العباس شمس الدين أحمد المعروف بابن خلكان (ابن خلكان)
- ٥ التاريخ اليبانغ لأبي الحسن علي بن الحسين المسعودي (المسعودي)
- ٦ تاريخ الملك المؤيد أبي القدا (أبو القدا)
- ٧ كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر لعبد الرحمن بن خلدون (ابن خلدون)
- ٨ مختصر الدول لفرغوريوس أبي الفرج المعروف بابن العبري (أبو الفرج)
- ٩ التاريخ السرياني لابن العبري (ابن العبري . س)
- ١٠ النوادر السلطانية للقاضي بهاء الدين ابن شداد (شداد)
- ١١ كتاب الروضتين لشهاب الدين المقدسي (المقدسي)
- ١٢ نخبة التواريخ والاخبار (نخبة)
- ١٣ يتيمة الدهر لأبي منصور عبد الملك النيسابوري الثعالبى (الثعالبى)
- ١٤ فوات الوفيات لمحمد بن شاكر (شاكر)
- ١٥ مقدمة ابن خلدون (مقدمة)
- ١٦ الفتوحات الإسلامية للسيد أحمد دحلان (دحلان)
- ١٧ معجم البلدان لياقوت الحموي (ياقوت)
- ١٨ تاريخ روضة المناظر لأبي الوليد محمد بن الشحنة في هامش تاريخ الكامل (ك . ابن الشحنة)

١٩ تاريخ اخبار الدول لابي العباس أحمد المعروف بالقرماني في

هامش الكامل (ك . قرماني)

٢٠ رحلة أبي الحسن محمد بن جبير الأندلسي (ابن جبير)

٢١ رحلة أبي عبد الله محمد الطنجي المعروف بابن بطوطة (ابن بطوطة)

٢٢ كتاب الرؤساء لتوما المرجي طبعة بيجان (المرجي)

٢٣ كتاب المجدل لعمر بن متى الطبرهاني طبعة رومية (الطبرهاني)

٢٤ المكتبة الشرقية المجلد الثالث للسمعاني طبعة رومية (سمعاني)

٢٥ تاريخ كلدو وآثور للطران ادي شير (شير)

٢٦ تاريخ يوسفوس اليهودي

٢٧ تاريخ التمدن الاسلامي لرجي زيدان الجزء الثاني (زيدان)

٢٨ قاموس الاعلام ش . سامي (سامي)

٢٩ تاريخ المشرق لكايمن

٣٠ تواريخ الشعوب الشرقية القديمة تأليف لنورمان

٣١ التواريخ العمومية لبودرياز

٣٢ كتاب خطي في الطومار الجليلي (طومار)

٣٣ منهل الأولياء تاريخ خطي للموصل مؤلفه محمد أمين أفندي العمري

٣٤ سالنامه الموصل سنة ١٣٠٨ لكتبتها توفيق فكرت أفندي

٣٥ تاريخ أحمد جودت

٣٦ بعض اوراق خطية قديمة (او . خط)

وقد أضربنا عن ذكر عدة مؤلفين في هذا الجدول من الذين نقلنا عنهم

مخاشياً عن الاطالة وسترد الاشارة اليهم في محله



توطئة

في الحكومات التي نشأت في بلاد ما بين النهرين
حتى استيلاء العرب عليها بعد الاسلام

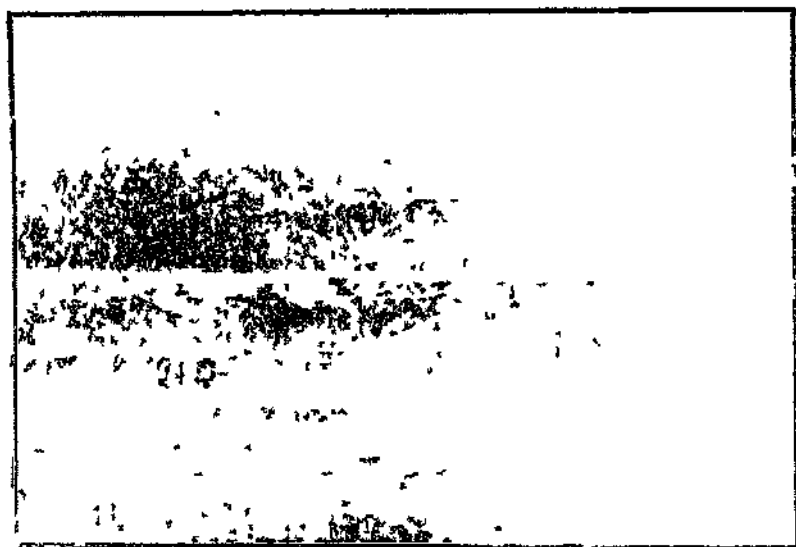
الفصل الاول

- ١ - المملكة الآشورية * ٢ - المملكة الكلدانية * ٣ - كورس العارسي *
٤ - اسكندر المقدوني . ثم المملكة السلوقية

ان أرض ما بين النهرين هي بقعة واسعة يكتنفها نهرا دجلة وانهرات .
وينشأ هذان النهران في أرمينيا من أعلى سلسلة جبال نيفات المعروفة بجبال
قلشين ويسيران متساوين انهرات منحها الى النرب ودجلة الى الشرق . ثم
يمطى العرات الى الشرق وبحري محادياً دجلة على التقريب . ولا يزالان يقتربان
طوراً وطوراً . حتى يجتمعا في بحري واحد يسمى شط العرب ، ثم
يصال في الخليج الفارسي فالبحر التي يغطيها نهرا مرآت ودجلة دعي
قسمه الاعلى ما بين النهرين وقسمها الجنوبي بلاد الكلدان والقسم الواقع منها
على شواطئ دجلة العليا بلاد آثور وكانت يحدها شمالاً أرمينيا وشرقاً
بلاد مادي

وكانت بلاد كلدو وآثور واسمة كثيرة الزرع والخصب غيرة المياه
والخداول وكان الآثوريون قد انصرفوا الى تعمير القنوات وحفر محارن المياه
والى اليوم ترى آثارها فان السير ولكوكس بسياحته الاحيرة سنة ١٩٠٥
في بلاد الكلدان تبيّن له الأمر بما لقيه من آثار احواسهم وحرائهم المائية
حتى قال ان نبات البلاد كانت سابقاً كحبة غناء تزينها الخصرة والمرروحات
الأمر الذي يدل على مبلغ الكلدان في حسن ابنيتهم لجمع الماء وتوزيعها على
الحاء بلادهم

(١) لم يدون المؤرخون القدماء عن الآثوريين الا بعض حكايات غير مسسدة هي أقرب الى التصورات الخيالية منها الى الحقائق التاريخية غير ان العلماء المتأخرين من ارباب العاديات وقفوا أحياناً على حقيقة التاريخ الآثوري بواسطة الحفريات التي احرأها الاثريون في مواقع المدن الآثورية القديمة . وعُي هذه الحفريات العلماء الاكبريون والفرساويون . وبدأ بذلك الموسيو بوتان (١٨٤٢) في تل قوويحق وهو من نينوى القديمة الآثورية وموقعها قبالة الموصل شرقي دجلة . ثم المستر لايارد (Layard)



تل قوويحق -

واكتشف على الهيكل والبلاط الملوكي الذي رقه سحاريب بن أسرحدون رعى شيء كثير من الخطوط المكتوبة على الآجر بحط مسجاري . ثم عقبهما الموسيو لفتوس (١٨٨٠) والعلامة المستر رسام الموصلي واكتشفا على قصرين ضخمين قصر أسرحدون وقصر اتوربانابال حيث وجدت كتابات آثورية على الآجر في ٢٠٠٠٠ قطعة وكان ثوربانابال قد صرف همهته جمع

في مكتبة قصره عدداً عظيماً من هذه الكتابات ودون فيها اخبار اسلافه من الملوك الآثوريين وما جرى في زمانه . واليوم يوجد في المتحف البريطاني من هذه القطع الاجرية نحو مائة متر مكعب تخمن بخمسمائة مجلد على تقدير ان كل مجلد يشتمل على خمسمائة صحيفة . ولما توفى المستشرقون الى حل لغز الكتابة الاثرية افتتح امام العلماء عالم جديد وعرفوا من اخبار قدماء الأمم الراقية الى مهد البشرية ما كانت طمسته كوارث الحداث وبقي دفيناً في قلب الارض فوققوا على ديانة الآثوريين وعلى حياتهم الاجتماعية والعلمية والسياسية . قد ورد عن الآثوريين في روايات غير مسندة ان نينوس أسس مملكته في البقعة الموجودة بين الهند والبحر المتوسط ثم خط نينوى وأتقن بناءها وزخرفها وبعد الفراغ منها أخذ يشن الغارات على القبائل المجاورة له . وفي احدى غزواته التقى بسميراميس الشهيرة بالجمال والحكمة والعمل والاقدام فاتخذها زوجة وهي بعد موته خلفته على سرير الملك وشيدت بابل وأحسنّت بناءها حتى جعلتها أعظم وأجل من نينوى . أما الملوك الذين جلسوا بعدها على سرير الملك فقد أساءوا السيرة وأهملوا أمور الملك حتى تضععت أركان الدولة الآثرية . ولما ملك سردنا بل وهو آخر ملوكها استولى الماديون على نينوى فاضرم سردنا بل النار في قصره فالتهمته وتلف كل ما كان فيه من الكنوز الثمينة

أما الحقيقة التاريخية التي وثق عليها العلماء من الآثار القديمة المكتشفة حديثاً فهي ان المدن في التطر الآثوري كانت في منشأها عبارة عن بلاد مستقلة في ادارتها الواحدة عن الاخرى . ثم أحرز آثور الاسبقية على غيره من ملوكه فلما كان في نينوى وأربيل . وبعد ذلك استعرت نيران العداوة بين المملكة الآثرية والمملكة الكلدانية ودام الحال هكذا حتى نالت المملكة الآثرية كجزءاً من بلادها السحيبي والاداري ولم تقتصر على ذلك بل حملت على أعدائها وأصابتهم حروباً حامية ألجأتهم على الهزيمة وأخضعت تحت أمرها بلاد

ما بين النهرين والبلاد الكلدانية وفد هانت المملكة الآثورية الى أوج المجد على عهد ملكها تفلنغلسر الاول فدانت لها الشعوب المجاورة وامتد ملكها من خليج المعجم الى البحر المتوسط والى لبنان . وما زالت تسير في مراقي الفلاح حتى قلب لها الزمان ظهر المحن ، فسقطت من عزها وانحطت عن مجدها مدة غير يسيرة . ثم نهضت من سبطتها في القرن التاسع قبيل التاريخ الميلادي على عهد تفلنغلسر الثالث فاسترد هذا بلاده وأعاد حدود مملكته كما كانت قديماً ثم انصرف الى سنّ الشرائع الضامنة بالنجاح وعندهم أخذها الفرس فقسم المملكة الى ولايات وأقام في كل ولاية والياً لجمع الجباية وتجهيز العساكر وتعبية الجنود . وعقب هذا العصر عصر مجيد على المملكة الآثورية وهو عصر المرجونيين الذي بدأ سنة ٧٢٢ ق م في تملك سرجون أو شريكنا وكان هذا شجاعاً يحب الحروب والغزوات ويرافقه النصر أين سار فخارب بني اسرائيل والمملكة المصرية وفهر جيوشهم واستولى على بلادهم .

ثم اسور بانابال (٦٦٧ - ٦٢٥) وهذا كان آخر ملك آثوري رفع قدر مملكته وشيد صروح مجدها حتى انه فاق اسلافه من الملوك بملو الهمة وثبات العزيمة وشدة الباس فاضع مصر واستولى على سوس عاصمة مملكة عيلام وتوفي اسور بانابال سنة ٦٢٧ أو ٦٢٨

يقول العلامة السيد ادي شير « ان تاريخ الدولة الآثورية بعد وفاة اسور بانابال غامس في الظلمة . وقال البعض انه بعد اسور بانابال ملك ابنه مركوس أو سينشارشكين فكان واهي المزيمه وبأيامه خربت نينوى وانقرضت دولة آثور . وذلك ان نابوبولاسار الوالي على بابل من قبل ملك آثور نادى بنفسه ملكاً على بابل وتحالف مع كواصار ملك الماديين فحملوا على الآثوريين الذين أضعفتهم الحروب الكثيرة وشدّوا الحصار على نينوى مدة سنين ثم افتتحوها وأخربوها فاصبحت تلك المدينة العظيمة أرضاً بقلعاً . وبعد مضي جيلين على خرابها لم يشاهد من قصورها وهياكلها وبيوتها

العظيمة الا بعض الحجارة على اطلال خربة لم يزل بعضها ماثلاً الى اليوم .
فان سرکوس لما تحصن في قصره ورأى سوء مصيره وانه سيقع بيد أعدائه
أضرم النار في قصره وباد فيه بمن معه (٦٠٨ ق م)

بعد خراب نينوى انقسمت المملكة الآشورية أي بلادها الى مملكتين
جديديتين الأولى المملكة الكلدانية الجديدة ، والثانية المملكة المادية .

(٢) أما المملكة الكلدانية فكانت تشتمل على ما بين النهرين وسوريا
وفلسطين . ثم بعد وفاة نابوپولاسار ملك بعده ابنه نبوكدناصر والعرب
يسمونه بختنصر . واشتهر هذا بحروبه الكثيرة مع القبائل المختلفة كمملكة
يهوذا وسوريا ومصر وبلاد العرب وساق منهم أسرى كثيرين الى بلاده
وتوفي نبوكدناصر (٥٦٢ ق م) وخلفه ابنه اميلردوخ وكانت الفتن والفتاقل
قد عصمت المملكة حتى أصبحت على جرف هار لو هن قوتها وزادت أحوالها
وخامة بتملك نبونهد الواهي العزيمة .

(٣) وكان آنذا قد ظهر أمر كورش الفارسي (٥٥٢ ق م) وتغلب فحمل
على بلدان الكلدان (٥٣٨ ق م) وخرج عليه بلطشاصر بن نبونهد ليدافع
عن المملكة بمسكركه . فهوى قتيلاً في معركة وتفرق جنده وافتتح كورش
الفارسي بابل (٥٣٨ ق م) ومن ثم انقرضت المملكة الكلدانية باستيلاء
الفرس على بلادها . فاحسن كورش الى الرعية وأرجع الاسرى من اليهود
ومن غيرهم الى أوطانهم ^(١) . وهكذا آل أمر هاتين المملكتين العظيمتين
لكورش الفارسي ولأخلافه . وقام منهم احد عشر ملكاً آخرهم كان أرسيس
لدي تته باغو أحد ثقاته وعنده اندثرت العائلة الملوكية الفارسية ثم ان باغو
أقام على سرير مملكته أحد أصدقائه درياوش (٣٣٦ ق م) وكان درياوش
حارماً شيطاً جديراً بإدارة الملك غير ان تلك المملكة الجائرة دارت عليها
الدوائر وحكم عليها بان تسقط امام اقدام اسكندر المقدوني المعروف

بالكبير . وأسباب سقوطها كثيرة أخصها اتساع حدودها واختلاف شعوبها ونحلها ولغاتها . ونقص انتظامها . وسوء ادارتها . وقبح اخلاق ملوكها الغشومين .

(٤) كانت الشعوب اليونانية تتوق الى محاربة الفرس اثاراً منهم عن حروب سالفة فلما ملك اسكندر الكبير (٣٣٦ ق م) وحد كلمة اليونان وحمل على الفرس بمدة ثلاثين ألف راجل وبعد وقائع كثيرة أشهرها واقعة اربيل (٣٣١ ق م) انهزم الفرس ودخل اسكندر مدينة اربيل مظفراً . ثم افتتح كركوك وشوشان وبابل وكان درياوش قد قتل سنة ٣٣٠ . ولما استقر الامر لاسكندر سار الى اخضاع الشعوب الهندية . ثم عاد من حروبه الى بابل وقد كاله الظفر فوفدت اليه السفراء في بابل من جميع الانحاء والشعوب ليقدموا هداياهم ويبرموا المعاهدات الصاحبة مع فاتح أسيا وسيد انعام . وبعد ان نظم لاسكندر شؤونه ملكه الواسع سعى أولاً بمزج اخلاق تلك الامم المتباينة مع الشعوب اليونانية فزوج عشرة آلاف مقدوني بنات فارسيات . وهو نفسه اتخذ له امرأة احدى بنات درياوش . وانصرف جهده ليوحد هذه الممالك فيجعلها مملكة واحدة عاصمتها بابل . غير ان الموت اختطفه وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة . وسئل اسكندر قبل موته بوضع دقائق لمن يترك التاج الملوكي . فاجاب للاقوى . على اني ارى أدواني سيخلفوني لي بمجنازة حربية مهولة . وهكذا كان . فان قواده تنازعوا الملك بعده موته وثار بينهم حرب ضروس اسفرت نتيجتها عن تقسيم مملكة اسكندر الى أربعة أقسام فأعطيت سوريا وجميع بلاد ما بين النهرين الى سلوقوس أحد قواده . وجرى ذلك (٣١١ ق م) وهي بدء التاريخ اليوناني . فانصرف سلوقوس الى اصلاح أحوال الممالك وكان هماماً شجاعاً ابتنى مدناً كثيرة أشهرها انطاكية وساليق على دجلة . ثم سعى في نحو التمدن البابلي ونشر تمدن اليونان وعلومهم في جميع انحاء مملكته . ولم يمض زمن يسير على ملكه

حتى أصبحت اللغة اليونانية عمومية في أسيا قاطبة . وملك بعد سلوقوس اثنتان آخران هما سلوقوس انطيوخوس الاول وانطيوخوس الثاني . وكانت مدة ملكهم من (٣١١ ق م) الى (٢٤٥ ق م) وبينما كان سلوقوس ثاءوس ابن انطيوخوس الثاني يحارب ملك مصر ثار الفرثيون في أسيا العليا ، فتحصنوا في بلادهم وطرّدوا المقدونيين ومن ثم أسسوا حكومة مستقلة هي دولة الارشاقين الفرثيين

الفصل الثاني

في المملكة الارشاقية أو الفرثية وإماراتها

ان أصل الفرثيين هو من الشعب الاسقوثي أو الاشكوزي وهم ساكنو البلاد الجبلية التي في شرقي بحر قزوين وجنوبيه . وخضعوا لحكومات مختلفة : للاثوريين ومن بعدهم للماديين ثم للفرس وأخيراً خضعوا لاسكندر الكبير . فملك عليهم رجلاً من ثقافته اسمه استاسانور . ثم على أثر النزاعات التي جرت بين خلفاء الفاتح الكبير بعد موته كما أسلفنا ذكره صار أمر الفرثيين الى سلوقوس وخلفائه .

كان موقع البلاد الفرثية منيعاً محصناً وبلادهم سيئة المناخ قليلة الربيع لقحولة أراضيها فكان سكانها يعيشون عيشة بدوية شظفة متمقلين في الجبال الواقعة بين هرقانيا ومرجيانا . وكانوا يحسنون ركوب الخيل ورمي السهام . فناروا على السلوقيين الذين كانوا متسيطرين عليهم وجأهروا بالعصيان معلنين استقلاليتهم . وحاول انطيوخوس ثاءوس عبثاً تسكين هذه الثورة فان ارشاق أحد زعماء الفرثيين هجم بمن معه على الوالي السلوقي واسمه اغاثوكليس فقتله وجلس مكانه (سنة ٢٥٠ ق م) وحمل على هرقانيا واستولى عليها . ثم جمع جيشاً عظيماً وسار به الى حجارة السلوقيين والبخترانيين فهادته أهل بخترية

وانضموا اليه وانتصر ارشاق على السلوقيين فطردهم عن بلاد فارس ومادي وكلدو وآثور ، واستولى عليها . ومنه بدأت مملكة الارشاقين أو الفرثيين . وقام بعده ثلاثون ملكاً كانوا يسمون باسمه ارشاق وكانت عاصمتهم ساليق ثم بنى الفرثيون ازاءها مدينة أخرى دعوها قطيسفون ويسمى العرب هاتين المدينتين « المدائن » .

ان الرومانيين بعد استيلائهم على سوريا حاولوا ان يستولوا أيضاً على المملكة الفرثية ولم يفلحوا . فان افراتيوس قائد بومبيوس أغار عليها سنة ٦٥ ق م ورجع عنها خائباً وبعده كراسوس حمل على البلاد الفرثية . وذلك على عهد أورود ارشاق الرابع عشر . وكانت العساكر الفرثية على أهبة تامة . خاطبت عليه وانتشبت الحرب بين الفريقين فانكسر كراسوس وقيل انه قتل خدعة سنة ٥٤ ق م . ثم ان مرقوس انطونيوس عزم على الانتقام من الفرثيين فأغار عليهم سنة ٣٦ ق م بمقدمة ست عشرة كتيبة . وانضم اليه ارتفاسد ملك الارمن . وبعد عراك شديد عاد مرقوس انطونيوس خائباً . ولما كانت سنة ٢٠ ق م سعى افراهاط ملك الفرثيين بمصالحة الرومانيين . فأطلق أسراهم الذين اعتقلهم الفرثيون في محاربتى كراسوس ومرقوس انطونيوس ووثق ارطبان الثالث أي ارشاق التاسع عشر العلاقات الصلحية مع الرومانيين والتفت الى اخضاع الشعوب المجاورة له خاربهم وقهرهم . ثم تكبر واستخف بقوة الامبراطور طيبريوس وعجزه وتقاعده عن الحروب لكبر سنه . فحمل ارطبان على ارمينيا وكانت حينئذ خاضعة للرومانيين ففتح بلادها واستولى عليها . وحدثته نفسه ان يستولى على مملكتي فارس واليونان جاعلاً نفسه وريثاً لكورش الفارسي واسكندر المقدوني . ومن ثم باتت المملكة الفرثية والمملكة الرومانية عدوتين مباينتين

ولما تملك خسرو أي ارشاق الرابع والعشرون تمكنت الحزازات العدائية بين الفرثيين والرومانيين فحمل طرايانوس الامبراطور الروماني (سنة ١١٤ مسيحية) حملة زعزعت اركان المملكة الفرثية وتوغل في بلادها فقتل رزبه وسبي . ثم استولى على سواحل دجلة من جبال أرمينيا الى الخليج

الفارسي وجعل ما بين النهرين وأرمينيا قطعة واحدة خاضعة للرومانيين .
لكن هذا الانتصار العجيب لم يدم زمناً طويلاً فان خسرو عي جيوشه
وحارب الرومانيين فكسروهم واستعاد بلاده .

ومن ذلك الحين (أي سنة ١٩٧ مسيحية) أخذت المملكة الفرثية
بالانحطاط لسبب الفتن والفتن الداخلية الكثيرة التي كان الشعب يشيرها على
ملوكه المستبدين أو كانت تنشأ في العائلة المالكية لتنازعهم الملك
ولما جاس أولغاش الرابع أي ارشاق التلاتون وارطبان الرابع أي
ارشاق الواحد والتلاتون كثرت الفتنة والمشاغبات في العائلة المالكية فانهز
الفرصة قراقلا الامبراطور الروماني وحل على ما بين النهرين (٢١٦ مسيحية)
وفي السنة التالية أبرم مرقيانوس خليفة قراقلا صلحاً مع الفرثيين غير ان
المملكة الفرثية ما زالت في انحطاط واضطراب حتى استمرت نيران الثورة
التي قلبت المملكة الفرثية وقامت مكانها المملكة الفارسية المعروفة بالساسانية
(٢٢٦ م) كما سنراه .

كانت المملكة الفرثية تنقسم الى مقاطعات أو ممالك صغيرة مستقلة
الواحدة عن الاخرى ولكل منها ملك يحكم عليها ويخضع للارشاق . لهذا
سمي ملوك الفرثيين بملوك الطوائف لتوزع أراضيهم بين ملوكيات صغيرة ^(١) .
وقد نشأت هذه الملوكيات الصغيرة من عهد تملك اليونان على هذه البلاد .
وذلك ان الاسكندر المقدوني الفاتح لما غلب على الفرس وأمر ملوكهم
وكبارهم ملك عدة منهم على الفرس قصد ان يقع بينهم التناحور والتباغض
قياً من اليونانيون غائتهم . وأقام على الفرس نحو عشرين ملكاً وهم المسمون
بملوك الطوائف ^(٢) وأشهر هذه الممالك هي مملكة الزها (أورفا) ومملكة
تدمر وكانت في بر الشام وامارات حطارا . وكانت قريباً من تكريت وامارة
ميشان وكانت في موقع البصرة . وامارة سسيخار وامارة حدياب وكانت في
أرض الموصل وما يجاورها . وعلى ما يؤيده السيد ادي شير ان هذه الممالك

(١) المسودي ج ١ ص ١٠١

(٢) ابو الفدا ج ١ ص ٤٨

كانت كلدانية ارامية فكانت تارة تستقل وأخرى تخضع للفرثيين أو للرومانيين . لسوء الحظ لم تحفظ لنا التواريخ الا النزر القليل من أخبار هذه الدول التي تشكأت قبل المسيح بزمن قليل ودامت الى بعد المسيح باجيال قليلة وكانت هذه الامارات الارامية واهنة القوة ضعيفة اراء أعدائها ، لا تقسامها على بعضها وعدم اتفاقها الملي الذي حال دون مرامها من تشكيل حكومة مركزية قوية ، فقال عنها المسيو ساشو : كان لها لسان واحد وديانة واحدة ولم يكن لها أبداً حكومة واحدة لصون كيائها وانتشارها

أما حدياب فعلى ما قال السمعاني (١) كانت القطعة الاشرف موقعاً والاهم سياسة في جميع بلاد آثور واسمها يشمل جميع الاصقاع الآثورية وسماها العرب حزة وذكرها بهذا الاسم بعض كتبة الكلدان القدماء فان عمر بن متى قال عن يشوعياب الحزي مانصه : كان يشوعياب من بلدة حزة المعروفة الآن باربل : والأصح لم تكن اربيل عين حزة بل كانت أهم بلادها

ان اماره حدياب كانت بين الزابن تمتد الى آثور (شرقا) وإلى نصيين وقاعدتها مدينة أربيل . ولا يعرف التاريخ اسماء الملوك الذين تبوأوا عرش امارتها وحوادثهم مفصلاً . الا أن يوسفوس المؤرخ اليهودي ذكر اسم أحد ملوك حدياب وهو ايزاط الذي ملك في الجيل الأول للمسيح وعلى عهده ضم اربطبان الثالث ملك الفرثيين نصيبين الى قطعة حدياب وجعلها تحت حكم ايزاط (٢) ثم ورد في تاريخ مشيخزخا (٣) اسماء بعض ملوك حدياب منهم شهرط و نرساي وملك نرساي الى أوائل الجيل الثالث بعد المسيح وبوقته انتشبت حرب بين أولغاش الرابع ملك الفرثيين وبين الفرس عند خراسان فانكسر الفرثيون ولاذوا بالهزيمة فمقبهم الفرس وانحنوا فيهم الجراح ثم أن أولغاش جمع قوته واستأنف الكر على الاعداء فوهبه الله اكتافهم وهزمهم الى بحيرة قزوين وقتل منهم خلقاً كثيراً . أما نرساي ملك حدياب فلم يرافق

(١) السمعاني مجلد ٣ ج ٢

(٢) دوقال تاريخ الرها ص ٤

(٣) ص ٢٥ و ٢٨

الفرثيين في هذه الحملة فأغضبهم ذلك منه ولما رجموا منصورين هجموا على بلاده وأخربوا مدنه ونهبوها وأغرقوه في الزاب الأكبر وربما دامت هذه الامارة على استقلالها الاداري الى ما بعد تملك الساسانيين اذ يذكر عن أحد ملوكها وهو سنحاريب وما جرى له من قتل ولديه (١) بهنام وساره لأنهما كفرا بعبادة الاوثان واعتنقا عبادة الاله الحق على يد الشيخ متى الناسك في جبل القاف فقتلها مع من ذهب مذهبهما من أصحابه في جدد آلهة الاوثان وكان مقتلها قريباً من الجبل المذكور سنة ٣٥٢ م ثم ندم سنحاريب على ما فعل فنبذ عبادة الاوثان وعمر هيكلًا على جبل القاف للشيخ متى ورهبانه وشيد على اسم ولديه الشهيدين هيكلًا آخر في محل قتلها حيث وضع جثتيهما في جرنين ودفنهما فيه باكرام عظيم . ثم كمل بنيان الهيكل المذكور رجل من أشرف الأسرات الفارسية اسمه اسحق وبني حول ذلك الهيكل غرفاً للزائرين وهذا الهيكل المكنوزة فيه بقايا ماربهنام ورفقائه الشهداء هو في غربي قره قوش على مسافة اربع ساعات ويسمى دير ماربهنام وهو الآن بيد السريان الكاثوليك . اما دير مار متى فهو في جبل القاف أو المقلوب ويعرف بجبل الشيخ متى في شرقي الموصل على مسافة ثمان ساعات بيد السريان القديم وكان سكان حدياب من الجنس الأرامي على ما يشتهه دوقال (٢) بقوله : ان الأراميين (وهم النبط) كانوا يقطنون سوريا وما بين النهرين والولايات الشرقية كحدياب وبيت كرمي وغيرها وينهم شعوب أخرى كانت الأراميون قد تغلبوا عليها بانتشار لغتهم الارامية التي كانت حينئذ اللغة الدارجة في قسم عظيم من آسيا أي بلاد الشام والجزيرة والعراق وآثور وما يجاور هذه البلاد فان المملكة الآثورية وبعدها المملكة الكلدانية نشرتا لغتهما الارامية في جميع البلاد التي دوّخها ملوكها . ولم تفقد هذه اللغة رونقها بعد سقوط هاتين المملكتين واستيلاء الفرس عليهما بل لبثت هي اللغة السائدة

(١) قصص الشهداء طالع ييجان جلد ٢ ص ٣٩٧

(٢) آداب السريّة ص ٤

في جميع أنحاء البلاد التي خضعت لها كمصر وآسيا الصغرى وسوريا وانتشرت أيضاً في شمالي جزيرة العرب الى حدود الحجاز وذلك في القرون الأولى من التاريخ الميلادي ، فقد وجدت في شبه جزيرة سيناء كتابات آرامية لا تخصي أبداً لنا عرب تلك الجهات (١) وأيد دوقال أن اللسان الآرامي كان طاماً ومنتشراً من سواحل البحر المتوسط الى طورس فالخليج الفارسي فخدياب على أن أهالي خدياب كانوا من الآراميين جنساً ولغة وكان العرب يسمونهم النبط وقد أطلق بعض مؤرخيهم هذه التسمية أي النبط على الفريثيين من الفرس (٢)

قال السيد اقليدس داود في مقدمة كتاب اللمعة الشبيهة : ومنذ القرن السابع بدأت اللغة العربية تقرض اللغة الآرامية شيئاً فشيئاً حتى ألغيت في القرن الخامس عشر للميلاد وسادت مكانها . ولم تمت هذه اللغة تماماً بل ما زالت باقية الى اليوم عند بعض الشعوب النصرانية ، الموجودة في العراق وكردستان وسوريا وبلاد العجم . وهي وإن كانت قد تغيرت عما كانت عليه في وقت الكلدان القدماء إلا أنها منذ بدء التاريخ المسيحي لم يطرأ عليها شيء من التغيير والذين يتكلمون بها اليوم منهم بجوار مدينة دمشق تبعد عنها ثمان ساعات حيث يوجد قرى صغيرة أو كبرها قرية «معلولة» يتكلم أهلها السورث وهي الآرامية . ثم من نصارى كردستان اربيل وسليمانية وكويسنجق ومن بلاد فارس سنا وأورمية . ومن بلاد آثور قرى النصارى التي في شمالي الموصل ومن هذه القرى ما يصعد الى زمن الآثوريين . فإن في قرية باقوفا ويسمى الكتبة الأقدمون بيت قوبي أي بيت الأخشاب تلاً صغيراً قد وجد فيه أهالي هذه القرية بعض الآثار المخطوطة القديمة العهد وشوهد فيه آثار أبنية على شكل هياكل وبقيت هذه القرية مع ما يجاورها من القرى أشبه بمدن الى الأعصار المتأخرة بعد المسيح حيث دمرتها غارات التركان

(١) المشرق سنة ١٩٠٣ ص ٧٠٥

(٢) طالع السعودي ص ٩٠ و ٩٣ و ١٠٠

والفرس ويقال أيضاً عن قرية تللسق أو تلازقيا (التل المنتصب) أنه وُجد في بعض حفرياتها شيء من الخطوط وعن بعد ثلاث ساعات منها قرية القوش المبنية في لحف جبل بيت عذري من سلسلة جبال قردو ويرجح أن تكون هذه القرية موجودة من زمن الأثوريين وفقاً للتقاليد الجارية عن ناحوم النبي أنه توفي فيها وإلى اليوم يعرف فيها ضريحه وفي هذا رأي معارض بأن القوش التي ينتمي إليها ناحوم النبي كانت إحدى مدن الجليل في اليهودية أما التقليد الحالي فمخالف لهذا حيث أن اليهود باجماع الرأي متفقون على أن ناحوم النبي توفي في القوش الاثورية وعليه فيحجبون من البلاد الشاسعة إلى ضريح النبي المذكور الموجود فيها وهذا هو الأرجح . فإن ناحوم النبي على ما يظن كان معاصراً لحزقيا ملك يهوذا وتنبأ في أواخر ملكه ومن المعلوم أن سنحاريب الملك الاثوري بعد اغارته على سوريا (سنة ٧٠٢ ق م) اغار على حزقيا ملك يهوذا واستولى على ست وأربعين مدينة محصنة من مدنه وعلى عدد كبير من قراه ونهبها كلها وأسر منها ٢٠٠١٥٠ أسيراً استاقهم إلى بلاده (١) أفلا يمكن أن يكون ناحوم النبي من جملة هؤلاء الأسرى ومات في القوش الاثورية ؟ أولا يمكن أن ناحوم النبي وُلد في القوش الاثورية من الأسرى الذين استاقهم الملك الاثوري تقلابلاسر الثالث من بلاد يهوذا واسرائيل في حملته (سنة ٨٣٨ ق م) (٢) . ويزيد هذا الرأي تأييداً نبوة ناحوم نفسها فإنها تقتصر في البحث عن نينوى وتبدأ بهذه الآية : وحي على نينوى . سفر رؤيا ناحوم الاثوشي . وفي فصوله يتنبأ بهذا النبي الجليل على خراب نينوى فيصف قبح اخلاق أهلها ووفرة غناها وتجارها كن قد عاش فيها

(١) شير باب ٤ ف ٥

(٢) شير باب ٤ ف ١

الفصل الثالث

دولة الفرس الساسانيين

ذكرنا آنفاً ان المملكة الفرثية انقرضت بثورة أهلية أحدثها ارداشير ابن بابك من آل ساسان وقيل انه من سلسلة ملوك الفرس القدماء وأورد سترابون انه كان للفرس ملك خصوصي خاضع للفرثيين . ثم ان ارداشير عقد النية ان ينقذ وطنه من ربقة استبداد الفرثيين الذين تسيطروا عليهم مدة خمسة اجيال . فاستجاش الجند وهاج الماديين على الفرثيين واجتذب اليه ملوك الطوائف ومن جملة الذين تحزبوا له كان شهرراط ملك حدياب ودوميطيانا ملك بيت كرمي فحمل عليهم ارطبان الرابع الفرثي ودارت بينهم دحى حروب سجال كانت دواثرها على الفرثيين فعادوا مقهورين خائبين ومن ثم أعلن ارداشير ملوكيته المستقلة في مجلس انعقد في باختر مسمياً نفسه ملك الملوك . وكان ارداشير حازماً نشيطاً سمى بتقويم أود المملكة واصلاح شؤونها . ثم حول نظاره الى ضبط البلاد التي كانت تحت حوزة كورش الفارسي فانقذ رسولا الى الكسندر سيوروس امبراطور الرومانيين وطلب منه ان يخلي آسيا وعلى هذا ثارت بينهما حروب اسفرت عن انكسار الرومانيين فاستولى ارداشير على بيت كرمي وحدياب وسائر بلاد ما بين النهرين . ولما جلس على سرير الملك شابور الاول بن ارداشير (٢٤١-٢٧٢) زحف على ارمينيا واستولى عليها . وانتصر عليه غورديان وضبط منه كل بلاد ما بين النهرين غير ان فيلبس قيصر هادنه وحالفه ورد اليه هذه البلاد . ثم ان والريانوس قيصر حمل على ما بين النهرين فناجزه شابور القتال وغلبه وأسرهم وذهب بفتوحاته الى انطاكية وقيليقية وقيصرية عاصمة قبادوقية وخلف شابور هرمزد الاول (٢٧٢-٢٧٣) الا ان المنية اختطفته بعد

حام من ملكه ولم يتيسر له أن يباشر حرباً . ثم ملك بعده بهرام أو وارهاران (٢٧٦-٢٧٣) وكان هذا جباناً متقاعداً عن مهام الملك فأغار عليه الرومانيون وأخربوا بلاداً كثيرة في ما بين النهرين واستولوا على المداين وهي ساليق وقطيسفون ثم ساروا الى الجهة الاخرى من دجلة واستولوا عليها ولبت ما بين النهرين التي على الضفة الاخرى من دجلة خاضعة للرومانيين حتى ارتقى شاپور الثاني بن هرمزد عرش المملكة الفارسية . وبعد بهرام أو وارهاران الأول ملك وارهاران الثاني (٢٧٦-٢٩٣) وفي زمانه أي سنة ٢٨٣ استولى كاروس قيصر على ساير بلاد ما بين النهرين ، وجلس بعده على سرير الملك وارهاران الثالث ولم يملك سوى أربعة أشهر ثم خلفه على عرش المملكة نرسا (٢٩٣-٣٠٢) وفي وقته قرر الرومانيون ان تكون ما بين النهرين في حوزتهم وجعلوا حداً بين المملكةتين نهر الخابور

وقام بعد نرسا ابنه هرمزد الثاني (٣٠٢-٣٠٩) ثم خلفه ابنه شاپور الثاني (٣٠٩-٣٧٩)^(١) وكان هذا الملك حدث السن فسأت بزمانه احوال المملكة وكثرت فيها المشاغب وانتهز عرب اليمن ان يجمعوا على عاصمة مملكته ولما بلغ شاپور أشده أغار على بلادهم ثم حمل على الرومانيين ليسترد منهم الخمس الولايات ونصيبين فشئ بمساكره على نصيبين لكنه عاد عنها بعفقه خائب ثم حاصر آمد وضبطها من الامبراطور قسطنس وخرب حصوناً كثيرة في ما بين النهرين وسنجار وبازبدا

ولما تبوأ يوليانوس عرش المملكة الرومانية حمل على الفرس بشدة فضمض قواهم وهزمهم لكنه هوى قتيلاً (سنة ٣٦٣ م) بسم أصابه من السماء لكفره ولهذا سمي يوليانوس الكافر فألقى موته الفشل في جنده وتغلب الفرس عليهم فهزموهم شر هزيمة . ثم خلفه على عرش المملكة الرومانية يوفنيانيوس وهذا انقاد قسراً أن يبرم الصلح مع الفرس فأعاد لهم

الحبس الولايات ونصيبين وسنجاراً وقصر الموز. وكان من أعظم حصون ما بين النهرين وانصرف شابور الى تحصين البلاد التي استردها من ما بين النهرين ثم استولى على أرمينيا وألحقها بالبلاد الفارسية وحمل على ايريا واستولى عليها ومات شابور سنة ٣٧٩ م بعد أن ملك سبعين سنة وكانت أيامه ملوثة بدم الأبرياء الذين قتلهم في انحاء ملكه من النصارى لسبب دينهم وعددهم يربو على الآلاف المؤلفة

ثم خلفه على سرير الملك ارداشير الثاني (٣٧٩ - ٣٨٣) ثم شابور الثالث (٣٨٣ - ٣٨٨) ثم بهرام الرابع (٣٨٨ - ٣٩٩) وبوقته هجم الهونيون على ما بين النهرين ونهبوا وسلبوا حتى بلغوا المداين خمل عليهم بهرام وكسرهم واسترد منهم السبايا سنة (٣٩٩ م) وكانت القلاقل في أيام هؤلاء الملوك الثلاثة قد عثا شرها فانهز الأرمن والاييريانيون وأعلنوا استقلالهم . ولما ملك يزدجرد الأول (٣٩٩ - ٤٢٠) وثق رباطات المودة بينه وبين الامبراطور أرقاديوس ومن ثم بات الشرق في أيامهما بصلح وسلام ، غير أنه في السنة الأخيرة من ملكه شرب كأسلافه سلافة الظلم حتى ثمل من الدماء التي اراقها عفواً . وذلك أن كهنة النار حملوه على اضطهاد النصارى فقتل منهم خلقاً كثيراً ولجأ بعضهم الى مملكة الرومانيين ولما استولى بهرام الخامس على عرش المملكة (٤٢٠ - ٤٣٨) أرسل يطالب الرومانيين بالملتجئين اليهم من النصارى فأبى الرومانيون تسليمهم وعلى هذا شبت نيران الحروب وامتلات جبال ارمينيا وسهول ما بين النهرين من الجيوش الرومانية وقتلوا الفرس قتلاً شديداً الا أنهم لم يظفروا منهم بشيء فعادوا من حيث أتوا . وحارب بهرام الأتراك وقهرهم وقتل ملكهم الخان بحد السيف ثم توفي سنة (٤٣٨) وملك بعده ابنه يزدجرد الثاني وتوفي سنة (٤٥٧) خلفه ابنه الأصغر هرمزدا ونازعه على الملك أخوه الأكبر يروز واستنصر الهونيين فنصروه على هرمزدا وتولى الملك بعد أن قتل أخاه سنة (٤٦٠) . وحارب يروز

الرومانيين وقتل في الحرب خلفه ابنه بلاش ونازعه أخوه قباذ على الملك وعلى أثر ذلك توفي بلاش فملك بعده أخوه قباذ (سنة ٤٨٨) إلا أن الفرس خلموه لسوء سيرته وملكوا مكانه أخاه زماسب (٤٩٦) أما قباذ فالتجأ الى البرابرة حيث جمع له جيشاً زحف به على زماسب فقهره واستولى على عرش المملكة (٤٩٨ - ٥٣١) ثم ملك بعده ابنه كسرى الأول (٥٣١ - ٥٧٩) ودعي انوشيروان أي ذا النفس الكريمة ، وهذا قام باصلاح المملكة وتنظيم الجيوش فانتخب من أعوانه أربعة وزراء عهد اليهم تدبير الولايات الكبيرة وهي آثور ومادي والفرس وبخترية . ثم التفت الى تعديل الشرائع التي وضعها ارداشير الأول والى توسيع نطاق المعارف وتنشيط الزراعة وسمى أيضاً بترية الأولاد الفقراء واليتامي وركب القنوات لجلب المياه وأسس مدرسة في سوس اشتهرت بالفلسفة والشعر والخطابة وأمر بتدوين تاريخ الحكومات الفارسية وترجمة كتب حكماء اليونان والهند وقرب اليه المماتزين بعلومهم ومعارفهم وأحسن اليهم . وقد اشتهر أيضاً انوشيروان بحروبه فاستولى على البلاد وخافته الملوك فصالحوه على الجزية وملك ٤٨ سنة ثم توفي سنة (٥٧٩)

وخلفه ابنه هرمزدا الرابع (٥٧٩ - ٥٩٠) وكان فظاً قاسياً فكرهته الرعية وخلموه عن الملك (سنة ٥٩٠) وألقوه في السجن ثم ملكوا مكانه ابنه كسرى الثاني ابرويز (٥٩٠ - ٦٢٨) وذبح ابرويز أباه وهو في السجن وصالح الرومانيين الا أن الصلح لم يدم طويلاً حتى استمرت بينهما نارالحروب وأحرز كسرى ابرويز انتصارات باهرة على الرومانيين ثم دارت عليه الدوائر بأنحياز قواد جيشه الى هرقل بنفضاً له فحمل هرقل حملة عظيمة وافتتح الروم وأرمينيا وحدياب وبيت كرمي وهي كركوك وما يجاورها واستولى عليها^(١)

ثم اغتصب ابنه شيروي الملك منه والقاء في السجن الذي أُلقي فيه هرمزدا
 وذبح اخوته السبعة عشر وكان شيروي يرسل كل يوم الممذيين الى أبيه وهو
 في السجن ليدلوه ويمذبوه بنخز النصل وأخيراً قتله شرقتة والظالم يصاع له
 بصاع طافح ظلماً . فكانت هذه الفتن والمشاغب علامة بينة على خراب هذه
 المملكة الجائرة وما زادت الاحوال الا وخامة حتى تولى الملك يزدجر الثالث
 سنة ٦٣٣ فسلط الله العرب على بلاده واصلاوه حرباً حامية كانت خاتمتها الحرب
 الشهيرة المعروفة بالقادسية (سنة ٦٣٦) وهي كانت الضربة القاضية على حياة
 المملكة الساسانية . ومن ثم دخل الشرق في تاريخ جديد واشتهر في آسيا
 شعب كان منزوياً في زاوية صغيرة منها ، وهم العرب ، وكانوا قد رفضوا
 الاسلام برهة من الزمان ثم اقبلوا اليه فلم شعشهم وجمع كلمتهم وهاك ما قاله ابن
 الاثير ^(١) : « لما افتتح الرسول (صالم) مكة وأسلمت ثقيف وفرغ من
 تبوك ضربت اليه وفود العرب عن كل وجه » ويذكر المؤرخ اعياص القبائل
 التي أسلمت . فلما تناصر العرب حملوا على البلاد حملة تزعزت لها اركان الممالك
 العظيمة في تلك الاعمى . وناهيك العرب هم شعب اتصفوا باحسن الاخلاق
 وامتازوا بكرم الطباع والوفاء وعلمتهم حياتهم البدوية الافدام والشجاعة
 فكان دأبهم الغزو ومناوأة من عاداهم . هذه مجمل صفات ذاك الشعب الذي
 سطع سيفه من القطمة العربية وظهر للعالم بمظهر الغلبة والانتصار المعجب
 فان السيف العربي الذي لم يشهر الا في غزوة أو على قبيلة صغيرة أشهر على
 الامم التي عرفت بياسها وصولتها في الحروب فسقطت امامه الدولة الساسانية ،
 ونكصت من بريقه الجيوش الرومانية ، خل في البلاد على الرحب والسعة



الفصل الرابع

العرب في بقعة العراق وآثور

كان سكان البقعة العراقية والاثورية بعد العرب البائدة من العنصر الكلداني والآثوري البحت ولم تمتزج به العناصر الغريبة الا لما باغ أشدّه ووجد من نفسه المقدرة على شنّ الغارات على الشعوب الدائنة والقاصية . فاستاق الاسرى المتباينين في النحل وأسكنهم في بلاده ليستخدمهم في صوالحه كجاري عادة الأمم في تلك الاعصر القديمة

فان نبوكد ناصر أو بختنصر الملك الكلداني (٦٠٤-٥٦٢ ق م) كان قد اشتهر بحملاته واغار على بلاد كثيرة فاخضعها وسبى منها السبايا واستاق اسراها وحمل أيضاً على بلاد العرب فاسر منهم خلقاً كثيراً وأتى بهم الى بلاده وأسكنهم في الحيرة والانبار

يقول العلامة السيدادي شير « ومما ساعد نبوكد ناصر على تشييد الابنية الأسرى الكثيرون الذين ساقهم من آثور ويهوذا وسوريا ومصر وبلاد العرب وغيرها ، فصارت بابل في أيامه من أجل مدن العالم »

وجاءنا مصداقاً في ذلك ما أورده الحموي ان بختنصر غزا العرب وأتى بهم فانزلهم الحيرة وبقوا فيها حتى مات ففارقوها الى الانبار (وهي اليوم فلوجه) وانضموا الى أهلها وبقيت الحيرة خراباً دهرآ طويلاً . ولما استولى اسكندر المقدوني على بابل عمر الحيرة أو بالاحرى جدد لها لسكنى العرب ودعاها باسمه . ثم ضربت الحيرة دفعة ثانية فغادرها أهلها من العرب وتفرقوا في عرض العراق . وكان العرب قد كثروا في انحاء ذلك لما ازداد اولاد معد بن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب ومزقتهم الحروب الكثيرة خرجوا يطلبون الريف فيما يليهم من اليمن ومشارف الشام وأفلت منهم قبائل حتى نزلوا بالبحرين . في غربي ساحل الخليج الفارسي حيث كانت شرذمة من قبيلة أزد وكان الذين

أقبلوا من تهامة مالك وعمر وابناؤهم من بني قضاعة ومالك بن زهير في جماعة من قومه والحيقاد بن معد في قبيلته ولحق بهم غطفان بن عمرو بن معد وغيره من اباد فاجتمعوا بالبحرين وتحالفوا على التنوخ وهو المقام وتعاقدوا على التناصر فصاروا يداً واحدة وضمهم اسم تنوخ فاجمعوا على المسير الى العراق ونزلت تنوخ من الانبار الى الحيرة في الاخبيسة لا يسكنون بيوت المدر ومنهم تشكلت مملكة الحيرة العربية^(١)

ثم لما صارت بقعة العراق وأنور الى الملوك الفرثيين وهم الطبقة الثالثة من ملوك الفرس جمعوا شتات العرب المتفرقة في انحاء مملكتهم وأسكنوهم في الحيرة والانبار ليستعينوا بهم على بعضهم وذلك لما نشأ من افراد الاسرة المالكة وأخذ الواحد ينازع صاحبه على العرش . وهاك ما أورده الجوي في ذلك « ان اردوان ملك النبط شاغبه ملك آخر من ملوك النبط يقال له بابا فاستعان كل واحد منهما بما يليه من العرب ليقاتل بهم الآخر وبني الاردوان الحيرة وأنزلها من أعانه من العرب وأنزل بابا من أعانه من العرب الانبار » فقد يكون اردوان آخر الملوك الفرثيين أي اربطان الرابع وبابا هو ملك الارمانيين وهم انباط الشام أي التدمريون^(٢) . فلما اجتمعت كلمة العرب ولموا شعنتهم تقووا وتمكنوا من أنفسهم . ولم تنكشف شمس المملكة الفرثية الا وكان للعرب في بقعة العراق مملكة صغيرة في الحيرة أسسها عمرو بن عدي . وقد تضاربت الآراء في تعيين منشأها . والاصوب أسسها سنة ٢٦٨ ميلادية^(٣) . وكانت هذه المملكة الصغيرة تخضع لسيطرة الفرس . وقام فيها نحو سبعة عشر ملكاً وهم عمرو بن عدي (٢٦٨) . امرؤ القيس الاول المعروف بالاعور (٢٨٨) . ابنه عمرو (٣٣٨) . أوس بن العمليقي وقتل سنة (٣٦٨) . ثم امرؤ القيس الثاني ويعرف بالمنذر (٣٦٨) . وملك بعده ابنه النعمان باني الخورنق

(١) ابن الاثير ج ١ ص ٣٥

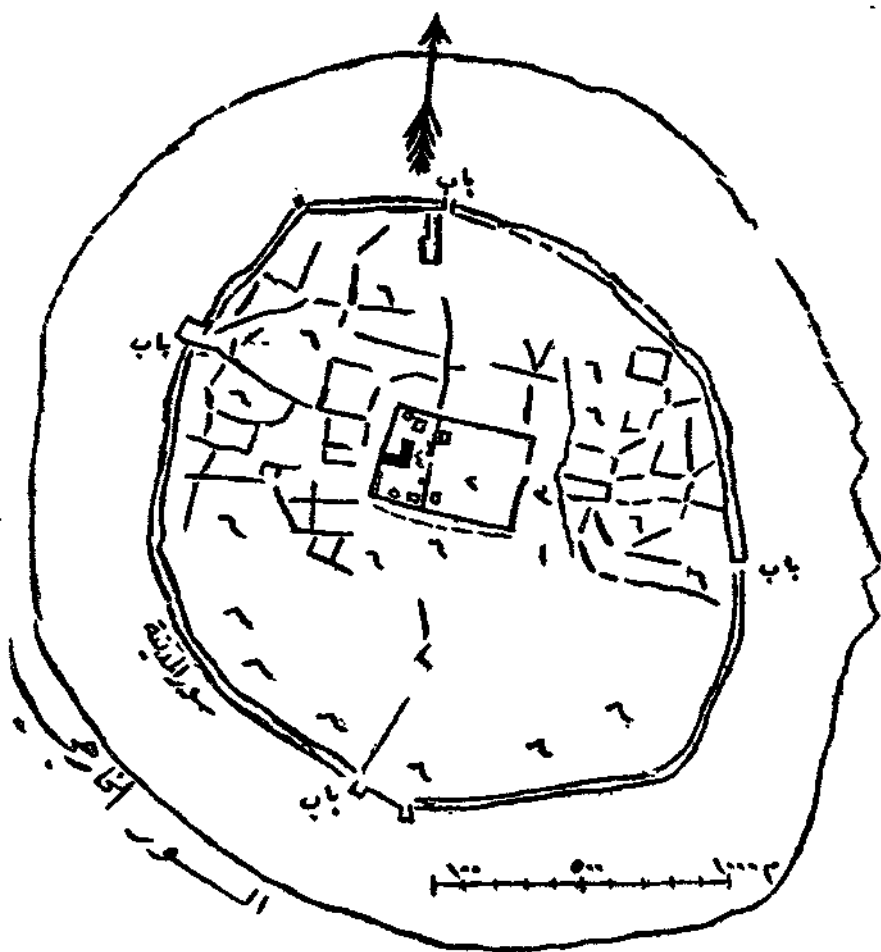
(٢) ابن خلدون ج ٢ ص ١٧٠

(٣) المشرق : ١٩١١ ص ٩٧

والسدير . وهذا تنصر وزهد فترك الملك وتردى المسوح . ثم تولى بعده ابنه المنذر الاول (٤٢٠) ثم نمان الثاني (٤٦٢) ثم أخوه الاسود ومات سنة (٤٩١) وخلفه أخوه المنذر الثاني . ثم نمان الثالث (٤٩٨) ثم امرؤ القيس الثالث (٥٠٥) . وبعده ملك المنذر الثالث . وامراته هند شيدت ديراً جليلاً في الحيرة . ثم عمرو (٥٥٤) . وملك بعده أخوه قابوس أربع سنين . ثم المنذر الرابع سنة واحدة . وخلفه نمان الرابع . وهؤلاء الملوك هم من بني ظم . ويسمون المناذرة أو النعامنة . وكان مقر ملكهم في الحيرة . وموقعها على الضفة اليمنى من الفرات في موقع النجف أو مشهد علي بالقرب من عافولا وهي الكوفة ودامت هذه المملكة الى ظهور الاسلام . ثم دمرها خالد بن الوليد . وسكن العرب أيضاً قبل الاسلام في الحضر . وكانت الحضر مدينة عظيمة عن يمين نهر الثرثار ^(١) بازاء تكريت في جنوبي الموصل تبعد عنها ٨٥ كيلو متراً . وربما هي مدينة حطرا الآثورية التي أصبحت في زمن الدولة الفريية امارة مستقلة ارامية وسميت امارة حطارا . واشتهر من ملوكها (برشميا) في أواخر القرن الثاني للميلاد . ثم حرّفها العرب ودعوها الحضر . نقل الحموي عن الشرقي بن القطامي : ان بني قضاة لما افرقوا سارت قبيلة منهم الى أرض الجزيرة وعليهم ملك يقال له الضيزن بن جلهمة أحد الاحلاف فنزلوا مدينة الحضر ^(٢) . وبقيت انقاض هذه المدينة وآثارها بيّنة الى عصر الحموي . فانه يصف بنايتها بالحجارة المهندمة بيوتها وسقوفها وأبوابها . وينقل عن الاقوال المأثورة انه كان فيها ستون برجاً كبيراً . وبين البرج والبرج تسعة أبراج صفار وبازاء كل برج قصر . والى جانبه حمام نهر الثرثار . وكان الثرثار حينئذ نهراً كبيراً تجري فيه السفن . وعلى سواحه قرى وجنان . وفي هذه السنين الاخيرة توفقت بعثة المانية ان تكشف في الحضر على آثار

(١) نهر الثرثار ينبع من جبل سنجار ويجري نحو الجنوب الشرقي فالجنوب باستقامة واذا هطلت الامطار يصب في نهر الفرات والافاؤه راكد

(٢) طالع أيضاً ابن خلدون ج ٢ ص ١٧١



﴿ مدينة الحضر ﴾

- | | |
|---------------------|-------------------|
| ١ — قصر مدينة الحضر | ٤ — البلاط الكبير |
| ٢ — ساحة القصر | ٥ — البلاط الصيفي |
| ٣ — المذبح | ٦ — شوارع المدينة |

جليلة ^(١) وهي ما زالت الى اليوم تمّ بين طيات أرضها نقائس الآثار
 وهاجر قبل الاسلام شطر الجزيرة من قبائل الشمال قبيلتنا ربيعة
 ومضر . ثم بنو أسد وهم من عدنان . ويتصل بنو وائل نسباً الى ربيعة
 وهذا وائل هو ابن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن
 ربيعة . ثم انضموا على أثر الحروب التي ثار ثأرها بعد مقتل كليب الى قسمين
 عظيمين فذهبوا الى انحاء الجزيرة واحتل بنو بكر شمالها وهبط بنو تغلب
 جنوبها . وعلى هذا قسم العرب بلاد ما بين النهرين أي الجزيرة (ميسوپوتاميا)
 الى ديار مضر ، وكانت في سهل من شرقي الفرات ، وأخص بلادها حرّان
 والقة ^(٢) وشديشاط وسروج وتل موزن ^(٣) . ثم الى ديار بكر بن وائل
 وهي غربي دجلة الى نصيبين ، ومنها حصن كيفا وآمد وميافرقين وسعرت .
 والى ديار ربيعة وهي بين الموصل وراس العين وماردين ودنيسر ^(٤)
 والخابور جميعه ، وربما جمعت ديار بكر وديار ربيعة وسميت كلها ربيعة ^(٥) .
 وقد خضع العرب في هذه البلاد للدولة الساسانية حتى ظهر الاسلام . وكانت
 الرقة على الفرات أشهر ديار مضر . وآمد أشهر ديار بكر في أعلى مجرى دجلة .
 والموصل على دجلة أشهر بلاد ربيعة .

(١) المشرق ١٩١٢ من ٥٠٩

(٢) وهي ليست الرقة الحالية الواقعة على الساحل الشرقي من الفرات في موقع « الرافقة »
 القديمة . أما الرقة التي يذكره المؤرخون فكانت على الساحل الغربي من الفرات . وقيل ان
 إسكندر المقدوني أسسها ، ولهذا مكان اليونان يسمونها « نيكفوريون » . وقال ابن العبري :
 بل سموها « قالونيوس » . وقد تم فتحها بعد الاسلام على يد سعد بن أبي وقاص سنة ٦٣٨ م
 ثم سكنها الخليفة هارون الرشيد الباسي وشاد له فيها قصرأ متيناً ترى اطلاله في موقعها القديم

(٣) تل موزن كانت مدينة عظيمة بين رأس العين وسروج

(٤) دنيسر في جنوب غربي ماردين على مسافة ١٢ كيلو متر وكانت مدينة مهمة وهي اليوم

قصة صغيرة تدعى قوجحصار

(٥) ياقوت

الباب الاول

موقع الموصل وقدميتها ثم دخول العرب فيها بعد الاسلام

الفصل الاول

موقع الموصل الجغرافي وثروتها الطبيعية

ندعو قارئنا اللبيب ان يسير في صباح يوم من أيام الربيع الى شرقي مدينة الموصل ويجتاز جسرهما الى ضفاف دجلة حيث يقف ليلقي نظرة على مياه النهر المنكسرة المتلاثلة تلاًّلاً للاجبن اللامع في أشعة الشمس الطالعة وقد انعكس بريقها على جدر القهاوي وبعض الابنية الشاهقة فكانها ألعاب سحرية تقدم للناظرين مشهداً طبيعياً بديعاً يسلب القلوب ويهيج الانظار . وما أشبه دجلة بهلال عسجدي يطوق جيد المدينة فينسب من الشمال ببطء كالمتلصص حتى يحاذي المدينة من شرقيها متوسطاً بينها وبين نينوى القديمة فينصب محيياً مدينة الاحياء . ثم يعمج بهديره با كياً تجاه خربات مدن الاموات الآثورية . ويعدو مهرولاً الى الجنوب كمن يتملص من مشهد مؤلم يعيد على ذاكرته سابق مجد ائيل وعز باذخ ودور مهم كان قد لعبه على سطح تلك الاراضي المربعة في الاعصر المتوغلة .

هناك يرى القاريء المدينة على نشز من الارض لا تعلو فوق سطح مياه البحر الا ١٠٦ امتار وهي مطلة على مياه دجلة . ورغمما عن قدم ابنتها العتيقة تطهر للمشاهد بمظهر الجلال والجمال الطبيعي . فكانه بها ملكة تلك البقاع . تشرب بعنقها لثمن النظر في سهول نينوى القديمة ، ودور شركيها وغيرها من الاراضي الآثورية ربات الزراعة المشتهرة بمرافقتها وزكاء منابتها وحسن تربتها ، واعتدال هوائها . تلك كانت في المصور الحالية جنة غناء ، بمزارعها

الخصيبة . وبساتينها المعلقة المعجبية . وهي الى اليوم مع قصر يد الصناعة لاتزال موضوع اعجاب المشاهد فتستلقت نظاره ليرى سهولاً كانت قديماً



منظر الموصل على ضفاف دجلة

مطمع اليونانيين ومطمح الرومانيين . تمتد على سواحل دجلة شمالاً وجنوباً ذات مرافق واسعة فسيحة لابسمة من الخضرة حلة زمردية تزينها ورود وأزهار تمطر ذاك الفضاء . وتمتد هذه السهول في شرقي قضا الموصل الى الزيبار والعقرة فتشتمل على ناحيتي الشيوخان والعشار السبعة . ويبلغ عدد قراها ٤٣٦ قرية تمقيها مياه دجلة والزاب الكبير . ونهر غادر من غربيها . ونهر الخوصر النابع من اطراف بريفكان ويصب في دجلة . ثم نهر الحازر النازل من جبال المزوري - والاصل المضري - الذي يسقي أراضي العشار السبعة . ثم يختلط بالزاب الكبير عند موقع تل اللبن . والاصل تلبند . وعدا ما ذكرناه يوجد غيرها من المياه الصغيرة . ويتخلل تلك السهول الواسعة

بعض عوارض جبلية تتعلق بسلسلة جبال قردو أو جبال هكاري الممتدة الى وان . وتكثر في هذه الجبال الاثمار الجنية . والمعادن الفنية ولو تحول المشاهد الى القسم الغربي من قضا الموصل غربي المدينة في وقت الشمس الطافلة لوقف وقفة المحجب بنفاسة الهواء النسيم ، وحسن تلك السهول المنسعة ، المفتقرة أشد الافتقار الى الري ، تلك هي أراضي آثار وكالاح المدينتين الشهيرتين بالصناعة والزراعة . وكانت تسقيها قديماً أحواض ومخازن مائية عديدة وقنوات ومسارب كانت تجلب اليها مياه الأنهر . واليوم لم يبق من صناعة الري فيها الا آثار دراسة فباتت تلك الاراضي تحت رحمة الامطار لتلبسها رداء من الخضرة لا يقل نفاسة عما رآه المشاهد في شرقي مدينتنا .

تمتد هذه السهول جنوباً الى شرقات (آثور) وغرباً الى صحراء سنجار التي كانت في عهد خلافة المأمون العباسي مركزاً لقوس دائرة نصف النهار . ويشتمل هذا القسم الغربي على ناحيتي شرقات وعمار وعدد قراه يبلغ تقريباً ١٦٦ قرية .

فن هذه الرحلة الصغيرة يلخص المشاهد ان الموصل مدينة زراعية أكثر منها تجارية أو صناعية ، لسعة أراضيها الوافرة الربيع والحصب . اذ بنيت في صحرائها أنواع الحبوب والبقول والخضروات التي تفيض على ما يجاورها من البلاد . وترى في مفاوزها سائمة المواشي التي يرعاها الاكراد والعربان . وأكثرهم من طي وسنابس التي هي بطن من طي . والصايح والجبور . وشمير والصليب والكوجر . ويصدر منها الالوف المؤلفة الى البلاد الاجنبية وتتخذ جلودها وأصوافها فتدبغ وتصبغ ويستحضر منها ضروب الاكسية

ان الموصل واقعة في شمال شرقي الجزيرة عن يمين دجلة وتبعد عن شمال غربي بغداد ٣٣٢ كيلو متراً . ومنقلها الصيفي هو انتقال الشمس الى الدرجة الأولى من برج السرطان . فاطول أيام صيفها أربع عشرة ساعة وثمانية عشرة

دقيقة . وهى تعتبر من المناطق المعتدلة اذ يبلغ حرها في المقياس المئوي ٣٥ درجة ، حتى اذا اشتد الحر وذلك نادراً لا يتجاوز ٤٠ درجة . وفي موسم الشتاء ينزل تحت الصفر الى ١٢ درجة . أما طقسها فهاديء ومماؤها في الغالب صافية لا زوردية وقد كان مناخها في الاعصر القديمة الطف مما هو الآن ، لاهمال الفلاحة والسقي مما نشف تربتها وجعلها قفراء تحمى شمس الصيف صخورها ورمالها فتزيد حرارة على مناخها الطبيعي

أما معادنها فهى وافرة وكان يستخرج منها الذهب والفضة والنحاس ، لكنها أهملت بعد ذلك لقلة الوسائط . وهناك أيضاً مناخ من الفحم الحجري والكبريت ومنابع القير والنفط والملح المعدني . وكلها كثيرة الجدوى طائلة الارباح . فقريباً من زاخو تقط معدني اذا صفى كان منه الزيت (البترول) وفي قرية (هرپول) - الواقعة بين زاخو وجزيرة ابن عمر ^(١) - منجم للفحم الحجري . قيل انه من نحو ثمانين سنة استخرج منه شيء كثير . وأرسل الى بغداد وحلب ويوجد منه أيضاً في قرية « سبكي » التابعة لقضا دهوك . ويوجد معدن موميا في « كلئ رمان » التابعة لناحية مزوري (محرفة عن مضري) .

كذا تكثر المعادن المختلفة في « بسلي » الواقعة قريباً من الموصل . وفي غربي الموصل وشماليها مملحتان : الابوارة - أو عديد - والاشقر . ويوجد ممالخ أخرى صغيرة وهى شويصة ، ومحا ، وأم العقارب ، والشلبية وفيها أيضاً المياه المعدنية وهى جزيلة الفائدة . ففي شماليها عن بعد نصف ساعة تقريباً عين كبريتية تنبع في لحف تل صغير يشرف على دجلة ^(٢) واليوم قد تعددت

(١) قال أبو الفدا وسميت جزيرة ابن عمر باسم رجل من أهالي برقيد من اعمال الموصل اسمه عبد العزيز بن عمر بن هذه المدينة فأضيفت اليه (ج ٣ ص ١٣٩)

(٢) قال الحموي : في سنة ٣٠١ (٩١٣ م) طهر تحت الدبر الاعلى (عند باشطايه) عدت مع دن كبريتيه - مرقشيشا وقلقذار

المنايع حتى أصبحت غزيرة المياه يقصدها للاستحمام أصحاب الامراض الجلدية والداخلية وماؤها جار يصب في دجلة وهو شديد الرائحة الكبريتية التي تنبعث منه احياناً الى جميع اطراف المدينة

وفي جنوبها عن بعد ساعة عين الدبر وسميت بذلك لقربها من دير سعيد وهو دير مار ايليا الحبري وماؤها راكد يتلون بتغيير الفصول الاربعة ففي الصيف يتشرب حمرة خفيفة وفي الخريف يميل الى اللون الكبريتي الضارب الى السواد وفي الشتاء يأخذ لوناً أبيض وفي الربيع لوناً أخضر وهو جزيل المنفعة خصوصاً لنصفية الدم وتنقيته ويقصدها الاهالي للاستحمام ايام الربيع وفي فجر أيام الصيف . ثم في غربها أيضاً الماء الابيض وسمي كذلك لكثرة كبريته الأبيض ، وموقعه يبعد عن الموصل نحو ساعة ونصف بين « البوسيف » و « العذبة » وبه سمي باب المدينة الغربي بباب البيض . فعلى ما قيل ان بعض الاهالي كانوا قد سموا في بناء طاحونة على الماء الابيض وكانت العملة تجتمع عند الباب الغربي ومن ذلك أطلق عليه اسم باب الماء الابيض ثم حرف وسمي باب البيض الى اليوم . وفي جنوبها أيضاً « عين القيارة » المعروفة بحمام العليل وتبعد عنها نحو الاربع ساعات وفيها ثلاث عيون « عين زهرا » و « عين فصوسة » والعين الكبيرة وماؤها كبريتي شديد الرائحة . ومن منابع هذه العيون يستخرج القير . فينتقل اليها بعض أهالي الموصل في أيام الصيف ويقيمون في بيوت يبتنونها من القصب أشبه بالكواخ الفلاحين لقضاء أيام الاستحمام وهي أربعون يوماً ويقصدها أيضاً الكشبرون من البلاد والقرى المجاورة وهناك تجري عين من النفط يجتمع من مخزن قريب منها لا يملأ ينتزعه الملتزمون وعن بعد ساعة من عين القيارة كبريت معدني . ثم في شرقي الموصل عن بعد ساعة تقريباً حوض نابع يسمى « طاملماجه » وماؤه بارد راكد يشرب منه العابرون ويقال انه نافع لوجع الرأس وفي شرقيها أيضاً عن بعد خمس ساعات توجد « العين الصفراء » ويجري

منها ماء اصفر اللون يقول عنه ذوو الخبرة انه جزيل المنفعة لمرض الصفراء واليرقان

والموصل أيضاً غنية في الآثار القديمة فانها كانت مع ما يجاورها من القرى والأراضي في الازمنة القديمة معدن المدنية ومركز العمران وكانت بقعتها مدناً طامرة لارقي الشعوب حضارة ، ولهذا فكانت لم تزل الى اليوم موضوع بحث الباحثين الاثريين من العلماء الذين قصدوها من البلاد الشاسعة ليستطلعوا خفايا تلك الأمم النابرة المطمورة في أراضيها . وأشهر مواقعها الاثرية قلعة « شرقات » في غربي الموصل تبعد عنها ثمانى عشرة ساعة وهي قديماً مدينة « آشور » و « خورصا باد » في شمالي نينوى تبعد عنها أربع ساعات وهي قديماً مدينة « دور شركينا » واليوم في موقعها قرية صغيرة . ثم الخروود في شرقي الموصل على مسافة ثمانى ساعات وهي قديماً مدينة (كالاح) واليوم في موقعها قرية صغيرة . وفي تل العبطة الواقع على مسافة ١٥ ساعة من الموصل وجدت خطوط مسمارية أكبرها قطعة ذات ثلاثين سطراً تتكلم عن (بل هاردان بل اوجور) وزير الملك تقلابلاسر الآشوري

الفصل الثاني

- ١ - تأسيس نينوى الجديدة وخرابها * ٢ - أصل منشأ مدينة الموصل
- (١) ان نينوى الآشورية بعد ان استأصلها الماديون والبابليون (سنة ٦٠٨ ق م) وجعلوها ردماً ينشق اليوم فوق اطلالها لبثت الى اليوم مطمورة تحت انقاضها . غير ان المؤرخين الاراميين والعرب يذكرون نينوى التي تشيدت على سواحل دجلة في موقع مجاور لنينوى القديمة . ويورد صاحب المكتبة الشرقية ^(١) « ان نينوى بعد ان أخرجها الماديون تجددت ودُعيت

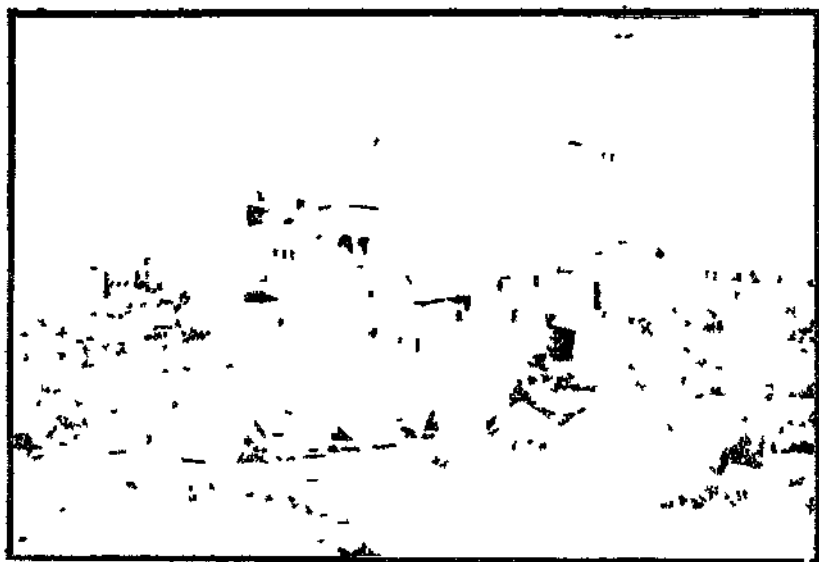
باسم المدينة القديمة وهي مبنية قبالة الموصل على الضفة الشرقية من دجلة «
 الا اننا لا نعلم متى وكيف تأسست اذ لا يوجد بين المؤرخين الغرباء أو الوطنيين
 من يؤكد لما عن عهد بنائها . وكل ما نعلمه ان الآثوريين بعد ان تقوضت اركان
 مملكتهم وسيقوا سبياً الى بالى اقاموا في السي حتى قرض كورش الفارسي
 مملكة السكلدان واستولى عليها ففك ثمة عقال الاسرى الآثوريين واجاز
 لهم بالعودة الى اوطانهم (سنة ٥٣٥ ق م) فرجعوا وصمروا آثور ومنها مدينة
 كاني والعرب يسمونها الحديثة وموقعها عند حمام العليل . ثم ان طرايانوس
 القيصر الروماني (سنة ٩٨-١١٧) كان قد زحف بجيوشه على آسيا واستولى
 على فلسطين وعمر مدينه القدس ^(١) ثم حمل على بلاد الفريثيين فاستولى على
 حدياب ومدّ على دجلة حسراً واورد المؤرخون انه اقام بناءً أو ابذية جسيمة
 على سواحل دجلة ^(٢) . فيمكننا ان نقول عن تأسيس نينوى الجديدة اما انه
 كان في عهد استيلاء هذا القيصر الروماني على حدياب واما أسسها الآثوريون
 عند رجوعهم من السي البابلي اذ انهم وجدوا ولا ريب قسماً من اخوانهم
 الفقراء مقيمين بجوار خربات طاصتهم أي في موقع نينوى الجديدة للزراعة
 وهذا هو الأرجح . ثم بتوالي السنين سكنها المصارى من الآراميين طمعاً
 بموقعها الزراعي وحسن هوائها ورغبة بمجاورة دير يوناث النبي وهو موجود
 منذ القرن الرابع الميلادي . وينقل السمعاني عن أبي العرج ان أغلب سكان
 أراضي نينوى كانوا نصارى

وكانت نينوى من مدن حدياب كثيرة العمران تحيط بها الاسوار فان عمر بن
 متى الطبرهاني يقول : ودير يوناث الذي على جانب سور نينوى الغربي المقابل
 لآبواب الموصل الشرقية ونهر دجلة يفصل بين المدينتين المذكورتين . وما
 زالت نينوى عامرة كثيرة السكان حتى توالى هجمات التتار والتركان على

(١) اس حلدون ج ٢ ص ٢٠٤

(٢) طالع قاموس الاعلام ش سامي . والقاموس التاريخي مؤلفه F X Feller

الموصل واطرافها فهجرها أهلها شيئاً فشيئاً فانه في تملك علاء الدين بن السلطان
 لؤلؤ على الموصل سنة ١٢٥٩ ميلادية نزح كثير من أهالي نينوى الى اربل
 ومنها انتقلوا الى الموصل ومن بقى فيها هجم عليهم الاكراد فنهبوا ورفقواهم
 وقتلوا منهم . ثم في سنة ١٢٨٨ هجم قوم من الاكراد والتركمان ومن العبيد
 المصريين على الموصل واطرافها فنهبوا وخرّبوا وما زالت الاحوال هكذا الى
 مجيء تيمورلك فاضطرّ أهلها الى هجرانها تماماً ولما أقبل طهماسب نادرشاه
 الى الموصل كانت نينوى الجديدة مهجورة اذ لا يذكر مؤرخو تلك الحادثة
 شيئاً عنها . واليوم هي قرية صغيرة تدعى « نبي يونس » باسم جامع هناك
 هو دير يونان النبي القديم



جامع النبي يونس

(٢) أما مدينة الموصل فلم يؤسسها الرومانيون ولا اليونان الذين دخوا
 هذه الأقطار واستولوا عليها ولا الفرس الارشاقيون القرثيون والساسانيون
 بل هي مدينة عربية بحتة شيدوها العرب ولكن ليس كما شيدوا البصرة

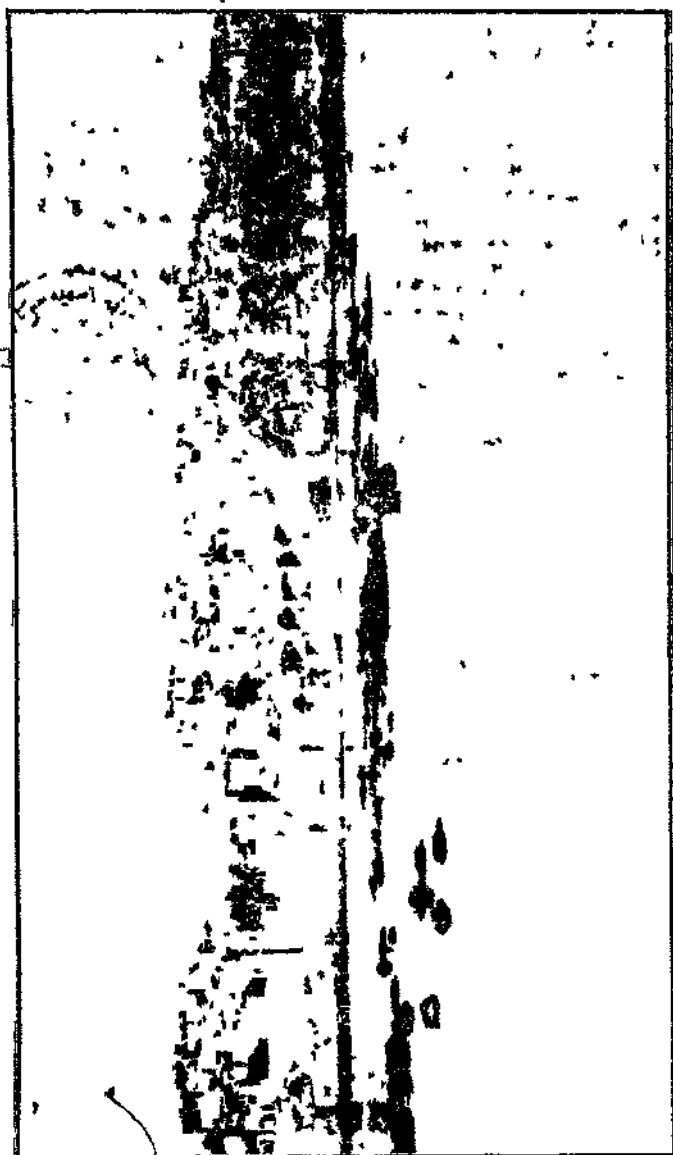
والكوفة وبغداد التي خطوها وأقاموها من أسسها . على أن الموصل قبل أن تدخل تحت حكم العرب كانت مدينة صغيرة أوقصبة يسميها الكتبة الاراميون الحصن العبوري (حسنا عبرايا) ومعناه القلعة التي على الضفة الأخرى من دجلة قبالة نينوى . وهذا الاسم عريق في القدم على ما يستبان وربما يصعد الى الأعصر الآثورية ، إذ أن موقع الموصل كان قديماً قلعة آثورية كما يظهر مما أورده كزيبفون المؤرخ اليوناني (١) : « ان جيشاً يونانياً أتى من جهة بغداد (٢) وعبر الزاب الأكبر عن بعد بضعة كيلو مترات من ماتقي الزاب بدجلة ثم توجه الى شواطيء دجلة حيث وجد مدينة عظيمة تدعى (لاريسا) وقريباً منها هرم حسيم ثم مشى اليونان من لاريسا مسافة ستة فراسخ (٣٠ كيلو متراً تقريباً) في يوم واحد فبلغوا قلعة جسيمة متهدمة قريبة من مدينة تسمى (مصيلا) كان الماديون يسكنونها » والأصح كان الآثوريون يسكنونها قديماً

فعلى ما يبين كزيبفون المواقع يستدل أن لاريسا كانت واقعة في النمرود حيث ترى الى اليوم ردم ذلك الهرم . أما مصيلا فلا زتاب أن تكون نينوى القديمة والقاعة التي يذكرها قد تكون موقع الموصل الحالي . على اننا اذا درسنا موقع نينوى القديمة نستدل ولا ريب أنه كان قبالتها على الضفة الأخرى من النهر أي في موقع الموصل الحالي حصن أو حلة من الحصون الاستحكامية ماحقة بالمدينة الآثورية لتدراً عنها غارات العدو من الجهة الغربية أي من الاصقاع البابلية والجزرية (ميسوبوتاميا) والى اليوم يرى في الموصل موقع يسمى « القليعات » وهي نشز من الأرض في شرقي المدينة قبالة نينوى تشرف على دجلة فقد تكون القليعات موقع ذلك الحصن القديم ولهذا سمي الكتبة الاراميون الموصل « الحصن العبوري » لاشراف هذا الحصن على دجلة وهو ولا ريب أقدم عمران في مدينة الموصل

(١) الجار ٣ ف ٣

(٢) بغداد الآثورية وكانت اما في موقع بغداد الحالية أو قريباً منها

القبائل



أما عن أصل تأسيسها فقد وجدنا في تاريخ وضعه مؤلفه المجهول الاسم في حوالي الجيل الثالث عشر (١) ما نصه « انه في سنة ٣٢٩ من التاريخ السلوقي (سنة ١٨ ميلادية) وهي السنة التي ملك فيها على الرها وما بين النهرين ابجر بن معنو (أبجر الخامس المعروف بالأأسود) قام في فارس ومادي ملك آخر اسمه اطوران واشتهر بالبطش ومضاء العزيمة ففاق سائر الملوك المتأخين له صولة ونفوذاً . وتمكن من توسيع نطاق مملكته فصارت تشمل نهر دجلة أيضاً المبنية على جانبه مدينة نينوى العظيمة التي شاد اساساتها نمرود الجبار وحكم عليها بالدمار والخراب بعد مضي أربعين سنة على توبتها بانذار يونان النبي . فعن هذا الملك أن يقيم بناءها ثانية ويرجع اليها عمارتها وحضارتها بيد أن قوماً من فقهاء مملكته خالفوا رأيه وأشاروا عليه أن الأولى به أن يبني مدينة جديدة من أن يقيم مدينة شادها غيره وأدركها الانقلاب قصاصاً أما الملك فأمعظ وركن الى مشورتهم واجتاز الى ضفة النهر الغربية وأقام هناك مدينة شهيرة عامرة سماها باسمه فصار من جرائها يناطق الجوزاء تيهياً وافتخاراً . وأخذ من ذلك الحين يفتك بالبحر الملك ويوقع الأذى بمملكته » اهـ

من المحتمل أن تكون هذه الحكاية صحيحة مسندة الى أساس تاريخي . فاطوران قد يكون أرتبان الثالث الملك الفرني (١١ - ٤١ ميلادية) الذي ألقى رعبه في قلوب الرومانيين وضبط منهم أرمينيا ثم استولى على الرها كما يورد كايمن المؤرخ الفرنسي ويصف دعوة هذا الملك الفرني بنفسه وريثاً لمملكته كورش الفارسي واسكندر المقدوني

وما يزيد ذلك تأييداً المؤرخون العرب اذ ينسبون باجماع الرأي أصل منشأ الموصل الى الفرس فذكر الحموي أن الموصل كانت تدعى في أيام الفرس نواردشير . وورد أيضاً في المشرق (٢) : ان الموصل هي من المدن المنشأة في عهد

(١) كتب خطي بأمانة السرياني نشره العلامة غبطة البطريرك أفرام رحمانى السكى الطوبى

(٢) عدد ١٢ سنة ١٩١٢

الدولة الاشكانية ، والدولة الاشكانية هي الطبقة الثالثة من ملوك الفرس وهم أعظم ملوك الطوائف ويسمون عند الافرنج بالفرثيين . ثم انهدمت نواردشير لما اغار اولغااش الرابع (١٩١-٢٠٨ ميلادية) على بلاد حدياب أي بلاد الموصل فنهبا ودمرها انتقاماً من نرساي ملكها لانه لم يصحبه في حملته على الفرس كما أسلفنا ذكره . وبقيت نواردشير خراباً ليس فيها الا النزر من السكان . فلما استولى الساسانيون على هذه البلاد عمروها وقد وقعنا على ذلك في كتاب خطي ^(١) : ان يشوعياب القسري وكان معاصراً لكسرى انوشيروان (٥٣١-٥٧٩) بعد ان تعلم على أيوب الشهير تلميذ ابراهيم النتفراني ^(٢) رجع الى بلدته نينوى وكان في الناحية الغربية من دجلة الواقعة قبالة نينوى جنينة رائعة لم يكن حولها الا قليل من البيوت والعمران فاختر يشوعياب هذا الموقع وبنى فيه ديراً وهيكلًا كبيراً ثم انضوى اليه الرهبان يتعلمون منه السيرة النسكية (وموقع هذا الدير الذي بناه يشوعياب على دجلة هو في موقع الكنيسة المعروفة اليوم بمار اشعيا) وكانت نينوى يومئذ عامرة وأهلها يدينون بالنصرانية فشرع الناس يتقاطرون الى ذلك الدير ولما ملك كسرى ابروز بن هرمزد بنى حول تلك الجنينة دوراً كثيرة وأتى بخناق من بلاده واعطاهم تلك الدور مجاناً ليسكنوا فيها ويزيدوا في عمرانها وبنائها حتى أصبحت مدينة صغيرة أو قسبة كانت تدعى الحصن العبوري ولما استولى عليها العرب بعد الاسلام زادوا في توسيعها على ما اقامه كسرى الثاني وسموها الموصل : اهـ

وكذا جاء في كتاب يشوعدناح البصري (القرن الثامن الميلادي) ان ابن القسري لما أتى الى الحصن العبوري (وموقعه القليعات) لم تكن الموصل حينئذ قد بُنيت ^(٣) ومفاد ذلك أن الساسانيين لما ملكوا سواحل دجلة أي بلاد حدياب كانت نواردشير خراباً وقد أصبحت قرية صغيرة كان يسكنها

(١) ج ٢ : ١٢ من التاريخ البيهقي المحفوظ في مكتبة كنيسة مارثيون للكلمان في ديار بكر

(٢) نسبة الى تنفرا اسم احدى مدن حدياب بجوار اربل

(٣) كتاب العفة عدد ٥٠

بعض الفلاحين من الفرس ومن النصاري الاثوريين كما نرى اليوم بعض القرى الصغيرة التي تدل آثارها الباقية على أنها كانت في قديم الزمان مدناً طامرة وعواصم كبيرة . وكان الفرس يسمونها « نواردشير » والنصاري الاثوريون يسمونها (الحصن العبوري) ^(١) اخذاً عن اجدادهم ولبثت كذلك حتى ملك كسرى الثاني ابرويز الساساني (٥٩٠ - ٦٢٨) فصرها ونقل اليها الخلق من البلاد . ولما افتتحها العرب اسكنوا فيها القبائل العربية كما سنبينه في الفصل الآتي ووسعوها حتى أصبحت من اشهر المدن الجزرية اذ كانت تعد يومئذ من مدن الجزيرة ^(٢) (ميسوبوتاميا)

اما ما جاء عن مدينة الموصل وقدمها في الاعصر الاثورية فهذا خطأ تناقله بعض المؤرخين فلا صحة لما رواه صاحب تاريخ الياض : ان أول ملك بنى نينوى هو سينوس بن يالوس وكان يعاصره ملك على الموصل اسمه سابق ابن مالك من الين « ^(٣) اه . اذ ان انتواريخ القديمة لا تقدم لنا برهاناً وضعياً على تملك العرب في بقعة آثور في الاعصر المتوغلة أي في نشوء الدولة الآثورية .

وجاء ايضاً انه « قبل بناء مدينة نينوى الاثورية كان الجرامقة وهم أبناء جرموق بن اشوذ بن سام يملكون في الموصل » ^(٤) اه . وهذا أيضاً بعيد عن الصحة التاريخية اذ لا يذكر احد المؤرخين المحققين انه ملك في البقعة الاثورية دولة اخرى سبقت الدولة الاثورية وانما الجرامقة كانوا في الموصل في عهد الدولة الفرثية وبعدها .

(١) كتاب اللغة طبعة بيجان عم ٥٠

(٢) زيدان ج ٢ ص ٣٧

(٣) المسعودي ج ١ ص ٩٢

(٤) ابن خلدون ج ٢ ص ٦٨

ملحق

في أصل الجرامقة

اختلف المؤرخون في أصل الجرامقة : فقال بعضهم أنهم من الفرس ،
وذهب آخرون الى أنهم من أصل آرامي ، وهاك افواهم في ذلك :

أتى في كتاب تاج العروس : ان الجرامقة قوم من المعجم صادوا بالموصل
في اوائل الاسلام . اه . وذكر غريغوريوس ابو الفرج : والجرامقة قوم
بالموصل ، اصلهم من الفرس ^(١) . اه . وقال الاصبهاني : بنوا الاحرار هم الفرس
الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن (في أول الاسلام) وكان سيف بن ذي
يزن الحميري قد قصد كسرى واستنصره على الحبشة فامده بقوم كانوا في
السجون لموجدة عليهم . فحمل بهم الملك الحميري على الحبشة وظفر بهم وعاد
بالفرس الى دياره فقال فيه امية بن ابي الصلت الثقفي :

ثم اذنحي ^(٢) نحو كسرى بعد عاثرة من السنين يهين النفس والمالا
حتى اتي بني الاحرار يقدمهم تخالم فوق متن الارض اجبالا
بيض مرازمة ، غلب اساورة اسد يربين في الفيضات اشبالا
فبنوا الاحرار الذين عناهم امية في شعره هم الفرس الذين قدموا مع سيف
ابن ذي يزن وهم الآن يسمون بني الاحرار بصنعاء ، ويسمون باليمن الابناء ،
وبالكوفة الاحامرة ، وبالبصرة الاساورة ، وبالشام الجراجمة ، وبالجزيرة
الخصارمة ^(٣) . اه . وروى صاحب تاج العروس في مادة خضرم : الخصارمة
قوم من المعجم خرجوا في بدء الاسلام فسكنوا الشام . وفي الصحاح :
فتفرقوا في بلاد العرب فن اقام منهم في البصرة فهم الاساورة ومن اقام منهم

(١) مختصر الدول ص ١٣١

(٢) أي سيف بن ذي يزن

(٣) كتاب الاغانى ج ١٦ ص ٧٤ و ٧٥ و ٧٦

بالكوفة فهم الاحامرة ، ومن اقام منهم بالشام فهم الحضارمة ، ومن اقام منهم بالجزيرة فهم الجراجمة ، ومن اقام منهم باليمن فهم الالباء ، ومن اقام منهم بالموصل فهم الجرامقة . اهـ

فاذا سلمنا بان الجرامقة هم من الفرس الذين اقبلوا مع سيف بن ذي يزن وتفرقوا في بلاد العرب والعراق والجزيرة فما هو يارى سبب تسميتهم بالجرامقة ما لم يكونوا من « جرمق » وهي بلدة بقرب اصفهان ^(١) أو من جرم التي بنواحي بدخشان ^(٢) في شرق شمالي افغانستان وكان اهلها ايرانيين يتكلمون الفارسية الفصيحة . على ان التاريخ لا يصرح بان القوم الذين نصر بهم كسرى سيف بن ذي يزن الحميري كانوا من احدى هاتين المدينتين بل كانوا من المسجونين في حبوس العاصمة الكسروية .

وزد على ذلك ان وجود الجرامقة في الجزيرة كان يسبق سيف بن ذي يزن وحملته على الحبشة في بدء الاسلام أي في مباديء القرن السابع الميلادي . فان غريغوريوس ابا الفرج يؤكد وجود الجرامقة في الموصل منذ أواخر القرن الثالث الميلادي حيث انه يذكر عن الحرب التي انتشبت بين جرامقة الموصل وبين قارينوس بن قاروس قيصر ومقتله فيها ^(٣)

أما الأدلة على أن الجرامقة هم من الأصل الأرامي أو النبطي فهي أجلى بيانا وهذه هي . قال ابن خلدون : لما هلك فالغ قام بأمره بعده ابنه ملكان فغلبه سوريان على الجزيرة وملكها هؤلاء الجرامقة اخوانه في النسب بنو جرموق بن أشوذ بن سام . ووافقه القلقشندي فقال : جرموق بن أشوذ ابن سام . وقال أيضاً ابن خلدون : ان الجرامقة وهم أهل نينوى غلبوا على بابل وملكها منهم سنجاريف (سنحاريب) ^(٤) وقال المسعودي في كتاب

(١) ياقوت .

(٢) ياقوت .

(٣) مختصر الدول ص ١٣١

(٤) ح ٢ ص ٦٨ و ٦٩

التنبيه والاشراف : وكان السككديون شعوباً وقبائل منهم النينويون والآثوريون والأرمان والاردوان والجرامقة ونبط العراق وأهل السواد (١) وذكر صاحب لسان العرب عن الجرامقة أنهم انباط الشام واحدهم جرمقاني وكان العلماء المستشرقون قد ذهبوا أولاً الى أن الجرامقة من الفرس وذلك استناداً على ما قاله أئمة المؤرخين وفقاً لمبدأ دخول اللغة : أن القاف والجيم لا تحتثمان في كلمة عربية الا أن تكون معربة (٢) فلما ظهر المستشرق الشهير العلامة نيلدكي أثبت مخالفاً من سبقه فقال : ان الجرامقة هم من الأصل الارامي أو النبطي فتأثره في ذلك بقية العلماء وعليه اتفقت آراؤهم (٣) نقل ياقوت الحموي (٤) عن محمد بن احمد أبي ریحان البيروني قال : « الأقليم هو الرستاق بلغة الجرامقة وهم سكان الجزيرة والشام » اهـ . وثابت من معاجم اللغة الارامية أن الرستاق أو الرزداق معربة عن أصلها الارامي (روستاقا) ومعناها السواد والقرى

زد على ذلك أن لغة الجرامقة كانت لغة السريان الشرقيين وهم المعروفون بالسككديان كما ثبت مما ذكره سويرس في كتاب له في النحو عن اللغتين الآثورية والجرامقية قال « انهما تبدلان الباء والفاء واوآ » اهـ ، وهذا مختص بلغة السريان الشرقيين دون غيرهم فانهم يقلبون الباء واوآ في التركيب (٥) والفاء واوآ في بعض الكلمات . ومن هذا يستفاد أن لغة الجرامقة كانت السريانية الشرقية وهي المعروفة بالسككديانية . اصف الى هذا ما أورده احمد

(١) ص ٦٨

(٢) مختار الصحاح

(٣) طالع محبة لغة العرب لصاحبها العلامة لأستاذ اسكروملي ص ١٧٢ من المجلد الثالث

سنة ١٩١٣ - ١٩١٤

(٤) ١ : ٢٦

(٥) التركيب عند النحاة السريان بالترقيب هو قلب بعض الحروف عن لفظها الوصفي مثلاً

قلب الباء الى واو والذال الى ذال والسكاف الى حاء الخ وذلك في بعض المواضع

ابن الفقيه الهمداني قال: ^(١) الروم ملكانية يقرأون الانجيل بالجرمقانية ويقصد المؤلف بالروم الملكانية الملكيين الخاضعين للكرسي الانطاكي . ومن الاكيد أن اللغة السريانية كانت شائعة بين الملكيين الانطاكيين حتى أواسط القرن السابع عشر ، كما يؤيده ملاطيوس الحلبي في ذكره الاقاصين والصلوات العربية والسريانية التي ضبطها وصححها ، وكما يتضح من الكتب الطقسية المعتمدة للملكيين الانطاكيين وهي مخطوطة بالسريانية الا أن حرفها السرياني يختلف عن حروف السريان الغربيين فهو الخط الاسطرنجيلي الذي كان ولم يزل مستعملاً عند السريان الشرقيين وهم الكلدان ^(٢) وما يزيدنا ايضاحاً التسمية نفسها فان كلمة الجرمقاني (مفرد الجرامقة) معربة عن أصلها الارامي (جرمقايا) وقد أورد العلامة الانكليزي « باين سميت » في معجمه السرياني اللاتيني : ^(٣) (أن جرمقايا) هو الجرمتي أو الجرمقاني أي من كان أهله من (بيت كرماي) . فأتى هذا مصداقاً لما أوردته بعض مؤرخي العرب أن الساطرون الجرمتي كان من أهل باجرمي ^(٤) وكانت بقعة بيت كرماي أو باجرمي كما يسميها العرب واقعة في شرقي دجلة بين دجلة والزاب الصغير وجبال حمرين ونهر دياي ^(٥) وقد ذكر المؤرخون الكلدان انه كان لاسقفية الجرامقة المقام الرابع بين المطرانات النسطورية وكان مطرانها يلقب أحياناً بمطران كرخ سلوخ وهي كركوك . فيتضح مما أوردناه أن الاراميين كانوا يسمون سكان هذه الناحية بالجرامقة نسبة الى اسم ناحيتهم بيت كرماي (باجرمي) كما يسمى أهالي الموصل موصلين وأهالي البصرة بصريين وقد اشتهر بهذه التسمية

(١) مختصر كتاب البلدان ص ٧٧ و ١٣٦

(٢) المشرق ٥ : ١٠٤ و ١٠٥

(٣) ج ١ : ٥٨٥

(٤) كتاب الأغاني ج ٢ ص ٣٨

(٥) طالع شيرج ٢ - توطئة ص ١٣

بعض الكتبة الذين نبتوا في هذا الصقع ، منهم شمعون الجرمقاني وكان من حاحور - أريون (البوازيخ) من بيت كرماي ويوحنا الذي سماه الصوباوي في قائمته يوحنا الجرمقاني سماه توما المرجي (١) يوحنا من بيت كرماي اذ يقول « يوحنا الشيخ العامل كان من ناحية بيت كرماي » فقوله يوحنا من بيت كرماي يقابل تسمية الصوباوي له يوحنا الجرمقاني

فلا غرو اذا قلنا انه يبعد أن يكون أصل الجرامقة من العرب على ما قاله بعض المحققين ودعموا قولهم بما رواه الاصبهاني عن بني الاجرام الذين أقبل الضيزن بهم وبسائر قبائل قضاة وأنزلهم الحضر (٢) ثم دعى الأجرام « جرمق » وسميت منازلهم بيت جرمي تحرفاً من الآراميين لانتشار اللغة الارامية يومئذ في تلك الديار وهكذا سمي أهلها الجرامقة . فان الاجرام الذين يذكروهم الاصبهاني في الجزء الثاني يسميهم هو نفسه العباد من قضاة اذ يقول : أن العباد من قضاة وهم نصارى العرب نزلوا الحيرة هزمهم شابور فصار معظمهم ومن فيه نهوض الى الحضر من الجزيرة يقودهم الضيزن بن معاوية التنبوخي فضى حتى نزل الحضر وهو بناء الساطرون الجرمقاني فأقاموا به (٣) كذا نقل الحموي عن الشرقي بن القطامي قال : (٤) لما افترقت قضاة سارت فرقة منهم الى أرض الجزيرة وعليهم الضيزن بن جاهمة من الاحلاف ... ويقال ان الحضر هي بناء الساطرون بن اسطيرون الجرمقاني

ونقل ابن خلدون عن ابن سميذ : أنه كان لبني العبيد بن الأبرص بن عمران بن أشجع بن سليح ملك يتوارثونه بالحضر آثاره باقية في بركة سنجار وكان آخرهم الضيزن بن العبيد المعروف عند الجرامقة بالساطرون (٥)

فترى من أدلة المدعين بعربية الجرامقة دليلاً بيناً على نقيض هذا المدعى

(١) باب ١ فصل ٣١

(٢) أغاني ج ٢ ص ٣٧

(٣) أغاني ج ١١ ص ١٦٢

(٤) مادة الحضر

(٥) ج ٢ ص ٢٤٩

فان الاصبهاني يقول كان الساطرون صاحب الحضرة رجلا من باجرى . ويقول
أيضاً ان الضيزن أقبل ببني الاجرام الى الحضرة وهي بناء الساطرون الجرهماني .
وقال ابن خلدون عن الضيزن هو المعروف عند الجرماقة بالساطرون . ومن
هذا يتضح جلياً أن الجرماقة هم غير القبائل العربية التي نزلت بالحضر
بل يظهر واضحاً أن الجرماقة كانوا قبل أن يسكن بنو جرم وبقية القبائل
القضاعية مدينة الحضرة ومنهم الساطرون الجرهماني باني هذه المدينة

عدا هذا ان اسم بيت كرماي الذي نسبته الجرهماني والجرماقة كما بيناه
هو عريق في القدم على ان مشيخزخا (مبادي القرن السادس الميلادي) يذكر
اسم بيت كرماي . (١) وربما صعدت هذه التسمية الى العصر الاثوري كما
رأيناه في كتاب اخبار الشهداء : انه في حياة سرجون الملك الاثوري كان
على صقع بيت كرماي ملك أو هو عامل الملك الاثوري اسمه كرماي . . . ثم
لما آل امر هذه البلاد الى اسكندر الكبير ومن بعده لسوقوس ، بنى
سوقوس في بيت كرماي ابنية نفيسة فسميت حينئذ كرخ سلوخ وربما الاصل
كرخ سوقوس أي حصن سوقوس (٢) فيستفاد من هذا ان تسمية تلك
الديار ببيت كرماي كانت قبيل هجرة بني الاجرام الى الحضرة اذ ان هجرتهم
اليها كانت في عهد شابور كما يوردها الاصبهاني (٣) . ولا يذكر المورخ هل
كان شابور الأول (٢٤١ - ٢٧٢) أم كان شابور الثاني (٣٠٩ - ٣٧٩)
ويغلب ان يكون شابور الثاني المقلب بذوي الاكتاف

(١) ص ٦٧

(٢) طالع طبعة بيجان ج ٢ ص ٥٠٧ وما يلي

(٣) اغاني ج ١١ ص ١٦٢

الفصل الثالث

في سكان الموصل قبل الفتح الاسلامي وفي من سكنها بعده من العرب
كانت الموصل قبل الفتح الاسلامي قليلة العمران ليس فيها الا محلتان
يسكن احدهما المجوس من الفرس والاخرى يسكنها الجرامقة النصارى (١)
ثم زاد عمران الموصل بعد الاسلام بالقبائل العربية المختلفة وأولها قبيلة خزرج
وأصل الخزرجيين من يثرب اسلموا قبيل الهجرة وهم من الانصار وأظهروا
في الفتوحات الاسلامية بسالة عجيبة . ولما أقبل خالد بن الوليد الى الموصل
بالجيوش العربية وافتتحها سنة ٦٤٠ (٢٠ هـ) أسكن فيها من القبائل التي
كانت تصحبه ومنها الخزرجيون فعمروا لهم مسجداً وهو أول مسجد في
الاسلام بني في الموصل ويعرف الى اليوم بمجامع خزرج ثم شيدت فيها بقية
المساجد على شكله وهندامه ودور بني خزرج باقية في المحلة المعروفة باسمهم
« المحلة الخزرجية »

ثم بنو أزد الذين منهم الانصار وبنو تميم وقدموا الموصل مع جيوش
الفتح واستوطنوا فيها والى اليوم يتكلم أهالي الموصل بلغة بني تميم وكانت
تختلف لغتهم عن لغة غيرهم من القبائل وأخص هذا الاختلاف انهم يكسرون
أول الفعل المضارع فيقولون عوضاً عن كعمل ونجعل الى آخره نعمل ونجعل
ويهلون أيضاً اعلال اسم المفعول المشتق من الاجوف فيقولون عوضاً عن
مبيع ومعيب مبيع ومعيب وكانوا يزيدون الشين بعد الكاف المكسورة
فيقولون في لك وعليك لكش وعليكش كما يقال اليوم فيها (ما كش) أي
مالك وهذه هي الكشكشة كما يسميها العرب الناقدون

وسكن الموصل أيضاً قبيلة تغلب من بني وائل وكان بنو وائل قد انقسموا
قسمين هما بكر وتغلب وجرت الحرب بينهما بعد مقتل كليب فآلت تلك
الحرب على القبيلتين بواراً ومن ثم رحلتا مع بني نمر الى الاصقاع الجزرية

(١) طالع سالمة الموصل سنة ١٣٠٨ ص ١٥٩ وابن خلدون ج ٢ ص ٦٨

فاحتل بنو بكر شمالها وهي ديار بكر . وهبط بنو تغلب جنوبها في اطراف
 الموصل ثم انتقلوا اليها وسكنوا فيها ومحلتهم تعرف اليوم بمحلة التغالبة وتسمى
 أيضاً محلة البارودجية وهي بجوار باب الجديد في جنوبي المدينة . وسكنها
 بعدهم بنو قيس وهم من قبائل مضر وكانوا يقيمون في غربي ديار نجد . ولما
 كثروا وضافت بهم ديارهم أكرهوا على المهاجرة فهاجروا ولعلمهم أقبلوا الى
 الموصل قبيل هجرتهم . ثم قبيلة همدان من الاحياء البائية من شرقي الحجاز
 وكانت لهم اليد الطولى في فتح العراق في خلافة عمر بن الخطاب وسكنوا
 المدر مع بني قيس خارج الموصل ثم انتقلوا اليها وذلك لما كثر عمرانها . ثم
 قوم من القبيلة القريشية كما يستفاد من ابن الأثير في ذكره المقبرة القريشية
 في الموصل ، وهي في انبوب الشوافع بالنبي جرجيس واطرافه . وسكنتها
 أيضاً قبائل من ربيعة وغيرها من القبائل الصغيرة وهم بنو سامة وبنو ثعلبة
 وبنو خزاعة وهم من ازد وبنو برجم وقبيلة الشهوان وهي فرع من تغلب .
 وقد وقفنا على أسماء هذه القبائل التي سكنت الموصل بعد الفتح من سياق
 الحوادث التي جرت فيها بين قبيلة وأخرى كما يذكرها تاريخ الكامل لابن
 الأثير . الا اننا لم نقف على زمن وكيفية نزوحهم الى الموصل مفصلاً . فكثر
 عمران الموصل في عهد الخلفاء الراشدين حتى أصبحت مدينة كبيرة لا تقبل
 اتساعاً عما هي عليه الآن وفيها الصوامع أي الابنية المنفردة كمحلة النمل بكي
 وكانت في موقع قضيب البان وسبعة الحدادين وكانت هذه الصوامع خارج
 الاسوار وبعض السور الحالي هو على اساس الاسوار التي اقامها الخلفاء الراشدون
 وبتوالي السنين سكن الموصل أيضاً قوم من القبيلة الحياتية النازلة في تل
 حيال بجوار قرية سكيكية من قرى سنجار وهم فاطنون في محلة من المرسل
 تعرف بمحلة باب البيض أي باب الأبيض . وقدم اليها أيضاً من قبيلة أبي نجمة
 من تغلب التي يجاور تلهم وتعرف محلتهم بالموصل بالبنو نجمة والى اليوم تربط
 اواصر القرابة سكان ابن المخلصين بقبيلتيهما كالا شراك في دفع الدية والاستشارة
 وتبادل الهدايا الى غير ذلك

ثم قبيلة الشفادحة من بني جحيش من ازد وهم سكان المحلة المنقوشة وهناك أيضاً محلة أخرى تعرف بالخطونية ويغاب ان يكون أهلها من قرية الخطونية التي في غربى سنجار تبعد عنه نحو ثمانى ساعات بجوار جبل كورك ويدعى الخطواتنة انهم من بني تغلب

وفي الاعصر المتأخرة سكن الموصل قوم من التركمان (قره قويونلي) ومحلتهم فيها تعرف برأس التركمان ومنهم سكان القاضية والشرينخان وكبة . ويؤكد ان ثلثي أهل الموصل هم من بقايا القبائل العربية القديمة والثلث الآخرهم من بقايا الأمم والطوائف الآرامية الذين انتقلوا اليها تدريجياً بعد خراب مدنهم وقراهم كحصن كيفا ونيزوى وما يجاورها من القرى وكانت كثيرة سيما على شواطئ دجلة حتى انه كان يوجد على دجلة بين الموصل واسوار نينوى رغباً عن قلة الفسحة قرية طمرة تدعى باجباري ^(١) الامر الذى يدل على وفرة سكان هذه البقعة وصرانها الذى كان يملأ هذا الفراغ الذي نراه اليوم

أما العشائر التي استوطنت نواحي الموصل فاشهرها قبيلة « شمر » وقد أقبلوا اليها من نجد سنة ١٢٠٠ هـ وهم من عدة قبائل اهمها « خرسة » وهي قبيلة شمر الحقيقية ومن خرسة « بريج » و « عليان » و « الهضبة » و « الشيوخ » وهم نخذ من الهضبة . ومن اخوان خرسة « العامود » و « الصايح » وهؤلاء كلهم من قبيلة « قضاة » . ومن شمر أيضاً عشيرة « سنجارة » وفروعها « ثابت » و « فداغة » و « تومان » وهؤلاء أصلهم من طى . ومن شمر أيضاً عبد القيس ويقال لهم « عبده » وهذا عبد القيس هو ابن أفصى بن دعى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن زار بن معد بن عدنان . ومنهم أيضاً « بنو اسلم » وهم فرقة من خزاعة وخزاعة من الازد . هذه هي عشائر شمر . وجلهم من العرب الرحل الذين يسكنون بيوت الشعر ويتنقلون بين ديار بكر وبلاد العراق

ومن عشائر الموصل « طى » ويقيمون وراء الزاب الكبير أي في أراضي

شمامك فيسكن بعضهم القرى وبعضهم بيوت الشعر. ومنهم استوطنوا نواحي نصيبين. وطى أشهر من أن تذكر

ومن عشائر الموصل « العبيد » وتبنتهم الى قضاء. ومنهم كان الضيزن الذي صهر الحضر واليوم بيوتهم اطراف كركوك. ومن العبيد أيضاً « الجبور » ومعظم قراهم غربي الموصل على شواطئ دجلة من الخابور الى الخرنينة. ومن العبيد أيضاً « البوحد » وهؤلاء ينتقلون بخيامهم في نواحي الموصل ومن عشائرها أيضاً « الجحيش » وهذه العشيرة تنتسب الى قبيلة « ازد » وتقيم غالباً في القرى المجاورة لنلعفر وسنجار

ثم عشيرة « المعقيدات » (العكيدات) وهي غربي الموصل على ضفة نهر الخابور قيل انها تنتسب الى بحيلة من « كهلان » ومنها سكان جوبة العكيدات بجوار باب البيض أو باب الابيض. وعشيرة « لبودران » ويقال انهم هاشميون. ثم عشيرة « الحديديين » ولا ندري لمن ينتسبون. ثم « تغلب » ويقال لها « الغرير » وفروعها « لبوحدان » و « بنو حسين » و « بنو دولة » و « بنو عياش » و « الشهوان » و « لبونجمه » ثم عشيرة « الالهيب » وتنتسب الى قضاء ويخيمون في الغالب شرقي الزاب الكبير

اما الاكراد الذين يسكنون نواحي الموصل فمن أشهرهم « البوط » ويسكنون القرى التي على الخازر ثم « النافكر » أو الجفرة كما يسميهم العرب ثم العشائر السبعة وهي في شرقي الموصل. ومن الاكراد أيضاً الصارلية وقراهم في جنوبي الموصل على شواطئ الزاب الكبير. ومنهم أيضاً « الكوچر » وعشائرتهم هي « زيدك » و « مهمدان » و « شرقان » و « هاجان » وهؤلاء يقيمون شتاءً اطراف سميل ودهوك وزاخو وفي الصيف يرحلون الى جبل زوزان. ومن الكوچر أيضاً هم الميران وهؤلاء يخيمون شتاءً في اطراف السويدية التي في شمالي الموصل على شواطئ دجلة وصيفاً يرحلون الى جبال زوزان. ثم عشيرة « الكركرية » وقراهم غربي دجلة ومنهم « السليفانية » في شرقي دجلة وقراهم بجوار زاخو ثم « الدزدي » وراء الزاب. ثم العشيرة

اليزيدية وقرام في الشيوخان ومنها (باعدرا) وهي قديماً (بيت عدرا أي باعدرا) وفي سنجار وسياتي الكلام عنهم وعن معتقدهم وعوائدهم في آخر هذا الكتاب

ومن عشائر الموصل الاعجمية هم التركمان وأصلهم من قبيلتي « آق قويونلي » و « قره قويونلي » وقد اقبلوا الى الموصل في حملة أوزون حسن فاستوطن بعضهم تلعفر وفيها أيضاً من تغلب وبعضهم اقاموا في شرقي دجلة على الشواطئ . ثم شبك وabajوان (باجوران) وهؤلاء اقبلوا من بلاد الفرس الا اننا نجهل تاريخ مجيئهم الى الموصل ولغتهم خليط من الكردية والفارسية والتركية . وقرى الباجوان هي عمركان وتيراخ زيارة وتليعقوب وبشيثا . اما قرى الشبك فهي عيرش وينيجا وخزنة وتلاره وقرى أخرى عديدة اطراف سنجار

الفصل الرابع

في اسم الموصل

ذهب بعض المؤرخين الى ان الموصل دُعيت باسم الملك الذي شيدها وكان يسمى الموصل وهذا بعيد عن الصحة اذ لا نجد له وجهاً من الحقيقة التاريخية على ان لفظة « الموصل » عربية الاشتقاق تدل صيغتها على اسم المسكان فتعني الملتقي أي الموقع الذي يصل محلاً بآخر فاننا لم نجد بين المؤرخين الاراميين من يسميها بهذا الاسم الا في أواخر القرن الثامن للميلاد أي بعد ما سكنتها القبائل العربية وقبل ذلك كانت تدعى « الحصن العبوري » وقد أورد يشوعدناح البصري (أواخر القرن الثامن للميلاد) في كلامه عن ابن القوسري (القرن السادس للميلاد) انه لما قدم الى الحصن العبوري وهو اليوم الموصل وشيد ديره المعروف باسمه لم تكن الموصل حينئذ قد بنيت بل كانت حصناً صغيراً .^(١) ويلاحظ بين هاتين التسميتين القديمة والحديثة وحدة المعنى كأن

الثانية أخذت عن الأولى : فالحصن العبوري ومعناه الموقع الذي يجتاز به الى مكان آخر يساقق ويناسب معنى الموصل أي نقطة الالتقي التي تصل محلاً بآخر ، وعلى هذا قد أجمع المؤرخون العرب . روى أحمد بن حمزة : ان الموصل كانت تدعى في زمن تملك الفرس « نواردشير » ثم ان مروان بن محمد من بني أمية (أواسط القرن الثامن للميلاد) أحب صفاء هوائها وموقعها الجميل وكانت حينئذ خراباً فبنى له على شاطئ دجلة قصرأ منيفاً ومدّ جسراً على النهر فدعيت الموصل لان جسرهما كان يصل الضفة الغربية بالضفة الشرقية حيث كانت نينوى . وخالفه الحموي في اعطاء سبب ذلك لكنه ابقى معه في معنى الاسم فقال : من الموصل يقصد الى جميع البلدان فهي باب العراق ومفتاح خراسان . ومنها يقصد الى أذربيجان وكثيراً ما سمعت ان بلاد الدنيا العظام ثلاثة نيسابور لانها باب الشرق ودمشق لانها باب الغرب . والموصل لان القاصد الى الجهتين قلماً لا يمر بها . وقالوا سميت الموصل لانها وصلت بين دجلة والعراق وقيل لانها وصلت بين الجزيرة والعراق (أي قطعة ميسوبوتاميا) بقطعة العراق وقيل لانها وصلت بين الحديثة وبلد ^(١) ، وتدعى اليوم « بلط » تبعد عن الموصل نحو سبع ساعات . ومفاد ذلك ان اسم الموصل عربي الاشتقاق ومعناه الموقع الذي يصل محلاً بآخر أو بلدة ببلدة أخرى . وقد أيد هذا بعض المستشرقين مثل « لاسترنج الانكليزي » في كتابه تاريخ ما بين النهرين

أما سبب تليقيها بالحدباء فقد نسبته الحموي الى احتداب في دجلتها واعوجاج في جريانها . وعزاه ابن بطوطة الى قلعته الحدباء ^(٢) وآتى في تاريخ منهال الأولياء أنها سميت بذلك لانحداب أرضها لأن البيوت والمحال فيها لم تقع على مستوى أرضها بل بعضها على شز وقلاع وبعضها في منخفض

(١) ياقوت

(٢) ج ١ ص ١٧٥

من الأرض . وقد يكون هذا التعليل أقرب الى الصواب اذ يرى اليوم حذب المدينة في جهتها الشرقية أى في محلة القلعة وهي على نشز مرتفع من أرضها . ولتبت أيضاً الموصل الخضراء لاختضار بقاعها وجدرانها وقت مجيء المطر حينما تهطل فيها الأمطار بغزارة في موسم الشتاء وتنبت في جميع ضواحيها خضرة تمتش فلوب الناظرين . ولتبت أيضاً بأم الربيعين . والريمان أحدهما في السكاوئين عند مجيء الوسمى والثاني في آذار وهو الربيع الحقيقي . اذ في تشرين الثاني والسكاوئين تنبت الزروع فتلبث صحراً ثوباً زمردياً وفي حلول شهر آذار تستوفي الصحراء حقها من الطبيعة ، فتكمل زروعها وتنبت فيها أنواع الورود والزهور وتصبح بقاعها أشبه بجنان غناء ، وقد قال فيها السري بن احمد الرضا الشاعر الموصلى يتشوقها :

سقى رها الموصل الفيحاء من بلد جود من المزن يحكى جود أهلها
أرض يحن اليها من يفارقها ويحمد العيش فيها من يدانيها

الفصل الخامس

فتح الموصل في عهد الخلفاء الراشدين

لم نقف على تاريخ الموصل وتقلبات أحوالها قبيل الفتح الاسلامي اذ لم يقع بيدنا مؤرخ من الاقدمين بحث عنها بحثاً مستوفياً . فاكتملنا بما أوردناه في الفصول السابقة وهو جل ما وقفنا عليه من استقراء الحوادث . ولهذا ففي الفصول التالية يدور بحثنا على الموصل بعد الفتح الاسلامي اذ انه من ذلك العهد أخذ المؤرخون العرب يعدونها بين المدن المهمة والمواصم العربية لما كانت سنة ٦٣٤ (١٣ هـ) أرسل الخليفة أبو بكر خالد بن الوليد الى العراق . فاقبل خالد وحمل على الحيرة . فصالحه أميرها إياس بن قبيصة الطائي على تأدية الجزية . وافتتح خالد ما جاورها من البلاد . وكتب أبو بكر الى عياض بن غنم يأمره ان يقصد العراق من أعلاه ويسير حتى يلتقى ابن الوليد . فطوقت الجيوش الاسلامية بلاد العراق وقهروا الفرس وأجبروهم على تأدية

الجزية . ثم لما استقام أمر الفرس وظهروا على العرب بالعصيان حمل العرب عليهم بقوة عظيمة وبذلك شبت نيران حرب القادسية فانتصر سعد بن أبي وقاص فائد الجيوش الاسلامية على رسطام فائد جيوش الفرس وقتله سنة ٦٣٧ (١٦ هـ) ولحق العرب بالفرس ينخنون فيهم الجراح ويفتتحون البلاد حتى وصلوا خراسان ووجدوا هناك يزدجرد الثالث آخر الملوك الساسانيين مخفياً في احدى قراها فقتلوه . ومن ثم استولى العرب على كافة بلاد الدولة الساسانية

وبينما كان سعد بن أبي وقاص يطارد عساكر الفرس في تخوم العراق كان عبد الله بن المعتم مع القائدين ربعي بن الافكل وعرجة بن هرثمة يتنازعون الروم على سواحل دجلة ويصلونهم حرباً طاحنة . وكانت ديار الموصل يومئذ تخضع للروم وذلك من سنة ٦٢٥ (٤ هـ) وهي السنة التي زحف فيها هرقل على بلاد الفرس واستولى على حدياب وهي بلاد الموصل وبيت كرمي (باجرما) وهي ديار كركوك وشهر زور وهي ديار سليمانية .^(١)

ان الخليفة عمر بن الخطاب كتب سنة ٦٣٧ (١٦ هـ)^(٢) الى سعد بن أبي وقاص ان يرسل الى تكريت عبد الله بن المعتم وعلى مقدمته ربعي بن الافكل وعلى ميمنته الحارث بن حسان الذهلي وعلى ميسرته فرات بن حيان العجلي وعلى ساقتة هانيء بن قيس وعلى الخيل عرجة بن هرثمة . فلما زحفت عساكر العرب وبلغ خبرهم الانطاق سار بعساكر الروم من الموصل الى تكريت ليحتمي أرضه وانتشب القتال بين الفريقين ودام مدة أربعين يوماً . ثم ان القبائل العربية وهي تغلب وغر وایاد ومعهم الشهارجة الذين كانوا منضوين الى الاروام يحاربون تحت رايتهم انجازوا عنهم الى اخوانهم العرب بدافع نزعتهم العربية . فاحمل الاسلام والريعيون السيف في الاروام وقتلوا منهم

(١) طالع ابن العبري . ص ٩٦ و ١٠٢ وتاريخ السيد ادي سير ج ٢ ص ٢٣٨

(٢) ابن الاثير ج ٢ ص ٢٢١

خلقاً كثيراً^(١) . ومن بقي منهم لاذ بالهزيمة فساد العرب الى الحصنين وهما الموصل ونيوى . وافتتحوها وصالحهم أهلها على الجزية^(٢)

وذكر الواقدي في ذلك : ان عياض بن غنم أقبل بجيوش الفتح حتى نزل بالاسماعيليات وبعث عمرو بن جند ليغير على الموصل وعلى أعمالها فمضى وأغار وأخذ الغنائم ووقع الصايح فخرجوا عليه وقتلوه وانتزعوا منه الغنيمة فقاتل حتى قتل ودفن بالجانب الغربي . فلما بلغ عياضاً ذلك ارتحل من الاسماعيليات ونزل على الموصل فخرج اليه أهلها بالعدد والسلاح فكرب عليهم خالد بجيشه الزحف فجعلهم حطاماً ولم يكن عليها يومئذ سور يمنع فأخذها بجند السيف وأسكن فيها القبيلة الخرجية سنة ٦٤٠ (٢٠ هـ)^(٣)

وأورد ابن خلدون^(٤) : ان عياض بن غنم أقبل الى الجزيرة سنة ٦٣٩ (١٨ هـ) فافتتح بلادها . وآخر جميعها افتتح الموصل . وقد يكون سبب تضارب آراء المؤرخين في إيرادهم أسماء الفاتحين وتعيينهم تاريخ الفتح ان عبد الله بن المعتم بعد فتحه الموصل وما يجاورها من المدن والقلاع صالحه أهلها على الجزية كما يذكره ابن الأثير . ثم تمردوا سنة ١٨ أو سنة ٢٠ هجرية وأبوا تأدية الجزية فأقبل عليهم عياض وعاملهم بالعنف والشدة وكان من أمرهم ما كان مع عمرو بن جند وخالد بن الوليد . وقد أسكن بينهم القبائل العربية كي لا يعودوا الى العصيان .

ونقل ابن الأثير : أن عمر بن الخطاب استعمل عتبة بن فرقد على قصد الموصل سنة ٢٠ هجرية ولما أتاها قاتله أهل نينوى فأخذ حصنها وهو الشرقي عنوة ثم عبر دجلة فصالحه أهل الحصن الغربي وهو الموصل على الجزية وفتح

(١) الطبري ج ٤ ص ١٨٦

(٢) ابن الأثير ج ٢ ص ٢٢١

(٣) طالع الواقدي ج ٢ ص ١٠٨ وصالمة الموصل ١٣٠٨ ص ١٥٨

(٤) تمتة ج ٢ ص ١٠٨

بأنهذرا^(١) والمرج^(٢) وباعذار^(٣) وحبتون^(٤) وداسان^(٥) وجميع معاقل الأكراد وقردي^(٦) وبازبدي^(٧) وجميع أعمال الموصل وكانت عديدة كثيرة السكان . والأصح أن عتبة بن فرقد لم يكن قائماً بل استعمل على الموصل وأطرافها وافتتح شهرزور أي ديار سلجمانية فضمت إلى الموصل ولم تزل مضمومة حتى أفرزت عنها آخر خلافة الرشيد . ثم خلف عتبة في ولاية الموصل هرثمة بن عرجة سنة ٦٤٢^(٨)

وفي خلافة عثمان بن عفان سنة ٦٤٤ (٢٤ هـ) ولي على الموصل حكيم ابن سلام الحزاني^(٩) وفي خلافة علي بن أبي طالب كثرت عمارة الموصل وازداد سكانها وقصدها المهاجرون الكثيرون . يقول ابن الأثير^(١٠) : وكان أهل الجزيرة والموصل يومئذ نافذة انتقل إليها كل من نزل بهجرته من أهل البلدين (المراقين) أيام علي . اهـ وكانت العشار العربية التي توطنت الموصل قد انحازت إلى علي بن أبي طالب وذلك على أثر الانقسامات التي جرت بعد مقتل عثمان ابن عفان . وبلغت أخبارهم إلى علي وما هم عليه من الشغب وسفك الدماء ، فأرسل علي رجلاً من ثقاته يقال له عبد الرحمن الخثعمي إلى ناحية الموصل سنة ٦٥٩ (٣٩ هـ) ليسكن الثأرين فيها حقناً لدماء العباد . فلما قرب عبد الرحمن من

(١) أويث نوهدرا وهي قضا زاخو ودهوك

(٢) المرج وهو المقر والزبار . قال الحموي ويسمى بمرج الموصل ويمرج ابني عبدة عن جانب الموصل الشرقي وهو موضع بين الجبال في منخفض من الأرض فيه مروج كثيرة وقرى وهي ولاية حسنة وعلى جبالها قلاع

(٣) أويث عفرا في شرقي الموصل واليوم تعرف بإعدارا العرب تبعد عن برطلة نحو الساعة

(٤) في الجبل على سواحل الزاب الأكبر

(٥) أويث داسان واقعة شرقي الزاب في جنوبي العسادية

(٦) هي القطعة المعروفة اليوم بيهنان في شمالي جزيرة ابن عمر

(٧) أويث زبدي وهي جزيرة ابن عمر والحموي يقول هي قرية قرب البامزدي من ناحية

جزيرة ابن عمر

(٨) ابن الأثير ج ٣ ص ١٩

(٩) ابن الأثير ج ٣ ص ٧٢

(١٠) ج ٣ ص ١٦

الموصل لقيه قسم من التغليبين الذين اعتزلوا معاوية وعليهم قريع بن الحرث التغلبي فتشائموا ثم حمل التغليبيون على عبد الرحمن وقتلوه مع أصحابه . وبلغ خبر قتله الى علي فاحتدم غضبه وعزم أن يوجه جيشاً الى أهل الموصل . فتوسلت اليه قبيلة ربيعة وقالوا له هم معتزلون لمدوك داخلون في طاعتك وانما قتلوه خطأ فأمسك عنهم^(١)

الفصل السادس

الموصل في أيام الدولة الأموية

نشأت الدولة الأموية في الشام علي يد معاوية بن أبي سفيان وهو الذي أبى علي بن أبي طالب مبايعته بالخلافة فرفع عليه لواء العصيان واستقل بالحكم في الشام سنة ٦٦١ (٤١ هـ) . ولما توفي علي بن أبي طالب وولده انتسح المجال للخلفاء الأمويين فدوا سلطانهم الى جميع أنحاء الممالك والبلاد التي انتسجها العرب بعد الاسلام وقام في الدولة الأموية الأولى أربعة عشر خليفة آخرهم كان مروان بن محمد ، وانقرضت حكومتهم سنة ٧٤٦ وهي ١٢٩ هجرية

ونشأت الدولة الأموية الثانية في الاندلس سنة ٧٥٥ (١٣٨ هـ) وكان أول خلفائهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام وقام منهم أحد عشر خليفة آخرهم كان سليمان بن حكم ثم انقرضت هذه الدولة سنة ١٠١٢ (٤٠٣ هـ) توفي معاوية سنة ٦٧٤ (٦٠ هـ) فبويص ابنه يزيد بالخلافة وفي هذه السنة كاتب الكوفيون الحسين بن علي بن أبي طالب واستقدموه الى الكوفة ليبايعوه عليهم فقدم الحسين الى الكوفة بمن تبعه من خيرة رجال الحجاز ، وكان على الكوفة عبيد الله بن زياد من قبل يزيد الأموي . فنزل الحسين بظاهرها وأرسل الى الكوفيين يذكركم ويطالبهم أن يبروا بوعودهم فانكروا

عليه ذلك . ثم جمع عبيد الله بن زياد رجاله وخرج الى الحسين فانتشبت القتال بين الفريقين سنة ٦٨٠ (٦١ هـ) فقتل الحسين ورجاله وفي تلك الآونة كان عبد الله بن الزبير بمكة قد اجتمع له خلق كثير . فلما بلغه قتل الحسين قام في الناس وعظم قتله وخالف بني أمية ونازعهم على الخلافة وادعاهوا لنفسه ومازال على ذلك حتى بويع بالخلافة بالحجاز سنة ٦٨٣ (٦٤ هـ) وهي السنة التي فيها تولى الخلافة الأموية في الشام معاوية بن يزيد . ثم استولى عبد الله بن الزبير على العراق سنة ٦٨٤ (٦٥ هـ) ، وهي السنة التي فيها تولى الخلافة عبد الملك بن مروان خامس الخلفاء الأمويين . فولى عبد الله على الكوفة عبد الله بن المطيع . وعلى الموصل محمد بن أسعث بن قيس . ولم يرض عام على ولايته حتى قام على الكوفة مختار أبو اسحاق بن أبي عبيد الثقفي أحد مشاهير الغزاة فضبطها من عبد الله بن المطيع عامل ابن الزبير وتقلد أمرها سنة ٦٨٥ (٦٦ هـ) وأرسل حاملاً على الموصل عبد الرحمن بن سعيد بن قيس فلما قدمها عبد الرحمن خافه محمد عامل ابن الزبير فأخلى له الولاية وهرب الى تكريت لينظر ما يكون من حامل المختار وأهل الموصل

وكان لما استوثق الأمر بالشام لمروان بن الحكم رابع الخلفاء الأمويين جهز جيشاً وسيره الى العراق تحت قيادة عبيد الله بن زياد ثم توفي بعد هذا بمدة يسيرة . فولى الخلافة بعده ابنه عبد الملك وكان أول ما طمحت اليه نفسه أن يستولى على العراق فأقر ابن زياد على ما كان أبوه قد ولاه اياه وأقبل ابن زياد الى الموصل بجيش كثيف نخافه عامل المختار وكتب الى الكوفة يخبر المختار بدخول ابن زياد أرض الموصل وانه قد اضطر أن يتسحى له عنها الى تكريت . فأرسل المختار يزيد بن أنس بثلاثة آلاف فارس الى الموصل وكتب الى حامله عبد الرحمن يقول له خل بين يزيد وبين البلاد ففسار يزيد بجيش الى الموصل ونزل بياتلي (برطلة) ^(١) نخرج اليه ابن زياد وانتشبت القتال

(١) قرية في شرقي الموصل تبعد عنها نحو عشرين كيلو متراً وكانت قديماً قصبة كبيرة هال الجوي برطلة قرية كالمدينة في شرقي دجلة من أعمال نينوى كثيرة الحيرات والاسواق والبيع والعراء يبلغ دخلها السنوي عشرين ألف دينار (١٠٠٠٠ جنيه)

بينهما أياماً مرض فيها يزيد بن أنس فكانوا يحملونه مريضاً الى ميدان الحرب ثم اشتد عليه المرض وتوفي فوهن أصحابه وداخلهم الفشل فكفوا عن الموصل سنة ٦٨٦ (٦٧ هـ) وعلى هذا أرسل المختار الى الموصل ابراهيم بن الأشر فاقبل ابراهيم وأوغل في أرض الموصل حتى بلغ نهر الخارز ونزل فيه فخرج عليه ابن زياد وناوشه القتال . ثم انكسر ابن زياد وتفرق شمل جنوده ودخل ابراهيم الموصل فأرسل في طاب عبيد الله بن زياد وقبض عليه فقطع رأسه وأنفذه الى المختار

ولما بلغ عبد الله بن الزبير انسحاب عماله عن الكوفة والموصل وما يجاورها جهز جيشاً كثيفاً وأرسله تحت قيادة أخيه مصعب الى الكوفة لياقى المختار . فقدم مصعب الى الكوفة وحاصرها وضيق عليها حتى افتتحها فدخلها وقتل المختار أمام باب قصره وآل أمر الكوفة وما يليها الى ابن الزبير فعزل ابراهيم بن الأشر وولى المهلب بلاد الموصل والجزيرة وأرمينيا وبعد مضي أيام استقدمه مصعب لاختضاع الخوارج وأعاد ابراهيم بن الأشر على ولاية الموصل سنة ٦٨٧ (٦٨ هـ) (١)

ولما كانت سنة ٦٩٠ (٧١ هـ) تجهز عبد الملك بن مروان وسار بجيشه من الشام يريد العراق وبلغ خبر مسيره الى مصعب فاستدعى ابراهيم بن الأشر وجعله على مقدمة جيشه لمحاربة عبد الملك وثار الحرب بين الفريقين فولت المساكر الزيرية هاربة وألقى القبض على مصعب وقتل . ومن ثم دخل العراق في حكم الامويين . ثم أن عبد الملك سير جيشاً تحت قيادة الحجاج سنة ٦٩٢ (٧٣ هـ) الى المدينة لحرب ابن الزبير فقتل ابن الزبير وبويع لعبد الملك بن مروان بالخلافة في جميع البلاد الخاضعة للإسلام . وأنفذ عبد الملك على الجزيرة أخاه محمد بن مروان وكان في أرض الموصل

ثم لما تولى الخلافة الأموية هشام بن عبد الملك سنة ٧٢٣ (١٠٥ هـ)

أرسل حاملاً على الموصل الحرّ بن يوسف بن الحكم من بني أمية^(١) فقدم إليها ونظم أمورها وبني له فيها داراً فسيحة زخرفها بأنواع التماوير الحسنة ونقشها بالساج والرخام والحجارة الملونة ولهذا سميت بالمنقوشة . ويذكر عنها صاحب تاريخ الكامل « أنها كانت عند سوق القتاتين والشعارين وسوق الاربعاء ، واما الآن فهي خربة تجاوز سوق الاربعاء » اهـ

لازمرف اليوم موقع سوق القتاتين اما سوق الشعارين فمرفوف . ويغلب ان يكون سوق الاربعاء « جهار سوق »

وسمى الحر بحلب مياه دجلة الى المدينة وسبب ذلك انه كان ماراً يوماً بطريق فابصر امرأة عجوزاً تحمل جرة ماء على كتفها وقد انهكها التعب لبعده النهر . وكانت تحملها قليلاً ثم تجلس ريثما تستريح فرق لها الحر وكتب يستأذن هشام بن عبد الملك بحفر نهر أو قناة كبيرة لجلب مياه دجلة الى المدينة فاذن له هشام وعين له مبالغاً للنفقة على هذا المشروع . فشرع الحر بحفره وقبل نجاز المشروع توفي الحر سنة ٧٣١ (١١٣ هـ) ودفن بالمقبرة القريشية بازاء داره المنقوشة . ومن الاقوال الماثورة ان القبرة القريشية كانت تلاصق مصلى الحنفية في جامع النبي جرجيس ففي سنة ١٩١٨ ترمم المصلى المذكور وبينما كانوا يحفرون عثروا على الخدف فيه رفات . وقد افترق الواقفون على دقائق التاريخ أن هذا المجدد هو قبر الحر بن يوسف بناء على ما لهم من التقليد في ذلك ومنه نستدل أن قصر الحر كان واقعاً في محلة باب النبي بازاء جامع النبي جرجيس . ثم استعمل هشام على الميصل الوليد بن تليد العبسي واوعز اليه بالاهتمام في انجار حفر النهر فاهتم الوليد بالعمل وفرغ منه سنة ٧٣٨ (١٢١ هـ) ويذكر ابن الأثير انه أدخله الى البلد وكان مبلغ النفقة عليه ثمانية آلاف ألف درهم وهي تساوي تقريباً (٢٦٦٠٠٠٠ جنيتها) ونصب على هذا النهر ثمانية احجار للطحن وجعل واردها لاصلاح ما تهدم من مجراه . وكان هذا النهر

فلقد شرع الحر بحفره يجري من دجلة من وراء دير مار ميخائيل في شمالي المدينة ويدخل من مغارة البقر من طرف (قوجه مغارة) ويأتي الموصل محاذياً للحواري وإلى اليوم ترى بعض آثاره . ثم خلف الوليد العباسي على ولاية الموصل ابن أخيه أبو قحافة سنة ٧٣٩ (١٢٢ هـ) وجلس بعد هشام على سرير الخلافة الأموية الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ٧٤٢ (١٢٥ هـ) ثم قتل سنة ٧٤٣ (١٢٦ هـ) خلفه يزيد بن عبد الملك وولي هذا على الموصل والجزيرة مروان بن محمد بن مروان (١)

وكان بعد قتل الوليد قد انتقض الحال على بني أمية واضطرب أمرهم فنشأت فيهم الفتن وكثر المفسدون والخوارج الذين استبدوا بالبلاد وعصى بالموصل سعيد بن هديل (٢) ثم ظهر الضحاك بن قيس الشيباني في الكوفة قاغتم من انتشار هذه الفتن واشتغال مروان بن محمد في الشام وأتى إلى أطراف الموصل ومعه من الصفرية (٣) نحو أربعة آلاف محارب . فكتب أهل الموصل سنة ٧٤٥ (١٢٨ هـ) واجزل لهم المواعيد إذا هم مكنوه من أخذ المدينة . ثم سار بجماعة من جنوده حتى انتهى إليها وعليها يومئذ رجل من بني شيبان يقال له القطران بن أكمة . ولما وصلها أفسح له الموصليون ومكنوه من أخذ مدينتهم فدخلها . أما القطران فقاتلهم بمن معه من ذويه وأصحابه وهم عدة يسيرة حتى قتلوا عن بكرة أبيهم . فاستولى الضحاك على الموصل وما يتبعها . وكان الضحاك قد كثر اتباعه وانضمت تحت رايته اعياص القبائل حتى أصبح بجيش عظيم فتوجه بخمسة آلاف محارب من أصحابه لفتح مدينة الرقة فلما بلغ خبره إلى مروان الأموي وكان على حصار حمص لثورة جرت فيها ترك حمص وزحف بجيوشه لمقاتلة الضحاك والتقى به في نواحي كفر توتنا من أعمال ماردين ودارت بينهما حرب طاحنة إلى المساء فترجل الضحاك والذين معه من

(١) ابن خلدون ج ٣ ص ١١٢

(٢) ابن العبري س ص ١٢٠

(٣) من الخوارج ويسبون إلى ابن صفار وقد اشتهروا بحروبهم مع الحجاج (طالع عنهم

ابن خلدون ج ٣ ص ١٤٥ و ١٥٢)

ذوي العزم والبأس نحو ستة آلاف وكان مروان قد كمن لهم برجله وخيله
فالتأت أصحاب مروان على الضحاك وأصحابه والحوأ عليهم في القتال حتى
افتنوم عن آخرهم وفيهم قتل الضحاك فخر رأسه وطيف به من مدن الجزيرة
تهويلاً للعصاة وبلغ خبر قتله الى من بقي من أصحابه فاقاموا عليهم الخيبري
وهذا أيضاً قتل خلفه في زعامة العصاة من بني شيبان رجل يدعى شيبان
ابن عبد العزيز اليشكري فأخذ يقاتل مروان ثم تخلف عنه أصحابه وبقي هو
في نحو أربعين ألفاً وكان سليمان بن هشام من بني أمية قد اعتزل مروان لسبب
الخلاف الذي بينهما فاعوز سليمان الى العصاة ان ينصرفوا الى الموصل ويجعلوها
ظهرهم فساروا اليها واقاموا في شرقي دجلة وعقدوا جسوراً عليها ليأخذوا
ميرتهم منها ثم تبعهم مروان فخذق بازائهم وكان أهالي الموصل قد اتفقوا مع
الخوارج على قتاله . ودام هذا القتال نحو ستة أشهر . ولما اعيأ أمر مروان
أرسل فاستقدم من العراق عامر بن ضئبارة في ثمانية آلاف وضم اليه جنده
فظفر بالعصاة من شيبان وقتل منهم خلقاً كثيراً والبقية تبددوا وكان ذلك
سنة ٦٤٧ (١٢٩ هـ)

الفصل السابع

اعتزال أهالي الموصل الامويين ومبايعتهم العباسيين

بدات اركان الخلافة الأموية تتقوض ودعائهما تتطامن للسقوط لاسباب
اخصها ظلمهم الرعية في حشد المال لتوطيد دعائم ملكهم ورد المزاكين
فضاعفوا الضرائب واخراج على الرعية ثم زادوا في نفوذ المال وجعلوا لهم
حصاة في اموال الضرائب ليطمعهم في جمعه فطفق المال يثقلون على الرعية
ويظلمونها حتى كرهتهم ومالت عنهم

وساءت أحوالهم زيادة على ذلك بتقاطمهم وخلافهم في سبيل القبض على
ناصية الخلافة حتى انتقض أمرهم وغى الفساد في بلادهم . وكان من أمرهم في
الموصل ما ذكرناه من خروج الخوارج وكثرة الحروب حتى مالت الاهالي

الى المباينة لبني العباس . وكان أشياع بني العباس قد ظهر أمرهم وكثروا في خراسان وفي غيرها من البلاد سنة ٧٤٤ (١٢٧ هـ) وقد بايعوا بالخلافة للإمام ابراهيم بن محمد بن العباس . ومن ثم جندوا الجيوش ، وأرسلوها لفتح البلاد وأخذها من يد الامويين . أما مروان بن محمد وهو آخر الخلفاء الامويين فاحتال في القبض على ابراهيم وقتله غيلة . فسار بنو العباس من خراسان الى الكوفة وفيها بويع بالخلافة لأبي العباس عبد الله السفاح أخى ابراهيم . فادال الله العباسيين من الامويين وبايعهم ابناء العراق قاطبة . ثم أرسل قحطبة بن شبيب القائد العباسي أباعون بن يزيد الخراساني في أربعة آلاف محارب الى شهر زور وهي من توابع الموصل . وناوشوا عثمان القتال فانكسر عثمان . واسرت جنوده . وقتل فيهم أبو عون مقتلة عظيمة . وأقام أبو عون في اطراف الموصل وأرسل يستنجد قحطبة ليسير الى بقية البلاد فسير اليه نحو ثلاثين ألف محارب . ولما بلغ ذلك مروان بن محمد وهو بمرجان سار الى مقابلة أبي عون ومعه جنود أهل الشام والجزيرة والموصل وحشر معه بنو أمية أبناءهم . وأقبل على أبي عون حتى نزل الزاب الاكبر . وأقام أبو عون بشهر زور . وجرى ذلك سنة ٧٤٩ (١٣٢ هـ) خفر مروان خندقاً وكان في عشرين ومائة ألف . وبلغ عددهم الى أبي العباس الخليفة السفاح فجمع جنداً عظيماً وأرسلها الى مروان تحت قيادة عبد الله بن علي عم السفاح فانضمّ عبد الله الى أبي عون وبعد يومين من وصوله سال عبد الله عن مخاضة في الزاب فدل عليها وأمر عيينة بن موسى فعبّر في خمسة آلاف حتى انتهى الى عسكر مروان وناوشه القتال الى المساء ثم رجع كل الى مكانه . ولما أصبح مروان عقد جسراً وعبر عليه وسير ابنه عبد الله الى عسكر العباسيين فكسرهم وقتل منهم خلقاً كثيراً ثم حمل محمد بن صول بفرقة من الجيش العباسي على الأمويين ففرق شملهم وأوقع الرعب والخوف في قلوبهم حتى أدبروا هارين على وجوههم الى الزاب ومحمد بن صول يتبعهم فامر بقطع الجسر وقتل منهم ذلك اليوم عدداً عظيماً . وكان في من قتل من الأمويين

يحيى بن معاوية بن هشام بن عبد الملك وهو شاب في غضارة الشباب كان يحارب مستقلاً فلما رآه عبد الله بن علي وما هو عليه من الشجاعة وأبهة الشرف والجلال ناداه يا فتى لك الامان ولو كنت مروان بن محمد لجأوب ان لم أكنه فليست بدونه . قال لك الامان ولو كنت من كنت ، فانشده :

اذل الحياة وكره الممات وكلا اراه طعاماً ويلاً

فان لم يكن غير احداهما فسيراً الى الموت سيراً جيلاً

واستولى عبد الله بن علي على سلاح بني أمية واجتاح اموالهم وكتب الى السفاح يبشره بالنصر والفتح . فلما وصل الكتاب وزع السفاح الاموال على جنوده ورفع ارزاقهم الى ثمانين اما مروان فانهزم مجتازاً الزاب الى الموصل وعليها عامله هشام بن عمر الثعلبي وبشر بن خزيمة الأسدي ^(١) ولما حاول مروان ان يعبر دجلة الى المدينة منعه أهلها عن الدخول وقطعوا الجسر فناداهم أهل الشام : هذا أمير المؤمنين مروان . فقالوا كذبتم أمير المؤمنين لا يهرب وسبه أهل الموصل وقالوا يا جمدي يا معطل الحمد لله الذي ازال سلطانكم وذهب بدولتكم الحمد لله الذي أتانا بأهل نبينا فلما سمع ذلك خاف على نفسه منهم فصار الى بلد ثم عبر دجلة وأتى الى حران . وقسدم عبد الله بن علي الى الموصل فمزل هشام وولى عليها قائد جيشه محمد بن صول ثم سار بشجمان الموصل في طلب مروان فأدركوه نازلاً في كنيسة في بوسير حيث قتلوه شرقتلة ^(٢) سنة ٧٤٩ (١٣٢ هـ)

(١) ابن خلدون ج ٣ ص ١٣١

(٢) ابن خلدون ج ٣ ص ١٣٢

الفصل الثامن

تغير أهل الموصل على الدعوة العباسية وظهور الخارجي حسان الهمداني بعد مضي أيام على هذه الحوادث ثار أهالي الموصل سنة ٧٤٩ على محمد بن صول الخثعمي طامل السفاح فامتنعوا عن طاعته وقالوا : لانرضى ان يتولى علينا مولى من ختم فخرجوه واذ لم يستطع مناواتهم سار عنهم فكتبوا الى السفاح بذلك وأرسل اليهم السفاح أخاه يحيى فقدم يحيى الى الموصل باثني عشر ألف راجل ونزل قصر الامارة بجانب مسجد الجامع . وكان يحيى قد اضمر الشر بقلبه على أهل الموصل فأمسك منهم بغتة اثني عشر من كبارهم وقتلهم . ولما رأى الاهلون ذلك حملوا السلاح وقابلتهم العساكر الخراسانية فاحتال يحيى عليهم بأن اعطاهم الامان وجمعهم الى الجامع ثم أمر العساكر الخراسانية بقتلهم ففتكوا فيهم فتكاً ذريعاً . وقال صاحب تاريخ السكامل : انه قتل في ذلك اليوم أحد عشر ألفاً ولما كان الليل سمع يحيى عويل النساء اللواتي قتل رجالهن فأمر في الغد بقتل النساء والصبيان واستباحهم ثلاثة أيام فان سكان الموصل كانوا قد كثروا وازدادوا خصوصاً في زمن الامويين وكان في عسكره قائد معه أربعة آلاف زنجي قد أخذوا النساء قهراً فلما فرغ يحيى من قتل أهل الموصل ركب في اليوم الرابع وبين يديه الحراب والسيوف مسلولة فاترصته امرأة وأخذت بعنان فرسه ولما أراد أصحابه قتلها نهام عن ذلك فقالت له المرأة : ألسنت من بنى هاشم . اما تأنف للعرييات ان يتزوجن الزنج . فلم يجيبها بشيء وأرسل معها من يبلغها مأمنها ثم عاد يحيى الى داره . وقد أترفه كلام المرأة فجمع الزنج من الغد للبقاء وأمر بهم فقتلوا عن آخرهم . وكان سبب هذه المذبحة العظيمة في أهالي الموصل ما ذكره صاحب تاريخ السكامل : ان أهالي الموصل ندموا على مبايعتهم لبني العباس وأظهروا الكراهية لهم فمال فريق منهم الى الامويين وفريق منهم تشيعوا لابراهيم حفيد الحسن

ابن علي بن أبي طالب فارتاب منهم العباسيون واضمروا لهم الشر . ثم قدحت نار الفتنة بمحادث وهو اذ امرأة موصلية غسلت ثياباً وألقت الماء من السطح فوق علي رأس أحد الخراسانية فهجم على الدار وقد ظنّها فعلت ذلك عمداً وقتل أهلها فأمسكه أهل البلد وقتلوه ومن ثم ثارت الفتنة وكان ما كان كما ذكرناه . ولما بلغ الخبر الى السفاح خاف عواقب الأمور فعزل يحيى عن الولاية سنة ٧٥٠ (١٣٣ هـ) ليسترضي بذلك الاهالي

ثم نصب مكانه اسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس وكان اسماعيل حسن السيرة أحسن الى الأهالي فاحبوه واطاعوه

ومات السفاح في الانبار سنة ٧٥٣ (١٣٦ هـ) فتولى الخلافة بعده أخوه أبو جعفر المنصور وفي السنة السادسة من خلافته عزل عمه اسماعيل عن الموصل اذ كان قد أوجس منه خيفة لتظاهره بالعصيان والتمرد ثم ألقى القبض على بعض ذويه وأودعهم السجون وأقام مكانه على الموصل مالك بن الهيثم الخراساني أحد كبار الأمراء ^(١) وجمع مالك من الموصل جيشاً أرسله الى الخليفة ليسيره الى الديلم ^(٢) الذين كان شرهم قد عثى في البلاد . وكان أهالي الموصل قد اصطاح أمرهم مع الخليفة فأحبهم سيما لشجاعتهم ودربتهم في الحروب ونباتهم على الشدة ولهذا قدم الخليفة المنصور الى الموصل سنة ٧٦٠ (١٤٣ هـ) وذلك قبل ان يشرع ببناء بغداد ومكث فيها مدة من الزمان ثم عزل مالك بن الهيثم عن الموصل بعد بقاءه فيها ثلاث سنين وولى عليها ابنه جعفر وجعل معه حرب ابن عبد الله أحد كبار القواد بالعساكر الكثيرة لسكبج جاح الخوارج الذين كانوا قد عثوا في هذه الجهات وأقام حرب في الموصل فبنى له قصرأ منيفاً بأسفل الموصل عرف باسمه قصر حرب واليوم موقع هذا القصر عند قرية قنيطرة قبالة بانقاري قرية ابن الأثير وسكن هذا القصر جعفر بن المنصور

(١) ابن خلدون ج ٣ ص ٢٠٠

(٢) من سكان سواحل غربي بحر خزر ويقال لهم اجداد بني رويه وسناني على ذكرهم

وفيه ولدت الست زبيدة وانقاض هذا القصر باقية الى اليوم حيث ترى آثار
الرصيف على منحدر الرابية التي كان مشيداً عليها . ولم يلبث حرب على الموصل
زمناً طويلاً فان المنصور دماه اليه في السنة التالية وأرسله لمحاربة استرخان
الطوارزي الذي اغار على جهات أرمينية بجحاعة من أصحابه الترك وذبح من
المسلمين خلقاً كثيراً . ثم أرسل المنصور على الموصل والياً الصقر بن مجدة
وفي زمن ولايته خرج حسان بن مجالد الهمداني في نواحي الموصل بقرية
بانخاري على دجلة بجوار الموصل فسار اليه الصقر بعساكر الموصل سنة ٧٦٥
(١٤٨ هـ) وقاتله الا ان العساكر الموصلية هربت ملتجئة الى المدينة فتبعهم
حسان بأصحابه ودخل المدينة ونهبها وأحرق اسواقها ثم سار حسان عنها الى
الركة ولم يمكث هناك طويلاً فعاد الى الموصل ثانية وخرج عليه الصقر ومعه
الحسن بن صالح الهمداني وبلال القيسي بقباثلهما من سكان الموصل والتقى
الفريقان وتناوشا القتال فانهمز الصقر وأمر الحسن وبلال وامر حسان بقتل
بلال واستبقى على حياة الحسن لانه كان من ذويه . وكان الخليفة المنصور قد
قنع على أهالي الموصل وصار يتهمهم بالتشيع لعلي بن أبي طالب ناسباً خروج
الطوارج الى خيانة منهم وأنهم متصحبون لحسان . فمقد النية ان ينفذ الجيوش
الى الموصل للفتك بأهلها قصاصاً لهم على خيانتهم . وعلى هذا أمر المنصور
باحضار الامام أبي حنيفة وابن أبي ليلى وابن أبي شبرمة وقال لهم ان أهالي
الموصل شرطوا على أنفسهم ان لا يخونوا دعوة العباسيين ومتى خانوا حلت دماؤهم
واموالهم . فما قولكم وقد ثبتت خيانتهم عندنا . فسكت أبو حنيفة وتكلم
الآخران وقالوا رعينتك فان عفوت فانت أهل لذلك وان عاقبت فما يستحقون .
فقال الخليفة لابي حنيفة أراك ساكتاً يا شيخ . فقال أبو حنيفة أيها الخليفة لقد
أباحوك ما لا يملكون فأثر فيه كلام أبي حنيفة وعفى عن أهل الموصل . ثم
أراد ان يتلافى الخرق قبل ان يعظم حيث كان الاكراد والطوارج قد ملأوا
اطراف الموصل فساداً وخراباً فاشاروا عليه بتولية خالد بن برمك وكان معروفاً
بإصابة رأيه ومشهوراً بشجاعته فقدم خالد الى الموصل واغار على المفسدين

فقهرهم وكفهم عن الشر ودبر أمر البلاد وأحسن ادارتها فهابه أهل الموصل هيبة شديدة

وخلف خالداً في الولاية اسماعيل بن خالد بن عبد الله القسري سنة ٧٧٠ هـ (١٥٣ م) وقال ابن خلدون سنة ١٥١ هجرية (وأقام فيها سنتين ثم عزله المنصور واستعمل مكانه موسى بن كعب الخثعمي وكان هذا ذميمة السيرة متقاعساً عن شؤون الادارة وجباية الأموال ومعاقبة الأكراد الذين فشا شرهم في أطراف الموصل والجزيرة . فلما بلغت هذه الأحوال الى الخليفة المنصور استدعى أركان دولته واستشارهم فيمن يقيم على الموصل فأشاروا عليه بخاله ابن برمك . فقال لا يصلح لنا بعد الذي أغرمناه . وكان ذلك ان المنصور اغرم خالد بن برمك ثلاثة ملايين درهم وهي تساوي تقريباً ١٠٠٠٠٠٠ جنينه وأجله ثلاثة أيام فان أحضر المال والا قتله فجمع خالد كل ما بيده من أموال وضياع وغيرها واستقرض من أصحابه وجمع في يومين مليونين وسبعمئة ألف وبقي ثلاثمئة ألف وقد تعذر عليه جمعها وأشكل أمره فأيس من الحياة وجلس في بيته ينتظر رسول الخليفة ، وبينما هو كذلك حضر اليه خادم الخليفة يدعوه فسار وقد أيقن بالهلاك فلما مثل بين يديه صفح له المنصور عن الثلاثمئة ألف الباقية وولى ابنه يحيى اذربيجان وسير خالداً الى الموصل ومعه ابنه المهدي وقال للمهدي اذا وصلت المدينة ألق القبض على موسى وأحسن وثاقه وأرسله مصفداً فسارا كلاهما الى الموصل وأرسل المهدي في طلب موسى فحضر اليه ثم أرسله مقيداً سنة ٧٧٤ هـ (١٥٨ م) (١) ولبث خالد على ولاية الموصل الى أن مات المنصور وأصلح خالد أحوال الولاية ورتب شؤونها . وينقل صاحب تاريخ الكامل عن أحمد بن محمد بن سوار الموصل قال : ماهبنا أميراً قط هيبتنا خالداً من غير أن يشتد علينا . فتحسنت أحوال الموصل وطردها الأكراد ورتع أهلها في أمن وارف

الفصل التاسع

كثرة الخوارج في الموصل ومحاولة بعضهم الاستيلاء عليها

لبثت الفتن والثورات الأهلية تشغل الموصل حتى في شرح شباب الدولة العباسية رغماً عن سطوة خلفائها وانتظام ملكها وانتشار الأمن في انحاءها وأخص أسباب هذه الثورات والاضطرابات في الموصل هي بقاء الخوارج منتشرين في البلاد العربية منذ نشوء النزاع في التحكيم في حرب صفين ثم كثرة القبائل المتباينة أخلاقاً والمختلفة آمالاً وزادت هشماً على النار القبائل البدوية التي كانت ضخمة ثمة وأكثرهم عدداً وقوة هم بنو شيان الذين كانوا قد انتشروا في أطراف الموصل سيما في شرقيها . فلما توفي المنصور وبويع بالخلافة لابنه المهدي سنة ٧٧٤ (١٥٨ هـ) أقرّ المهدي خالداً بن برمك على ولاية الموصل الى سنة ٧٧٧ (١٦١ هـ) وفي هذه السنة طلبه الى بغداد ليجعله مع ابنه هارون على المغرب واذريجان وأرمينية فولى مكانه على الموصل حسان السردى ثم عزله بعد سنتين لضعفه عن اصلاح الاضطرابات وجعل مكانه محمد بن الفضل . وحارب محمد الخوارج وقتل زعيمهم ياسين من بني تميم وكان قد تغلب على اكثر ديار ربيعة وفرق شمل اصحابه . ثم عزل المهدي محمد بن الفضل وولى مكانه أحمد بن اسماعيل الهاشمي سنة ٧٨١ (١٦٥ هـ) واستمر أحمد على ولاية الموصل حتى توفي المهدي سنة ٧٨٥ (١٦٩ هـ) وجلس بعده على عرش الخلافة ابنه الهادي فاستعمل على الموصل هاشم بن سعيد بن خالد الا انه عزله بعد مدة وجيزة لسوء سيرته في الرعية وولى مكانه عبد الملك بن صالح . ثم مات الهادي سنة ٧٨٦ (١٧٠ هـ) وخلفه أخوه هارون الرشيد فآثر على الموصل عبد الملك الهاشمي

وفي السنة التالية لمبايعة الرشيد ظهر الصمصحة الخارجي بالجزيرة وأقعد جداً ثم سار الى الموصل والخش فيها قتلاً ونهباً واستولى أيضاً على ديار ربيعة .

فجز الرشيد جيشاً وسار اليه وبدد أصحابه ايادي سبا ثم عزل عبد الملك وجعل مكانه اسحق بن محمد بن فروح . وبعد ان اقام اسحق على ولاية الموصل سنة كاملة عزله الرشيد واستعمل مكانه سعيد بن سلم الباهلي وبعده استعمل الرشيد على الموصل الحكم بن سليمان سنة ٧٩٢ (١٧٦ هـ) وفي ايامه خرج الفضل الخارجي بنواحي نصيبين فاخذ من أهله مالا كثيراً وقدم يطلب الموصل ولما قاربها خرجت عليه الاهالي ليدفعوه عنهم فحمل عليهم الفضل وهزمهم الى الزاب ثم كروا بشجاعة وثبات فقاتلوه قتالاً شديداً حتى قتلوه مع أصحابه . وبعده تولى الموصل محمد بن العباس الهاشمي . ثم تغلب عليه العطاف بن سفيان الازدي سنة ٧٩٣ (١٧٧ هـ) واغتصب منه الولاية وكان العطاف من فرسان أهل الموصل وشجعانها فاجتمع عليه أربعة آلاف رجل ثم صار يجبي الخراج واتفق معه الاهلون وبقي على ذلك أكثر من سنتين والرشيد عاجز عنه حتى أقبل عليه بنفسه برأس جيش كثيف فاحتاط بالموصل وهدم اسوارها ^(١) وأقسم ليقتلن أهلها وليدعنها خراباً فنعه القاضي أبو يوسف . اما العطاف فانه لما رأى قوة الرشيد هرب الى أرمينية . ثم استعمل الرشيد على الموصل يحيى بن سعيد الحرشي (سنة ١٨٠ هـ) واوصاه ان يضيق على الاهلين في الضريبة انتقاماً منهم على عصيانهم فاساء يحيى السيرة في الأهالي وظلمهم وصار يطالبهم بخراج السنين التي مضت وزاد في التشديد عليهم حتى جلا كثيرون عن الاوطان ونحا منعى ابن سعيد في الشدة والظلم اخلافه في الولاية كيزيد ابن مزيد بن زائدة الشيباني الذي تولى الموصل سنة ٨٠٠ (١٨٤ هـ) وخلفه خالد بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب سنة ٨٠٥ (١٩٠ هـ) وبقي حولا كاملاً على ولايتها . ثم عزل ونصب مكانه محمد بن الفضل بن سليمان ^(٢) ولما مات هارون الرشيد سنة ٨٠٨ (١٩٣ هـ) خلفه على سرير الخلافة

(١) أبو الفدا ج ٢ ص ١٦

(٢) طالع ابن خلدون ج ٣ ص ٢٢٧

٢ بنه الامين فاستعمل الامين على الموصل ابراهيم بن العباس . وكان الرشيد في حياته قد أعطى ولاية العهد لابنه الامين ومن بعده لابنه المأمون . أما الامين فعزل أخاه المأمون عن ولاية العهد بأغراء بعض المفرضين من بطانته وجعلها لابنه موسى . وكان المأمون آنئذ في خراسان فتمصب له أهل خراسان وبايعوه بالخلافة ونشروا لواء العصيان على الامين . فجهز الامين عسكرياً وسبره على خراسان . وأرسل المأمون جيشه بقيادة طاهر بن الحسين . وبعد حروب طويلة تفهقرت جيوش الامين . وتبعها طاهر بمساكره حتى دخل بغداد سنة ٨١٣ (١٩٨ هـ) فضبطها وقتل الامين . وفي تلك الآونة ظهر نصر بن شبيب العقيلي وكان نصر من خاصة الامين ومريده . وقد شق عليه قتله . فقام للانتقام وتغلب على ما يجاوره من البلاد وكان يسكن كيسوم ناحية في شمالي حلب . وتحزب له عرب تلك النواحي حتى قوي أمره وسار يطلب الجزيرة والموصل ليستولي عليها . فسير المأمون طاهراً قائد الجيش الخراساني الى محاربة نصر العقيلي . وولاه الموصل والجزيرة والشام . فسار طاهر الى قتال نصر . وكتب له يدعو الى الطاعة وترك الخلاف فلم يجبه الى ذلك . ثم التقوا بنواحي كيسوم واقتتلوا قتالاً شديداً أبلى فيه نصر بلاء حسناً وكان الظفر من جانبه فعاد طاهر شبه المهزوم الى الرقة . ثم سير المأمون جيشاً آخر على نصر بقيادة عبد الله بن طاهر . فضيق على نصر بكيسوم وبعد وقائع كثيرة التي عليه القبض وأرسله الى المأمون مكبلاً بالاغلال سنة ٨٢٤ (٢٠٩ هـ)

بينما كانت جيوش الخليفة منسحقة في محاربة نصر العقيلي شبت بالموصل ثورة يسميها ابن الاثير بواقعة الميدان وكان سببها ان عثمان بن نعيم البرجمي صار الى ديار مضر فشكا الازد واليمن من عرب الموصل وقال انهم يعتدون علينا ويغلبوننا على حقوقنا . فسار معه الى الموصل من القبائل النزارية نحو عشرين ألفاً وهم من عرب مضر . وبلغ الخبر الى علي بن الحسين الهمداني . وكان متغلباً على الموصل . اذ ان الموصل على ما بيان كانت قد أصبحت فوضى

يحكم فيها المتغلبون اثناء الحروب التي جرت بين المأمون وأخيه . وبين المأمون ونصر العقيلي . فلما وصل النزارية قرب الموصل خرج اليهم علي من المدينة في نحو أربعة آلاف رجل من أهلها وانتشب القتال بينهم فظفر علي بالنزارية وقتل منهم خلقاً كثيراً ولاذ البقية بالهزيمة . وما هدأت هذه الفتنة حتى ثارت الاخرى وكانت هذه الفتن والاضطرابات الكثيرة للسبب الذي سبقنا فبيناه عن اختلاف القبائل العديدة ودواعي التشاحن القديمة . فثارت الفتنة سنة ٨١٤ (١٩٩ هـ) بين بني ثعلبة وبين بني سامة وسامام ابن خلدون بني شامة ^(١) وخرج بنو ثعلبة خارج المدينة وتبعهم بنو سامة في ألف رجل واشتد بينهما القتال في مكان يقال له الفوجاء ^(٢) ولما بلغ خبرهم الى علي الهمداني أرسل عايبهم رجالاً أمسكوا جماعة من بني سامة ومن بني ثعلبة والقاهم في السجن فسكنت الفتنة . وكان علي قد استبد بالولاية وأساء السيرة وأذلّ القبائل العربية . فخرج ذات يوم بجماعة من قومه بني همدان ومن الازد الى رستاق نينوى والمرج . فقال نعم البلاد لقبيلة واحدة فقال له الازد ونحن ماذا نصنع . اجابهم تلحقون بعمان ومن ذلك نشأت البغضة بين القبيلتين . وصارت الواحدة تتحين الفرص للايقاع بصاحبها . وحدث ان علياً أخذ رجلاً من بني ازد يدعى عون بن جبلة وبني عليه حائطاً فثار بنو ازد وركبوا خيلهم وعليهم السيد بن أنس وحملوا على علي وأصحابه وهزموهم ثم هزيمة . فلما ضاقت الامور بعلي أرسل يستعين بأحد الخوارج يقال له مهديّ ابن علوان فأثاه واعانه على بني ازد ودخل المدينة وأبطل دعوة المأمون ثم اشتدت الحرب ثانية بين الفريقين وحي وطيّسها فدارت الدائرة على علي وأصحابه وانهمزوا الى الحديثة وبنو ازد يتفقونه حتى قتلوا علياً وأخاه أحمد مع جماعة من ذويهما ونجا محمد أخو علي الى بغداد فماد بنو ازد الى الموصل منصورين وتولى السيد أمرها وخطب للمأمون واطاعه . وكان المأمون بمرجان فلما عاد

(١) ج ٣ ص ٢٥٠

(٢) ابن خلدون ج ٣ ص ٢٥٠

الى بغداد سنة ٨١٩ (٢٠٤ هـ) حضر اليه محمد بن حسن الهمداني وتظلم اليه من السيد بن انس وشكا اليه قتل أخويه وأهل بيته فأرسل المأمون في طلب السيد ولما حضر اليه الى بغداد سأله المأمون أنت السيد اجابه أنت السيد يا أمير المؤمنين وأنا بن انس فاستحسن المأمون جوابه وقال له أنت قتلت أخوي هذا . قال نعم ولو كان معهما لقتلته لانهم أدخلوا الخارجيين مدينتك وأعلوه على منبرك وأبطلوا دعوتك . فعفا عنه وأقره على الموصل ومن ثم عاد ابن انس ونشر الأمن والعدالة حتى كانت سنة ٨٢٢ (٢٠٧ هـ) . وكان العرب قد كثروا في نواحي الموصل وأغلبهم من بني شيبان ووديعه^(١) فأفسدوا نهبا وقتلا وسلبوا أمن البلاد وأفلقوا راحة العباد فكتب المأمون الى السيد يأمره بالمسير الى بني شيبان وغيرهم من العرب فصار اليهم وكبسهم بالدسكرة ونهب أموالهم وقتل منهم وفرق شمل الباقيين ثم عاد وبقي السيد في ولاية الموصل وقد أحسن تدبيرها حتى كانت سنة ٨٢٦ (٢١١ هـ) وفيها رفع لواء العصيان زريق بن علي ابن صدقة وهو موصل وسار خارج الموصل وكان بينه وبين السيد قديم عداوة فجمع له من قبائل العرب وتغلب على الجبال التي بين الموصل وآذربيجان وجرت بينه وبين السيد حروب كثيرة اشتهر فيها زريق وذاع صيته فتبعته القبائل الكثيرة حتى أصبح يرأس ما ينيف على أربعين ألفا سيرهم الى الموصل لمقاتلة السيد فخرج اليهم في أربعة آلاف والتقى الفريقان بسوق الاحد قريبا من الموصل وحمل السيد وحده كعاداته في الحروب فقاتله رجل من أصحاب زريق واقتتلا حتى قتل الواحد صاحبه فوقما كلاهما ميتين

ولما بلغ المأمون قتل السيد حزن عليه جدا وسير محمد بن حميد الطوسي الى محاربة زريق وولاه الموصل . فقدم محمد الى الموصل بجيشه سنة ٨٢٧ (٢١٢ هـ) وجمع رجال الحرب من اليمن وربيعة وسار لحرب زريق ومعه محمد بن السيد ابن انس الأزدي وتقدم زريق نحوهم فالتقوا على الثاب وقبل ان يتناجزا الحرب كتب محمد بن حميد يدعوهم الى الطاعة فامتنع وعلى هذا انتشب القتال

بينهما فانهزم زريق وأصحابه ثم أرسل يطلب الامان فامنه محمد وسيره الى المأمون . ثم كتب المأمون الى محمد بن الطوسي يأمره بأخذ أموال زريق من قرى وغيرها فاضبطها لنفسه وعلى هذا احضر اولاد زريق واخوته وأطلعهم على أمر الخليفة ثم قال لهم ان أمير المؤمنين قد أمرني به وقد قبلت ما حبابي إياه والآن أردت عليكم فشكروه على ذلك وبعد هذا سار محمد الى آذربيجان واستخلف على الموصل محمد بن أنس

ولما توفي المأمون سنة ٨٣٣ (٢١٨ هـ) وجلس بعده على سرير الخلافة أخوه المعتصم أبو اسحق محمد بن هارون الرشيد أقر محمداً بن أنس على ولاية الموصل حتى كانت سنة ٨٣٨ (٢٢٤ هـ) فعزله وولى مكانه أخاه عبد الله بن أنس وكان هذا حازماً شجاعاً قاتل أحد مقدمي الاكراد جعفر بن فهرجس وكان جعفر قد عصى بأعمال الموصل وتبعه خلق كثير من الاكراد وغيرهم واقام بما تيسر يجمع المال لنفسه فسار اليه عبد الله وأخرجه عن ما تيسر اما جعفر فهرب الى جبل داسن ^(١) حيث امتنع فيه . وكان عبد الله يتبعه رجاله متوغلاً في تلك المضائق حتى وصل اليه وقاتله فاستظهر جعفر ومن معه من الاكراد لاطلاعهم على المواقع ومراقبي تلك الجبال وشدتهم في الصعود عليها رجالاً فانهزم عبد الله وقتل كثير من جنده واشتهر من رجال عبد الله رباح وكان شجاعاً حمل على الاكراد فخرق صفوفهم وطعن فيهم وقتل حتى صار وراء ظهورهم وهو يشغلهم عن أصحابه فنجا منهم من أمكنه النجا . ولما تكاثر الاكراد عليه ألقى بنفسه وهو على فرسه من أعلى الجبل وكان تحته نهر فسقط الفرس في الماء ونجا رباح وهكذا تمت هزيمة جيش الخليفة . ولما بلغ هذا الحال الى المعتصم أمر ايتاخ الامير التركي بالمسير الى جعفر فتجهز وسار نحو الموصل سنة ٨٣٩ (٢٢٥ هـ) وقصد جبل داسن فلاقاه جعفر وانتشب بينهما

(١) في شمال الموصل من جانب دجلة الشرقي فيه من طوائف الاكراد الداسنية (ياقوت)

قتال شديد وقع فيه جعفر قتيلاً وتفرق أصحابه ايادي سبا فانكشف شمره واذاهُ عن الناس . ومن ثم اعمل ايتاخ السيف في الاكراد فقتل وأسر منهم خلقاً كثيراً واستباح أموالهم وحشر الاسرى والنساء والأموال الى تكريت

الفصل العاشر

مساور الخارجي وعصيان أهل الموصل على عمال الخليفة

توفي محمد المعتصم بالله سنة ٨٤١ (٢٢٧ هـ) وتبوا الخلافة بعده ابنه الواثق بالله وباتت البلاد بوقته في ظل أمن وارف . ثم توفي الواثق بالله سنة ٨٤٦ (٢٣٢ هـ) وخلفه على عرش الخلافة أخوه المتوكل على الله فعقد البيعة سنة ٨٤٩ (٢٣٥ هـ) لبنيه الثلاثة وهم المنتصر والمعتز والمؤيد فولى المنتصر بالله الحجاز واليمن والمراق وديار مصر وريبعة والموصل . ثم قتل المتوكل سنة ٨٦١ (٢٤٧ هـ) وخلفه ابنه المنتصر وقيل عنه انه دس لقتل ابيه . ومات المنتصر سنة ٨٦٢ (٢٤٨ هـ) وتولى الخلافة من شوال الى ربيع الآخر فبايع امراء الاتراك ومنهم بغا الكبير وبغا الصغير بالخلافة للمستعين ابن محمد بن المعتصم ثم ثار عليه الجند فخلعوه وبايعوا للمعتز بن المتوكل سنة ٨٦٦ (٢٥٢ هـ) وفي السنة الاولى من خلافته ظهر أمر مساور بن عبد الحميد البجلي الموصل بالبوازيخ^(١) وكان يتولى أمر شرطة الموصل على قبيلة بني عمران وكان سبب عصيانه نزاعه مع حسين بن بكير فجمع مساور جماعة من أصحابه ثم كثر اتباعه من الاكراد والاعراب وسار يطلب الحديثه حيث كان حسين فهرب منه حسين . ثم ان مساوراً قصد الموصل ونزل بجانبها الشرقي وكان عليها عقبة بن محمد بن جعفر بن الاشعث بن هاني الخزاعي فخرج عقبة على العصاة وقتلهم من الجانب الغربي وردهم عن المدينة ثم تبعتهم العساكر ولاقتهم قريباً

(١) وأصلها يث واذيق ثم سماها العرب البوازخ او البوازيخ وهي بلدة كانت بجوار تكريت على فم الزاب الاسفل حيث يصب في دجلة

من جلولا^(١) وانتشبت بينهما القتال دارت فيه الدوائر على عساكر الخليفة .
فعمم شأن مساور وكثر اتباعه حتى استولى على أكثر أعمال الموصل
فلما تولى الموصل الحسن بن أيوب بن أحمد التغلبي سنة ٨٦٨ (٢٥٤ هـ)
جمع عسكرياً عظيماً جعل عليه امرأ الموصل ومنهم كان حمدان بن حمدون جد
الملوك الحمدانية فقصده مساوراً وعبر نهر الزاب وتأخر عنه مساور حتى نزل
بموضع يقال له وادي الريات - وهو واد عميق - وكان الحسن يتبعه ثم التقوا
واشتد القتال بين الفريقين فانكسرت عساكر الموصل وانحن مساور واتباعه
فيهم الجراح وكثيرون منهم سقطوا في الوادي وهلكوا ولم ينج منهم الا
الحسن . فذاع صيت مساور وخافه الناس . ثم أقبل على الموصل في خلافة
المهتدي بالله ونزل بظاهرها عند الدير الاعلى^(٢) وكان حينئذ على المدينة
عبد الله بن سليمان بن عمران الازدي . فلما سمع بقدومه خاف على نفسه فاختفى
منه ولم يشأ أهل الموصل الدفاع عنه لشدة بغضهم له فوجه مساور جمعاً
الى دار عبد الله أمير المدينة ونهبها وأحرقها ثم دخل الموصل بغير حرب ولا
معارضة . ولما كانت الجمعة دخل المسجد الجامع وصعد على المنبر فخطب وجعل
على درج المنبر رجالاً من ثقافته يحرسونها بالسيوف وكذلك في الصلاة . ثم
فارق الموصل ولم يرد المقام بها خوفاً من أهلها فسار الى الحديثة وكان قد
اتخذها دار هجرته . وأرسل المهتدي بالله جيشاً عظيماً بقيادة موسى بن بغا
وبابكيال لمحاربة مساور فوصلوا الى السن وقاموا هناك يتحينون الفرص واذا
ذاك ثارت في بغداد فتنة خلع المهتدي فرجعت الجنود القهقري الى بغداد
ولما جلس المعتمد على سرير الخلافة سنة ٨٦٩ (٢٥٦ هـ) سير مملحاً وهو
أحد ثقافته الى قتال مساور في عسكر جرار حسن العدة فلما قارب الحديثة هرب
(١) جلولا تبعه عن خاتمين سبعة فراسخ (يافوت) وبها كانت الواقعة المشهورة على
الفرس للمسلمين (سنة ١٦ هـ)
(٢) وهو دير مار جبرائيل اسسه جبرائيل الكشكري في اوائل القرن الثامن للميلاد وكان
ديراً طامراً في وقت السككdan النساطرة وخرابته اليوم عند القلعة المسماة باشطاية

مساور فتتبعه مفلح فمطف عليه مساور وهو في أربعة آلاف فارس فاقتتلوا
ولما آيس مساور من الظفر لجأ الى الهزيمة ثانية . فسار مفلح الى ديار ريعة
ثم عاد الى الموصل فنظر في امرها وأحسن فيها السيرة غير ان مساوراً بعد ان
جمع له عسكرياً وافياً وتجهز بما يلزم لاثارة الحرب عاد الى الحديثة وتبعه مفلح
بمساكره فانتشب القتال بينهما وقتل من عساكر مفلح عدد عظيم حتى اجبر
على الانسحاب الى سامرا واستولى مساور ثانية على البلاد وجبى الخراج .
فودع المعتمد أمر الموصل الى اساتكين وكان من اكابر قواد الاثراك فسير
أساتكين الى الموصل ابنة اذكوتكين سنة ٨٧٢ (٢٥٩ هـ) فأتاها اذكوتكين
وطرد عنها الخوارج وتولى أمرها الا انه لم يحسن السيرة فيها . من ذلك انه
دعا ذات يوم في موسم من المواسم وجوه الموصل واعيانها الى قبة الميدان
واحضر انواع الملاهي واكثر من شرب الخمر جهاراً هو واصحابه فاستقبح
الاهالي فعله ثم حدث في تلك السنة برد شديد قارس اتلف الاشجار والثمار
والغلات وطالب اذكوتكين الناس بالخراج على الغلات وشدد عليهم في الطلب
وأخذ يظلم ويعيث باموال الناس فكان لا يسمع بفارس جيد عند أحد الا
اخذه واهل الموصل صابرون الى ان تجرأ اصحابه على التعرض للنساء فنثرت
غيرة الاهالي وزجروهم على فعلهم هذا ومنعومهم ولما بلغ الخبر الى اذكوتكين
أمر باحضار المعارضين من الاهالي وبضربهم فاجتمع اهالي الموصل الى الجامع
الخارجي وقالوا : لقد صبرنا على أخذ الاموال وسب الاعراض وابطال السنن
والعسف وقد افضى الامر بهم الى التعرض للنساء . فأجمعوا رأيهم على اخراجه
والشكوى الى الخليفة ولما بلغ الخبر الى اذكوتكين ركب اليهم بجنده وأخذ
معه النفاطين فخرج اليه الاهالي وقاتلوه قتالا شديداً وما اتفكوا عنه حتى
اخرجوه عن المدينة ثم نهبوا داره واصابوه بحجر انخنوه فهرب الى سامرا
من يومه .

قال ابن خلدون : وانتقض أهل الموصل أيام المعتمد سنة ٢٥٩ هجرية

واخرجوا العامل وهو ابن اساتكين الهيثم بن عبدالله بن العتمد العدوي من بني ثعلب فامتنعوا عليه وولوا مكانه اسحق بن ايوب^(١) وخالفه ابن الاثير قال : ان أهالي الموصل بعد امتناعهم على ابن اساتكين اجتمعوا الى يحيى بن سليمان أحد أعيان المدينة فقلدوه امرهم واستمروا على ذلك مجاهرين بالعصيان الى بدء سنة ٨٧٤ (٢٦١ هـ) وفيها كتب اساتكين الى الهيثم بن عبدالله بن المعمر التغلبي ان يتقلد ولاية الموصل وارسل اليه الخلع والواء . وكان ابن عبدالله بديار ربيعة فجمع جموعاً كثيرة وسار الى الموصل ونزل بالجانب الشرقي ودجلة تحول بينه وبين المدينة فخرج اليه الاهالي وناوشوه القتال ثم عدل عن مكانه وقطع دجلة الى الجانب الغربي وزحف الى باب المدينة وهو باب الابيض فقابل به يحيى بن سليمان مع الاهالي وقتلوه ودفعوه عن المدينة بعد ان ائتمنوا الجراح في اصحابه . ثم ان اساتكين ارسل على الموصل اسحق بن ايوب التغلبي فخرج في جمع يبلغ عددهم عشرين ألفاً معهم حمدان بن حمدون ، وكان من عادة الخلفاء اذا عصت عليهم مدينة أو قبيلة ان يثيروا عليها قبيلة أو قبائل اخرى حتى يذعنوا . فنزل اسحق بن ايوب عند الدير الاعلى فقاتله أهل الموصل ومنعوه مدة وفي تلك الاثناء مرض الامير يحيى بن سليمان فطعم اسحق في المدينة وجد في الحرب حتى انكشف الناس بين يديه ودخل المدينة ووصل الى سوق الاربعاء واحرق سوق الحشيش فخرج أحد الاهالي من مشاهير العدول واسمه زياد بن عبد الواحد وعلق في عنقه مصحفاً واستغاث بالمسلمين فانثارهم وعادوا الى الحرب وحملوا على اسحق واصحابه حملة أخرجوهم عن المدينة وبلغ يحيى ذلك فأمر ان يحمل في صحفة ويحمل أمام الصف . فلما رآه أهل الموصل قويت نفوسهم واشتد قتالهم وما زال الأمر كذلك واسحق يرسل الاهالي ويلاينهم ويمدهم الامان من نفسه والاحسان اليهم حتى أذنوا لهم بالدخول الى المدينة وشرطوا عليه ان يقيم في الربض الأعلى وربما هو

ما يجاور المحلة المسماة اليوم « محلة القلعة » وبعد مضي ايام فلائل وقعت خصومة بين بعض أصحابه وبين قوم من الاهالي فاستأنقوا القتال ولم ينفك عنه الاهالي حتى أخرجوه مع أصحابه من المدينة واستقر الأمر بالموصل ليجي بن سليمان

فلما بلغت هذه الأخبار الى المعتمد على الله عزل اساتكين عن الموصل في شهر شوال من السنة عينها (٢٦١ هـ) وولى ابنه جعفر العهد ولقبه المقوض الى الله وضم اليه موسى بن بغا فولاه افریقیة ومصر والشام والجزيرة والموصل وأرمينية . وسعى موسى في ازالة اسباب الثورة وتهديد الأمور في الموصل فاستعمل عايبها والياً أحد أهاليها وهو الخضر بن أحمد التغلبي ارضاء لخواطر الاهالي فاخذوا الى السكون وسارت المياه على مجاريها وهكذا أصلح الخضر الخلل الذي سببته تلك الفتن السابقة وأحسن ادارتها

الفصل الحادى عشر

ولاية ابن كنداجق على الموصل وما كان من أمره مع ابن أبى الساج ثم توطد الأمن بخضوع بني شيبان وتفرق أصحاب هارون البجلي بعد ما قضى الخضر بن التغلبي على ولاية الموصل نحو ست سنوات عزل عنها فعمدت الولاية الى اسحق بن كنداجق سنة ٨٨٠ (٢٦٧ هـ) ^(١) وكان الخوارج لم يزالوا على عصيانهم وفسادهم فعزم ابن كنداجق على قطع دابرهم الا انه اعتبر وعورة المسير في سبيل الحصول على غايته سيما وان هؤلاء العصاة قد ضبطوا القرى وتحصنوا فيها وتبعهم الكثيرون من أهل الفساد حتى تقوا وأصبح اخضاعهم بالقوة ممتنعاً ففتقت له حيلته ان يفرق بينهم بالعداوة والبغضاء لينزع شرهم العاتي في بلاده وكان مساور قد توفى سنة ٨٧٦ (٢٦٣ هـ)

وتولى زعامة العصاة محمد بن خرزاد وابن خلدون يسميه ابن خرداد^(١) فنقل ذلك على هارون البجلي وهو من كبار اعوان مساور وادعى الزعامة لنفسه فشق عصى الطاعة على ابن خرزاد وسار باتباعه وهم كثيرون على اعمال الموصل فاستولى عليها وحبي خراجها . ومن ثم انتهر ابن كنداجق فرصة ذلك واتخذ الى ابن خرزاد من يحته ويحركه على قتال هارون ويسهل له الظفر به . فجمع محمد بن خرزاد رجاله لمقاتلة هارون البجلي وسار بهم حتى نزل واسط وهي قرية في نواحي الموصل^(٢) وكان البجلي بمعلثايا^(٣) يجمع أيضاً لقتال محمد . ثم التقى الفريقان قريباً من باعدرا . وبعد قتال شديد وقع فيه من أصحاب هارون نحو مئتي قتيل وانهزم هارون بمن بقي معه وعبر دجلة الى عرب بني تغلب ليستنصرهم على ابن خرزاد فاجتمع له خلق كثير في الحديثة . ثم أخذ يرسل أصحاب ابن خرزاد حتى استمالهم اليه ولم يبق مع ابن خرزاد الا نفر يسير من عشيرته الشمرلية وهم من أهل شهر زور . فتفرد هارون برياسة الخوارج وكثر اتباعه وغلب على القرى والرساتيق ثم جعل على دجلة من يأخذ (الخوّة) أو الخاوة من الأموال الصادرة والواردة، وبث أيضاً نوابه في الرساتيق يأخذون الاعشار من الغلات . اما ابن كنداجق حامل الخليفة فانه لم يستفد من الخطة التي وضعها لانشغاله عن الخوارج بمحاربة خارويه . وذلك ان المعتز بالله كان قد اقطع الديار المصرية لبابكيال أحد كبار قواد الاتراك سنة ٨٦٨ (٢٥٤ هـ) . فاستعمل بابكيال على مصر أحمد بن طولون من الامراء التركية . ولم يمض زمان طويل على ولاية أحمد بن طولون حتى استبد بالأمر واستقل بالولاية في خلافة المعتمد على الله . ومنه بدأت الدولة الطولونية ومصر ثم استولى أحمد على الشام وما يتبعها وتوفي سنة ٨٨٣ (٢٧٠ هـ) خلفه في الدولة الطولونية ابنه أبو الجيش خارويه . وكان ابن كنداجق قد

(١) ج ٣ ص ٣٢٩

(٢) يافوت

(٣) معلثا أو معلثايا وهي اليوم قرية صنية بقرب دهوك

اتفق مع محمد بن أبي الساج العامل على قسم من بلاد الجزيرة على محاربة خمارويه في الشام وأخذها منه . ولما استمد الخليفة المعتمد وعدها اتقاز الجيوش ومن ثم جمع ابن كنداجق جيشاً من الموصل وسار يطلب الشام حتى التقى مع ابن أبي الساج فاستوليا على الشام وما يجاورها وطردا عنها عامل خمارويه . اما خمارويه فانه أرسل جيشاً ثم عاد الجيش منكسراً فقصده خمارويه الشام بنفسه مع جيش كثيف وعسكر في الرملة لخمّل عايه المعتمد واشتدت الحرب بينهما وأخيراً اسفرت عن انهزام عسكر الخليفة واستولى خمارويه ثانية على الشام

ثم فسد الحال بين ابن أبي الساج واسحاق بن كنداجق وكانا متفقين في الجزيرة وذلك أن ابن أبي الساج نافر اسحق في الأعمال وأراد التقدم عليه ثم افضى بهم هذا الحال الى النزاع والبغضاء . فأرسل ابن أبي الساج الى خمارويه يقدم له الطاعة ويمدّه بالخطبة له في أعماله وهي قنسرين (١) فبعث له خمارويه بمال جزيل واجتمع به في الشام وجهز له جيشاً وسيره الى محاربة ابن كنداجق فزحف ابن أبي الساج وطرد ابن كنداجق عن الموصل واستولى عليها وخطب فيها لخمارويه ثم أرسل طائفة من عسكره بقيادة فتح أحد أصحابه الى مرج الموصل ليجبوا منها الخراج وكان اليعقوبية الشراة من الأكراد بالقرب منه فكبسهم فتح واجتاح أموالهم وفرقهم أيادي سبا ثم عاد اليعقوبية وجمعوا قوتهم وحملوا على فتح حملة رجل واحد فهزموه وقتلوا من رجاله عدداً عظيماً ولما استقر الأمر لابن أبي الساج في بلاد الموصل طمع فيها وعصى على خمارويه وخطب لنفسه فيها فقصده خمارويه بعساكره سنة ٨٨٨ (٢٧٥ هـ)

(١) قنسرين بلدة كانت في الجنوب الغربي من حلب تبعد عنها ٢٥ كيلو مترا وكانت واقعة على الساحل الغربي من نهر قويق . افتتحها العرب الاسلام سنة ٦٣٨ (١١٧ هـ) على يد أبي عبيدة بن الجراح ثم خربت في زمان سيف الدولة بن حمدان في أواسط القرن الحادي عشر للميلاد وهي اليوم أرض فراء

وانقش بينهما القتال ولم يلبث ابن أبي الساج أن ولى هارباً فاستباح خارويه معسكره وأخذ الأثقال والدواب واقتنى أثره ليلقي القبض عليه حتى وصل الى بلد وكان ابن أبي الساج قد سبقه الى الموصل فتبعه خارويه اليها ونقل ابن الأثير في الكامل (١) عن أبي زكريا الأزدي الموصلي صاحب تاريخ الموصل أن خارويه لم يدخل الموصل بل مكث مقيماً في بلد . فانهز ابن كنداجق هذه الفرصة للانتقام وقصد خارويه وهو ببلد واطهر له الطاعة طالباً الانخراط في خدمته . فسير خارويه معه عشرين ألف فارس وأمره أن يلحق بابن أبي الساج حتى يدركه وكان ابن أبي الساج بالنفي فارس قد هرب الى تكريت فجد ابن كنداجق في طلبه حتى أدركه في تكريت .

ولما رأى ابن أبي الساج عدده وعدته خاف على نفسه فهرب الى الموصل ونزل بظاهرها عند الدبر الأعلى ولحقه ابن كنداجق واشتد القتال بينهما . وبعد قتال عنيف ولى ابن كنداجق منهزماً برجاله فكتب ابن أبي الساج الى الخليفة يعرفه الحال ويطلب منه مدداً ليسير الى الشام فيستولى عليها غير ان الخليفة لم يثق به لخياسته السابقة . وكان ابن كنداجق قد سبقه الى الخليفة المعتمد على الله وبذل له الطاعة فآقره على ديار ربيعة والموصل . ثم توفي اسحق ابن كنداجق سنة ٨٩١ (٢٧٨ هـ) فتولى بلاد الموصل وربيعة ابنه محمود وكان لا يقيم في الموصل فجعل نائباً عليها هارون بن سببا

ثم توفي المعتمد على الله سنة ٨٩٢ (٢٧٩ هـ) وتبوأ بعده عرش الخلافة أبو العباس بن أبي محمد الموفق بالله بن المتوكل وسمي المعتضد بالله وفي السنة الأولى من خلافته تجمع بنو شيبان جمّاً غفيراً فعبروا الزاب بخيهم واثقالهم قاصدين شن الغارة على نينوى والموصل . فاجتمع على قتالهم هارون البجلي وحمدان بن حمدون التغلبي وانضم اليهم المتطوعة من خيرة أهل الموصل .

وكان بنو شيان قد نزلوا قريباً من بعشيقا^(١) ومعهم هارون بن سيما مولى أحمد بن عيسى بن الشيخ الشيباني وكان محمد بن اسحق بن كنداج لما أرسله والياً على الموصل لم يرضَ به الاهلون بل طردوه^(٢) وذلك كان سبباً لاثارة بني شيان فاتوا ينتقمون له من أهالي الموصل . ثم التقى الفريقان واشتبكا في القتال فانهزم بنو شيان وتبعهم الموصليون . اما بنو شيان فلاذوا بالهزيمة الى الزاب ليقطعوه ولما رأوا مياهه طامية ولا ملجأ لهم الا الصبر على القتال طردوا الكر وحلوا على عساكر الموصل وهم متفرقون في الخيم ينهبون ويسلبون ووقع فيهم بنو شيان قتلاً وطعنًا وهكذا عاد الظفر بجانب الاعراب وكتب هارون بن سيما الى محمد بن كنداج يخبره بالواقعة ويعرفه ان المدينة خارجة عن يده ان لم يحضر هو بنفسه فقدم محمد الى الموصل بجيش كثيف تخافه اهالي الموصل وأرسلوا بقتة الى بغداد يطلبون ازالة بني كنداج عنهم فسارت البعثة الموصلية والتقت عند الحديثة بمحمد بن يحيى المجروح قد ولاء المعتضد علي الموصل وهو قادم اليها . ومن ثم طردوا به الى الموصل وبعد أيام يسيرة وصل محمد بن كنداج وقد بلغه تعيين ابن يحيى فكتب الى خوارويه ابن طولون يلتمسه الشفاعة بحقه الى الخليفة وعلى هذا أرسل خوارويه الى الخليفة هدايا نفيسة يستعطفه في أمور كثيرة منها ان يعطي اماره الموصل لمحمد بن كنداج فأبى الخليفة محتجاً بالاغتشاشات التي جرت في الموصل وجلها ناجمة عن سوء ادارة العمال . واقام ابن يحيى في ولاية الموصل حتى عزله المعتضد وجعل مكانه على بن داود بن راهزار الكردي وبوقته ساءت احوال الموصل

(١) بعشيقا يدكرها الحوي ويسمى مدينة من بواحي نينوى ثم يذكر بساتينها واشجارها الكثيرة من الزيتون والنخل والزرنج ونهرها الجاري الذي يشق في وسط المدينة ويذكر عن سوقها الكبير وحماماتها وقبائرها وتجارها وعن قبر الشيخ أبي عبد الله محمد الراذاني الزاهد الموجود فيها وكان أهلها نصارى واليوم هي قرية صغيرة في شرقي الموصل تبعد عنها نحو أربعة فراسخ

وكثر فيها المشاغبون وتوالت عليها غارات بني شيبان فقال العجيني،
الشاعر الموصل:

ما رأى الناس لهذا الدهر — رمذ كانوا شبيها

ذلت الموصل حتى أمر الاكراد فيها

ثم ان الخليفة المعتضد سار الى الموصل بجيوشه سنة ٨٩٣ (٢٨٠ هـ) في أول صفر فأغار على بني شيبان المنتشرين في اطراف الجزيرة ونهب أموالهم وأعمل فيهم السيف فقتل منهم عدداً عظيماً. قال ابن الاثير: ^(١) وغنمت عساكر الخليفة من بني شيبان الغنائم الكثيرة حتى عجز الناس عن حمل ما غنموه فبيعت الشاة بدرهم والجلل بخمسة دراهم: وبعد ان كسر المعتضد شوكتهم وكبح جماحهم سار الى البقية منهم في جهات الموصل وبلد فلقية بنو شيبان يسألونه العفو ويطلبون منه الامان باذلين له الرهائن فاجابهم الى ما طلبوا وطاد المعتضد الى بغداد

ثم خرج الدفعة الثانية الى الموصل سنة ٨٩٤ (٢٨١ هـ) وسار الى قلعة ماردين وكانت لحمدان بن حمدون العاصي وقد تحصن فيها فهرب حمدان منها وخلف فيها ابنه فرجع المعتضد الى الموصل وكتب الى حمدان بن حمدون يأمره بالطاعة والمسير اليه الى الموصل فأبى حمدان. حينئذ جهز المعتضد جيشاً وأرسله تحت قيادة وصيف موشكير ونصر القشوري ووصلوا الى دير الزعفران حيث تحصن الحسين بن حمدان ومعه أصحابه وهم متاهبون للقتال. فلما رأى الحسين طليعة جيش الخليفة خاف على نفسه فطلب الامان وبعد ما أمنوه تسلموا منه القلعة واقتدوه الى المعتمد في الموصل. وبعد هذا سار وصيف في طلب حمدان وكان بياسورين ^(٢) فحمل عليه وصيف وقتل من أصحابه جماعة ثم انهزم حمدان في زورق كان له على دجلة الى الجانب الغربي الى ديار ربيعة وعبر نهر

(١) ج ٧ ص ١٦٥

(٢) يذكرها الحموي انها بجوار الموصل في شرقي دجلة

من الجند فقصوا أثره حتى أشرفوا على دير قد نزل . فترك حمدان مامعه من الأموال ونجا بنفسه فأخذها الجند وأتواها الى المعتضد وكانت بقية من الجند تغارد حمدان حتى ضاقت الأرض به فقصده خيمة رجل من الخوارج قد تاب الى الخليفة وهو اسحق بن أيوب واستجار به فاجاره اسحق ثم أحضره الى المعتضد فامر الخليفة بالاحتفاظ به ومن ثم تتابع رؤساء الكراد في طلب الامان ولم يبق الا هارون البجلي طليقاً وشراً فاش

ثم اقام المعتضد على الموصل نصر القشوري (القسوري) ^(١) لجباية الأموال وتعيين العمال . وفي تلك الايام جرى قتال بين حامل معلثايا وبين أصحاب هارون البجلي وفي تلك المعركة قتل جعفر وهو من أخص أصحاب هارون وأقربهم اليه مودة فعظم قتله عليه وأرسل أصحابه وأمرهم ان يفسدوا في البلاد نهباً وقتلاً فكتب نصر القشوري الى هارون الخارجي يتهدده بقرب الخليفة وانه ان هم به أهلك وأهلك أصحابه فلا يغتر بمن عاد عن حربه

فكتب اليه هارون جواباً منه : اما ما ذكرت عن اراد قصدي ورجع عني فانهم لما رأوا جدنا واجتهادنا كانوا باذن الله فراشاً متتابعاً وقصباً أجوف . وما غرك الا ما أصبت به صاحبنا فظننت ان دمه مطلول أو ان وتره متروك لك كلا ان الله تعالى من ورائك وآخذ بناصيتك ومعين على ادراك الحق منك . ولم تعيرنا بغيرك وتدع ان يكون مكان ذلك ابداء صفحتك واظهار عداوتك وانا واياك كما قيل :

فلا توعدوننا باللقاء وبرزوا اليينا سواداً نلقه بسواد
ولعمرك الله ما ندعو الى البراز ثقة بأنفسنا ولا عن ظن ان الحول والقوة
لنا لكن ثقة بربنا . واما ما ذكرت عن سلطانك فان سلطانك لا يزال منا قريباً
وبحالتنا عالمات فلا قدم أجلاً ولا أخره ولا بسط رزقاً ولا قبضه وستعلم عن قريب ان شاء الله تعالى

(١) ابن خلدون ج ٣ ص ٢٤٨

ولما وصل الكتاب الى نصر عرضه على المعتضد فولى المعتضد الحسن ابن علي كوره وأمره بقصد الخوارج . وأمر كافة مقدمي الولايات والاعمال بطاعته . وسار الحسن الى الخوارج وعبر الزاب فلقبهم قريباً من المغلة . ولما تصافوا للقتال انهزم الخوارج أقبح هزيمة بعد ما قتل منهم خلق كثير ونجا هارون بنفسه . ولما رأى أصحابه اقبال دولة المعتضد وقوته أرسلوا اليه يطلبون الامان فامنهم وأتاه كثيرون منهم ولم يبق من العصاة الا هارون للبعلي وسيرد ذكره

الفصل الثاني عشر

تقدم الموصل عمرانا وعلمنا في عهد الخلفاء العباسيين وقبلهم

كنا نود ان نسهب الكلام في هذا الفصل ارضاء لرغبة المطالع غير ان الموارد لذلك شاقة والكتب التاريخية التي بيدنا لا تبسط لنا من هذه المواد الا النزر مع ذلك فهذا القليل الذي وقفنا عليه يكفيننا دليلاً على تقدم الموصل علماً وحضارة قبل الفتوحات الاسلامية وبعدها

فان باباي الجبيلتي الذي عاش في أوائل القرن الثامن للميلاد أسس في حدياب أى بلاد الموصل أربعاً وعشرين مدرسة ينوه توما المرجي بذكرها واحدة فواحدة ^(١) . وينقل أيضاً ان باباي أسس فيها أي في حدياب ^(٢) ستين مدرسة في المدف والقرى الكبيرة واقام لادارتها ستين نائفة من المبرزين في العلوم وجعل لها اوقافاً وفية وسن لها القوانين والنظامات العجيبة . فسمى المؤرخون الاراميون ذلك العصر عصر الاستاذ باباي الجبيلتي ومن هذا يتضح ان بلاد الموصل كانت قبل الفتح الاسلامي راقية علماً وعمراناً ولما ملك العرب هذه الاصقاع زادوا في عمران الموصل حتى بلغت منه

(١) المرجي باب ٣ فصل ٣ ص ١٤٦

(٢) طالع عن مملكة حدياب الفصل الثاني من توطئه كتابنا هذا

في مدة يسيرة مبلغاً عظيماً وضاهت بكثرة سكانها العواصم الكبيرة كما يشهد بذلك الحموي والقرماني . على ان الموصل لم تكن بكثرة سكانها في عهد الخلفاء الأمويين والعباسيين أقل منها في عهد الحمدانيين والعقيلتين والأتابكيين كما سنذكره . والدليل على ذلك المذبحة العظيمة التي أحدثها في الموصل يحيى الهاشمي فاعمل السفاح سنة ١٣٢ هجرية وقد سلف الكلام عنها فانه قتل في يوم واحد أحد عشر ألفاً من الأهالي وبمده استأنف القتل فاعمل السيف في الموصل مدة ثلاثة أيام متوالية ^(١) . فعلى افتراض انه قتل في كل يوم أحد عشر ألفاً يحصل اذاً ان عدد القتلى بلغ في مدة الأيام الأربعة ٤٤٠٠٠ ومع هذا العدد العظيم من القتلى لم تخل المدينة من السكان بل ان الخليفة أبا جعفر المنصور جمع من الموصل سنة ١٤٤ هجرية جنداً عظيماً وسيرهم لمحاربة الديلم ^(٢) حيث أحرزوا الغلبة ونالوا رضى الخليفة . وعلى هذا نستطيع ان نعتبر عدد أهالي الموصل يومئذ ما يناهز مائة ألف ونيف مع افتراضنا ان المؤرخ غالى فيما رواه عن عدد القتلى في اليوم الأول فانه مما لا ريب فيه ان عدد القبائل التي سكنت الموصل كان عظيماً وزد عليه كثرة المهاجرين في أيام علي كما ذكرناه سابقاً .

ولم تكن الموصل أقل علماً من اخواتها مدن الخلفاء على ان سوق العلم كانت نافقة في الدولة العباسية فلم تنحصر في حاصمة الخلافة بل كانت قد انتشرت الى أقصى مدن المملكة العباسية سيما في المهدين الرشيدي والمأموني . فكان العرب قد أخذوا علومهم من الفرس بعد فتح بلادهم واقتبسوا منهم الروح الآرية التي كان الفرس يمتازون بها عن سواهم وهي الروح الشعرية ذات الخيال والتصور الحاد مع قوة التفكير والفلسفة وحب الفن فأكملت آداب العرب اللغوية وزادت في معنويتهم ومن ثم أقبل العرب على سائر

(١) ابن الأثير ج ٥ ص ١٨٠ و ابو اللندا ج ١ ص ٢٢٥

(٢) ابن الأثير ج ٥ ص ٢٠٦

ابواب العلوم ووضعوا كتباً عجيبة عديدة قضت عليها الفتوحات التترية وكان لهذا الروح العلمي العربي تأثير خطير على العالم الاوروبي في القرون الوسطى . والحقيقة ان الدولة العباسية قطعت شوطاً بعيداً في مضمار الرقي والنجاح وذلك حتى العصر الماموني . ففتح الرشيد كنوزه للعلماء والادباء حتى قيل انه لم يجتمع على باب ملك أو سلطان من السمرات والعلماء ما اجتمع على بابه . وبوقته امتدت التجارة واتسع نطاق العلم وترجمت الكتب العديدة من اللغات الغربية الى اللغة العربية . وتقدمت الصنائع والفنون تقدماً محسوساً . فاهدى الرشيد لكارلوس الكبير ملك فرنسا المسمى شارلمان مزولة رملية وشطرنجاً ثميناً . دلالة على مبلغ ترقى الصناعة في بلاده . وتأثره المأمون في ذلك فكان مجلسه مكتظاً بآباب العلم وسعى أيضاً بجمع مكتبة عظيمة من الكتب اليونانية النفيسة وأوعز الى المترجمين باستخراجها الى العربية تعميماً للفائدة ونشراً للعلوم في انحاء مملكته قاطبة . واستمر المأمون على ذلك كل مدة خلافته التي دامت نحو عشرين سنة .

فذاك نور العلم المنبعث من ذلك المولد الكهربائي الفتي قد انتشر الى أقصى البلاد التي كانت تخضع للدولة العربية . وعليه فبأقوى حجة نقول انه خصّ البلاد القربى من عاصمة الخلافة كالموصل وهي من أعظم وأقرب بلاد العباسيين الى عاصمة خلافتهم . فان ديب تلك النهضة العلمية كان قد دبّ الى افريقية والاندلس وبلاد ماوراء النهر وأقصى البلاد الفارسية وغيرها . فقال المسيو هوارت في كتابه الآداب العربية : ان اللغة العربية انتشرت انتشاراً عجيباً وأصبحت عند الفرس وغيرهم لغة علمية كما كانت اللغة اللاتينية في أوروبا في القرون الوسطى .

فيستفاد ان الموصل احرزت في هذه النهضة العلمية درجة مهمة وذلك بنسبة قربها من عاصمة الخلافة وأهميتها الذاتية وكثرة سكانها العرب جنساً ولغة ولم تقدر الفتن الاهلية التي كانت تنشأ في الموصل حتى تولاهما الحمدانيون

ان توقف سير مدارسها

اننا لم ننع على عدد مدارس الموصل . ولا على درجة انتظامها يومئذ وقد
عثرنا على اليسير منها كمدرسة باب الشط في محلة الشهوان ومدرسة ماركوريل
المعروف بالدير الاعلى الواقع على دجلة قريباً من (باشطايية) وكانت هذه
المدرسة قد اشتهرت في الدروس الفلسفية واللغوية على ما يذكره يوحنا ابن
خلدون الموصل في كتابه عن يوسف البابوسي ^(١) . ثم مدرسة دير مار
ميخائيل ^(٢) الواقع في شمالي الموصل على مسافة ساعة ونصف . وحسبنا دليلاً
على رقي مدارس الموصل يومئذ العلماء الذين نبغوا فيها كابراهيم الموصل
وابنه اسحق (الصف الاول من القرن الثالث للهجرة) فقد اشتهر اسحق
بفن الموسيقى والآداب اللغوية والعلوم الفقهية والحقوق الشرعية حتى قال
المأمون عنه : لولم يشتهر اسحق بفن الغناء لجعلته قاضياً في مملكتي لغزارة
علمه . ولاسحق كتاب في الغناء . ثم محمد بن الخطاب الموصل (منتصف القرن
الثالث للهجرة) . وزكريا الازدي صاحب تاريخ الموصل (أواخر القرن
الثالث للهجرة) . وأبو يعلى احمد بن علي بن المثنى صاحب المسند (أواخر
القرن الثالث) . واسحق النينوي الشاعر الشهير (القرن الثاني للهجرة) وتوما
المرجي صاحب كتاب الرؤساء (القرن الثالث للهجرة) وغيرهم كثيرون سيرد
ذكرهم في الجزء الثاني ان شاء الله تعالى

(١) نسبة الى قرية بابوسا شرقي قرية القوش وتعرف اليوم بقرية بوزاني يسكنها بضعة
وصيرون ينتمون من اليزيدية وكانت قديماً تربة كبيرة طامة للكلدان النساطرة وآثارها الباقية
تدل على ذلك .

(٢) أسس هذا الدير مار ميخائيل وكان من قرية سوسة بجوار آمد . تروى مار ميخائيل
في جبل ايزلافي أواسط القرن الرابع للميلاد ثم انتقل الى جبل داسان (داسن) شمالي الموصل
وصعد دير المعروف الى اليوم باسمه قريباً من الحصن العبوري قبل تسميته بالموصل . وبلغ
عدد رهبانه العا ونيفاً . ثم خرب هذا الدير بعد عمراته بأجيال وجدده يوحنا الطربد الموصل
على ما رأيناه في قصيدة حطية لائن الشعارة أحد رهبان هذا الدير

الباب الثاني

في دولة الحمدانيين ودولة بني عقيل

الفصل الاول

الحمدانيون

ينتسب الحمدانيون الى قبيلة ثعلب وكان بنو ثعلب بن وائل من أعظم بطون ربيعة بن نزار وكانوا من نصارى العرب في الجاهلية ولهم محل في الكثرة والعدد وكانت مواطنهم في الجزيرة وديار ربيعة . ثم ارتحلوا مع هرقل الى بلاد الروم . ثم رجعوا الى بلادهم . وفرض عليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجزية . فقالوا يا أمير المؤمنين لا تدلنا بين العرب باسم الجزية واجعلها صدقة مضاعفة ففعل . وكان قائدهم يومئذ حنظلة بن قيس بن هرير من بني مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن ثعلب . ثم كان منهم بعد ذلك في الاسلام ثلاثة بيوت آل عمر بن الخطاب العدوي وآل هرون المغمري . وآل حمدان بن حمدون بن الحرث بن لقمان بن أسد^(١)

نشأ حمدان بن حمدون جد الامراء الحمدانيين في الموصل وعرف بالشجاعة والاقدام سباً في حملته مع عساكر الموصل على الخارجيين مساور بن عبد الحميد البجلي . ثم خلع حمدان الطاعة وانضم الى الخوارج فالتحق بهارون البجلي أو الشاري سنة ٨٨٥ (٢٧٢ هـ) ولما عزم الخليفة على تعقيب الخوارج كتب الى حمدان يأمره بالمسير اليه فأبى وامتنع في فلاحه . اما ابنه الحسين فسلم نفسه الى الخليفة كما اسلفنا ذكره وسير المعتضد جيشاً على حمدان فطارده مدة ولم ينالوا منه مأرباً حتى امنه اسحق بن أيوب وأحضره الى الخليفة كما ذكرناه فأمر

الخليفة بالقائه في السجن

وبات المعتضد يحد في القبض على هارون الشاري حتى اعياء أمره . فمهد سنة ٨٩٦ (٢٨٣ هـ) بالقبض عليه الى الحسين بن حمدان لانه اشتهر كايه في الشجاعة . فقال الحسين للخليفة ان أنا أتيت به فلي حاجة عند أمير المؤمنين وهي اطلاق سراح أبي من السجن ولما وعده المعتضد بذلك سار الحسين بثلاثمائة فارس ومعهم وصيف بن موشكير أحد الامراء الاثراك وقد الزمه الخليفة بالطاعة للحسين . وانتهى حسين برجاله الى مخاضة في دجلة قاوقف الحسين وصيفاً ومن معه على دجلة ليسدوا العبور على هارون اذا لجأ الى الهزيمة ومضى هو بمن معه في طلبه فلقيه وناجزه القتال مدة ثلاثة أيام ولما ضاقت الحيل بهارون لاذ بالهزيمة وأتى الى دجلة ليعبرها وكان وصيف قد بارح موضعه فعبرها هارون وجاء الى حي من احياء العرب وكان الحسين قد أحس بذلك فجد في أثره حتى أدركه واشتبكا بالقتال ثم حمل الحسين بنفسه على هارون وأمسكه أسيراً الى المعتضد في بغداد حيث طيف به في اسواقها وشوارعها ثم أعدم شنقاً . وخلع المعتضد على ابن حمدان واخوته الخلع الثمينة وأمر بحل عقاب أبيه ومن ذلك الحين دخل الحمدانيون في طاعة الخلفاء وخدمتهم وتقلدوا المناصب الرفيعة فتولوا حكم الموصل واستقلوا به ثم وسعوا نطاق حكمهم الى ديار بكر والجزيرة وسوريا وأولهم أبو الهيثم عبد الله بن حمدان . فعظم شأنهم واشتدت شوكتهم وحلوا على الاروام فدوخوا بلادهم واستولوا على كثير منها ثم غزوا الاناضول دفعتين وكانت حينئذ بيد الأروام المالكين في القسطنطينية وذهبوا بحملاتهم الى اماسيا فغنتموا الغنائم الكثيرة . وقد اشتهر من أمراء بني حمدان ناصر الدولة وسعد الدولة وسيف الدولة . وامتاز سيف الدولة بياسه وصولته في الحروب واصابة رأيه . فبلغت الدولة الحمدانية في ايامه الى ذروة العز والسؤدد بأمهنا الشامل ونجاحها الكامل في علمائها وشعرائها ولما قرض بنو بويه دولة بني حمدان من الموصل سنة ٩٧٩ (٣٦٩ هـ)

انحصرت حكومتهم في سوريا لمدة وجيزة كما سترأ من تفاصيل أحوالهم في
الفصول الآتية وان كان بحثنا يدور بنوع خصوصي على دولتهم في الموصل .

الفصل الثاني

مبدأ الدولة الحمدانية

في ولاية أبي الهيجاء عبدالله بن حمدان في الموصل

لما توفي المتضد بالله خلفه على سرير الخلافة ابنه المكتفي بالله سنة ٩٠١
(٢٨٩ هـ) وسار المكتفي على خطة أبيه من الثقة بآل حمدان والاركان اليهم
في الشؤون فولى سنة ٩٠٤ (٢٩٢ هـ) أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون
على الموصل وأعمالها ^(١) وقدم أبو الهيجاء من بغداد حيث كان مقيماً الى
الموصل ودخلها في أول تشرين الثاني بمجنود كثيرة . ولما خرج من القدر لعرض
الجيوش واطاه صريح من نينوى بأن الأكراد الهذبانية بمقدمتهم محمد بن
بلال أغاروا على نينوى ونهبوها . فسار أبو الهيجاء من وقته وعبر الجسر
الى الجانب الشرقي ولحق بالأكراد فأدركهم قريباً من المعروبة على الخازر .
وبعد قتال شديد وقع فيه قتيلاً سبياً الحمداني عاد عنهم أبو الهيجاء لكثرتهم .
ثم كتب الى الخليفة يستنجد به ولما أقرته النجدة سار بها سنة ٩٠٦ (٢٩٤ هـ)
يريد الهذبانية وكانوا قد اجتمعوا في خمسة آلاف بيت فهرب الهذبانية الى
الباية في جبل السلق المشرف على الزاب ^(٢) في شهر زور وتحصنوا فيه ومن
هناك اخذ ابن بلال يرسل أبا الهيجاء باذلاً له الطاعة ويستأمنه أن يحضر
اليه بأولاده ليجعلهم رهينة عنده . فرضي أبو الهيجاء وأمهله مدة . أما ابن
بلال فأنهز الفرصة وحث أصحابه على المسير نحو أذربيجان اذ كان قصده

(١) ابن خلدون ج ٣ ص ٢٩٦

(٢) ابن خلدون ج ٣ ص ٣٥٦

بذلك اشغال أبي الهيجاء بالأمل ريثما تنسنى الهزيمة له ولأصحابه فيسرون
 آمنين . ولما ابطأ محمد بن بلال عن الوعد أدركه أبو الهيجاء الحيلة فجرد معه
 جماعة فيها أخوته سليمان وداود وسعيد وغيرهم ممن يثق بمجده وبسالته وسار
 يفتقرو أثر الهاربين حتى أدركهم وقد تعلقوا بالجبل المعروف بالقنديل فقتل
 منهم جماعة وانهمز البقية الى اذريبيجان . ثم بلغ أبا الهيجاء أن زعيم الهذبانية
 ابن بلال لم يزل متقياً على جبل السلق فعاد الى الموصل ليجمع رجاله وسائر ثمانية
 الى جبل السلق حيث كان محمد بن بلال مع بعض أصحابه الأكراد . وجاز
 الجبل حتى قارب الأكراد وأقام على حصارهم عشرة أيام . ولما رأى الأكراد
 صبر رجال أبي الهيجاء ورأوا أن الخيل قد أغلقت بوجههم مخارج الخلاص
 أذعنوا فسلموا له فأمّنهم وأبقى عليهم وردهم الى حزة مع أموالهم وأهلهم ولم
 يقتل منهم الا رجلاً واحداً هو قاتل صاحبه سبياً فأمنت البلاد وأحسن أبو
 الهيجاء السيرة في أهل الموصل وما يليها . ثم ان محمد بن بلال أرسل يطلب
 الأقامة في الموصل فأذن له ومن ثم تتابعت الأكراد الحميدية وأهل جبل
 داسن بتقديم الطاعة وهكذا استقامت الأحوال وزالت المشاغب وعم الأمن
 أما الحسين بن حمدان فبقي في بغداد في خدمة الخليفة على قيادة الجيش .
 ولما اجتمع القواد والقضاة مع الوزير العباس بن الحسن على خلع المقتدر سنة
 ٩٠٨ (٢٩٦ هـ) كان الحسين بن حمدان من جملة المتواطئين على خلع المقتدر
 والبيعة لابن المعتز . وكان قد اشتهر السلاح على ذوي المقتدر ثم قتل ابن
 المعتز فخطت مساعي المؤامرين واستقرت الخلافة للمقتدر نخاف الحسين بن
 حمدان من بطشه وفر هارباً بمن تبعه فأمر الخليفة أن تسير الجند في طلبه .
 وكتب الوزير أبو الحسن علي بن الفرات الى ابي الهيجاء بن حمدان أن يجد في
 طلب أخيه وكان في بلد . فحمل أبو الهيجاء على بلد ومن ثم فارقه الحسين
 الى سنجار وأخوه في أثره حتى أدركه بعد مسير عشرة ايام وانتشب القتال
 بين أصحاب الأخوين فقتل وأسر كثير من أصحاب الحسين . ولما ضاقت

المخارج بالحسين كتب الى ابن الفرات وزير المقتدر يسأله الرضى ويأتمسه الى أن يشفع فيه الى المقتدر بالله فشفع فيه ابن الفرات وعفا عنه المقتدر وأعادته الى بغداد ثم عقد له على قم وقاشان من العراق المعجمي بينهما نحو تسعين كيلو متراً في جنوبي طهران ثم ان الخليفة عزل أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان عن ولاية الموصل سنة ٩١٣ (٣٠١ هـ) واستعمل عليها نحرير الخادم فعصى أبو الهيجاء على الخليفة المقتدر وجاهر بالتمرد وعلى هذا أرسل الخليفة مؤنس المظفر في مقدمة جيشه لاختضاع أبي الهيجاء ولما رأى هذا ضعفه عن مقاومة مؤنس قصد الخليفة مستأمناً فقبله الخليفة وخلع عليه وقلده ولاية الموصل ثانية سنة ٩١٤ (٣٠٢ هـ) ولم يمض سنة على صلح أبي الهيجاء حتى رفع أخوه الحسين لواء العصيان على الخليفة وكان الخليفة قد ولاه ديار ربيعة فاستأثر بأموال الاتاوة والضرائب لنفسه غير مبال بمطالبة الخليفة . فجهز الخليفة جيشاً بقيادة رائق الكبير وسيره على الحسين بن حمدان فلم يقدر أن يلقي عليه القبض لأن جيش الحسين كان يبلغ عدداً نحو عشرين ألف فارس . ولما عاد مؤنس الخادم من مصر حيث كان يحارب المهدي العلوي قصده برجاله فهرب الحسين وانحازت رجاله الى جيش مؤنس وبقي هو بنفر يسير من خاصته فتبعه مؤنس وأمسكه وقاده أسيراً الى الخليفة وكان المقتدر قد اشتد غضبه على بني حمدان لعصيانهم المرة بعد الأخرى فألقى عليهم القبض وسجنهم ومن ثم تقلد العمالة على الموصل أبو أحمد بن حماد الموصل . وبقي الأئمراء الحمدانيون مسجونين في دار الخليفة الى سنة ٩١٧ (٣٠٦ هـ) وفيها أطلق الخليفة سراحهم ولم يمض سنة على فك عقابهم حتى أمر الخليفة بقتل الحسين بن حمدان وكان سبب ذلك أن يوسف بن الساج العامل على اذربيجان وعلى أرمينية امتنع عن دفع أموال الجباية فقصد الوزير علي بن الفرات ارسال الحسين بن حمدان بجيش على يوسف بن الساج ليحاربه فوشى بهما لدى الخليفة وقيل له ان الوزير متفق مع الحسين واذا صار عند ابن الساج اتفقا عليك فأمر

الخليفة للحال بعزل الوزير وقتل الحسين بن حمدان وعزل بني حمدان وأصحابهم عن مناصبهم ومن ثم ولي على الموصل وأعمالها العباس بن محمد بن كنداج سنة ٩١٩ (٣٠٧ هـ) إلا أن الأهاليين شغبوا عليه في السنة الأولى من ولايته ولم يريدوه . وبناء على هذا أثار العباس عليهم قبائل العرب انتقاماً منهم . فشن الاعراب الغارة على الموصل وأعمالها وخربوا ودمروا ونهبوا القرى ثم بلغ الخبر الى الخليفة فأناكر على العباس بن كنداج حتى فعله واستقبجه وأرسل بعزله للحال وتعيين عبد الله بن محمد الفتنان على الولاية . وكان عبد الله شديداً انصرف في أول ولايته الى كف الاعراب وتأييد الأمن والسلام . ودفع الأكراد المارانية فقتل منهم وأسروا وأرسل الى بغداد نيفاً وثمانين أسيراً فشهروا وسجنوا

أما أبو الهيجاء بن حمدان فلم يزل يتزلف الى الخليفة ويتقرب له باخلاص الخدمة حتى اعاده الى ولاية الموصل سنة ٩٢٦ (٣١٤ هـ) فأقام أبو الهيجاء في بغداد وأرسل ابنه ناصر الدولة الى الموصل وكان ثمة الأكراد والعرب قد أخربوا وأفسدوا أيضاً . فكتب أبو الهيجاء الى ابنه يأمره بجمع الرجال وتمقيب الأشقياء في اطراف تكريت ففعل ناصر الدولة واجتمع بأبيه وحاصروا الاعراب فأحضروا شيوخهم وطلباهم بما أحدثوه من الاضرار فردوا على الناس ما سلبوه وكان شيئاً كثيراً ثم قتل بعض المسيبيين وسجن غيرهم ورحل من هناك ناصر الدولة الى شهرزور فوطي الأكراد الجلالية وقتلهم وبعد قتال عنيف سلموا لابن حمدان ووعدوه بالكف عن الشر والفساد

وكانت منزلة بني حمدان تزداد عند الخلفاء يوماً فآخذوا لهم مقراً في بغداد يسكنه أحدهم لتدبير شؤونهم في دار الخلافة عند مسيس الحاجة وزادتهم منزلة موالاتهم المقتدر لما خلع ثانية سنة ٩٢٩ (٣١٧ هـ) . وحدث من جراء ذلك حرب اهلية دعت الى حمل السلاح فدافع أبو الهيجاء عن المقتدر بسلاحه ووقع وثمة صريعاً في إحدى المعارك . ولما أعيد المقتدر الى

عرش الخلافة اسف كل الاسف على ابي الهيجاء فافر ابنه ناصر الدولة على ما كان لايه من ولاية وضياع وضمان . وكان ناصر الدولة شديد الهيبة على الخوارج والمصاة قد اخضع منهم كثيرين كابن مطر ومحمد بن صالح . فاستمر على ولاية الموصل الى سنة ٩٣٠ (٣١٨ هـ) وفي ربيع الاول سار منها الى ديار ربيعة ونصيبين وسنجار والخابور ورأس العين وميافارقين وارزن^(١) فضمها بمال ثم تقلد ولاية الموصل عمه أبو العلاء سعيد بن حمدان فقدم من بغداد ووصلها في ربيع الثاني من السنة نفسها . وفي أيامه ظهر صالح بن محمود من عصاة البوازيخ . وكان صالح قد سار بجماعة الى سنجار ثم الى الشجافية من أرض الموصل وطالب أهلها بالعشر ثم فصد الحديثة وطالب المسلمين منهم بالزكاة والنصارى بالجزية فطردوه واسروا ابنه وهرب صالح الى الجانب الغربي بجوار الموصل وأقام عند الزاب الاعلى وكان نصر بن حمدان قد أسر ابنه فارس فإرسل يتهده ان لم يطلق سراح ابنه فسار اليه نصر وطارده الى البوازيخ وحاصره فيها وما زال على حصاره حتى القى عليه القبض وقاده اسيراً الى الموصل ثم أرسله مع ابنه مكبلاً بالاغلال الى بغداد

الفصل الثالث

استيلاء مؤنس المظفر على الموصل

كان مؤنس المظفر الملقب بالخدام من متقدمي الامراء الذين تقلدوا زمام الامور على عهد الخلفاء العباسيين ، لاسبابا أنه نال تقوذاً في زمان المقتدر ، فأحبه وقدمه في الشؤون وسلم بيده مقاليد الحكم وكان يمهده اليه بقيادة الجيوش في الحروب الكبيرة . فساء ذلك بعض رجال الحاشية وحسدوه على

(١) في ارستان واقعة في الغرب الشمالى من بحيرة وان قريباً من اخلاط افتتحها عباس بن غم سنة ٢٠ هـ وكانت حاضرة في أوائل الاسلام نبع فيها كثير من العلماء المشاهير وفي القرن السابع للهجرة خربت وسيت اليلاد المجاورة لها ارزنجان كتسمية ارزن الروم وهو ارض روم

منزاته وأخذوا يشون به ويشكونه بالخيانة حتى أوغروا عليه صدر الخليفة ، فمزم على الايقاع به عند سنوح القصر . وكان مؤنس قد شعر بالمكيدة فأخذ يتحوط لنفسه من الغدر . ثم جرى في تلك الايام أن الخليفة قلد منصب الوزارة للحسين بن القاسم بن عبد الله بن وهب وكان الحسين من ألد أعداء مؤنس المظفر واكثرهم وشاية به ، ولما تقلد الوزارة استنفر منه مؤنس والقلوب المتشاحنة تتفاهم ، ومن ثم طفق يبذل جهده في عزله عن الوزارة أو الغدر به واذ لم يفلح جاهر بما في خاطره للخليفة وألح على عزله مقدماً أسباباً كثيرة فوعده الخليفة بذلك ولم يفعل . ثم أبلغ الحسين الخليفة أن مؤنساً يحاول أخذ ولده العباس الراضي من داره والمسير به الى الشام حيث تكون له البيعة فاشتد غضب الخليفة وأمر الحسين بالتحوط واستقدم قواد الجيش وجمع الرجال والعلماء الى داره وبذلك ازداد استشعار مؤنس وصحت عنده سعاية الحسين في التدبير عليه . ومن ثم سار الى الموصل سنة ٩٣٢ (٣٢٠ هـ) ووجه خادمه بشرى برسالة الى الخليفة ولما قدم بشرى الى دار الخلافة بالرسالة لاقاه الحسين وسأله عما هو في شأنه فأخبره أنه قادم برسالة ولا يذكرها الا لأمر المؤمنين الا أن الخليفة لم يأذن له بالدخول عليه وأرسل يأمره بذكر ما معه للوزير فامتنع وقال ما أمرني صاحبي بهذا فسبه الوزير الحسين وشتم صاحبه وأمر بضربه ثم أغرمه بثلاثمائة ألف دينار ونهب داره وحبسـه وأخذ أيضاً أملاك مؤنس واقطاعه وضمها الى بيت المال

فلما بلغ مؤنساً ماجرى على خادمه وهو يؤمل أن يطيب المقتدر قلبه سار الى الموصل ومعه اتباعه من القواد والأمرأ والعلماء . ثم بذل الأموال لرؤساء العرب فتبعه كثيرون منهم برجالهم . ولما بلغ الخبر الى الوزير كتب الى سميد وداود ابني حمدان والى ابن أخيها ناصر الدولة يأمرهم بمحاربة مؤنس ودفعه عن المدينة فاجتمع بنو حمدان على محاربة مؤنس الا داود بن حمدان فانه امتنع عن محاربته لاحسان مؤنس اليه اذ كان قد أخذه بعمدوت

أبيه ورباه وأحسن اليه احساناً عظيماً . فأخذ اخوته باقناعه وذكروا له اساءة الحسين وأبي الهيثب ابنه حمدان الى المقتدر مرة بعد أخرى وانهم يريدون ان يزيلوا عن اصحابهم تلك الوصمة . واليوم تهتمهم مصالحهم ومصالح بلادهم اكثر من مراعاة اصول الصداقة . وما زالوا به حتى وافقهم على ذلك وقال انكم تحملوني على البغي والكفران بالاحسان . وما آمن ان يجيئي سهم عار فيقع في نحري . وجرى به كما تقال عن نفسه وذلك ان مؤنساً اقبل على الموصل بثمانمائة فارس فاخرج عليه بنو حمدان في ثلاثين الفاً . ولم يمض الا أيام قليلة حتى انهزم بنو حمدان وقد قتل منهم داود بسهم أصابه بنحره . وكان داود شجاعاً مفواواً يلقب بالجحفجف وقال فيه الشاعر :

لو كنت في الف الف كلهم بطل مثل الجحفجف داود بن حمدان

ودخل مؤنس الموصل في صفر واستولى على أموال بني حمدان وديارهم وقد التحق به كثيرون من بغداد والشام ومصر لاحسانه اليهم . ثم ان ناصر الدولة سالم مؤنس وصار معه . وأقام في الموصل تسعة أشهر . ثم اعتزل عنه ونزل الى بغداد . ولما رأى مؤنس كثرة المتحقيقين به وعدته الوافرة . ولى على الموصل غلامه يانس وسار هو يريد بغداد ليضبطها . ولما بلغ الخبر الى الخليفة المقتدر هلع قلبه فرقاً مما سمعه عن جيش مؤنس مع ما هو عليه من خلة ذات اليد سيما وان الجيش كان نافراً منه لقلّة الارزاق . فامر بتوزيع ما بقي من الاموال والارزاق على الجيش ثم جهز جنداً وسار بنفسه ليدفع العدو عن بغداد غير ان جيشه لم يستطع الثبوت ازاء قوة مؤنس . فانهزم كله وبقي الخليفة متخلفاً عن الجيش فادرکه قوم من اغربة العرب اتباع مؤنس وقتلوه سنة ٩٣٢ (٣٢٠ هـ) ولما بلغ خبر قتله الى مؤنس ضرب على رأسه وبكى عليه شديداً ثم تقدم مؤنس الى الشامية وأتخذ الى دار الخليفة من ينمها من النهب

وفي تلك السنة تبوأ عرش الخلافة القاهرة بالله محمد بن المعتضد فظهر

الرتياحه الى مؤنس وانم عليه ثم غدر به وقتله ^(١) خيانة جديدة ظهرت منه
واعاد بني حمدان على اماره الموصل

الفصل الرابع

ضمان بني حمدان الموصل واعمالها ثم استئثارهم باموالها

ان ولاية العمال على البلاد في عهد الراشدين كانت على ما يرى من صحف
التواريخ اشبه باستقلال اداري وكان العمال من قواد الجنود الفاتحة وشأنهم
مراقبة سير الاحكام واقامة الصلاة وتقاضي أموال الجباية من الموظفين
الاهليين . ثم لما دالت الايام وصارت الخلافة للامويين احتاجوا الى الاحزاب
دفعاً لمطامع منازعتهم على الخلافة فزادوا في نفوذ العمال وجعلوا قسماً من
لاعمال طعمة لهم . ثم لما احتاز بنو العباس مقاليد الخلافة نهجوا على منهج
الامويين في مراعاة جانب العمال . بل وزادوا على ذلك تضمين الخراج لهم أي
ان يجعلوا على العامل مالا معيناً يدفعه كل سنة الى بيت المال في بغداد وهو
يتولى قبض الخراج والجزية وسائر الضرائب فيتصرف فيها كما يشاء لا يطالبه
الخليفة الا بالمال المضروب . كذا فعل الرشيد مع ابراهيم بن الاغلب اذ ضمنه
افريقية والمأمون مع عبد الله بن طاهر العامل على خراسان . وجرى على هذه
القاعدة الخلفاء الذين من بعدهم ، حتى افضى هذا الحال الى استقلال الامراء
يولاياتهم . وكان بنو حمدان كغيرهم من عمال البلاد حتى قد طمعت نفوسهم
الى اختزان الاموال . ثم الى الاستقلال بالبلاد سيما لما رأوا تجاوز الخلفاء
عنهم المرة بعد الاخرى . واختبروا ضعفهم عنهم وحاجتهم اليهم . فضمنوا
أولاً البلاد بالمال ثم استأثروا به ، وأخيراً استقلوا بالبلاد استقلالاً تاماً
حكماً واقتصاداً

خُلعَ القاهر بالله بعد خلافته سنة وستة أشهر ، وجلس بعده على سرير الخلافة الراضي بالله احمد بن المقتدر سنة ٩٣٣ (٣٢٢ هـ) وكان يحب أبا الملاء سعيد بن حمدان ويثق به كل الثقة فضمنه الموصل وديار ربيعة سرّاً اذ كان المتولي عليها ابن أخيه ناصر الدولة يحاول ان يستأثر لنفسه بأموال الجباية كما كان يفعل غيره . فلما أحس بتضمين البلاد لسعيد ساء منه ذلك وأضر له الشر وصار يتحين الفرص حتى آن زمن أخذ الاموال من الموصل وأعمالها . وقدم سعيد لجمعها باسم الخليفة فاحتال عليه ناصر الدولة وقتله ^(١) ولما بلغ خبر قتله الى الراضي بالله أمر وزيره ابن مقلة بالمسير الى الموصل والقبض على ناصر الدولة فسار اليها بالجند . اما ناصر الدولة فرحل عنها وتوغل في جبال زوزان وجدّد الوزير في أثره فلم يدركه . وعليه اقلل راجعاً الى الموصل حيث أقام يجبي أموالها . وطال مقامه فيها فاجتال بعض أصحاب ناصر الدولة على ابن الوزير في بغداد - وكان ينوب عنه في اعمال الوزارة - وبذلوا له عشرة آلاف دينار ليكتب الى أبيه يستدعيه . فكتب الى أبيه يستعجله في القدوم لاختلال الاحوال بحيث ان تأخر يخشى وقوع مكروه . فقام الوزير من ساعته وعاد الى بغداد بعد ما ولى على الموصل ما كرد الديلمي من الساجيه . ولما عرف ناصر الدولة برجوع الوزير الى بغداد جمع عساكره وسار على ابن ما كرد فالتقى به قريباً من نصيبين وقتله اياماً حتى هزمه واستولى على الموصل وديار ربيعة . ثم كتب الى الخليفة يستعطفه ويضمن له الاموال . فأجيب الى ذلك واستقرت البلاد له

ثم انتقض أمر الخلافة سنة ٩٣٥ (٣٢٤) فاستبد المال واستقال الوزراء وضاق الحال بالخليفة حتى الجأت الضرورة ان يستوزر أحمد بن رائق وكان قد استبد بأموال واسط والبصرة . فاستقدمه الى بغداد وقلده اماره الجيش وامارة الامراء وولاه الخراج في جميع الدواوين والبلاد . ثم أمر بالخطبة له

على جميع المنابر . أما ابن رائق فما زاده ذلك الاستبداداً حتى أبطل الدواوين .
والوزارة وأخذ وحده ينظر في جميع الأمور وصارت الأموال تحمل الى
خزائنه فيتصرف فيها كما يريد

وتلك زادت الأحوال وخامة وازالت الطاعة عن الولاة والعمال بحيث
لم يبق للخليفة سوى بغداد واصمائها وتوزعت المملكة العباسية : فصارت
فارس لبني بويه والبصرة والاهواز وواسط لعبد الله البريدي ومصر والشام
للاخشيد ابن طنج والمغرب وافريقية المهدي والاندلس لبني أمية وخراسان
وما والاها لنصر بن أحمد الساماني . وهجر والبحرين لأبي طاهر القرمطي
وطبرستان وجرجان للديلم ^(١) وكان لبني حمدان الامارة المطلقة على الموصل
ونواحيها وعلى قسم من ديار ريعة . ثم انتهزوا الفرصة من فوضى هذه
الاحوال واستبدوا بالموصل وديار بكر وديار مضر وديار ريعة وجبوا
اموالها لنفسهم ^(٢) وفي تلك الآونة ظهر يحكم سنة ٩٣٧ (٣٢٦ هـ) وكان يحكم
تركي الاصل من غلمان أبي علي العارض واستخدم عند الخلفاء وفي هذه
الاحوال تغلب على المستبد ابن رائق وأخذ منه امرة الامراء وكان الخليفة
الراضي يحاول استرداد البلاد ودفع المستبدين فقرب اليه يحكم واكرمه ورغبه
في المسير معه الى الحمدانيين ليعاقبهم على استبدادهم واحتجافهم الأموال فسار
الخليفة ويحكم بالجوش سنة ٩٣٨ (٣٢٧ هـ) على ناصر الدولة ولما بلغه خبر
مسيرهما اليه خرج من الموصل بجنوده والتقى بيحكم عند السكحيل وهي تبعد
عن الموصل ستة فراسخ وانتشب القتال بين الفريقين فانهمز أصحاب ناصر
الدولة الى نصيين ثم الى آمد . ومن ثم كتب يحكم الى الخليفة يبشره بالنصر
وكان الخليفة قد اقام في تكريت فاقى الموصل واقام فيها مع يحكم مدة غير يسيرة

(١) القرماني ك ج ١ ص ٩٥

(٢) مقدمة ص ٢٥٩

الا انها لم يظفرا بشيء من اموال الحمدانيين ثم عاد الخليفة ويحكم الى بغداد
ليدفعها عنها ابن رائق الذي تحكم أمره فيها لغيابهما فعاد ناصر الدولة الى ديار
ربيعة والموصل كما كان أولاً^(١)

الفصل الخامس

الخليفة المتقي لله وبنو حمدان

توفي الرازي بالله سنة ٩٤٠ (٨٣٢٩ هـ) ثم خلفه على سرير الخلافة المتقي
لله . وفي السنة الاولى من خلافته قتل يحكم بطعنة خنجر طعنه بها غلامه .
فاستراح الحمدانيون بقتله وصالحوا الخليفة ببعض المال وتقربوا اليه حتى
صاهروا ابناء الخلفاء فتزوج أبو المنصور بن المتقي بابنة ناصر الدولة ومن ثم
عظمت منزلتهم عند الناس وتقررت اركان دولتهم وفي آخر خلافة المتقي سار
سيف الدولة الى حلب وحمص وأطنة وقسم من بلاد الجزيرة^(٢) فأخذها من
يد الاخشيد محمد صاحب مصر وضمها الى بلاد دولتهم فصارت تخضع لهم
سائر بلاد الموصل والشام^(٣)

وخدم الامراء الحمدانيون الخليفة المتقي لله ودافعوا عن حياته وذلك
انه لما قتل يحكم ظهر أبو عبد الله البريدي وكان على واسط وقد طمعت به
مطامعه الى الاستيلاء على بغداد فسار المتقي لله بالاتراك البجكيين والتقى
باصحاب البريدي عند نهر دجلة ثم اختلف الاتراك البجكيون وانضم منهم الى
البريدي فهرب المتقي لله الى الموصل ودخل البريدي بغداد في اليوم الثاني عشر
من رمضان فاقام بها أربعة وعشرين يوماً^(٤) . ثم ثار عليه الجند يطلبون

(١) ابن خلدون ج ٤ ص ٢٣١

(٢) أبو الفدا ج ٢ ص ٩٨

(٣) مقدمة ص ٢٥٩

(٤) ابن خلدون ج ٤ ص ٢٣٢

الارزاق والرواتب واذ لم يكن بيده ما يسد الطلب هجموا عليه وبمقدمتهم كورتكين الامير التركي وأحرقوا داره ونهبوها ولاذ البريدي بالهزيمة الى واسط ثم دبر كورتكين الشؤون في بغداد الى ان عاد المتقي اليها من الموصل فاستقدم من الشام ابن رائق السالف ذكره وقلده اماره الامراء

ولما كانت سنة ٩٤١ (٣٣٠ هـ) أرسل البريدي أخاه أبا الحسين الى بغداد في لجّ من الاتراك والديلم فخرج اليه الخليفة بجيشه وحاربه فانكسر الخليفة وهرب مع ابن رائق الى الموصل ثم دخل أصحاب البريدي الى بغداد في جمادى الأخرى واستولوا على دار الخلافة . وكان المتقي لله قد أنقذ الى ناصر الدولة ابن حمدان يستمده على البريدي فأرسل له أخاه سيف الدولة نجدة في جيش كثيف ولما وصل سيف الدولة الى تكريت وجد المتقي مع ابن رائق قد انهزما فاقبل راجعاً معهما الى الموصل . اما ناصر الدولة فلما بلغه قدوم الخليفة مع ابن رائق فارق المدينة الى الجانب الشرقي وتوجه نحو معلثايا حذراً من شر ابن رائق لحزازات سابقة بينهما ثم ترددت الرسل حتى تماهدا واتفقا فحضر ناصر الدولة ونزل على حجة بالجانب الشرقي وعبر اليه الأمير ابن منصور وابن رائق يسلمان عليه فاحتفل بهما وثر الدنانير على ابن المتقي . ولما هموا بالانصراف ركب ابن المتقي وأراد ابن رائق الركوب فامسكه ناصر الدولة ان يقيم عنده للحديث معه فجذب ابن رائق كمّ ثوبه وركب فشب به الفرس وسقط . حينئذ صاح ابن حمدان بأصحابه ان يقتلوه فهجموا عليه وقتلوه وألقوه في دجلة . ثم ان ناصر الدولة أرسل الى المتقي للمعتذراً بأن ابن رائق كان يريد به شراً وانما فعل به ما فعل تخلصاً من شره . فرد الخليفة عليه الجواب رداً جميلاً ثم أمره بالمسير اليه ولما شار اليه ناصر الدولة استقبله الخليفة وأحسن اليه وجعله أمير الامراء

اما أبو الحسين البريدي فانه أساء السيرة في بغداد حتى تفرت منه قلوب الأهالي لا سيما الجند وقد تركه أغلبيهم وهربوا الى الموصل ملتجئين بالمتقي .

فقوي بهم ابن حمدان وعزم على الذهاب الى بغداد مع المتقي فتجهزا وسارا . ولما قرب من بغداد هرب أبو الحسين البريدي الى واسط ومن ثم اختلت الاحوال في بغداد ونهب الناس بعضهم بعضاً حتى دخلها المتقي لله ومعه بنو حمدان في الجيوش الكثيرة . وسار بنو حمدان مقتفين أثر البريدي الى واسط حيث التقى الفريقان تحت المدائن بفرسخين وشبت نار الحرب بينهما فانكسر بنو حمدان أولاً ثم طودوا الكر على البريدي وأصحابه فهزموهم واعتقلوا منهم أسرى كثيرين وهرب البريدي الى البصرة وبقي سيف الدولة الحمداني في واسط يعمل في فتح الحيلة للقبض على البريدي . فكان المال قد شح بيده فتذمر عليه الاتراك وتغير عليه القائدان التركيان توزون وخجنجق فهرب منهما راجعاً الى بغداد وتبعه توزون اليها ولما وصلها غادرها سيف الدولة لجعله المتقي أمير الامراء ثم تغير توزون واتفق مع ابن شيرزاده واستبدا بالأمور فخافهما المتقي وأخذ الى ناصر الدولة بن حمدان سنة ٩٤٣ (٣٣٢ هـ) يطلب منه ان يرسل اليه جيشاً يصحبه الى الموصل فسير ناصر الدولة الى الخليفة جيشاً مع ابن عمه الحسين بن سعيد وأتوا بالخليفة وأهله واعيان دولته ومعه الوزير ابن مقلة الى الموصل . واقام بنو حمدان بجيوشهم في تكريرت ليدافعوا عن الخليفة ويحموه . فقصدهم توزون وناجزهم القتال مدة ثلاثة أيام فانهمز بنو حمدان وغنم منهم توزون الغنائم الكثيرة ولحق بهم حتى دخل الموصل وضبطها فسار بنو حمدان بالمتقي الى نصيبين ثم استقر الصلح بين بني حمدان وتوزون على ان يدفع بنو حمدان سنوياً ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف ضماً عن الموصل وماذ عنها توزون الى بغداد . اما المتقي فأقام في الرقة عند بني حمدان حتى نهاية السنة المذكورة وبعده صالحه توزون ووثقه بالحلف والاقسام . ولما عاد المتقي الى بغداد سنة ٩٤٤ (٣٣٣ هـ) حنث توزون بالايمان فقبض على المتقي لله وبعد ان سمل عينيه خلعه عن الخلافة وبويع بها الى المستكنفي بالله أبي القاسم عبد الله بن المكتفي

الفصل السادس

بدء دولة بني بويه أو الدولة الديلمية

جاء نقلاً عن أبي نصر بن ماكولا^(١) : ان نسب بني بويه يرتقي الى
يزدجرد من الملوك الساسانية وقيل ان أبا شجاع بن فنا خسرو جد بني بويه
يتصل نسبه بمهر نوسي وزير بهرام جور الاول . وكان أبو شجاع مع اولاده
الثلاثة وهم حماد الدولة أبو الحسن على وركن الدولة الحسن ومعز الدولة
أبو الحسن أحمد يقطن بلاد الديلم الممتدة على سواحل بحر خزر من جنوبه
الغربي ولهذا لقيت دولتهم بالديلمية أيضاً . وانصرف أبو شجاع الى تربية
اولاده على مبدأ العمل والاقدام ومرتبتهم على حمل السلاح ودرهم بفضون
الحرب . وفي تلك الأيام خرج من بلاد الديلم ما كان بن كالي واسفار بن شرويه
ومرداويج بن زيار . وقد تبعهم خلق كثير من دعاة العلويين ليقسّدوا على
العباسيين ويستولوا على البلاد وخرج اولاد أبي شجاع في جملة من خرج
وكانوا ثلاثتهم في مقدمة جيش ما كان بن كالي . ثم لما قلب الدهر لما كان ظهر
الجن فادبر سعده وأقبل نحوه أعرض عنه اولاد بني بويه وانخرطوا في خدمة
جيش مرداويج سنة ٩٣٣ (٣٢١ هـ) وكان مرداويج قد دانت له الأمور
واتسعت له المضامير وسار بدوخ البلاد فملك قزوین وهمدان واصفهان وطبرستان
وغيرها من البلاد . ولما صار اليه بنو بويه أحسن اليهم وقدمهم في الأمور
وقلد أبا الحسن علياً أي حماد الدولة كرج وكانت في المراق المعجمي بين اصفهان
وهمدان . فنجح بنو بويه نجاحاً باهراً وكثر اتباعهم ثم نظموا احوال الجند
وأدخروا لهم الأموال وكان مرداويج يلمح منهم ذلك وقد أوجس منهم خيفة
لا سيما لما رأى تقدمهم عليه في الأمور واستمالة الناس اليهم فاضمر لهم الشر

في قلبه وأرسل الى عماد الدولة يتلطف به ويستدعيه اليه . فأدرك عماد الدولة الحيلة ومن ثم ازاح القناع عن مخبئات مطامعه وجاهر بالمعصيان على مرداويج فسار الى ارجان واستولى عليها . وكثر رجال بني بويه ومؤازروهم وعظمت شوكتهم وكان مرداويج ياول كبح جماحهم ولم تكن محاولته الا ضغثاً على ابالة فان أهالي اصبهان ثاروا عليه سنة ٩٣٤ (٣٢٣ هـ) وقتلوه شر قتلة . ومن ثم آل الأمر لبني بويه واستولوا على البلاد التي كانت لمرداويج . ثم سار معز الدولة البويهى الى الاهواز سنة ٩٣٧ (٣٢٦ هـ) وتملكها وطاحت نفسه الى الاستيلاء على بغداد فاقبل عليها سنة ٩٤٥ (٣٣٤ هـ) واتفق معه ينال كوشه العامل على الاهواز بغضه لزيك بن شيرزاد الذي كان متولياً الرئاسة في بغداد ودخلها معز الدولة البويهى في جمادى الاولى فارتعدت فرائص الناس فرقاً واختفى منه المستكفي حتى أمنه معز الدولة وبايعه بالخلافة . ومن ثم استقر الأمر لمعز الدولة ولم يكن للخليفة الا اسم عاري وبعض اقطاع يديرها كاتب له للقيام بنفقاته الضرورية ^(١)

ثم خلع المستكفي وبويع بالخلافة بعده له طيع بن المقتدر وبزمانه زاد أمر الخلافة ادياراً فان ايدي بني بويه تطاولت على حقوق الخلفاء واستولوا على البلاد من اعمال الري والجل و فارس والاهواز والعراق وبعد ان رتبوا شؤون العراق من تنسيق الاعمال وضرب الاتاة وغيرها عزم معز الدولة ان يسير الى بني حمدان ليستولي على الموصل واعمالها فارسل عليها جيشاً بقيادة مومى فيادة وينال كوشه وخرج اليهم ناصر الدولة الحمداني والتقى الفريقان من سامرا . وكان زيرك بن شيرزاد في بغداد يتحين الفرص للايقاع بمعز الدولة البويهى فقدم من بغداد بأصحابه وانضم الى جند ناصر الدولة ثم انحاز اليه أيضاً ينال كوشه بأصحابه فقوى ناصر الدولة وحمل على جند بني بويه وقهرهم حتى أخرجهم عن بغداد واستولى عليها ثم كر عليه معز الدولة واشتد القتال

وكان الاعراب الموالون لابن حمدان قد انتشروا يمنعون الميرة عن العدو فضاقت
الامر بالديلم ومسهم الجوع وعزموا على الانسحاب الى الاهواز . وقبل ان
ينسحبوا عالجوا الجنود الحمدانية بحملة قطمية اجبروا فيها ابن حمدان ان
ينسحب عن موقعه ثم استقر الصلح بين ابن حمدان وبين ابن بويه سنة ٦٤٦ (٣٣٥ هـ
المحرم) على أن يحمل ناصر الدولة بن حمدان مبلغاً سنوياً من المال عن
الموصل وديار بكر وديار مضر من الجزيرة . وما انصرف الديلم عن الموصل
حتى حمل عليها تكين الشيرازي باصحابه الاتراك فدخلوا الموصل واستولوا
عليها وهرب ناصر الدولة الى نصيبين . ومن هناك كتب الى معز الدولة
يستصرخه على الاتراك . فسير معز الدولة الجيوش الكثيرة الى السن حيث
اجتمعت بهم الجنود الحمدانية واقبلوا الى الموصل فقاتلوا الاتراك قتالاً شديداً
حتى اجلاؤهم عن المدينة وتبعهم الاعراب من اصحاب ناصر الدولة واتخذوا
فيهم الجراح وأسروا تكين الشيرازي وحملوه الى ناصر الدولة فسلمه وسجنه
في احدى قلاعه . ثم عاد ناصر الدولة الى الموصل . وبعد هذا بات البويهيون
والحمدانيون في اللفة وولاء حتى أقبل معز الدولة بجنده الى الموصل سنة ٩٤٨
(٣٣٧ هـ) وذلك لان ناصر الدولة بن حمدان تأخر عن تقديم المال فاتخذ معز
الدولة ذلك حجة وسار بجنده الى الموصل . فهرب ناصر الدولة عن الموصل
الى نصيبين خوفاً من الديلم لكثرتهم ووفرة عدتهم وأتى معز الدولة اليها
ودخلها في شهر رمضان فمسف أهلها وأخذ أموالهم وأرزاقهم . وبينما كان
مستعداً للسير الى نصيبين ليقبض على ناصر الدولة باغته الانباء من أخيه
ركن الدولة عن قدوم العساكر الخراسانية على جرجان والري وأرسل يستمده
بالعساكر لدفع العدو عن البلاد . فاضطر حينئذ الى مصالحة ناصر الدولة ومن
ثم استقر الصلح بينهما على ان يؤدي له ناصر الدولة عن بلاده مليوناً من
الدرهم . ويخطب لبني بويه عماد الدولة وركن الدولة ومعز الدولة في جميع
انحاء بلاده

دامت علاقات الصلح موثقة الى سنة ٩٥٨ (٥٣٤٧) وفيها تغير معز الدولة ثانية فسار نحو الموصل وكتب له ناصر الدولة يبذل له المال الكثير بثمان سنوي قدره مليونان ^(١) من الدراهم وهي تساوي تقريباً ٦٦٦ ، ٦٦٦ جنيه . ولم يمض سنة على هذا القرار الاخير حتى تغير معز الدولة ثالثة وسار ناصر الدولة محتجاً بتأخير حمل المال اليه . ولما بلغ الموصل مع وزيره المهلبى وجد ناصر الدولة قد قارقها الى نصيبين وكان من عادة ناصر الدولة اذا قصده من هو أشد صولة منه بحيث يضطره الحال الى اخلاء المدينة استصحب معه جميع الكتاب والوكلاء والمطلعين على أبواب المال ومنافع السلطان . ثم يأمر الاعراب ان يغيروا على العلافة والميرة . فكان الذي يقصد بلاده يبيت في حاجة ماسة الى ارزاق الجند . وهكذا جرى بمعز الدولة لما دخل المدينة وأرسل في طلب الارزاق للجند لم يجد فيها شيئاً فضاقت به الاقوات ومس جنده الضر ^(٢) . ثم بلغه ان بنصيبين غلات السلطان فاستخلف على الموصل سبكتكين الحاجب الكبير وسار هو بنفسه الى نصيبين . ولما توسط الطريق بلغه ان ولدي ناصر الدولة أبا المرجا وهبة الله بسنجار مع اصحابهما . فسير اليهم شرذمة من جنده ولم يشمر أولاد ناصر الدولة الا وقد التاث الجند عليهم فبادروا الى ظهور الخيل ولجأوا بالهزيمة . ونزل أصحاب معز الدولة في خيامهم وانهمكوا في الاكل والشرب وبيناهم كذلك باغتهم ولدا ناصر الدولة باصحابهما فوضعوا فيهم السيف وقتلوا وأسروا وأقاموا بسنجار بينما كان بعض أصحاب ناصر الدولة مقيمين على الحصون في الموصل والجزيرة يغيرون على الديلم فيقتلون ويأسرون ويقطعون الميرة عنهم . أما ما كان من ناصر الدولة فانه لما رأى بعض أصحابه قد انحازوا مستأمنين الى الديلم هرب الى حلب عند أخيه سيف الدولة فخرج سيف الدولة الى لقاءه وبالغ في اكرامه وخدمته

(١) الكامل . جزء ٨ : ١٨١

(٢) ابن خلدون ج ٣ ص ٤٢٤

حتى نزع خفي أخيه بيده . ثم راسل معز الدولة في أمر الصلح وامتنع معز الدولة عن تضمين البلاد الى ناصر الدولة تخلفه مرة بعد مرة وعلى هذا ضمنها منه سيف الدولة بمليونين وتسعمائة الف درهم . ثم اطلق له الاسرى الذين في سنجار وغيرها ^(١) وانما اجاب معز الدولة الى الصلح بعد تمكنه من البلاد لقلة الاموال وتقاعد الناس عن تأدية الخراج لاحتجاجهم بانهم لا يصلون الى غلاتهم . ثم أرسلوا يطلبون الحماية من العرب . تخاف معز الدولة حدوث القوائيل ولهذا رضي بالصلح كما ذكرناه . ثم رجع الى بغداد سنة ٩٥٩ (٣٤٨ هـ) وهي السنة التي املت فيها الارض وأجدبت وانقطعت الامطار حتى صار غلاء عظيم بلغ فيه كر الحنطة ^(٢) الفاً ومائتي درهم . فنزع كثير من اعالي الموصل الى البلاد العراقية والشامية طلباً للرزق

مضى على عقد الصلح خمس سنوات ثم انحرف عنه معز الدولة فسار الى الموصل وملكها وكان ناصر الدولة قد بارحها الى نصيبين وتبته معز الدولة اليها بعد ان استخلف على الموصل أبا العلاء صاعد بن ثابت لملح الغلات وجباية الخراج . وجعل بكتوزون وسبكتكين المعجمي على الجيش لحماية المدينة . ولما قرب من نصيبين فارقها ناصر الدولة ودخلها معز الدولة فجعل عليها من يحفظها . وفي اثناء غيابه عن الموصل حمل أبو تغلب ابن ناصر الدولة على اصحاب معز الدولة وناجزهم القتال . ثم انصرف عنهم ولم يظفر منهم بشيء لكنه أحرق في طريقه السفن التي لمعز الدولة . وبينما كان معز الدولة يتربص للتبض على ناصر الدولة بلغه انه نازل في جزيرة ابن عمر فبادر اليها بأصحابه ووصلها في شهر رمضان . ولما وصلها لم يقف فيها على أثر ناصر الدولة ولا على أثر أحد من بطانته فللكها وأقام فيها مدة . وفي تلك الاثناء جمع ناصر الدولة أولاده وجنوده وسار الى الموصل . فباغت اصحاب معز

(١) ابن خلدون ج ٣ ص ٤٢٤

(٢) الكرك العرابي يساوي ٤٠ اردباً

الدولة وقتل وأسر كثيراً منهم أبو العلاء وسبكتكين وبكتوزين واستولى على ما تركه فيها معز الدولة من مال وسلاح وحمله كله مع الأسرى إلى قلعة كواشي . فلما سمع معز الدولة ما فعله ناصر الدولة سار يطلبه في أطراف سنجار وحينئذ قصد أبو تغلب بن ناصر الدولة الموصل ونزل بظاهرها عند الديار الأعلى وأخذ بمراسلة معز الدولة في أمر الصلح . ولما رأى معز الدولة أنه لا بد من عقد الصلح اذ تحقق لديه أنه متى فارق الموصل عاد إليها الحمدانيون وملكوها وإن أقام فيها لا يزال متردداً وهم يغيرون على النواحي اجاب أبا تغلب إلى الصلح وعقد عليه ضمان الموصل وديار ربيعة والرجبة وشرط عليه إطلاق الأسرى الذين عندهم فاستقرت القواعد على ذلك ورحل معز الدولة إلى بغداد

الفصل السابع

سجن ناصر الدولة الحمداني ووفاته ثم نزاع اولاده

توفي معز الدولة سنة ٩٦٦ (٨٣٥٦ هـ) وخلف إمارة العراق لابنه عز الدولة بختيار فألقى اولاد ناصر الدولة موته فرصة ليلكوا العراق ويقضوا على حياة الديلم . ومن ثم عزموا على أن يسيروا برجالهم على بختيار ويحاربوه . فصددهم أبوه عن ذلك قائلاً أن معز الدولة قد ترك لابنه مالا كثيراً وثروة طائلة اذا فرقها في جنده يستظهر عليكم . فانتظروه حتى ينفقه ثم أقصدوه وفرقوا الاموال في اصحابكم فتظفروا به لا محالة . وما زال يعارضهم في ذلك والشباب لا يرضى بوازع يصدده في مأربه حتى ضجروا منه وعدوه عثرة في سبيل مصلحة بلادهم فوثب عليه ابنه فضل الله الملقب بعمدة الدولة والمعروف بالفضنفر أبي تغلب ويسميه ابن خلدون بأبي ثعالب وقبض عليه بمساعدة امه فاطمة الكردية ^(١) والقاه سجيناً في القلعة ثم وكل به من يقوم بخدمته وتولى هو

أمر البلاد . وروى ابن خلكان عن سبب حبسه انه كان شديد المحبة لأخيه سيف الدولة فلما توفي سيف الدولة سنة ٩٦٦ (٣٥٦ هـ) ^(١) أثر موته في ناصر الدولة فتغيرت احواله وساءت اخلاقه وضعف عقله الى ان لم يبق له من حرمة عند اولاده وجماعته فقبض عليه أبو تغلب ^(٢) وأنكر اخوته فعله هذا وخالفوه فتنفرت كلمتهم وآل قصاراهم الى حفظ ما في يدهم وصار أبو تغلب يتزلف الى بختيار ويتملقه خوفاً من غدر اخوته فضمن منه البلاد بمليون ومائتي ألف درهم سنوياً . اما ناصر الدولة فبقى سجيناً في القلعة الى سنة ٩٦٨ (٣٥٨ هـ) ثم توفي في ربيع الأول من السنة المذكورة ودُفن في تل توبة شرقي الموصل بجوار خربات نينوى

ومن ثم أخذت جذور النزاع تنصل في العائلة الحمدانية والحزازات . العدائية تتمكن من قلوبهم وزاد على ذلك ان ناصر الدولة كان قد اقطع ابنه حمدان مدينة الرحبة وماردين فلما قبض عليه أبو تغلب كتب سرّاً الى ابنه حمدان يستدعيه اليه ليتقوى به على المسيئين اليه من اولاده فظفر اولاده بالكتاب ولم ينفذوه وخافوا أباهم حتى حملهم خوفهم على ان ينقلوه الى قلعة كواشي . ولما اتصل الخبر بحمدان عظم عليه ذلك وصار لهم عدواً مبيناً وكان قد سار الى الرقة بعد وفاة عمه سيف الدولة فلما كها ثم سار الى نصيبين برجاله وأرسل يطالب اخوته بالافراج عن أبيهم فقصده أبو تغلب بجيشه وهزمه ثم سار يتبعه حتى استولى على املاكه . ولما رأى حمدان ما آل اليه أمره سار الى بغداد مستأمناً الى بختيار فأكرمه بختيار وأحسن مثواه . ثم أرسل الى أبي تغلب النقيب أبا أحمد الموسوي والد الشريف ليصلح بين أبي تغلب وبين أخيه حمدان فرضي أبو تغلب بالصلح قسراً لا طوعاً وبمده عاد

(١) ورد في وفيات الاميان صحيفة ٤٦٣ من الجزء الاول : ان سيف الدولة الحمداني توفي في الموصل ودُفن في مسجد بناه لنفسه في الدير الاعلى . فقد يكون هذا المسجد الجامع الملاصق لموقع هذا الدير المعروف بيجيا أبي القاسم قريباً من باشطاية

(٢) وفيات الاميان ج ١ ص ٢٧٦

من بغداد الى الرحبة سنة ٩٦٩ (٣٥٩ هـ) وظل أبو تغلب يتحمل بالقبض على أخيه حمدان فكتب اليه يستدعيه الى الموصل الا ان حمدان أبي ان يحضر اليه خوفاً من غدره . فغضب أبو تغلب من ذلك وسير اليه أخاه أبا البركات . اما حمدان فلما سمع بقدوم أخيه أبي البركات أخلى الرحبة وهرب فقدمها أبو البركات واستولى عليها ثم استتاب بها من يحفظها في طائفة من الجيش وعاد الى الرقة ومنها الى عربان ^(١) ولما سمع حمدان بعود أخيه عن الرحبة سار اليها من بركة تدمر وهي بر الشام فوافاها في شعبان ليلاً وأصعد جماعة من غلمانها على السور ففتحوا له الابواب ودخلها ثم قتل رجال أخيه وجمع أصحابه وسار في أثر أخيه أبي البركات حتى أدركه في عربان آمناً . فلقبهم أبو البركات بغير جنة ولا سلاح وحمل بنفسه في وسطهم فضربه أخوه حمدان وألقاه ميتاً ^(٢) فحمل الى الموصل حيث دُفن في تل توبة عند أبيه . اما أبو تغلب فجهز أخاه أبا الفوارس محمد وأرسله الى نصيبين ولما وصلها كتب اليه حمدان يلاينه ويستميله بالمواعيد ويوثقه بزيادة اقطاعه ان هو سار اليه . فوثق منه أبو الفوارس وسار اليه آمناً الا ان حمدان غدر به وسجنه وكان ابراهيم والحسين ابنا ناصر الدولة قد التحقا أيضاً بحمدان خوفاً من أخيهما أبي تغلب وساروا الى سنجار وتبعهم أبو تغلب بعسكره سنة ٩٧٠ (٣٦٠ هـ) . ولما رأى اخوته ضعفهم عنه بادروا الى ابواب الحيلة فكتب اليه اخواه ابراهيم والحسين يستغفرانه ويسألانه العودة اليه وذلك خدعة ليتسنى لهما الفتك به ثم هربا اليه بجمع من أصحاب حمدان غير ان هذه الحيلة لم تخف على أبي تغلب فحاول جهده ان يقبض عليهما ، لكنهما هربا ، ومن ثم استولى أيضاً على الرحبة . ولما ضاق الأمر بحمدان سار الى بختيار يسأله الانصاف من أخيه وكان أبو تغلب بعد ان حسن احوال الرحبة وعمر سورها رجع الى الموصل ودخلها في ذي الحجة من السنة

(١) عربان وهي بلدة الحاور من أرض الجزيرة (ياقوت)

(٢) أبو الفداج ٢ ص ١١٦

عينها . وضبط أبو تغلب من أخيه مدينة ماردين سنة ٦٧١ (٣٦١ هـ) واستولى على ما كان لأخيه فيها من مال وأثاث وسلاح وحمله الى الموصل . وبقي حمدان وأخوه ابراهيم عند بختيار وهو يدهما خيراً . ثم كتب الى أبي تغلب وأنفذ كتابه مع الشريف أبي حمدان الموسوي ليصلح بينه وبين أخويه ويرد عليهما اعمالهما واموالهما ولما أتى أبو تغلب عاد أبو أحمد الى بختيار بخيبة المسعى . فغضب بختيار وقدم على الموصل ليستولي عليها وعلى اعمالها وينتقم بذلك لحمدان و ابراهيم فوصلها في التاسع عشر من ربيع الآخر . ونزل عند الدير الأعلى وكان أبو تغلب قد سار عن الموصل بالانقال والاموال واستصحب معه كتابه الى سنجار ثم رحل من سنجار الى بغداد واقام بظاهرها لا يتعرض لأحد من سوادها بل كان هو وأصحابه يشترون حاجاتهم باوفى الاثمان . وسمع بختيار بذلك فأطاد وزيره أبا طاهر بن بقية والحاجب سبكتكين الى بغداد دفعاً لشر أبي تغلب ودخل ابن بقية الى بغداد . واما سبكتكين فاقام خارج المدينة قريباً من معسكر أبي تغلب . ثم أرسل أبو تغلب الى سبكتكين يطالب موافقته في التواء القبض على الخليفة وعلى بختيار ليصير الملك لهما . وتم بينهما الاتفاق على ذلك الا ان سبكتكين نكل عنه خوفاً من سوء العواقب

وبقيا كلاهما على هذا الحال والواحد لا يزال مرصوبه مغمماً حتى تقرر الصلح على ان يضمن أبو تغلب البلاد ويطلق لبختيار ثلاثة آلاف كر من الغلة عوضاً عن مؤونة سفره وان يرد على أخويه املاكهما واقطاعهما ما عدا ماردين ^(١) ولما انتهيا على ذلك دخل سبكتكين الى بغداد ورجع أبو تغلب الى الموصل فنزل بالحصباء تحت الموصل وكان بختيار حينئذ نازلاً في الدير الاعلى وبينهما عرض المدينة وتمصب أهل الموصل لأبي تغلب وأظهروا له الميل ذلك لما نالهم من مظالم بختيار ومصادرته أموالهم . ثم سار بختيار عن

المدينة ووصل الى الكحيل فبلغه ان أبا تغلب قد قتل قوماً من أصحابه كانوا قد انحاروا الى جيش مختيار وعادوا الى الموصل ليأخذوا أهلهم ومالهم ثم يلحقون به . فساء ذلك وأرسل الى الوزير أبي طاهر بن بقية والحاجب سبكتكين يأمرهما بالمسير اليه مع الجنود وعاد بمختيار فنزل بالدير الاعلى وعزم ان لا يفك الحصار عن أبي تغلب حتى يقاد اليه أسيراً فهرب أبو تغلب الى تلعفر وكتب الى مختيار معذراً مؤكداً الاقسام ان لا علم له بقتل أولئك فعاد عنه بمختيار بعد ان توثق منه على حفظ العهود . ثم أكرمه وقدر شجاعته فزوجه بابنته واعطاء لقب السلطان ^(١)

الفصل الثامن

استيلاء عضد الدولة البويهى على الموصل

وقتل أبي تغلب آخر الامراء الحمدانيين فيها

خلع المطيع لمرض اعتراه وخلفه على سدة الخلافة الطائع لله سنة ٩٧٣ (٣٦٣هـ) وفيها هم عضد الدولة بن ركن الدولة البويهى بالاستيلاء على العراق وما زال يحاول نيل مأربه حتى ذل بمختيار وساءت احواله وانتقض أمره لشح المال وقصر ذات اليد ونقم الجند عليه لقلة الارزاق فتخبر عضد الدولة هذه الفرصة وحمل على بغداد فدخلها سنة ٩٧٧ (٣٦٧هـ) . اما بمختيار فسار يقصد الشام ومعه حمدان بن ناصر الدولة الحمداني وكان حمدان يحسن لبختيار قصد الموصل ويظمعه بكثرة اموالها ووفرة غلاتها ويسهل له الاستيلاء عليها وما زال به حتى أقدمه . وكان عضد الدولة قد استحلقه ان لا يقصد مدينة لا أبي تغلب لسابق مودة بينهما فاحنت بمختيار بالحلف وزحف عليها برجاله ولما صار الى تكريت أوفد اليه أبو تغلب رسولا يسأله ان يقبض على أخيه حمدان ويسلمه

عليه واذا فعل ذلك سار بنفسه اليه ليقا تل معه عضد الدولة ويعيده الى ملكه .
 فقبض بختيار على حمدان وسلمه الى نواب أبي تغلب فخلوه اليه وحبسه في
 قلعة . ثم سار بختيار بعشرين ألف مقاتل واجتمع بأبي تغلب عند الحديثة
 ومن هناك زحفا على عضد الدولة وانتشبت الحرب بينهما فظفر عضد الدولة
 ببختيار وأسره ثم أمر به فقتل من ساعته اما أبو تغلب فانهزم بأصحابه واجماً
 الى الموصل

فنقم عضد الدولة على أبي تغلب لخيانته العهد والولاء وسار الى الموصل
 في ذي الحجة سنة ٣٦٧ هجرية وطرده عنها أبا تغلب وملكها مع ما يلحق بها .
 وخيل لأبي تغلب ان عضد الدولة كغيره يقيم فيها يسيراً ثم يضطره الحال الى
 عقد الصلح والعود عن بلاده لكن طاش سهمه فان عضد الدولة فطن للأمر
 وذلك انه لما قصد الموصل حمل معه الميرة والعوفات وأتى بثقات من رجاله
 واقفين على احوالها واعمالها واقام فيها مطمئناً ثم بث سراياه في طلب أبي تغلب .
 اما ابو تغلب فلما حطت مساعيه في استرجاع بلاده بزيادة الضمان وأغلقت
 بوجهه ابواب الرعاء رحل الى نصيبين ومعه ابنا ممر الدولة أبو اسحق وأبو ظاهر
 وأمهما والمرزبان بن بختيار . فسير عضد الدولة في طلبه سرية عليها أبو الوفاء
 طاهر بن محمد وسار يتبعه الى ميافرقين . فلما وصلها ابو الوفاء أغلقت دونه
 وكانت من حصون الروم . ثم هرب أبو تغلب من هناك الى أرزن الروم
 (أرض روم) ومنها الى حسينية من اعمال الجزيرة حيث امتنع في قلاعها وتبعه
 أبو الوفاء اليها فالفها أمتع من عقاب الجو . ثم طاد الى ميافرقين وكان يتولاها
 رجل من الحمدانية اسمه مؤنس فشد عليها الحصار وأتقذ يتوعد الاهالي
 ويهددهم بالويل والثبور ان هم أصروا على العصيان فأجابوه الى فتح ابواب
 المدينة وتسليمها له وأرسلوا الى مؤنس يطلبون منه مفاتيح المدينة فأتقذها
 اليهم حذراً من ان يثوروا عليه وأرسل يسألهم ان يستأمنوه من أبي الوفاء
 وكان أبو الوفاء مدة مقامه في تلك الجهات قد افتتح سائر ديار بكر وديار

مضر وربيعه مع حصونها وقلاعها من يد سلامة البرقعدي عامل الحمدانيين. فرتب عضد الدولة البلاد التي استولى عليها من بني حمدان واستخلف على الموصل أبا الوفاء ^(١) ثم عاد الى بغداد في سائح ذي القعدة سنة ٣٦٨ هجرية ثم بعث عضد الدولة جيشاً الى الاكراد العسكرية وافتتح قلاعهم ^(٢)

ولما رأى أبو تغلب زوال مملكته واستيلاء عضد الدولة على بلاده ولم يبق له أمل في الرجوع اليها سار سنة ٩٧٩ (٣٦٩ هـ) يطالب البلاد الشامية وكان على الشام قسام داعية العزيز الملوي الذي غلب عليها بعد افتكين خال قسام دون آمل أبي تغلب ومنعه الدخول الى المدينة حذراً من ان ينازعه على ولايتها اما حرباً او بأمر من العزيز . فاستوحش أبو تغلب منه ونزل خارج المدينة ثم أرسل رسولا الى العزيز بمصر يستنجد به ليفتح له الشام فورد له الجواب من العزيز يستدعيه اليه ويعدده خيراً الا ان أبا تغلب ظن ذلك خدعة فامتنع عن الذهاب ثم اسعفه العزيز بجند مع قائد اسمه الفضل فقدم الفضل بجنده واجتمع بأبي تغلب عند طبرية وزحف على الشام وبعد حرب وزال عادوا عنها بخيبة المسمي . وفي تلك الآونة جرت منازعة بين دغفل الطائي حامل العزيز على الرملة وبين بني عقيل النازلين بجوار الرملة فاستجار بنو عقيل بأبي تغلب وطلبوا منه ان ينصرهم على دغفل الطائي ويسميه ابن خلدكان المفرج بن الجراح البغدادي الطائي ^(٣) فرحل أبو تغلب برجاله ونزل بجوار عقيل فارتاب الطائي والفضل منه وظناه طامعاً في الاستيلاء على الأعمال وعلى هذا انتشب القتال بين الفريقين فانهمزمت عقيل وأصحاب أبي تغلب ولم يبق معه الا سبعائة رجل من غلمانهم وكان الطائي يراوغ في القبض عليه وبينما كان أبو تغلب يذود عن نفسه اتته ضربة في حلق رأسه ووقع صريعاً فحمله الرجال

(١) أبو الفدا ج ٢ ص ٢١٦

(٢) ابن خلدون ج ٤ ص ٢٤٩

(٣) وفیات الاميان ج ١ ص ١٧٦

الى دغفل واراد الفضل أخذه وحمله الى العزيز بمصر الا ان دغفل الطائي أرسل من قتله سرّاً سنة ٩٧٩ (٣٦٩ هـ) ^(١) وذلك خوف ان يصطنعه العزيز ويجعله عنده . فلما علم الفضل بذلك حزن عليه حزناً شديداً وانحى باللائمة على دغفل مستقبلاً منه ذلك ثم أخذ رأسه وعاد الى مصر . وكان أبو تغلب آخر ملوك الحمدانيين في الموصل ومن بقي من أهلهم بنو عقيل الى سعد الدولة ابن سيف الدولة المالك يومئذ على حلب

الفصل التاسع

نظرة اجمالية في دولة بني حمدان

دامت الدولة الحمدانية في الموصل نحو أربع وسبعين سنة أي منذ ولاية أبي الهيثم عبد الله بن حمدان في خلافة المكنفي سنة ٩٠٥ (٢٩٣ هـ) الى ان أقبل عضد الدولة البويهى سنة ٩٧٧ (٣٦٧ هـ) وطرد أباً تغلب ابن ناصر الدولة الحمداني وضبط بلاده

كان الحمدانيون في أول أمرهم عمالاً للخلفاء على الموصل ثم لما ضعف شأن الخلفاء لاسيما في تسيطر بني بويه واستفحال أمرهم طمحت انظار العمال الى الاستبداد والاستئثار بالجباية فاضطر الخلفاء الى التراضى معهم على مال مضمون وان يكن أقل مما يجبي وهو الضمان أو المقاطعة كما ضمن البريدي الاهواز على أيام الراضي كل سنة ٣٦٠٠٠٠ دينار . فصار الحمدانيون أيضاً يضمنون الموصل وبلادها بمبلغ من المال يقدمونه للخلفاء وبعدهم لسلطين بني بويه ولم يتجاوز مبلغ الضمان الثلاثة ملايين من الدراهم فان ناصر الدولة الحمداني ضمن الموصل وبلادها من معز الدولة البويهى بمليونين وتسماية ألف درهم ^(٢) . وفي الغالب كان الحمدانيون لا يقدمون مبلغ الضمان الا اذا

(١) ابن الاثير ج ٨ ص ٢٥٣

(٢) ابن خلدون ج ٣ ص ٤٢٤

أُلجئوا حرباً فإن المهال كانوا قد استقلوا فيما بقي بيد العباسيين من البلاد وكان أقرب المستبدين الى مقر الخلافة بنو بويه باصبهان وفارس وبنو حمدان بالموصل والجزيرة (ميسوبوتاميا) ولم يبق للخلفاء الا بغداد ونواحيها ما بين دجلة والفرات وامراؤهم مع ذلك مستبدون عليهم ويسمون القائم بدولتهم أمير الامراء . ثم جاء معز الدولة الى بغداد وملكها واختص باسم السلطان فبقيت اخبار الدولة تؤثر عنهم وصارت اخبار الخلفاء منذ المستكفي بالله ٩٤٤هـ (٣٣٣هـ) مندرجة في اخبار بني بويه والسلجوقية من بعدهم ^(١) وكان الحمدانيون قد استفادوا من تلك الاحوال فاستأثروا بالحكم والجبابة وصاروا لا يقدمون شيئاً أو يقدمون اليسير مما كانوا يجبونه من بلادهم الواسعة التي كانت تشمل على الموصل الى تكريت ^(٢) وديار بكر وديار مضر وديار ربيعة والديار الشامية ^(٣) ولا صحة لما رواه ابن الشحنة عن ناصر الدولة ابن حمدان انه ضبط مصر ^(٤) سنة ١٠٧٣ (٤٦٦هـ) فان ناصر الدولة بن حمدان توفي سنة ٩٦٨ (٣٥٨هـ) ويغلب ان ابن الشحنة يقصد بناصر الدولة أبا علي الحسن من اولاد ناصر الدولة الحمداني وكان هذا من أكبر القواد المتقدمين في مصر على عهد الخليفة المستنصر بالله وذكر عنه ابن الاثير انه حارب العبيد وطردهم من مصر سنة ١٠٧٢ (٤٦٥هـ) ^(٥)

فكان الحمدانيون يجمعون من هذه البلاد الواسعة العامرة أموالاً كثيرة لانعلم كم كان مقدارها يومئذ أما المعلوم فالموصل مع قراها المجاورة كانت تقدم للدولة العباسية سنوياً ما ينيف على عشرات الملايين من الدراهم . نقل ابن خلدون عن جراب الدولة ان الموصل وما يليها كانت تدفع في أيام المأمون

(١) ابن خلدون ج ٣ ص ٤١٩

(٢) أبو الفدا ج ٢ ص ١٠٠

(٣) أبو الفدا ج ٢ ص ١٢٦

(٤) ك . ابن الشحنة ج ٨ ص ١٧٧

(٥) ج ١٠ ص ٣٠

عشرين الف الف رطل من العسل الابيض وأربعة وعشرين الف الف درهم^(١)
أي ٦٠٠،٠٠٠، ١ دينار وهي تساوي تقريباً ٨٠٠،٠٠٠ جنيه ثم نقصت
جباية الموصل في أيام الممتصم فأصبحت ٦،٣٠٠،٠٠٠ درهم . وفي أواسط
القرن الثالث للهجرة انحطت الى ٤،٠٠٠،٠٠٠^(٢) وكان سبب هذا النقصان
ضعف شأن الدولة العباسية وخيانة العمال واستئثارهم باموال الدولة . أما في
عهد الدولة الحمدانية فلا ريب أنها زادت عما كانت عليه في عهد الخلفاء كما
يدلنا عليه ترفهم واسرافهم في العطاء شأن الملوك العظام فان سيف الدولة
الحمداني أمر بضرب دنائير للصلات في كل دينار منها عشرة مثاقيل وعليه
اسمه وصورته . فامر لابي الفرج منها بمشرة دنائير فقال مرتجلاً :

نحن بجود الامير في حرم نرتع بين السعود والنعم
ابدع من هذه الدنائير لم يجر قديماً في خاطر الكرم
فقد غدت باسمه وصورته في دهرنا عوذة من العدم

فزاده عشرة أخرى . وقد انشده اعرابي ثلاثة ابيات من الشعر فأمر له
بمائتي درهم^(٣) وقد بلغ الاسراف بالحمدانيين في الجود والكرم مبلغه عند
الخلفاء العباسيين

وقد أحرز الحمدانيون السباق في حلبة المجد فصاهروا الخلفاء وحازوا
المنعة والقوة مالا ورجالاً فخاربوا الروم وتقلدوا امارة الامراء في الدولة
العباسية . وحارب ناصر الدولة اكبر سلاطين بني بويه وهو معز الدولة
وانتصر عليه . وطمع أولاده في الاستيلاء على بغداد في سلطنة بجختيار ابن
معز الدولة ولولا تقاطعهم وخلافهم الذي آل بهم الى الخصام والقتال لكانوا
قضوا على دولة بني بويه في بغداد واستقر لهم الامر . ذكر عنهم صاحب

(١) مقدمة ص ١٥٧

(٢) زيدان ج ٢ ص ٦١ و ٦٣

(٣) الثعالي ج ١ ص ١٢

الدرة اليتيمة قال : رُزقت البلاد ملوكاً وأمراء من آل حمدان وني ورقاء هم بقية العرب والمشغوفون بالادب . والمشهورون بالمجد والكرم . والجمع بين السيف والقلم . فكانوا ملوكاً وأمراء أوجههم للعصا . وألسنتهم للفصاحة . وسيف الدولة مشهور بسياحتهم وكان رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مأواه غرة الزمان . وعمار الاسلام . وكانت وقائمه في عصاة العرب يكف بأسها . وتفل انيابها . ونذل صعابها . وغزواته تدرك من طاغية الروم النار وتحسم شرهم المثار . وتحسن في الاسلام الآثار ^(١)

فكانت العلوم ناجحة في ايامهم وسوق الآداب العربية نافقة في دولتهم . وقد امتازوا بها هم تقسم حتى أصبحوا موسم الأدباء . وحلبة الشعراء . وما منهم الا أديب جواد يحب الشعر وينتقده . ويثيب على الجيد منه فيجزل ويفضل . فاجتمع من الشعراء على أبوابهم ما لم يجتمع على باب أحد من الملوك بعد الخلفاء واشتهر منهم بالادب سيف الدولة فكان أديباً معجباً لجيد الشعر شديد الاهتزاز لما يمدح به ^(٢) واشتهر منهم أيضاً أبو فراس ابن أبي العلاء سعيد بن حمدان وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والمذوبة والمتانة . ومعه رواء الطبع وسمعة الظرف . وقد شهد له المتنبّي بالتقدم والتبريز ^(٣) وله ديوانه الشهير المعروف باسمه وقد طبع في بيروت سنة ١٩٠٠ م . واشتهر في ايامهم من علماء الموصل وشعرائها الشاعر البليغ السري الرقاء أبو الحسن بن احمد صاحب كتاب الدرة (النصف الاول من القرن الرابع للهجرة) والجغرافي الشهير أبو احمد بن حوقل صاحب كتاب المسالك والممالك (أواسط القرن الرابع للهجرة) وأبو الفتح عثمان المعروف بابن جني صاحب المؤلفات العديدة منها كتاب الخصائص وكتاب سر الصناعة

(١) التالي ج ١ ص ٨ و ٧

(٢) التالي ج ١ ص ٨

(٣) التالي ١ ص ٢٢

(منتصف القرن الرابع للهجرة) وعمانوئيل بن شهابي صاحب كتاب
الأوكساميرون أي الايام الستة . وكان هذا معلماً في مدرسة الدير الاعلى
وهو دير مار جبرائيل (منتصف القرن الرابع للهجرة) وايشوع عياب بر شهابي
وكان معلماً في مدرسة مار ميخائيل على دجلة

الفصل العاشر

وفاة عضد الدولة وظهور باذ الكردي وما جرى له مع بني حمدان

كان الحمدانيون قد أخضعوا العصاة وكسروا شوكة الخوارج . فاذعن لهم
اعراب البادية واكراد الجبال ولما زال ملكهم راغ الاكراد في الجبال سيما
منهم الهكارية . وانهاروا كالسيل الجارف على اعمال الموصل . وعاثوا فيها سلباً
ونهباً . فبادر عضد الدولة الى تجهيز المساكر وتسييرها في أثر العصاة فانهمز
الاكراد الى الجبال وتحصنوا فيها . وكان الجند يقفون أثرهم ويناجزونهم
القتال حتى ضعف الاكراد عنهم لكثرتهم ووفرة عدتهم وثباتهم على القتال .
وخافوا سوء عاقبة عصيانهم . فارسلوا يطلبون الامان فأجيبوا اليه ثم سلعوا
قلاعهم ونفوسهم . ونزلوا مع الجند الى الموصل . غير ان مقدم الجيش نكث
الوعد والايمان فصلبهم على جانبي الطريق - من معلثايا بجوار زاخو - الى
الموصل - على طول خمسة فراسخ تقريباً . حينئذ خاف بقية الاكراد سطوة
عضد الدولة وبأسه فاخذوا الى السكون . وبعد اتحاد القلاقل الداخلية .
انصرف عضد الدولة الى ترميم ما تهدم في بلاده فعمر المساجد والاسواق .
وادرّ الاموال على الاثمة والعلماء . ومد يد المساعدة الى الغرباء والضعفاء
الذين يأوون الى المساجد وجدد أيضاً ما دثر من الانهار وأعاد حفرها
وتسويتها . ثم أجرى الجرايات على الفقهاء والمحدثين والمتكاملين والشعراء
 وغيرهم من أرباب العلوم والفنون وجهاز بالاموال الطائلة وزيره نصر ابن

هارون وكان نصرانياً وأرسله الى البلاد لتعمير البيع والاديرة . وبذل المساعدات لفقرائها^(١)

ولما توفي الملك عضد الدولة بن بويه سنة ٩٨٢ (٣٧٢ هـ) اجتمع القواد والأمرء وولوا ابنه ابا كاليبجار الامارة . ولقبوه صمصام الدولة . وخلع صمصام الدولة على أخويه أبي الحسن احمد وأبي طاهر فيروز شاه وأقطعهما فارس وأمرهما ان يجدا في المسير اليها ليسبقا أخاهم شرف الدولة أبا الفوارس وكان يومئذ في كرمان . فلما نهي الخبر الى شرف الدولة بوفاة أبيه سار مسرعاً من كرمان الى بلاد فارس وضبطها وهكذا تفرق بنو بويه في انحاء المملكة العباسية واقتسموها بينهم

أما صمصام الدولة فابتدأ بمحاربة باذ الكردي وهو أبو عبد الله الحسين ابن دوشتك مقدم الاكراد الحميدية الذين كانوا في ثغور ديار بكر . وروى ابن خلدون ان اسمه باذ . وكنيته أبو شجاع وأبو عبد الله الحسين هو أخوه^(٢) . كان باذ عظيم الخلقة شديد البأس عليه ملامح الدهاء والبطش . ولما ملك عضد الدولة الموصل حضر باذ عنده نخافه عضد الدولة وقال ما أظن هذا يبتى عليّ فان فيه بأساً وشرّاً ومن، ثم أوصى أصحابه ان يمتثلوا في القبض عليه . ولما أحس بهم باذ أركن الى الفرار . وصار يعي الغنم وكان كريماً جواداً يفيض على المحتاجين ويقصده الكثيرون حتى ذاع صيته وانتشر خبر جوده وكرمه فاحبه الناس واجتمع عليه خلق كثير من العرب وصار يقطع الطرق وينهب السابلة ثم شرع بشن الغارة على القرى والمدن ويوزع على أصحابه ما يناله بشجاعته . ولما كثر أصحابه وأعوانه حمل على أرمينية وملك منها مدينة ارجيش . واستجاش فيها العساكر وزحف على ديار بكر . فاستولى على مدينة آمد وميا فارقين . وكان باذ لما مات عضد الدولة قد

(١) ابن الاثير جزء ٨ ص ٢٥٥

(٢) ح ٣ ص ٤٣٣

استفحل أمره وقويت شوكته حتى قصد نصيبين وضبطها . ولما نعى خبره الى صمصام الدولة أرسل عليه عسكرياً بقيادة أبي سعد بهرام . فانكسر أبو سعد وتفرق أصحابه ثم صير اليه صمصام الدولة أبا القاسم سعيد بن الحاجب مع جيش عظيم والتقوا بباجلايا من قضا كواشي في جنوبي بحيرة وان . وهي كواش وكانت تسمى قديماً « داردمشت » فانهمز أيضاً أبو القاسم واستولى باذ على كثير من الديلم فقتل وأسر منهم . ونجا أبو القاسم الى الموصل فثار به الاهالي تقوراً من سوء سيرة الديلم . وأخرجوه من المدينة ومن ثم دخلها باذ الكردي واستولى عليها سنة ٩٨٣ (٣٧٣ هـ) وأقام في الموصل يستعد للسير الى بغداد ليزيل عنها الديلم ويستولي عليها فلما بلغ خبره الى صمصام الدولة هاج منه تجمع العساكر الكثيرة وأرسلها بقيادة زيار بن شهر اكويه من أكبر قواد الديلم فرحف بها زيار وانتشب القتال بينه وبين باذ سنة ٣٧٤ هـ فاجلت الواقعة عن هزيمة باذ وأصحابه . وأسر زيار كثيراً من عسكره وأهله فحملهم الى بغداد . وملك الديلم بلاد الموصل . ثم أتفتت السرايا في طلب باذ وكان قد هرب الى ديار بكر . فلما رأى زيار ان لا سبيل الى القبض عليه أحمل الخيلة لقتله ووضع رجالاً لذلك فسار أحدهم الى معسكر باذ ودخل ليلاً الى خيمته وضربه وهو يظن انه يضرب رأسه فوقعت الضربة على ساقه ومرض باذ لتلك الضربة حتى أشفي على الموت . ولما أبل من مرضه راسل زيار في الصلح فاستقر الحال بينهما على ان تكون ديار بكر وشرط طور حابدين لباذ . وهكذا عاد زيار الى بغداد وقد جعل على الموصل سعيد ابن الحاجب مع جيش من الديلم . ثم ان الجند شغبوا على صمصام الدولة سنة ٩٨٥ (٣٧٥ هـ) وأجمعوا على تسليم الملك الى أخيه شرف الدولة وكتبوا الى شرف الدولة بذلك فقدم بجنده على الالهواز والبصرة ثم على بغداد فاستولى عليها وكان قد ألقى القبض على أخيه صمصام الدولة فسلمه واعتقله في قاعة سنة ٩٨٦ (٣٧٦ هـ)

وفي هذه الفترة انصرف باذ الى جمع المال وتجنيد الرجال حتى أصبح بجيش عظيم فاقبل على الموصل سنة ٩٨٧ (٣٧٧ هـ) يريد ان يستولي عليها . وكان سعيد الحاجب الوالي على الموصل قد توفي في تلك الاثناء فولى شرف الدولة مكانه على الموصل أبا نصر خواشاذة . وأرسل معه العساكر . ولما وصلها وبلغه خبر قدوم باذ بمدد عظيم من الرجال الابطال كتب الى شرف الدولة يستمده زيادة في العساكر والاموال . وكان باذ قد قارب المدينة فاضطر خواشاذة ان يستعين بالعرب من بني عقيل وبني غير وأقطعهم الموصل ليدافعوا عنها ^(١) فتوقف باذ لكثرة العرب ثم أرسل طليعة أخاه مع جند يسير فقتل أخوه وانهزم عسكره . وأقام باذ في مكانه لا يجسر على التقدم الى سنة ٩٨٩ (٣٧٩ هـ) وفيها ثار أهالي البلاد على الديلم لكثرة شرهم ومظالمهم وعمت هذه الثورة جميع بلاد العراق وامتدت الى الموصل فحاربوا الديلم وقتلوا منهم خلقاً كثيراً . وجرى انه مرض شرف الدولة ومات في تلك السنة عينها فلما بلغ خبر وفاته الى باذ زاد طمعه في الاستيلاء على الموصل وتحقق أمره فيها . الا ان العرب من بني عقيل وبني غير حالوا دون حرامه . وفي تلك الايام قدم الى الموصل أبو طاهر ابراهيم وأبو عبد الله الحسين ابنا ناصر الدولة الحمداني . وقد روى ابن خلدون عن قدومهما الى الموصل روايتين . فذكر ان شرف الدولة البويهبي لما ولي خواشاذة في الموصل بعث أبا طاهر الحمداني وأخاه الى الموصل وبعد سفرهما اليها خاف منهما فكتب الى خواشاذة ان يعيدهما اليه فلم يجيبا وأغذا السير الى الموصل ^(٢)

وقال أيضاً : جاء أبو طاهر وأبو الحسين ابنا ناصر الدولة بن حمدان أميرين على الموصل من قبل بهاء الدولة وبقيت في ملكهما الى سنة ٣٨١ هجرية ^(٣) : وقوله الاخير يوافق ما أورده ابن الاثير عن ابني حمدان انهما

(١) ابن خلدون ج ٣ ص ٤٣٤

(٢) ج ٤ ص ٢٥٣

(٣) ج ٣ ص ٤٣٤

كانا في بغداد في خدمة شرف الدولة . وبعد وفاته احتمالا على ابنه بهاء الدولة واستأذناه في الذهاب الى الموصل . وبعد ما أذن لهما قدم بهاء الدولة وخشي ان يستوليا ثانية على الموصل فكتب الى خواشاذة حامله ان يدفع ابني حمدان ويعيدهما الى بغداد . فانفذ خواشاذة اليهما يتوعدهما ويأمرهما بالعودة الى بغداد . أما ابنا حمدان فاسرعا بالمسير الى الموصل حتى نزلا بالدير الاعلى وكانت الفتنة قد تجددت في ثورة الاهالي على الديلم . وقد هجموا عليهم ونهبوهم ثم التحقوا باصحاب ابني حمدان واحتدم القتال بين ابني حمدان وبين الديلم فانكسر الديلم وانهمزم منهم واعتصم الباقيون بدار الامارة . ولما عزم أهل الموصل على قتلهم والاستراحة منهم منهم ابنا حمدان عن ذلك . ثم أخرجوا خواشاذة بمن معه عن المدينة واستقر الامر بالموصل لبني حمدان أما باذفانه لما رأى عجزه عن المدينة رجع الى ديار بكر فجمع له الاكراد واكثرهم من الاكراد البشنوية اصحاب قلعة فنك (وهي في قرب جزيرة ابن عمر تبعد عنها نحو الفرسخين وقد أقام فيها الاكراد البشنوية مستقلين مدة ثلاثمائة سنة ^(١)) . ثم بلغه الخبر ان أبا طاهر وأخاه قد ملكا الموصل واستيدا فيها فعول على المسير اليها فسار اليها سنة ٩٩٠ (٣٨٠ هـ) وشرع يكتب أهلها ويستميلهم اليه . ثم قدمها وقد أجابه بعضهم ونزل في جانبها الشرقي . ولما رأى ابنا حمدان عدده وعدته ضعفا عنه وكتبنا الى أبي الذواد محمد بن المسيب أمير بني عقيل يستنصرانه على باذ ، ويعمدانه بتوليته على جزيرة ابن عمر ونصيبين وبلد . فرضي ابن المسيب وسار اليه أبو عبد الله ابن حمدان وأقام أبو طاهر بالموصل يحارب باذ . فلما اجتمع أبو عبد الله بابن المسيب صارا الى بلد وعبرا دجلة . وباذ غافل عنهما ثم احس بهما وأراد الحرب خوفاً ان يسدا عليه فيكون أبو طاهر من الامام وعبد الله من الورا لكنه لم يقدر ثروال نظام جنده فادرهم أصحاب بني حمدان وقتلوا فيهم مقتلة كبيرة وفرّ باذ

منهزماً على ظهر فرسه وبينما كان يهرب جرح به الفرس فسقط عنه واندقت
 رقوته ومات من ساعته ثم رآه بعض أصحاب بني حمدان فعرفوه وحملوه الى
 الموصل حيث صلبت جثته فوق دار الامارة الا ان أهالي الموصل أنكروا
 ذلك وقالوا لا يحمل ان يفعل هذا رجل شجاع غاز ، فانزلوا جثته وكفنوها
 وصلوا عليها ثم دفنوها

وكان لباز ابن اخت من بني مروان يدعى ابا علي هذا سار من بعد قتل
 باذ بن معه الى حصن كيفا على نهر دجلة وهو من المعاقل المنيعة فتزوج بامرأة
 باذ وتملك الحصون التي له بما فيها من رجال ومال ثم سار الى ميافرقين وقصده
 ابنا حمدان وقتلاه فظفر بهما ابو علي وأسر عبدالله بن حمدان ثم اطلقه ، ولما
 عاد عبدالله الى اخيه ابي طاهر وجده قد التقى الحصار على آمد فآشار عليه
 بمصالحة ابن مروان والاتفاق معه غير ان ابا طاهر لم يذعن لمشورة اخيه بل
 اجبره ان يكون على الجيش فسارا الى ابن مروان وحارباه ثم انكسرت
 جيوشهما وهرب ابو طاهر الى نصيبين واسر ابو عبدالله الحسين ولبث مضيقاً
 عليه حتى شفع فيه صاحب مصر فأطلق سراحه ومن ثم مضى ابو عبدالله الى
 مصر وتقلد ولاية حلب سنة ٩٩١ (٣٨١ هـ) وكان ابو الفضائل بن سعد
 الدولة بن سيف الدولة الحمداني قد توفي وبقي ابو عبدالله على ولاية حلب حتى
 مات . أما ابو علي المرواني فلك ديار بكر وما يجاورها ثم قتل وخلفه اخوه
 ابو نصر بن مروان ومنه بدأت الدولة المعروفة بدولة بني مروان وقال ابن
 خلدون انها أخذت منشأها من ابي علي المرواني سنة ٩٩٠ (٣٨٠ هـ)



الفصل الحادي عشر

بدء دولة بني عقيل ويقال لها أيضاً دولة بني المقلد أو آل المسيب

كان بنو عقيل وبنو كلاب وبنو نمر وبنو خفاجة وكلهم من عامر بن صعصعة وبنو طي من كهلان قد انتشروا ما بين الجزيرة والشام في عدوة القرات وكانوا كالرايا لبني حمدان يؤدون اليهم الآتاوات وينفرون معهم للحروب . ثم استفحل أمرهم عند فشل دولة بني حمدان وساروا الى ملك البلاد واستولوا على نصيبين^(١) وكان يرأس هذه القبائل المتحالفة امير من عقيل يسميه ابن خلدون ابا الدرداء وهو خطأ والاصح هو ابو الذؤاد محمد بن المسيب بن رافع بن المقلد بن جعفر بن صمر بن مهند أمير بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر . ومن نسب هذا الامير يتضح سبب تسمية هذه الدولة العربية بدولة بني عقيل وبني المقلد وآل المسيب

لما انهزم ابو طاهر الحمداني امام ابي علي بن مروان سار الى نصيبين في قلة من اصحابه فطمع به ابو الذؤاد محمد بن المسيب أمير بني عقيل المتغلب يومئذ على نصيبين فغدر به واعتقله مع علي ابنه وجملة من قواده ثم قتلهم عن آخرهم وسار الى الموصل بدء سنة ٩٩١ (٣٨١ هـ) وضبطها ثم أرسل الى بهاء الدولة يخبره بذلك ويسأله ان ينفذ اليه من يقيم عنده من أصحابه يتولى الأمور ، فسير اليه قائداً من قواده وكان أبو الذؤاد قد تنفذ على نائب بهاء الدولة حتى صار اليه الحل والابرار في الكبيرة والصغيرة وليس للنائب فيها أمر ولا سلطان . ولما بلغ خبر استبداده الى بهاء الدولة اتفق عليه أبا جعفر الحاج ابن هرmez بمسكر كثير فقدم أبو جعفر الى الموصل وطرد عنها أبا ذؤاد وملكها . فثار ثائر بني عقيل واجتمعوا مع أميرهم أبي الذؤاد على حرب أبي جعفر فاشتد القتال بينهم وكان أبو الذؤاد بطلاً شجاعاً أظهر في تلك الوقائع اقداماً وبأساً

غهابته العرب واجتمع منهم عليه خلق كثير حتى أجفل أبو جعفر لكثرتهم وأرسل يطلب مدداً من بهاء الدولة فامده بالوزير أبي قاسم علي بن أحمد وقدم أبو القاسم الى الموصل في أوائل سنة ٩٩٢ (٣٨٢ هـ) فكانت بينهم حروب ووقائع وكان الظفر فيها للديلم

ولما توفي أبو الدؤاد سنة ٩٩٧ (٣٨٧ هـ) ^(١) سار المقلد أخوه الى الموصل فاستمال اليه بعضاً من الجنود الديلمية وكتب الى بهاء الدولة يضمن منه الموصل واعمالها بعلوين من الدراهم ^(٢) وهي تساوي تقريباً ٦٦٦ و٦٦٦ جنيه تم قصد أخاه علي الذي خلف أبا الدؤاد في اماره بني عقيل وأظهر له ان بهاء الدولة قد ولاه الموصل وسأله ان ينصره على أبي جعفر . فسار كلاهما برجال عقيل ونزلوا على الموصل وانضم اليهم الديلم الذين استمالهم المقلد . فضعف أبو جعفر عن محاربتهم وهرب سراً الى بغداد بأهله وأمواله . ثم دخل المقلد الموصل واستقر الأمر بينه وبين أخيه على ان يخطب لهما ويقدم علي الكبره ويكون له نائب لجباية الأموال وبارح علي المدينة واقام المقلد فيها وسارت أمورهما على هذه الوتيرة مدة طويلة حتى جرت خصومة بينهما كما سنذكره في محله

وكان المقلد يتولى أيضاً حماية غربي الفرات من أرض العراق وله عليها نائب متهور فحرت بين نائبه وبين أصحاب بهاء الدولة مشاجرة وكتب النائب يشكو الى المقلد حاله واذا ذاك سار المقلد بعساكره وانتشبت الحرب بينهم وكان بهاء الدولة آنئذٍ منشغلاً في محاربة اعوان أخيه صمصام الدولة فلما بلغه الخبر بمجيء أصحاب المقلد الى بغداد أنفذ أبا جعفر الحجاج الى بغداد وأمره بمصالحة المقلد خوفاً من إثارة الحرب لانصرافه الى محاربة أخيه فراسل أبو جعفر المقلد واستقر الصلح بينهما على ان يحمل المقلد عشرة آلاف دينار الى بهاء

(١) ابن خلصان ج ٢ ص ١٥٠

(٢) ابن خلدون ج ٤ ص ٢٥٥

الدولة وان يخطب له في البلاد . ثم خلعت على المقلد الخلع السلطانية ولقب بحسام الدولة . وأقطع الموصل والكوفة والقصر وهو قصر شيرين على نهر حلوان في غربي خرباتها والجامعين وهو اسم الحلة قديماً ^(١) . غير ان المقلد لم يبر بوعوده الا بمجل قليل من المال وهذا أيضاً استأثر به فقصدته الرجال وعظم شأنه وخافه الملوك البويهيون أنقسمهم

واتى في وفيات الأعيان عن المقلد انه كان فيه عقل وسياسة وحسن تدبير فغلب على سقي الفرات واتسعت مملكته ولقبه الامام القادر بالله وكناه وأنفذ اليه بالواء والخام فلبسها بالانبار واستخدم من الديلم والأتراك ثلاثة آلاف رجل واطاعته خفاجة حتى ملك البلاد الكثيرة ^(٢) . وجرى انه بينما كان المقلد منشغلاً في العراق باغته ان أصحاب أخيه علي قد اساءوا الى أصحابه في الموصل وهم يحاولون الاستيلاء عليها فلما فرغ من شغله عاد الى الموصل وفي عزمه ان ينتقم من أصحاب أخيه لكنه توقف عن ذلك خوفاً من وخامة العاقبة وشر الحرب فاحمل الحيلة في القبض على أخيه علي ليصفو له جو الملك وكانت دار أخيه ملاصقة لداره فنقب الحائط ودخل على أخيه ليلاً فاعتقله وبعث زوجته وولديه قرواش وبدران الى تكريت فخرجت زوجة أخيه بولديها الى الحسن ابن المسيب أخي المقلد وكانت احياءه قريباً من تكريت فاستجاش العرب على المقلد وسار اليه في عشرة آلاف مقاتل ولاقاء المقلد بالقي فارس وبينما هم في ذلك اذ جاءت زميلة بنت المسيب شافعة في أخيهما علي فاطلقه المقلد ورد عليه ماله وترك الموصل لأخويه علي وحسن وسار عنها سنة ٩٩٨ (٣٨٩ هـ) ولما توفي علي سنة ٩٩٩ (٣٩٠ هـ) بقيت الامارة لحسن فسار المقلد الى الموصل بجيش كثيف وطارده عنها ثم دخلها وملك فيها وكان المالك الاتراك الذين في بغداد قد أعجبته صولة المقلد وسطوته فرغبوا في خدمته وتبعوه

(١) ابن خلدون ج ٤ ص ٢٥٥

(٢) ابن خلكان ج ٢ ص ١٥٠

ثم تخلفوا عنه لتمدي الديلم عليهم ولاذوا بالهزيمة فتبعهم المقلد وظفر بهم وقتل منهم وأعاد الباقين الى خدمته وبعد هذا تغير عليه هؤلاء الأتراك فاغتتم بعضهم غفلته وقتلوه غيلة وهو في الأنبار حيث كانت أمواله وخزائنه وجاء عنه في وفيات الأعيان أنه بينما كان في مجلس انس وهو في الأنبار وثب عليه غلام تركي فقتله وذلك في صفر سنة ٣٩١ ويقال انه مدفون على الفرات بمكان يقال له شقيا بين الأنبار وهيت وكان المقلد ذا فضل وادب ومن شعره ما شوهد مكتوباً على حائط قصر بجوار نصيين^(١):

يا قصر ما فعل الالي ضربت قبايهم بقعرك
اخى الزمان عليهم وطواهم بطويل نشرك
واهاً لقاصر عمر من يخال فيك وطول عمرك

ولما مات المقلد كان ابنه قراوش^(٢) وبدران في تكريت يخاف نائبه عبد الله بن ابراهيم بن شهرويه بادرة الجند وشغبهم وكتب الى ابي منصور ابن قراود من كبار زعماء العرب وهو في السندية وهي قرية على نهر عيسى بين بغداد والأنبار^(٣) يستدعيه الى نصره قراوش على عمه الحسن ويستميله بالمواعيد الكثيرة فقدم ابن قراود برجاله وحمل الخزائن والبلدة ومن ثم أرسل عبد الله النائب الى قراوش المعروف أيضاً بأبي المنيع معتمد الدولة ولما وصل بذل لابن قراود أموالاً كثيرة مكافأة له على صنيعه أما الحسن بن المسيب فانه جمع مشايخ عقيل وشكا اليهم قراوش وما بذله غفواً من الاموال الطائلة لابن قراود وأراد الحسن ان يثيرهم بذلك على ابن أخيه غير ان بني عقيل خالفوه في مقصده وعرضوا عليه مصالحة قراوش واذا لم يجد بداً من موافقتهم رضي بها . ثم ان قراوش ندم على ما أعطاه لابن قراود وأضر على

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ١٥١

(٢) قراوش اسم عربي على فوال من القرش وهو لغة الكسب والجمع به سميت قريش

لأنها كانت تدهاني التجارة ،

(٣) ياقوت

قتله واذا حس قراد ترك أمواله وفر هارباً فاستولى عليها قرواش
وغزا قرواش البلاد وكان بطلاً شجاعاً حارب الأتراك والديلم وخفاجة
وهي قبيلة كبيرة من بني عقيل كانوا يسكنون اطراف الكوفة . وفي مبادئ
القرن الخامس الهجري خلعوا الطاعة في اطراف الانبار والكوفة والبصرة
وأفسدوا فيها فحمل عليها قرواش واستباح أموالهم وقتك بهم فتكاً ذريعاً .
ثم استفاد من انقراض أمر بني بويه ومناجزتهم بعضهم بعضاً . وكان عماء وهما
ابو الحسن بن المنذوب وابو مرخ بن المسيب قد توفيا فاستقل قرواش بالبلاد
واحتاز أموالها ثم انفذ خدمة لمصاحبة الى صاحب مصر الحاكم بأمر الله سادس
الملوك الفاطمية يقدم له الطاعة ويعدده بالخطبة له في بلاده وهي بلاد الموصل
والكوفة والانبار وسقي الفرات والمدائن . فخطب له فيها سنة ١٠١٠
(٤٠١ هـ) (١)

فلما بلغت اخبار قرواش الى الخليفة القادر بالله وكان قد خلف الطائع لله
سنة ٩٩١ (٣٨١ هـ) أرسل من ساعته الى بهاء الدولة يعرفه انخياز قرواش
الى صاحب مصر . ومن ثم كتب بهاء الدولة الى حميد الجيش أبي علي بن أبي
جعفر يأمره بالحملة على قرواش فسار أبو علي بجيش عظيم وأموال طائلة لنفقة
الجند . ولما خرج اليه قرواش ورأى أهبة أبي علي وكثرة رجاله داخله الندم
والفشل فكتب في الحال الى أبي علي يسأله ان يتوسط بالصلح بينه وبين بهاء
الدولة ويعدده بابطال خطبة الملويين وباعادة خطبة القادر بالله

ثم توفي الملك بهاء الدولة سنة ١٠١٢ (٤٠٣ هـ) وخلفه ابنه سلطان
الدولة . ثم عقب سلطان الدولة ابنه الآخر مشرف الدولة . فلما استقر الملك
لمشرف الدولة وبلغه عن قرواش استبداده في البلاد ، واحتجافه بالاموال
حرك عليه بني أسد وأمدهم بالجند والمال فساروا الى قرواش وقتلوه . ثم
انهزم قرواش برجاله وبنو أسد يتبعونه حتى أدركوه وقادوه أسيراً بعد ان

نهبوا خزائنه واثقاله . وبعد أيام هرب قرواش من الاسر ولاذ بسُلطان الثمالي . أمير خفاجة قد مشرف الدولة يده على بلاد قرواش وضبطها ومضى أيام على ذلك ثم كتب قرواش الى مشرف الدولة يسأله الصنع فلم يغنه رجاؤه فتيلاً حتى توفي الملك مشرف الدولة سنة ١٠٢٥ (٤١٦ هـ) وملك العراق بعده اخوه جلال الدولة وكان قرواش يتزلف اليه بالطاعة والاخلاص فوثق منه جلال الدولة وأعادته على ملكه

وبقي قرواش على الصلح مع بني بويه زمناً غير يسير . ثم انقلب عنهم وحسر النقاب عن مطعمه في الاستبداد بالبلاد فاستأثر بها وبجبايتها ثانية وامتنع عن مراجعتهم في الامور . فاثار جلال الدولة عليه بني أسد وبني خفاجة وأمدهم بالجند والمال وسيرهم كتائب الى قتال قرواش . وسار قرواش من الموصل الى الكوفة حيث التقى رجال جلال الدولة في ظاهرها ونازلهم القتال وبعد عراك شديد وضرب عنيف أدرك قوتهم فهرب الى الانبار . وكان رجال أسد وخفاجة يطاردونه حتى بلغ الموصل فدخلها وتحصن فيها سنة ١٠٢٦ (٤١٧ هـ)

وفي تلك الآونة ثارت الفتن في داخلية بلاد الدولة البويهية فانصرف ملوكها الى اخماد أجيح هذه الفتن والمشاغب وكان الجند أيضاً قد هاجوا على الاثير عنبر . وكان من نخبة الرجال البويهية . وكان ماضي الحكم نافذ الكلمة وعامة الجند طوع بنائه . ولما عم الاغتشاش وسادت الفوضى خلع الجند طاعته وظن الاثير ان ذلك مكيدة من الملك فلاذ بالهزيمة منضماً الى قرواش فقبله قرواش وأحسن مثواه واكرمه واعتز به على مناوئيه ثم سار الى بلاده وملكها . وقدم الانبار وكان بنو خفاجة قد أحرقوها وتركوا جيل أبنتها ردماً فعمر منها ما عمر . وبينما هو كذلك اذ أقبل ابن قراد بجميع من بني عقيل وعليهم بدران أخو قرواش لحربه فلم الاثير شعث رجاله وجمع كلمتهم . ثم أرسل يطلب مدداً من ابن مروان وكان مناصراً لقرواش . فخرج الاثير

بثلاثة آلاف مقاتل وثار الحرب بين الفريقين أياماً طويلة اسفرت أخيراً عن فشل اعداء قرواش فطلبوا صلحه واستقر الصلح بينهما على ان يعطي قرواش لاختيه بدران مدينة نصيبين . فعاد قرواش الى الانبار وكلل ابنتها وشاد حولها سوراً منيعاً وأقام فيها . وكانت هذه الحروب الكثيرة قد أوهنت قوة قرواش مالاً ورجالاً . فاستفاد من ضعفه الامير منيع الخفاجي وسار الى اقطاع آل المسيب التي على سقي الفرات فضبط منها وخطب فيها الملك أبي كاليبجار البويهبي

الفصل الثاني عشر

دخول الفز الى الموصل

كان الفز وهم من شعوب الاتراك منتشرين في مفازة بخارى وخضعوا لدولة آله سبكتكين^(١) ، ثم في زمن السلطان محمود بن سبكتكين كنروا وضائق بهم البلاد فصاروا يفسدون نهياً وسلباً فنكبهم السلطان محمود ونهب احياءهم وقتل منهم خلقاً كثيراً ثم أجلاهم عن بلاده ، فلحق كثير منهم باصبيان وقاتلوا صاحبها . وذلك سنة ٤٢٠ هجرية . ثم افترقوا فسارت طائفة منهم الى جبل بكجار عند خوارزم^(٢) ولحقت طائفة أخرى باذريجان مع زعمائهم توقا وكوكتاش ومنصور ودانا ثم دخلوا مراغا سنة ١٠٣٧ (٤٢٩ هـ) ونهبوها وأثنخوا في الاكراد الهندبانية ، وكذا فعلوا في الري^(٣)

(١) ابن خلدون ج ٣ ص ٤٥٠

(٢) ابن خلدون ج ٤ ص ٢٥٩

(٣) الري وسماها قدماء الجغرافيين اليونانيين (راجس) كانت من أشهر المدن الفارسية القديمة وكان موقعها في شمالي عراق المعجم وترى اخربتها في جنوبي طهران على مسافة خمسة كيلو مترات . وكان يحيط بها سور منيع يبلغ طوله ٢٦ كيلو متراً . وبعض هذا السور باق الى اليوم يدل على عظمة المدينة ووسعيتها . افتتح العرب هذه المدينة بعد الاسلام سنة ٦٤٦

والكرخ^(١) وقزوين . ثم ساروا الى أرمينية وعاثوا في نواحيها وقصدوا الدينور^(٢) سنة ١٠٣٨ (٤٣٠ هـ) فنهبوا وقتلوا

ثم اجتمع الغز الذين في أرمينية وساروا الى بلاد الأكراد الهكارية من أعمال الموصل فقاتلوا أكرادها وهزموهم واستولوا على بيوتهم وأموالهم ثم ساروا يتبعونهم وكان الأكراد قد تحصنوا في الجبال والمضايق وقد جمعوا قوتهم فسكرّوا على الغز وقاتلوهم شديداً حتى ظفروا بهم وقتلوا منهم ألفاً وخمسة رجل وأسروا سبعة من أمرائهم ومائة من وجوههم وغنموا سلاحهم وخيلهم فتمزق الغز وتفرقوا . ثم جمعوا شتاتهم وانضم اليهم الغز الذين طردهم ابراهيم ينال أخو طغرل بك فتوغلوا في جبال الروزان وساروا الى جزيرة ابن عمر سنة ١٠٤١ (٤٣٣ هـ) فنهبوا فردى وبازبدى والحسنية وفيشابور . وكان زعيمهم منصور بن غز غلي قد نزل بمجنوده في الجانب الشرقي من جزيرة ابن عمر وعليها سليمان بن نصر الدولة بن مروان فأخذ سليمان يحتال عليه بعقد الصلح حتى رضي به منصور على شرط أن يقيم في الجزيرة حتى يتكشف الشتاء ثم يسير بمن معه من الغز الى الأصقاع الشامية . وبعد أن تم الصلح بينهما أقام سليمان مأدبة عظيمة دعا اليها أمراء الغز مع زعيمهم منصور فلما حضروا احتاط بهم جند سليمان واوثقوهم ثم ألقوهم في السجون وبلغ الخبر الى الغز المقيمين خارجاً فذعروا من ذلك وانصرفوا عن الجزيرة الى أطراف الموصل وكان قرواش قد جمع رجال البشنوية خوفاً من شر الغز وسار اليهم ليكشفهم عن بلاده فخاربه الغز وقاتلوه قتال من لا يخشى الموت حتى

ميلادية في خلافة عمر بن الخطاب على يد عروة بن زيد الطائي . وبني سورها وجامعها الكبير في خلافة أبي جعفر المنصور ثم أخرجها المغول وقتلوا أهلها ومن نجا من حدّ السيف انتقل الى طهران

(١) يعرف عند العرب بكرخ خوزستان

(٢) الدينور مدينة شهيرة كانت في عراق العجم تبعد عن همدان عشرين فرسخاً . وكانت عامرة في زمن المدينة الاسلامية وبلغ فيها عدد كبير من العلماء الاعلام واليوم هي خربة . وقد ذكرها الخوي ووصف كبرها

هزموه وأعادوه الى الموصل مقهوراً . ثم حاد الغز الى الجزيرة . وشدوا عليها الحصار فأرسل ابن مروان يعدمهم باطلاق أميرهم ويبذل لهم الأموال الكثيرة اذا ساروا عنه فوعده ثم نكثوا بوعدهم وذلك انهم بعد اطلاق سراح أميرهم وقبضهم الأموال حملوا على بلاده فغربوا ودمروا وأقام بعضهم في اطراف ديار بكر والبقية ساروا الى البقعاء من أراضي الموصل بينها وبين نصيبين فنزلوا في قصبتها برقييد وسمع قرواش بقدومهم فأرسل من يستطلع أحوالهم وعددهم ثم أتخذ يستعطفهم ويعدمهم بمبلغ ثلاثة آلاف دينار اذا ساروا عنه فلم يرضوا به وأرسلوا يطلبون منه خمسة عشر ألف دينار - أي ما يساوي تقريباً ٧٥٠٠ جنيه - فوعدهم قرواش بهذا المبلغ ومن ثم استدعى الاهالي وأعلمهم بذلك . وبينما كانوا مهتمين بجمع المال زحف الغز على المدينة ونزلوا بالحصباء فخرج قرواش بنحواص المدينة وسوادها وقاتلهم سحابة يومه حتى أدركهم الليل فافترقوا . ولما كان الغد عادوا الى حومة القتال وما لبث الاهالي حتى انهزموا وانهزم قرواش أيضاً بسفينة نزلها من داره ومن ثم دخل الغز المدينة فسبوا وأخربوا وبلغ مقدار ما نهبوه من دار قرواش ما ينيف على مائتي ألف دينار ^(١) . ووصل قرواش الى السن ثم أرسل الى الملك جلال الدولة يستنصره على الغز وكتب الى امراء العرب والاكراد يشكرو اليهم الغز وما فعلوه في الموصل من المظالم . اما الغز فلما استقر بهم المقام في الموصل اغرموا الاهالي عشرين ألف دينار ثم دخلوا البيوت ونهبوا ما بقي فيها من أموال وحلى ووضعوا غرامة أخرى أربعة آلاف دينار ثم حضر جماعة من الغز عند أحد أعيان المدينة وهو ابن فرغان وطالبوه بدفع المال فلم يطق أهل الموصل احتمال هذه المظالم وحملوا حملة رجل واحد على الغز الذين عند ابن فرغان فقتلهم ثم خرجوا يطوفون ويقتلون كل من صادفوه منهم ومن بقي من الغز لجأوا الى دار وتحصنوا فيه فنقب الاهلون عليهم واعملوا فيهم السيف حتى قتلهم

عن بكرة أبيهم . ولم يخلص منهم الا سبعة انفار منهم الأمير أبو علي منصور
 فهرب منصور الى الحصاء وكتب الى الأمير كوكتاش يعرفه الحال . وكان
 كوكتاش قد فارق الموصل بجمع عظيم من الفز فما ابطأ كوكتاش ان قدم
 برجاله ودخل الموصل عنوة في الخامس والعشرين من رجب سنة ١٠٤٣ (٤٣٥ هـ)
 فوضع فيها السيف واقام يقتل وينهب اثني عشر يوماً ولم يسلم الا سكة أبي
 نجيج لاحسان أهلها الى الأمير منصور وسلم أيضاً من انتجأ اليها من الموصل
 وبقيت جثث القتلى في طرق المدينة حتى انتنت ثم طرحت بعد ذلك كل جماعة
 في حفرة^(١)

وطال مقام الفز في بلاد الموصل وهم يشنون الغارات على الاطراف
 وينهبون ويسلبون . ولما رأى جلال الدولة بن بويه ان شرهم قد انتثر
 وأوشك ان يعم بلاده أيضاً كتب الى طغرل بك بن ميكائيل بن سلجوق مؤسس
 الدولة السلجوقية يشكو اليه الفز وما يفعلونه في بلاده من المظالم والفساد .
 فورد الجواب من طغرل بك يمتذر الى جلال الدولة بأن هؤلاء التركمان كانوا لنا
 عبيداً وخداماً ورعايا وتبعاً يمثلون الأمر ويخدمون الباب ولما نهضنا لتدبير
 خطب محمود بن سبكتكين وخوارزم انجازوا الى الري فعاثوا فيها وأفسدوا
 فزحفنا بجنودنا من خراسان اليهم مقدرين انهم ياجأون الى الامان ويلوذون
 بالعمو والغفران فملككتهم الهيبة وزحزحتهم الحشمة ولا بد من ان زدهم الى
 راياتنا خاضعين ونذيقهم من بأسنا جزاء المتبردين قربوا أم بعدوا^(٢)

ذكرنا ان قرواش سار الى السن ومن هناك راسل جلال الدولة وأصحاب
 الاطراف وأمراء العرب في طلب النجدة فلم يستطع جلال الدولة اسعافه لسبب
 اختلال أمر الجند الاتراك . اما من امراء العرب فقدم لنصرته نور الدولة
 أبو الاعز ديبس بن صدقة واجتمعت عليه عقيل وغيرهم ثم ساروا الى الموصل

(١) ابن الاثير ج ٩ ص ١٤٦

(٢) ابن الاثير ج ٩ ص ١٤٦

خأخر الغز عنهم الى تلمفر وبوماريه ونواحيها ومن هناك راسلوا الغز الذين كانوا في ديار بكر يطالبون مساعدتهم على العرب ثم التقى الفريقان برأس الايل من النرج واقتتلا قتالاً شديداً استظهر فيه العرب واعملوا السيف في الغز فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وغنموا جميع ائقالمهم . وأرسل قرواش رؤوس كبار الغز الى بغداد فأخذها الاترك ودفنوها حمية على ابناء نزعتهما اما من بقي من الغز فساروا عن طريق نصيبين وازاروا على بلاد الأرمن والروم ونهبوها . وكان الغز الذين قدموا على الموصل نيفاً وثلاثين ألفاً . ولم يفلت منهم سوى خمسة آلاف ^(١) فمظم قرواش بهذا الانتصار الباهر وارفع قدره ومدحته الشعراء منهم أبو علي بن شبل البغدادي بقصيدة منها :

يأبى الذي أرست نزار بينها في شامخ من عزه المنخير
زهت أرضك من قبور جسومهم فغدت قبورهم بطون الانسر
من بعد ما وطئوا البلاد وظفروا من هذه الدنيا بكل مظفر
فضوا رتاج السد عن يأجوجه ولقوا بياسك سطوة الاسكندر ^(٢)

الفصل الثالث عشر

منازعة بني المقلد ثم تولي قریش الامارة

توفي جلال الدولة بن بهاء الدولة بن بويه سنة ١٠٤٣ (٤٣٥ هـ) بعدما ملك في بغداد نحو سبع عشرة سنة وكانت أيامه مشحونة بالفتن والقتال والحروب مع بني اعمامه منازعيه في الملك . ولما توفي كان ابنه الاكبر الملك العزيز أبو منصور بواسط ^(٣) فاطاعه الجند وكتبوا اليه يعجلون قدومه

(١) ابن الاثير ج ٩ ص ١٤٦

(٢) ابن خلکان ج ٢ ص ٢٥١

(٣) واسط من المدن العرية الكبيرة وكانت واقعة جنوب شرقي بغداد على مسافة ١٠٠ كيلو متر تقريباً . أسسها الحاج بن يوسف النقفى سنة ٧٠٢ (٨٣ هـ) واشتهرت

ليبيايموه وبلغ خبر مبايعته الى الملك أبي كاليجار البويهبي الذي كان مستولياً على بلاد فارس فأخذ يرسل القواد والجند ويعدهم بالاموال الكثيرة ويرغبهم في ملكه حتى استمالهم اليه فعدلوا عن الملك العزيز

ولما علم الملك العزيز بعدول الجند عن مبايعته الى مبايعة الملك أبي كاليجار خاف غدرهم فسار مستجيراً بقرواش وبنصر الدولة بن مروان وبقي مقيماً عند نصر الدولة حتى توفي في ميافارقين . أما الملك أبو كاليجار فلما استقرت القواعد بينه وبين الجند وتيقن من البيعة له أرسل الاموال الطائلة لتفرق على الجند وعلي أولادهم . ثم أهدى الى الخليفة عشرة آلاف دينار مع تحف كثيرة نفيسة فصارت الخطبة له في بلاد فارس والعراق بأسره . ومن ثم قدم الى بغداد سنة ١٠٤٤ هـ (٤٣٦ هـ) فدخلها بمائة فارس من أصحابه وخلع على القواد وملك أربع سنوات . ثم توفي وخلفه في الملك ابنه الملك الرحيم سنة ١٠٤٨ هـ (٤٤٠ هـ) . وكان أمراء بني عقيل على أتم اتفاق مع الملك أبي كاليجار فباتت بلادهم في راحة وأمان حتى السنة التي توفي فيها . ثم تجددت الفتن وعمت المشاغب بلاد بني المقلد . وبدأت بفتنة ثارت بين أبي الحسن عيسكان أمير الاكراد الحميدية سكان المقر وما يجاورها من الجبال وبين أبي الحسن موشك أمير الاكراد الهذبانية سكان قلعة اربيل واممالها . فحاول قرواش اخادها لثلاث تطاير شظاياها الى غيرها من الاماكن . وعلى هذا انتصر للاكراد الهذبانية ليكسب ثقتهم ويتقوى بهم على نصر الدولة بن مروان لسبب اختلاف جرى بينهما . ثم زاد الشر في اختلاف بني المقلد وانقسامهم على بعضهم بتأصل جرائم العداوة بين أبي السكامل زعيم الدولة أخي قرواش وبين ابن أخيه قريش بن بدران ، فجمع كل منهما رجاله ، وجرى بينهما قتال شديد كان الظفر فيه لقريش وانهزم عنه زعيم الدولة . ثم سار قريش

بمحضارتها ومشاهير رجالها . ثم أخربها هولاء الكو النولي بعد ما قضى على الدولة العباسية . وترى الى اليوم انقاض أبينتها وجوامعها المتفتنة البناء . وبجنوبها على مسافة ٣٧ كيلو متراً توجد قرية صغيرة تدعى « واسط الحلي »

الى عمه قرواش وأخذ يوغر قلبه على زعيم الدولة ويثيه بأنه ظامع في ملكه . وما زال به حتى تمكنت الوحشة والبغضاء من قلب قرواش وظهرت بغضتها لبعضهما ظهوراً آل بهما الى الحرب ومن ثم انتهز بنو مروان والاكراذ الحميدية فرصة الانتقام من قرواش وانضموا بجندهم الى زعيم الدولة للاخذ بناصره تمكيناً للشر بينه وبين قرواش ، فسار سليمان بن نصر الدولة بن مروان وأبو الحسن عيسكان الحميدي بجنودهما وتبعهما كثير من الاكراد الى مدينة مملثايا فنهبوها وأخربوها ^(١) ثم جاء زعيم الدولة بمن معه من العرب وعقيل ونزلوا بمرج بانيثا والاصح حانيثا وهي مجاورة لمملثايا ^(٢) وخرج قرواش اليهم فنزل عنهم على مسافة فرسخ وانتشب القتال بين الفريقين فانكسر قرواش وتفرق رجاله ووقع أسيراً فأرسله أخوه زعيم الدولة مقيداً الى الموصل

وكان قرواش مهيباً تخافه العرب والاكراذ فلما رأوا ما صار منه طمعوا في زعيم الدولة وأخذوا ينهبون ويسلبون . وكان زعيم الدولة يخاف تقلب الاحوال وسوء العواقب فعمد الى مصالحة أخيه بتسليم الملك له غير انه لم يزل ظامعاً في الملك اذ كان يسؤه ان يرى أخاه حائلاً بينه وبين أمنيته فأخذ يمتال ثانية في القبض عليه وكان قد استمال اليه الاجناد والعرب وجمع من المال شيئاً كثيراً فأنزل أخاه قرواش ثانية واستبد بالملك سنة ١٠٥٠ (٤٤٣ هـ) ^(٣) ومن ثم أنف قرواش من تحكم أخيه في البلاد وعقد النية على مفارقتها رغبة في الراحة فسار عن الموصل يريد بغداد . ولما علم زعيم الدولة بمسيره أرسل اليه أعيان قومه ليردوه طوعاً أو كرهاً فرضي قرواش بالموود وخرج أخوه الى استقباله وزاد في تكريمه واسكنه دار الامارة وأجرى له شيئاً من المال لينفقه على حاشيته . وبقيت دولة بني المقلد في طاعة زعيم الدولة سنة كاملة

(١) ابن الاثير ج ٩ ص ٢٠٦

(٢) المرجى ص ٤٠٨

(٣) أبو الفدا ج ٢ ص ١٧٩

ثم توفي سنة ١٠٥١ (٤٤٣ هـ) بجرح انتقض عليه في تكريت حيث دفن .
 فاجع عرب عقيل على تسليم الملك الى علم الدين أبي المعالي قريش بن بدران
 وقدم قريش الى الموصل فارسل الى عمه قرواش وهو تحت الاعتقال يعلمه
 بوفاة زعيم الدولة وقيامه بالامارة ويعده بأنه يتصرف على اختياره ويكون
 بالامارة نائباً عنه . وبعد ذلك جرى نزاع بين قريش وعمه ثم آل الى القتال
 فانتصر قريش على عمه واستمال اليه العرب فنقل عمه الى قلعة الجراحية من
 أعمال الموصل حيث توفي سنة ١٠٥٢ (٤٤٤ هـ) فحمل ميتاً الى الموصل ودفن
 بتل النوبة قريباً من نينوى . قال ابن خلكان : كان أول ما فعله قريش انه
 قتل عمه قرواشاً في مجلسه في مستهل سنة ٤٤٤ هجرية . وكان قرواش من
 خيرة رجال العرب ذا عقل ثاقب مع دراية وخبرة في الشؤون . وصوله في
 الحروب . وكان شاعراً بليغاً ومن شعره في الحماسة :

من كان يحمّد أو يذمّ مورثاً للمال من آبائه وجدوده
 فانا امرؤ الله أشكر وحده شكراً كثيراً جالباً لمزيده
 لي اشقر صمغ العنان مغاور يعطيك ما يرضيك من مجهوده
 ومهند غضب اذا جردته خلت البروق تموج في تجريده
 ومثقف لدن الستان كأنما أم المنايا ركبت في عوده
 فبذا حوت المال الا انني سلطت جود يدي على تبديده

ولم يهنا قريش بالامارة بعد موت عمه والله ينتقم من الظالم باظلم منه فان
 أخاه المقلد وكان موغراً الصدر بما وقر بنفسه من استبداد أخيه أخذ يعمل في
 فتق الحيلة ليضبط الامارة . ولا عجب فان ذوي المطامع لا تجمعهم الاواصر
 ولا يزعمهم فيها وازع واذا دعت الحاجة بهم يضحون اخوانهم واعزاءهم على
 مذابح تلك المطامع المعبودة . وهكذا كان فاز المقلد حمل على قريش وانتشب
 بينهما القتال فانهمزم المقلد الى نور الدولة ديبس بن يزيد يستنصره على أخيه
 سنة ٤٤٤ هجرية . اما قريش فبعد انهزام أخيه اغار على حلاله ونهبها وأقلع

وراجعاً الى الموصل فوجدها قد اختلت احوالها واختلفت العرب عليه . وكان
نواب الملك الرحيم قد استولوا على بلاد بني عقيل في العراق فأقام قريش في
الموصل يسعى في استمالة العرب حتى أصلحهم . ولما أذعنوا له جرد الرجال من
العرب والاكراد ، وسار الى العراق ليستعيد بلاده فراسل أولاً نائب الملك
الرحيم يبذل له الطاعة ويطلب منه تقرير ما كان له من البلاد . وكان الملك
الرحيم منشغلاً بخوزستان وخاف العواقب اذا رفض فأجابه الى ذلك على كره
واستقر الامر لقريش

الباب الثالث

الدولة السلجوقية والدولة الاتابكية في الموصل

الفصل الاول

منشأ الدولة السلجوقية ونهاية إمارة قريش

ان السلاجقة هم من الاقوام التركية التي كانت تقطن المفازة المتسعة
الارعاء ما بين تركستان والصين وكانت حينئذ احياء بدوية منتجة وفيها كان
التتر والخطا والغز^(١) ثم السلاجقة وهم قبيلة من الغز^(٢) وقد سمو بذلك
نسبة الى سلجوق زعيمهم ومؤسس دولتهم

كان سلجوق على ما رواه ابن الاثير من كبار أمراء الترك وترعرع في
قصر ملكهم بيفغو . وكان منذ حداثته نشيطاً تبدو على وجهه مخايل النجابة

(١) ابن خلدون ج ٣ ص ٤٥٠

(٢) ابن خلدون ج ٥ ص ٣

والشجاعة . فلما بلغ أشده خافه بيغو على ملكه وأراد به شراً . فهربه سلجوق وتبعه كثيرون من الفز الاشداء الى ديار المسلمين وهناك اعتنق الاسلامية وازداد علواً وامرة وعظمه الاسلام فأقام بنواحي جند^(١) . ثم لما سنحت له الفرص استولى على تلك النواحي التي كانت تؤدي الجزية لملك الترك فطرد عماله وجعل عليها رجلاً من خاصته وأقام على ذلك حتى توفي في جند خلال مباديء القرن الحادي عشر للميلاد

ولما نشأ طغرل بك من ولد ميكائيل بن سلجوق حارب مسعود من آل سبكتكين وانتصر عليه . فاستولى على خراسان ، واتخذ نيسابور عاصمة لمملكته سنة ١٠٣٧ (٤٢٩ هـ) ولقب بالملك الاعظم . أما مسعود فجيش عسكرياً يضيق به القضاء وسار لمحاربة طغرل بك فنزل على مرو وانتشبت بينهما حروب . كان الظفر فيها للسلاجقة فتمزق مسعود واجناده كل ممزق . ومد طغرل بك يده على اذربيجان وخوزستان وبلاد ايران والعراقين وكردستان وملكها . ثم انتشر السلاجقة يدوخون البلاد فاستولوا على بلاد الروم وكرمان ودامت مملكتهم نحو ١٥٦ سنة أي من سنة ١٠٣٧ (٤٢٩ هـ) الى ١١٩٣ (٥٩٠ هـ) . وسنستطرد الكلام عن بعض ملوكهم ممن له شان في تاريخ الموصل

كان طغرل بك طامعاً في الاستيلاء على بغداد فسار اليها سنة ١٠٥٥ (٤٤٧ هـ) محتجاً بما فعله الملك الرحيم البويهبي من تبطيل الخطبة له في شيراز أشهر مدن ايران . وانتشر اجناد طغرل بك في طريق خراسان . ولما بلغ خبر قدومه الى الملك الرحيم هلع قلبه خوفاً وأخذت منه الحيرة أي مأخذ سبباً لانه كان عارفاً بما يبطنه خاصة بغداد وطامتها من البغض له والسعي في سقوط مملكته الديلمية . ثم تقدم طغرل بك الى بغداد ونزل بعيداً عنها فارسل الملك

(١) جند كانت مدينة شهيرة من تركستان على نهر جيحون وذكرها الحموي انها كانت في زمانه بيد المنول

الرحيم يعاهده على الصلح ويطلب منه ابقاء البلاد له . ولما تقررت القواعد الصلحية أمر الخليفة القائم بأمر الله الذي تولى الخلافة بعد أبيه القادر بالله سنة ١٠٣٠ (٤٢٢ هـ) ان يخطب لطفربك . ثم دخل طفرلك الى بغداد باحتفال شائق سنة ١٠٥٥ (٤٤٧ هـ) . وبادر قريش بن بدران بالمسير الى بغداد لتقديم الطاعة له . وفي اليوم الثاني لدخول طفرلك ثارت فتنة بين الاهالي وبين الاجناد السلاجقة فنسب طفرلك ذلك الى حركة من الملك الرحيم فاحضره عنده وأمر ان يسجن في قلعة حيث توفي سنة ١٠٥٨ (٤٥٠ هـ) وكان الملك الرحيم آخر ملوك بني بويه في العراق . فدالت الامور للسلاجقة وآل اليهم النقض والابرام وعظم شأنهم وصاهروا الخلفاء

ثم ان أبا الحارث البساسيري ^(١) أحد مماليك بهاء الدولة البويهى خالف السلاجقة وخضع للمستنصر الفاطمي خليفة مصر وتبعه الكثيرون من الاجناد التركية معهم دبس بن مزيد باصحابه وسار البساسيري سنة ١٠٥٦ (٤٤٨ هـ) الى الموصل ليضبطها ويخطب فيها خليفة مصر . فلما قدمها خرج اليه قريش بن بدران ومعه قتلش بن عم طفرلك . وثارت الحرب بينهما عند سنجار وبعد قتال عنيف انهزم قريش وقتلش . فدخل البساسيري الى الموصل وخطب فيها خليفة مصر . ثم ان قريش غدر بقتلش وانحاز الى البساسيري فعاد الى الموصل ورضي بالخطبة للمستنصر بالله والطاعة له وعلى هذا وردت له الخلع النفيسة من مصر

ولما بلغ الخبر الى طفرلك سار الى الموصل بجماعة من اصحابه ونهب في طريقه اوانا وعكبرا . ووصل تكرت فشد عليها الحصار وافتتحها . ثم عزم على المسير الى الاعراب ليضعض قواتهم ويأمن غوائلهم . ثم يسير الى فتح

(١) اسمه ارسلان وكنيته أبو الحارث وحاه في معجم البلدان ما نصه : بسا بالفتح ويسربونه فيقولون بسا مدينة بفارس . وأورد أبو العباس احمد بن علي بن بابه القاسي ان ارسلان البساسيري منسوب اليها أي بسا

الموصل . فقصدهم وقتل منهم عدداً عظيماً وفرق الباقي . وبعد هذا أقبل الى الموصل بجيشه تخافته الاهالي . وكان البساسيري قد انهزم الى الرحبة وبقى قريش ودييس فأتقذا الى هرزاسب أحد قواده يستعطفانه ان يتوسط بهما الى السلطان ويصلح أمرهما . فأغضى عنهما السلطان ولم يرد ان يعفو عن البساسيري . ثم أخذ قريش يتزلف الى طغرل بك . وما زال يلتمسه ان يعيد عليه بلاده حتى أجابه السلطان فأقطعه نهر الملك وهي كورة واسعة كانت تشتمل على ٣٦٠ قرية بعد نهر عيسى في غربي بغداد بين دجلة والفرات . ثم بادوريا ونهر بيطر من نواحي دجيل . ثم عكبرا وأوانا وتكرت ونصيبين والموصل . الا ان ابراهيم بذال أخا السلطان طغرل بك لم يرض بمصالحة قريش وباقطاعه البلاد بعد ما ظهر من خيائنه فاستأذن السلطان وكان قد طاد الى بغداد وسار بجيش على قريش ليخرجه عن الموصل فلما قدمها ابراهيم هرب قريش الى الرحبة عند البساسيري ودخل ابراهيم الى الموصل سنة ١٠٥٧ (٤٤٩ هـ) وتسلم أزمة تديرها وأقام فيها سنة كاملة . ثم انه انقلب على أخيه لاستبداده في الملك فاتفق مع قريش والبساسيري وأخذ يكاتب خليفة مصر يستنصره على أخيه . ثم بارح الموصل سنة ١٠٥٨ (٤٥٠ هـ) وسار الى بلاد الجبل وكان طغرل بك قد بلغه عن اختلاف أخيه فأوجس ريبة من مسيره الى الجبل وظن ذلك حيلة منه ليمتنع فيه فيتسنى له حشد الجنود والمجاهرة بالعصيان لهذا أتقذ رسولا يستدعيه اليه . فحضر ابراهيم الى بغداد لارغبة في الصلح بل ليسبل على عصيانه تقاب السلم وأحسن اليه السلطان وجعله عنده ومن ثم انتهز البساسيري وقريش الفرصة وطادا الى الموصل . فوجدوا أبوابها موصدة بوجههما فحاضراها وضايقا الاهالي حتى اشتد فيهم الجوع وأكلوا لحوم الحيوانات ثم اضطرم عسر الحال ان يسلموها . فدخلها البساسيري وقريش وأمرأ بهدم قلعتها حتى غفا أثرها . واذ بلغ الخبر الى السلطان سير جريدة بأنفي فارس لكن البساسيري وقريش هربا قبل أن

يصلها السلطان فسار يتبعهما الى نصيبين

وكان ابراهيم قد لبث في بغداد ليرى ما يكون من اخيه فاستفاد من غيابه وسار الى همدان وضبطها . وعلى هذا عاد طغرل بك الى همدان لمحاربتة . أما ابراهيم فكان قد امتنع في همدان وجمع العساكر العديدة من الاتراك . وأقام في انتظار أخيه . فقدم طغرل بك وحاربه وهزم أصحابه وأسره ثم أمر به بنحق بوتر قوسه . وبعد ان فرغ طغرل بك من مهمته هذه عاد راجعاً الى بغداد وكان البساسيري وقريش قد استوليا عليها عنوة وخطبا فيها لخليفة مصر سنة ١٠٥٩ (٤٥١ هـ) ولما سمعا بقدومه هرب البساسيري الى الكوفة . ثم ان طغرل بك أنهذ خمار تكين بألنى فارس للقبض على البساسيري ولم يكن مع البساسيري من يدافع عنه فأمسكه وحز رأسه ثم جىء به الى السلطان فطيف به في المدينة

ولما رأى قريش ما حل بربيبه البساسيري عرف سوء مصيره وأدرك الخطر الذي هو فيه ان لم يتلاف الحرق ، فبادر الى تقديم الاموال الطائلة للسلطان طغرل بك ووعد به باخلاص الخدمة والطاعة له الى الموت ، فعفا عنه السلطان وأعادته الى امارته . وبعد أن قضى فيها سنتين خاضعاً للسلطان السلجوقي توفي في نصيبين بمرض الطاعون آخر سنة ١٠٦١ (٤٥٣ هـ) وكان عمره احدى وخمسين سنة ^(١)



الفصل الثاني

امارة شرف الدولة مسلم العقيلي

بعد قریش تولى الامارة في الموصل وما يليها ابنه شرف الدولة مسلم أبو المكارم وخضع للسلطان السلجوقي فساد الامن في بلاد الموصل والعراق الى سنة ١٠٦٣ (٤٥٥ هـ) وفيها توفي السلطان طغرل بك ولم يخلف ولداً ليجلس على سرير السلطنة . فوقع النزاع بين سليمان وبين الب ارسلان محمد ابني داود جفري بك السلجوقي وكثرت القلاقل وعمت الفوضى وانتشرت عرب البادية يفسدون نهياً وسلباً واستمر هذا الحال الى أن استقرت السلطنة لالب ارسلان . وبعد ان نكل باضداده ومنازعيه من السلاجقة سار بجيوشه على الاعراب فقتل منهم وأركن الباقر الى الفرار . ثم رجع الى بغداد وكان قد سمع عن طاعة شرف الدولة صاحب الموصل واقتداره وحسن سيرته فأرسل في طلبه الى بغداد . ولما قدمها شرف الدولة خرج الوزير نحر الدولة الى استقباله وخلع الخليفة عليه . ثم أقطعه السلطان زيادة على ما بيده الانبار وهيت والبولايخ وحربي ^(١) وكانت بين بغداد وسامرا واعطاه أيضاً السن وكانت مدينة عند مختلط الزاب الصغير بدجلة فوق تكريت . ذكر الحموي اسوارها وجوامعها وكنائسها الكثيرة . وكان الفرس يسمونها قرد ليباد . ثم ان شرف الدولة طاد الى الموصل . وكان بنو كلاب في الرحبة في طاعة العلوي المصري يباهرون بالدعوة له فساد اليهم شرف الدولة بجنده سنة ١٠٦٧ (٤٦٠ هـ) وحاربهم فظفر بهم وفرقهم . ثم أخذ أموالهم وأعلامهم وأرسلها الى بغداد فمظم شأنه وأرسل له الخليفة الخلع الثمينة وأثنى عليه السلطان وقربه اليه ثم قُتل السلطان الب ارسلان سنة ١٠٧١ (٤٦٤ هـ) فحمل الى مرو ودفن فيها وقام بعده بالسلطنة ابنه ملكشاه وتوثقت علاقات المودة بينه وبين شرف

للدولة فمكثنا على عهود الولاء زمناً طويلاً ثم انقلب الولاء بينهما الى عداوة وحرب وذلك ان نغر الدولة أبا نصر بن جهير الشعلبي الموصل ووزير الخليفة وعميد السلاطين الساجوقيين أرسله السلطان سنة ١٠٨٤ (٤٧٧ هـ) بمجنّد أكثيف الى ديار بكر ونواحيها ليستولي عليها فانقذ ابن مروان صاحب ديار بكر يستغيث بشرف الدولة ويعده بآمد اذا تمّ طمها النصر . فطمع شرف الدولة بالمواعيد وزحف برجاله لنصرة ابن مروان وبعد قتال شديد انكشفت الحرب عن انهزام شرف الدولة وابن مروان واستيلاء ابن جهير على ديار بكر . ومن ذلك اليوم صارت ديار بكر لبني جهير^(١) وكان شرف الدولة لما هرب قد دخل آمد وانحصر فيها ثم بلغ الخبر الى ملكشاه بعصيانه وانحصاره فأرسل من ساعته عميد الدولة أبا منصور محمد بن نغر الدولة بن جهير الى الموصل ومعه امرأ التريكان منهم اقسنقر قسيم الدولة جد الملوك الاتابكية في الموصل . فقدم ابن جهير ونزل قريباً من المدينة ثم أرسل يندراً أهلها ويشير اليهم بالطاعة وتسليم المدينة فاذعنوا وفتحوها له وأرسل عميد الدولة بن جهير يبشر للسلطان بالفتح فسار السلطان بنفسه الى بلاد الموصل وملكها لكن لم يبق فيها مدة طويلة لسبب عصيان أخيه تكش في خراسان واذ ذاك أجبر ملكشاه ان ينسحب بعساكره عن الموصل ليسير في طلب أخيه ومن ثم قرّ رأيه ان يرسل في طلب شرف الدولة ويعتقه العفو ليكون خاضعاً له شاكراً خير من ان يأتي المدينة فيجدها طليقة ويدخلها عنوة . فأرسل اليه وهو في الرحبة واعطاه المواثيق والعهود وأحضره اليه وقدم شرف الدولة للسلطان الأموال الكثيرة ونال منه الرضى واعاده الى بلاده .

وكان شرف الدولة ذا فكر صائب وشجاعة في الحروب سار الى الديار الشامية والجزيرة وضبط منها حلب سنة ١٠٨٠ (٤٧٣ هـ) واقتحم حران سنة ١٠٨٣ (٤٧٦ هـ) ثم حاصر النابكسية وكانت بيد الروم فخافه صاحبها

ووعده بتقديم الجزية له سنوياً . فلما كانت سنة ١٠٨٤ (٤٧٧ هـ) زحف سليمان بن قتلمش السلجوقي صاحب قونيا واعمالها على انطاكية وحاصرها وضبطها . ثم أرسل يبشر السلطان ملكشاه بذلك . ونفي خبر فتح انطاكية الى شرف الدولة بن قريش فاوفد رسولا الى سليمان يطالبه بالمال الذي كان يحمل اليه من انطاكية ويتهدده بالسلطان اذا أبي . فاجابه سليمان اما حمل المال فلا أحمله أبداً واما تتهددني بالسلطان فاني له وطاعته شماري وله الخطبة والسكة في بلادي

على هذا جمع شرف الدولة جوعاً من العرب والتركمان وسار الى انطاكية ليحصرها فخرج اليه سليمان بعساكره والتحمت الحرب بينهم سنة ١٠٨٥ (٤٧٨ هـ) ثم دارت الدوائر على شرف الدولة فانهزم وتفرق أصحابه ولحق به سليمان حتى أمسكه فقتله في الخامس عشر من صفر من السنة عينها ومهره خمس وأربعون سنة . وكان شرف الدولة من أشهر أمراء بني عقيل وأخصهم سياسة وأكثرهم عدلا وكانت اعماله في غاية الخصب والأمن وقد اتسعت له فلك من السندية التي على نهر عيسى في غربي بغداد من الفرات الى منبج^(١) ومن الشام وحلب وما والاها من البلاد وديار ربيعة وديار مضر . وأخذ الاثاوة من بلاد الروم وضاهى بقوته ملوك السلجوقية في الجند والمال حتى أو شك ان يغلبهم على أمرهم . وكانت سيرته من أحسن السير وأعدلها فكان يصرف الجزية في سبيل تعمير البلاد واصلاحها من ذلك انه عمر سورا للموصل سنة ٤٧٤ هجرية^(٢) وكان الأمن في بلاده تاماً والرخص شاملاً بحيث يسير الراكب فلا يخاف شيئاً وكان له في كل بلد وقرية عامل وقاضٍ وصاحب خبر بحيث لا يتعدى أحد على أحد^(٣)

(١) ابن خلدون ج ٤ ص ٢٦٩

(٢) ابن خلكان ج ٢ ص ١٥٤

(٣) ابن الاثير ج ١٠ ص ٥١

الفصل الثالث

انقراض دولة بني عقيل

واستيلاء الامراء السلاجقة على الموصل واولهم كربوقا
استولى الساجوقيون على دولة بني العباس وافتسموها بينهم ولم يكن فيها
للخلفاء العباسيين الا الخطبة فقط فآلت الى ثلاث دول سلجوقية مستقلة .
الواحدة ملكت في بلاد الروم . والاخرى في كرمان والاخرى ملكت قسما
من بلاد فارس والعراق العربي . وكان ملوك هذه الدولة قد ساءهم ان يروا
الامارات الصغيرة كامارة بني عقيل وامارة بني مروان يستقلون في البلاد
ويستأثرون بالأموال . فعمدوا النية على محوها واستئصال شافتها ليأمنوا
غوائلها فيصفو لهم جو البلاد ويستبدون بالملك . وعلى هذا بشوا امراءهم مع
الجيش المجهزة فقرضوا دولة بني مروان من ديار بكر سنة ١٠٨٥ (٤٧٨ هـ)
واستولوا على بلادها . ثم صرفوا انظارهم الى استئصال دولة بني عقيل
وكان لما قتل شرف الدولة كما ذكرناه رتب الساطان ملك شاه أبا عبدالله
محمد بن شرف الدولة في الرحبة وحران وسروج وبلد الخابور وزوجه أخته
زليخة ^(١) وكان والده شرف الدولة قد اعتقل أخاه أبا سالم ابراهيم بن قريش
بقلعة سنجار مدة أربع عشرة سنة فلما تقرر أمر أبي عبد الله محمد في الامارة
اجتمع بنو عقيل فأخرجوا ابراهيم وملكوه عليهم . ثم اعتقله السلطان
ملك شاه سنة ١٠٨٩ (٤٨٢ هـ) وبعث نحر الدولة بن جهير على الموصل وبلادها
وبقي سجينا حتى توفي ملك شاه سنة ١٠٩٣ (٤٨٥ هـ) فأطلق ابراهيم وتولى
الامارة ثانية . وكان ابراهيم قليل الخبرة في ادارة البلاد وشؤون السياسة قد
انسلخت من مملكته الانبار ^(٢) وحلب ^(٣) وضبطها سليمان بن قتلش وزادت

(١) ابن الاثير ج ١٠ ص ٥١

(٢) ابن خلدون ج ٤ ص ٢٦٩

(٣) ابن الاثير ج ١٠ ص ٩٦

أحواله وخامة بمحاربته مع تتش الملقب بتاج الدولة أخي السلطان ملكشاه .
 وذلك ان بركيارق بن ملكشاه خلف أباه في الدولة السلجوقية العراقية .
 فقدم صمه تتش ليختلس منه السلطنة ولما وصل نصيبين أنفذ الى ابراهيم بأمره
 ان يعطيه طريقاً وان يخطب له بالسلطنة في بلاده . فأبى ابراهيم ومن ثم أقبل
 عليه تتش بمساركه والتحمت الحرب بينهما فكان يسمى المضيع ويسميه ابن
 خلكان المصنع - وربما هو غلط النساخ - فانتصر عليه تتش وقتله صبراً
 سنة ١٠٩٣ (٤٨٦ هـ) وملك بلاد الموصل ولما عرف بمبايعة الجند لبركيارق
 خابت آماله ، فهرب الى البلاد الشامية ، ثم تبعه بركيارق فظفر به وقتله
 سنة ١٠٩٥ (٤٨٨ هـ) .

وكانت بلاد الموصل بعد ان غادرها تتش قد خضعت لبني عقيل فاستولى
 محمد بن شرف الدولة على نصيبين واستولى أخوه علي على الموصل وما يجاورها .
 وبعد قتل تتش أرسل السلطان بركيارق فاستقدم من الشام الأمير قوام الدولة
 أبا سعيد كربوقا . فسار كربوقا الى نصيبين واستلمها من محمد العقيلي وأمنه
 على نفسه . ثم قدم الى الموصل وحاصرها مدة ولم يظفر منها بشيء فسار عنها
 الى بلد حيث غدر بمحمد العقيلي وقتله ثم عاد الى الموصل وحاصرها حصاراً
 شديداً حتى نفذت اقواتها ومواد الايقاد وصار الناس يوقدون القير وحب
 القطن . فلما ضاق الحال بصاحبها علي فارقها الى الحلة وتسلم كربوقا الموصل
 وبلادها سنة ١٠٩٥ (٤٨٩ هـ) وهكذا انقرضت دولة بني عقيل

واقام كربوقا على ولاية الموصل الى سنة ١١٠١ (٤٩٥ هـ) وفي اثنا عشر
 سار بجيوش الموصل الى الحرب الصليبية الأولى ثم أرسل السلطان بركيارق
 في طلبه ليسيّره الى محاربة محمد بن ملكشاه فسار كربوقا وفي الطريق اصابه
 مرض عضال . ولما علم بدنو أجله ولي مكانه على الموصل سنقرجه من الامراء
 السلاجقة وعاد اليها سنقرجه بعد موت كربوقا وكان اعيان المدينة قد بلغهم
 خبر موته فكتبوا الى موسى التركماني وهو في حصن كيفا يستقدمونه ليسلموه

المدينة . فبادر موسى بالمسير الى الموصل وبلغها بعد سنقرجه بثلاثة أيام . وظنه سنقرجه انه قادم للسلام عليه فخرج لاستقباله بأهل المدينة ودخل به الى دار الامارة ثم جرى بينهما الحديث على الولاية وكل واحد منهما طامع بها وحي الجدال بهما حتى أفضى الى اشهار السلاح فضرب موسى سنقرجه بضربة سيف لم تصبه حسناً ثم حمل أحد غلمان موسى على سنقرجه وطأه بضربة أخرى قضت على حياته فاستولى موسى على المدينة وخلع على أصحاب سنقرجه وطيب نفوسهم وأحسن اليهم . وبعد مدة يسيرة ثارت الحرب بينه وبين شمس الدولة جكرمش السلجوقي صاحب جزيرة ابن عمر فانكسر موسى وتحصن في الموصل ثم أرسل يستعين بصاحب ديار بكر وهو الأمير سقمان بن ارتق ويعده بحصن كيفا وب عشرة آلاف دينار . ولما قدم سقمان الى الموصل هرب جكرمش الا انه بعد مدة عاد جكرمش الى الموصل وكان موسى قد قتل بدسيسة ودفن بتل يسميه ابن الاثير بتل موسى فحاصر المدينة وافتتحها واحسن السيرة فاحبه العرب والاكراذ واطاعوه ، وتم الامر لجكرمش من دون منازع في الموصل حتى تولاهما السلطان محمد بن ملكشاه . وجرى ذلك ان السلطنة استقرت لبركيارق كما ذكرناه ثم بعد وفاة المقتدي بامر الله الذي تولى الخلافة بعد القائم بامر الله سنة ١٠٧٤ (٤٦٧ هـ) تبوأ عرشها ابنه المستظهر بالله سنة ١٠٩٤ (٤٨٧ هـ) وبوقته ثارت حرب داحسة بين بركيارق وبين محمد اخيه فكانا يتناوبان الظفر حتى ضعف الحال بكليهما مالا ورجالا وطمع بهما الاعداء ودامت بينهما هذه الحروب من سنة ١٠٩٩ (٤٩٣ هـ) الى سنة ١١٠٣ (٤٩٧ هـ) . ولما رأى بركيارق سوء المصير وان السلطنة أوشكت ان تخرج من يدهم راسل اخاه في أمر الصلح فاتفقا على ان يكون للسلطان محمد من النهر المعروف باسپيندرود ^(١) في نواحي اذربيجان الى باب الابواب ^(٢) مع ديار بكر

(١) ممناه النهر الايض ، في نواحي اذربيجان ، مخرجه من عند بلرسيس ويصب في بحر جرجان (ياقوت)
 (٢) مدينة دربند في غربي سواحل خزر في ذيل جبال قفقاس
 ويسمىها العرب باب الابواب ويسمونها أيضاً الباب

والجزيرة والموصل والشام

وبعد ما تقررت قواعد الصلح سار محمد الى مرقا ثم الى اربيل يريد جرمكش صاحب الموصل لياخذ منه البلاد وكان جرمكش قد احس بمسيره اليه فجدد اسوار الموصل ومكن حصونها ، وأمر أهل السواد الذين بالخارج ان يدخلوا المدينة . فلما قرب محمد ورأى الاسوار الجديدة والحصون المنيعة ارسل الى جكرمش يعرفه بالصلح الذي استقام امره وبالشروط المقررة بينه وبين اخيه بركيارق : منها ان تكون الموصل وبلاد الجزيرة له وعرض عليه كتاب بركيارق بذلك ثم وعده ان يبقيا له ويكتفي منه بالخطبة باسمه . فابى جكرمش تسليمها واصر على العصيان . ومن ثم زحف محمد برجاله واحتاط بالسور وناولوا الالهين بالقتال فقابلوه بشجاعة وكانوا شديدي المحبة لجكرمش لاستقامته وحسن سيرته فيهم ثم حمل اصحاب محمد على الاسوار وهدموا منها جانبا ولما ادركهم الليل انصرفوا عنه الى الغد وعند الصباح وجدوه مجدداً وقد شجن بالرجال . وكان الاهالي آمنين لكثرة الاقوات في المدينة ورخصها فقد ذكر ابن الاثير ^(١) ان الخنطة كانت تباع حينئذ ٣٠ مكوكا بدينار أي نصف جنيه مصرية والمكوك كان يومئذ صاعاً ونصفاً والصاع عند أهل العراق هو ثمانية ارطال والشعير ٥٠ مكوكا بدينار . وفي أثناء هذه الحرب توفي بركيارق أي سنة ١١٠٤ (٤٩٨ هـ) . ولما بلغ خبر موته الى جكرمش استدعى أهل المدينة واستشارهم فيما يفعله بعد موت السلطان نغروه ثم استشار امراء الجند فاشاروا عليه بتسليم المدينة الى السلطان محمد اذ لم يبق لهم سلطان غيره فكتب له بالطاعة ثم طالب وزيره سعد الملك ولما حضر الوزير الى جكرمش وتداولوا في أمر الصلح أخذه الوزير الى السلطان فصار أهل الموصل يبكون ويحثون التراب على رؤوسهم خوفاً على جكرمش من غدر السلطان . الا ان السلطان بش به واحسن اليه فآخذه على الولاية ثم ان جكرمش دعاه أن يدخل الى المدينة

فلم يقبل وعلى هذا أقام جكرمش مأدبة عظيمة في ظاهر المدينة وحمل الى السلطان والى وزيره الهدايا والتحف الثمينة . ثم ان محمد سار الى اصبهان سنة ١١٠٦ (٥٠٠ هـ) ليأخذها من ابن اخيه ملكشاه ، فاقترن جكرمش فرصة غيابه واعلن حاكمية مستقلة على البلاد . ولما بلغ خبر عصيانه الى محمد ارسل عليه جاولي سقاو و بجيش عظيم ليطرده عن البلاد وكان جاولي من الامراء السلجوقية المعروفين بشجاعتهم واقدامهم وكان قد اغار على البلاد التي بين خوزستان وفارس فلحقها وتمحصن فيها من السلاطين السلاجقة . ولما مات بركيارق قصده محمد بخافه جاولي وطلب منه الامان ثم قدم عليه في اصفهان فاحسن محمد استقباله ، وكان وصوله يوم بلغ السلطان خبر عصيان جكرمش فاقطعه بلاد جكرمش وسيره بالعساكر الى الموصل كما ذكرناه

الفصل الرابع

امارة جاولي على الموصل

قدم جاولي الى بلاد الموصل فاقتتحت البوازيخ ونهبها أربعة أيام ثم جعل عليها من رجاله وسار الى اربل . ولما نفي خبر قدومه الى جكرش بادر الى جمع العساكر . وفي تلك الاثناء جاءه رسول أبي الهيجاء بن موشك الكردي الهذباني صاحب اربل يعرفه باستيلاء جاولي على البوازيخ ويستعجله في المسير اليه . فبادر جكرمش وعبر دجلة الى شرقيها بمسكر الموصل واجتمع بالعساكر الهذبانية في قرية باكلبا من قرى اربل ثم واقام جاولي بمسكره فانشبث بينهما الحرب وحمل جاولي حملة على قلب الجيش الموصل ففرقه وأسر جكرمش وانهزم من بقي منه الى الموصل حيث امتنعوا واقاموا أميراً عليهم زنكي بن جكرمش . وكان عمره آنئذ احدى عشرة سنة وخطبوا له وفرق غزغلي بمالوك جكرمش الاموال والخيول على الجند . ثم كتب الى الملك قلعج

ارسلان بن سليمان بن قتلش السلاجوقي وكان على بلاد الروم يستدعيه لیسلمه المدينة . أما جاولي فقرب من الموصل وكانت منیعة اذ كان جكرمش قد شيد سورها وبني عليها فصيلا وحفر خندقها وحصنها على أحسن ما يرام . فشدد جاولي الحصار عليها الا انها امتنعت زمناً طويلاً . ثم أخرج جكرمش وأجبره أن يأمر الأهالي بفتح المدينة فأمرهم جكرمش بذلك ولم يفعلوا . وذات يوم وجد جكرمش ميتاً في الجب الذي كان يحبس فيه ^(١) وليث جاولي على حصار الموصل وهو لا يقدر ان ينال منها فلامه ظفر

ذكرنا ان أصحاب جكرمش كتبوا الى الملك قلعج ارسلان يستدعونه لیسلموه المدينة فقدم بعساكره ووصل نصيبين حيث أقام بضعة أيام حتى كثر جمعه وتوفرت عدته . ثم سار منها الى الموصل ولما بلغ خبر قدومه الى جاولي سقاو و رفع الحصار ورحل عن الموصل . فأرسل الأهالي الى قلعج ارسلان يخفون له على الطاعة . وبعد أيام يسيرة دخل قلعج ارسلان الموصل وخطب لنفسه بعد الخليفة وأحسن الى الجند عموماً . وخصوصاً الى أولاد جكرمش بالخلع الثمينة . ثم رفع الرسوم المحدثه وعدل في الناس فأحبوه وخضعوا له خضوعاً تاماً . أما جاولي سقاو فانه لما رحل عن الموصل ورد اليه كتاب من الملك رضوان وهو طغتكين أول ملوك بني طغتكين في الشام سنة ١١٠٣ (٤٩٧ هـ) يستدعيه الى الشام لیساعده على الصليبيين . فسار جاولي الى سنجار ثم الى الرحبة وطمع في الاستيلاء عليها . فكتب الى الملك رضوان يستدعيه على البلاد التي يريد الاستيلاء عليها . فاذا نال مأربه منها سار اليه بمن معه لمحاربة عدوه . فأقبل رضوان بجيشه والتقى به قريباً من الرحبة فافتتحاها . وبلغ خبرها الى قلعج ارسلان فجعل ابنه ملكشاه في دار الامارة وجيز خمسة آلاف فارس وسار بهم على جاولي . فالتقى الفريقان قريباً من الرحبة والتحم القتال بينهما . ثم حمل قلعج ارسلان بنفسه على العدو حتى اختلط فيهم وضرب

يد صاحب العلم فابانها . ثم هجم على جاولي وضربه بسيفه الا انه لم يحكم الضربة .
فحمل أصحاب جاولي عليه وعلى عسكره ومزقوهم كل ممزق . ولما أدرك فلجج
ارسلان الخطر المحيق به خاف أن يقع أسيراً بيد عدوه بعد تشتت عسكره
فألقى بفرسه في نهر الخابور ليعبره وانحدر به الفرس الى ماء غمر فغرق فيه
ومن ثم خلا الجو لجاولي في الموصل ، وألقى القبض على ملكشاه بن فلجج
ارسلان وعمره حينئذ احدى عشرة سنة فأرسله الى السلطان محمد . ثم سار
جاولي الى جزيرة ابن صمر . وعليها حبشى بن جكرمش فقدم حبشي الطاعة له
واهدها ستة آلاف دينار . وكان السلطان محمد قد جعل لجاولي كل بلدة
يفتحها فملك جاولي بلاداً كثيرة بحزمه وشجاعته . وقصدته الرجال وتوفرت
له العدد حتى تجبر وأخذ يضارع نفسه بالسلطان فامتنع عن تقديم الاموال .
وحدث في تلك الآونة ان ديبس بن صدقة من ملوك بني مزيد في الحلة خلع
طاعة السلطان وعصى عليه فقصده السلطان بجنده وكتب الى جاولي دفعات
يأمره بارسال الجند اليه وجاولي يعده ويماطله ويكتب ديبس ليحمله على
الريادة في العميان ومناوأة السلطان بل وكان يعده بالعدد والرجال . فلما قتل
ديبس سنة ١١٠٧ (٥٠١ هـ) أرسل السلطان جيشاً عظيماً مع الامراء وبينهم
اسباسلار مودود بن التون تكش الى الموصل . وأمرهم بأخذ البلاد من يد
جاولي ^(١) فقدموا اليها وحاصروها وكان جاولي قد رم ثلم اسوارها وأحكم
ما بناه جكرمش وأعد الميرة والآلات واستظهر على اعيان المدينة فحبسهم
واستولى على أموالهم ليفرقها في الجيش . وجعل على الاسوار على ما يقول
ابن الاثير عشرين ألف مقاتل من أحداث الموصل وأبطالها . وأسكن امرأته
القلعة وجعل على خفرها ألفاً وخمسمائة فارس من الاتراك . فصادرت زوجته
ما بقي في البلدة وبالغت في الظلم والعسف . وكان الحصار قد تهادى بالاهاالي
من الخارج والظلم من الداخل مدة خمسة عشر يوماً حتى سئم الاهلون هذه

الاحوال واتفق نفر منهم على تسليم المدينة فأتوا ليلاً وتسلقوا على أحد أبراج السور وقتلوا من وجدوا فيه من الجند . ثم فعلوا كذلك في غيره من الأبراج . وتسلمها عساكر مودود وناوشوا القتال أصحاب جاولي حتى هزمهم وضبطوا المدينة سنة ٥٠٢ هجرية فنادى مودود بالصلح مع الاهالي وأعادهم الى دورهم مطمئنين . ثم بث سراياه في طلب جاولي وكان قد هرب الى نصيبين . ولما رأى ان لا مناص له سار الى اصبهان ملتجئاً الى السلطان محمد فدخل عليه ويده كفته . وكان بعض الأمراء قد توسطوا فيه فمعا عنه

الفصل الخامس

امارة مودود بن التون تكش

وقسم الدولة اقسنقر سيف الدين البرسقي على الموصل

تولى مودود الموصل وما يتبعها وانصرف مدة الى تنظيم ما خربته تلك الانقلابات سيما حروب الأمراء السلاجقة . ثم عي الجيوش وسار الى محاربة الافرنج في الاقطار السورية والشامية . وكان بودوين الاول أو بغدوين على ما يسميه المؤرخون العرب قد خلف أخاه غودفروا دوك برابانت وبوليون على الفتوحات الفلسطينية وكان يغير على بلاد الشام وينهب ويخرب حتى غلت الاسعار فيها وعم الضيق تلك الاصقاع سنة ١١١٢ (٥٠٦ هـ) . وكان طغتكين قد أرسل يستنجد مودود على الصليبيين كما ذكرناه فسار مودود بجمع من عساكره الى ميادين الحرب . ثم في عودته منها أقام في الشام أياماً في اثنائها باغته أحد رجال الباطنية ^(١) بضربات سكين وقتله سنة ١١١٣ (٥٠٧ هـ) ولما

(١) الباطنية ويقال لهم الملاحدة أو الاسماعيلية هم من بقايا القرامطة الخزارج وأصحاب حسن بن صباح ويسمون عند الأوروبيين (*Los Assassins*) أي القتلثة ثم قوت شوكتهم بعد موت السلطان ملكشاه وتغلبوا على عدة حصون خصوصاً حصن الالمبوت قريباً من مدينة قزوين . وبث حسن اصحابه في الجهات فأتى قوم منهم سوريا وتحصنوا في الجبال المجاورة لطرسوس وعليهم أمير اسمه أبو طاهر ويعرف بشيخ الجبل يخضع للامير الكبير الذي في بلاد فارس . ودامت الاسماعيلية سنة ١٠٩٠ - ١٢٥٥ (٤٨٣ - ٦٥٣)

بلغ خبر قتله الى السلطان محمد ولي مكانه على بلاد الموصل سيف الدين اقسنقر البرسقي أحد الأمراء السلاجقة
فقدم البرسقي الى جزيرة ابن عمر . وبعد ان تسلمها من نائب مودود قصد ماردين وأخضع أهلها ثم سار الى الحروب الصليبية بصحبة مسعود ابن السلطان وبعد مدة يسيرة عاد الى الموصل لكنه لم يلبث زمناً طويلاً على ولايتها فان السلطان نقله الى الرحبة سنة ١١١٥ (٥٠٩ هـ) وسلم الموصل واعمالها الى جيوش بك وبعث معه ابنه مسعود وبقيت في يده الى أن توفي السلطان محمد سنة ١١١٧ (٥١١ هـ) وخلفه في السلطنة ابنه السلطان محمود فابقي الموصل لآخيه مسعود وزاد عليها اذربيجان وأقر معه جيوش بك (١)
وكان هذا تركياً من مماليك السلطان محمد ، وانتشر الاكراد اثناء ولايته وأفسدوا في الجهات حتى انتفى الامن فحمل عليهم بمساكره وحصر قلاعهم وفتح كثيراً منها ببلد الهكارية والروزان والبشوية وفرّق الاكراد في الجبال والشعاب والمضايق . ومن ثم أمنت الطرق واطمأن الناس وبقي الاكراد لا يقدمون على حمل السلاح لطيبته وما زال أمره في الموصل ناجحاً حتى كانت سنة ١١٢٠ (٥١٤ هـ) فعزله السلطان محمود وأمر بقتله لانه كان يحث مسعوداً على أخيه السلطان محمود وبوغر قلبه عليه . وعلى ذلك انتشبت الحرب بين الاخوين فتدخل اقسنقر البرسقي يمهّد الصلح بينهما . ولما تقرر أنفذ السلطان محمود فقتل جيوش بك جزاء خيائته وقلد البرسقي الموصل واعمالها كالجزيرة وسنجار ونصيبين وغيرها (٢) مكافأه لخدمه وحسن أثره . فقدم البرسقي الى الموصل سنة ١١٢١ (٥١٥ هـ) وتولى أمرها وكان البرسقي متصفاً بالعدل كثير الخيرات يحب أهل العلم ويجلهم فتحسنت بوقته أحوال البلاد وأقام على ذلك الى سنة ١١٢٦ (٥٢٠ هـ) وفي ثامن ذي الحجة منها

(١) ابن خلدون ج ٥ ص ٤٦

(٢) المقدسي ج ١ ص ٢٩

هجم عليه ثلاثة من الباطنية - وهو يصلي في الجامع العتيق في الموصل - فقتلوه^(١) لانه كان يحاول استئصال شافتهم وكان قد حاصر زعيمهم كيقباز الديلمي في تكريت وقتل منهم خلقاً كثيراً . يورد أبو الفرج : ان صاحب النطاكية أرسل الى ابنه عز الدين مسعود يخبره بقتل والده قبل ان يصل اليه الخبر^(٢) ، وعجيب ان الاعداء من الفرنج الصليبية يقفون على خبر قتل البرسقي قبل ابنه مع ما هم عليه من انقطاع العلاقات . وقد أعطى أبو الفرج سبب ذلك فقال : كان الفرنج يتشوقون الى الوقوف على اخبار المسلمين ، ولهذا فكانوا يبثون العيون في ظهرائي الجيوش الاسلامية ليكتشفوا على مخبئات أحوالهم

وكان ابنه عز الدين مسعود آنئذ في حلب يحارب الصليبيين في عهد بودوين الثاني . فأنفذ اليه أصحاب أبيه يخبرونه بقتله ويستقدمونه اليهم ليتولى أعمال أبيه وهي الموصل وديار الجزيرة وحلب وحماة وجزيرة ابن عمر وغيرها^(٣) فقدم عز الدين الى الموصل سنة ١١٢٧ (٥٢١ هـ) أول ذي الحجة وأحسن الى أصحاب أبيه وأقرّ الوزير المؤيد بأبا غالب على وزارته فأحبه الامراء والاجناد ومحضوا له الطاعة ثم سار الى السلطان محمود فأحسن السلطان استقباله وأطاده مكرماً الى بلاد أبيه . فبذل عز الدين قصاره في تنظيم الجند وتنسيق شؤون الادارة . وكان بطلاً شجاعاً تطمح نفسه الى الاستيلاء على بلاد الشام . فسار بجنده الى الرحبة وحاصرها حصاراً شديداً حتى أجبر أهلها على التسليم وفي اليوم عينه اعتراه مرض عضال قضى على حياته . وبعد موته انتقض أمر الجند فتبددوا بعد ان نهبوا ما تيسر لهم وعند ما اتصل خبر موته بأصحابه الذين في الموصل ولوا مكانه على امارتها أخاً صغيراً له يتولى أمره

(١) المقدسي ج ١ ص ٢٩

(٢) أبو الفرج ص ٣٥٢

(٣) المقدسي ج ١ ص ٣٠

مملوك يدعى جاولي . فنأدى جاولي بالصغير أميراً على البلاد لكن مساه لم ينجح إذ أن الامارة انتقلت منه الى بني اتابك كما سنبينه في الفصل الآتي . فانه لما بلغت وفاة عز الدين الى السلطان محمود أصدر مرسومه بتسليم الموصل الى ديبس بن صدقة الاسدي صاحب الحلة فتجهز ديبس للمسير الى الموصل غير ان الخليفة المسترشد أنكر ذلك ومنعه عن المسير اليها . وقال لا سبيل الى هذا . وآخر ما وقع اختيار المسترشد عليه تولية حماد الدين زنكي على الموصل ^(١)

الفصل السادس

حالة الموصل بالاجمال في عهد الامارات السلجوقية

ان الموصل لم تتقدم عمراناً وحضارة في دولة بني عقيل بل تدهورت مما كانت عليه في زمن الحمدانيين وكان سبب هذا التدهور اضطراب حياة هذه الدولة التي دامت نحو مائة سنة أي من سنة ٣٨٧ الى سنة ٤٨٩ هجرية (٩٩٧-١٠٩٥ م) فقد انقضى معظم زمانها في منازعة رجال هذه الدولة بعضهم بعضاً لا سيما الانقلابات والتطورات المتوالية التي حدثت فيها كدخول الغز وما أحدثوه فيها من القتل والنهب والتخريب وعصيان البساسيري وفريش وغاراتهم على الموصل المرة بعد الأخرى كما مرّ بنا الكلام . ولما تقلد الامارة شرف الدولة العقيلي بذل قصاره في تشييد ما خرب منها غير ان مطامع السلجوقيين لم تسمح له بذلك

وزاد في الطين بلة تملك السلجوقيين عليها . فانهم زادوا على خرابها حتى تأخرت الموصل بأيامهم تأخراً عظيماً إذ كانت أيام امارتهم فيها ملوثة بالدماء ومشوهة بالاضطرابات الداخلية ومحاطة بسلسلة حروب غير منقطعة وكانت الولايات نصيب الموصل من هذه الاضطرابات والحروب غربت البلاد ونهبت

القرى وأصبح قسم من صمران الموصل خراباً لا يسكنه أحد^(١) ومات من
الاهالي خلق كثير جوعاً وقتلاً^(٢)

ان الامارات السلجوقية دامت في الموصل مدة اثنتين وثلاثين سنة أي
من سنة ٤٨٩ الى سنة ٥٢١ (١٠٩٥-١١٢٧) وفي هذه المدة لم تهدأ الحروب
بين الامراء السلاجقة الطامعين في الموصل فقد انتشبت حرب طاحنة بين كربوقا
أول الامراء السلاجقة في الموصل وبين علي آخر امراء بني عقيل سنة ١٠٩٥
ميلادية وعقبها اضطرابات من جراء منازعة موسى التركماني وسقان بن أرتق
وجكرمش ثم الحرب التي جرت عند ابواب المدينة بين السلطان محمد بن ملكشاه
السلجوقي وبين جكرمش أمير الموصل سنة ١١٠٣ وعقبها حصار جاولي للموصل
في اماره جكرمش سنة ١١٠٦ ثم الحرب التي دارت رحاها بين جكرمش وجاولي
ثم بين جاولي ومودود قائد جيش السلطان محمد سنة ١١٠٧ وقد مر ذكرها .
كان الامير كربوقا الذي خلف الامارات العربية في الموصل يخضع للسلطان
السلجوقي كما كان يخضع عمال العباسيين في أوائل دولتهم ولأجل ذلك رأينا
ان السلطان بركيارق نقله من اماره الموصل الى قيادة الجيش فاتخذ لمحاربة أخيه
السلطان محمد وتوفي عند خوي في آذربيجان^(٣) ثم لما انتشبت الحروب بين
السلطين السلاجقة وصار الواحد يناسب صاحبه على اطراف الدولة العباسية
وانهمز عملهم فرصة انشغالهم في تلك الحروب فاستقروا في البلاد وهذا كان
السبب في اثاره الحروب بين الامراء السلاجقة الطامعين في الموصل . فقد
استمرت الحروب قائمة على ساق وقدم مدة أربع سنوات (٤٩٣-٤٩٧ هـ)
بين السلطان بركيارق وبين أخيه السلطان محمد . وكان المال يؤثر في هذا الحال
ويختارونه ليدوم تحكمهم ويخلو لهم جو البلاد^(٤)

(١) طالع ابن الاثير ج ١٠ ص ١٣٨ د ج ١١ ص ٤٥

(٢) ابن الديري ص ٢٣٨

(٣) أبو الفدا ج ٢ ص ٢٢٦

(٤) ابن الاثير ج ١٠ ص ١٣٨

وبعد انتهاء هذه الحروب أقطعت الموصل للسلطان محمد بن ملكشاه وبعده
 لابنه مسعود وعليها طامل يجمع الضريبة وكان مقدار هذه الضريبة في زمانهم
 ان يدفع الاهالي عن كل يوم مائة دينار ذهباً عدا ما كان يؤخذ من الغلات^(١)
 اما روح العلم التي كانت حية في دولة الحمدانيين وقبلهم فقد أصبحت في
 زمن دولة بني عقيل خامدة . ثم قضى عليها في زمن السلاجقة وذلك لاختلال
 الاحوال واضطراب الراحة والأمن وانصراف أولياء الأمور عن العلوم الى
 الحروب فلم يبق من الموصل من النوابع المبرزين في عهدهم الا القليلون منهم
 أبو اسماعيل مؤيد الدين بن علي المنشي الاصبهاني المعروف بالطغرائي صاحب
 لامية العجم الشهير وهي من فرائد الشعر وله ديوان معروف باسمه وكان طالما
 متفناً متضلماً في سائر العلوم لاسيما في علم الكيمياء^(٢) وأشغل مدة غير
 يسيرة مركز الوزارة في الموصل في عهد السلطان مسعود بن محمد الساجوقي

الفصل السابع

في الدولة الاتابكية

سميت هذه الدولة بالاتابكية نسبة الى جند ملوكها وهو الاتابك قسيم
 الدولة أبو سعيد اقسنقر بن عبد الله . والاتابك لقب كان يلقب به الامير الذي
 يتولى تربية السلاطين . وكان قسيم الدولة قد أحرز المناصب الرفيعة في الدولة
 السلجوقية لاسيما سنة ١٠٨٥ (٤٧٨) وفيها تغلب تاج الدولة تنش بن الب
 ارسلان على حلب وما يليها وولى عليها قسيم الدولة فاشترى قسيم الدولة بشجاعته
 ودربته في الحروب وسار الى حرب الفرنج وضبط حمص واستولى على الشام .
 ثم لما رأى كثرة اتباعه وانتظام جنده جاهر بالمصيان على السلطان تنش
 واستبد بالبلاد والأموال فوافاه تنش بعساكره وانتشبت الحرب بينهما بجوار

(١) ابن العربي س ص ٢٨٦

(٢) ابن خلدون ج ٥ ص ٥٠

حلب سنة ١٠٩٤ (٤٨٧ هـ) وبعد قتال عنيف انكسر الاتابك اقسنقر ووقع أسيراً فقتله تتش وأمر ان يدفن خارج حلب . ثم لما ملك ابنه الاتابكي عماد الدين زنكي نقل بقايا أبيه فدفنها بجوار المدرسة الرجائية في حلب وأوقف على تربته بعض الاوقاف (١)

نشأت الدولة الاتابكية على عهد السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي . وكان أول ملوكها عماد الدين زنكي وحيد الاتابك قسم الدولة اقسنقر وبدأت ملوكيته سنة ١١٢٧ (٥٢١ هـ) كامارة مستقلة على بلاد الموصل وديار بكر وما يجاورها من كردستان (٢) . ثم بعد وفاة عماد الدين انقسمت هذه الامارة الى قسمين . ثم انضمت واحدة في عهد عز الدين مسعود رابع الملوك الاتابكيين في الموصل فانه بعد وفاة ابن عمه الملك الصالح سار الى حلب واستولى عليها واقترضت الدولة الاتابكية على أثر موت ناصر الدين محمود بن الملك القاهر آخر ملوكها سنة ١٢٣٣ (٦٣١ هـ) ثم انتقلت السلطنة الى السلطان بدر الدين لؤلؤ . وقام في الدولة الاتابكية تسعة ملوك نذكر أخبارهم تباعاً

ترك قسم الدولة ولداً واحداً وهو عماد الدين زنكي وكان لما قتل أبوه صبيّاً صغيراً فأخذه كربوقا أمير الموصل وصرف عنايته في تربته لسابق صداقة بينه وبين أبيه . ولما مات كربوقا مكث عماد الدين في الموصل حتى شبت نيران الحروب الصليبية دفعة أخرى فسار اليها برجاله وأبرز في ساحة الحرب شجاعةً ودهاءً فذاعت شهرته بين الامراء وبعد ذلك عاد الى الموصل واقام فيها حتى تولى البرسقي أمرها . ثم تولاهما ابنه عز الدين . وقد أسلفنا ذكره وما كان من موته وقيام أخيه الصغير مع جاولي المملوك بامارة الموصل . فارسل جاولي القاضي أبا الحسن بهاء الدين بن القاسم الشهر زوري وصلاح الدين الباغيساني

(١) ابن خلكان جزء ١ ص ٩٨

(٢) سامي

الى السلطان محمود ليطلبها تقرير البلاد عليه . وكان الرسولان لا يرضيان بجاولي أميراً عليهم فلما وصلا بغداد وحضرا امام السلطان طلبا عماد الدين زنكي وكان آنئذ في بغداد ، فبذ السلطان طلبهما اذ كان قد بلغه عن عماد الدين وشجاعته . ومن ثم أصدر أمره بتوليته على البلاد^(١) وسلم اليه أيضاً ولديه الب ارسلان وفروخ شاه المعروف بالخفاجي ليريهما فسمى الاتابك^(٢) فسار عماد الدين سنة ١١٢٧ (٥٢١ هـ) الى البوازيخ ثم الى الموصل ولما بلغ خبر توليته وقدمه الى جاولي بادر الى لقائه واحتفى به وبالغ في اكرامه واستقباله حتي مال اليه عماد الدين فاقطعه الرحبة واعمالها ثم اقام بالموصل يصلح أمورها ويقرر قواعدها على أحسن نظام وأحكم قاعدة . فولى نصير الدين دزدارية قلعة الموصل وفوض اليه أمر الولاية جميعها وجعل الدزدارية في البلاد وجعل محمد الباغياني أمير حاجب الدولة وبهاء الدين قاضي قضاة بلاده جميعها وما يفتح من البلاد^(٣) وبعد ما فرغ عماد الدين من اصلاح الخلل وترتيب الشؤون شرع في أخذ البلاد فافتتح جزيرة ابن عمر وأربل سنة ١١٢٨ (٥٢٢ هـ) وكانت بيد مماليك البرسقي وسار الى سنجار والخابور ونصيبين فلكها جميعاً وضبط أيضاً حلب وحماة . ثم عاد الى الموصل وبعد ما اراح عسكره اياماً تجهز سنة ١١٢٩ (٥٢٤ هـ) الى الغزو فعاد الى الشام وقصد حلب واعتزم على قصد حصن الاتارب^(٤) وكان الفرنج الذين فيه يضيقون على حلب فقصدهم عماد الدين بمساكره وحاربهم وهزمهم وأسر كثيراً من زعمائهم وملك حصن الاتارب عنوة فخرّبه^(٥) ثم سار الى قلعة حارم^(٥) وكانت بيد الفرنج فحاصرها حتى

(١) المقدسي ج ١ ص ٣٠

(٢) ابن خلكان جزء ١ ص ٢٤١

(٣) ابن الاثير جزء ١٠ ص ٢٤٥

(٤) قال أبو الفدا : ومن الاماكن المشهورة بالشام الاتارب بالهجرة المفتوحة والثناء المثناة

والف وراه مهلة وباء موحدة

(٥) قال أبو الفدا : حارم من اعمال حلب وهي بلدة صغيرة ذات قلعة واشجار واعين ونهر صغير . وقال أبو سعيد : هو حصن كثير الارزاق وقد خس بالزمان الذي يطهر باطله من ظاهره مع عدم المعجم وكثرة المياه

صالحوه على نصف خراجها فرجع عنها وقد ملأ قلوب الافرنج رعباً منه (١)

الفصل الثامن

قدوم المسترشد بالله الى الموصل وحصارها ورجوعه عنها

ثم اتساع بلاد عماد الدين زنكي

توفي الخليفة المستظهر بالله سنة ١١١٨ (٥١٢ هـ) . وجلس بعده على عرش الخلافة ابنه المسترشد بالله . وكان المسترشد بالله شجاعاً هاماً تمكن في خلافته تمكناً عظيماً لم يره أحد من أسلافه من عهد المنتصر بالله الى خلافته ما عدا المعتضد والمستنفي فان الحكم كان للمنفليين من الملوك وليس للخليفة معهم الا اسم الخلافة (٢) وكان المماليك يخلعون الخلفاء ويحكمون عليهم وما زالوا على ذلك حتى ملك الديلم واستولوا على العراق فزالت هيبة الخلافة تماماً ثم لما انقرض وملك السلجوقيون جددوا من هيبة الخلافة لاسيما في وزارة نظام الملك الا أن الحكم والشحن والمهد وضمان البلاد في العراق كان للسلطان ولم يكن للخلفاء الا قطائع يأخذون دخلها . أما المسترشد فانه استبد بالعراق ولم يبق للسلطان محمود معه غالباً سوى الخطبة لجمع العساكر الكثيرة وقاد الجيوش وبارش الحروب (٣) وزاده تمكناً موت السلطان محمود سنة ١١٣٠ (٥٢٥ هـ) وزاع افراد العائلة السلجوقية على السلطنة حتى آل الأمر بهم الى سفك الدماء ودارت حرب طاحنة بين مسعود أخي السلطان محمود وبين عمه سنجر وكان الخليفة المسترشد بالله قد اتفق مع مسعود وسار بجيشه لمحاربة سنجر فكتب سنجر الى عماد الدين زنكي وكان من الموالين له يأمره بالمسير الى بغداد والاستيلاء عليها ليشغل الخليفة عن نجدة السلطان مسعود . فلما

(١) ابن خلدون ج ٥ ص ٢٢٦

(٢) ك : قرماني ج ٢ ص ١١٨

(٣) المقدسي ج ١ ص ٣١

علم الخليفة بذلك رجع مسرعاً الى بغداد والتقى بهاد الدين قريباً من حصن
البرامكة والتحمت الحرب بينهما^(١) فلم يستطع عماد الدين الثبوت ازاء هجمات
جند الخليفة وأجبر على الانسحاب بعساكره الى الموصل ومن ثم بات الخليفة
يتحين فرصة الانتقام من زنكي . وكان السلاطين السلجوقيون آنئذ
منشغلين بمحاربة بعضهم بعضاً ، وكان كثيرون من قوادهم وأمرائهم
قد قصدوا باب الخليفة^(٢) فتقوى بهم وساروا الى الموصل في ثلاثين ألف
مقاتل سنة ١١٣٢ (٥٢٧ هـ) . ولما اقترب منها غادرها عماد الدين في بعض
عسكره الى سنجار وجعل فيها نائبه نصر الدين جقري الدردار وأمره بالدفاع
عنها فشدد الخليفة عليها الحصار وكان عماد الدين يركب يومياً بجنده ليقطع
الميرة عن جند الخليفة حتى مسهم الجوع وضاق بهم الحال ودام الحصار مدة
ثلاثة أشهر في اثنائها اجتمع على عماد الدين خلق كثير حتى توفرت له الجند والعدة
فعزم على المسير الى بغداد بينما كان الخليفة منشغلاً عنها فيستولى عليها وبعد
أن يحصنها يحمل على الخليفة ويحمله بينه وبين جند الموصل . فلما أحس الخليفة
بذلك خاف سوء العاقبة فرفع الحصار وعاد الى بغداد أما الاتابك زنكي فانه
سار الى جميع قلاع الأكراد الحميدية وامنعها قلعة القصر وقلعة شوش
وكانت قلعة عظيمة عالية جداً مجاورة لقصر الحميدية . وكان سبب مسيره اليها
أن الأمير عيسى الحميدي كان قد اتفق مع الخليفة وأمدّه بالرجال والأرزاق
في حصاره الموصل . فحمل زنكي على القلاع حملة شديدة وافتتحها سنة
١١٣٣ (٥٢٨ هـ) وأجلى عنها أكرادها ، فهلعت من بأسه قلوب الأكراد ،
وخضع له الجبل بأمره . وكان زنكي قد عظم وخافته السلاطين السلجوقية
أنفسهم حتى ان الراشد بالله الذي تولى الخلافة بعد أبيه المسترشد سنة
١١٣٤ (٥٢٩ هـ) لما قصد السلطان مسعود بجيوشه الكثيرة سار الى

(١) ابن الأثير ج ١٠ ص ٢٥٩

(٢) ابن الأثير ج ١١ ص ٢

الموصل محتجباً بزكري وأقام عنده مدة من الزمان فدخل السلطان مسعود بغداد واستمال الرعية ونهب دار الخلافة (١) ولم يجسر أن يطالب زكري بالخليفة خوفاً منه مع رغبته في القبض عليه

وكان زكري يتوق الى الحروب وقد مضى عليه زمن وهو قاعد عنها فبعى جيشه وسار الى حمص سنة ١١٣٦ (٥٣١ هـ) ليحاصرها ثم عاد عنها ولم ينل منها مأرباً فقصده قلعة بعين من أمنع الحصون التي بجوار حماة فاستولى عليها وملك أيضاً المعرة وكفر طاب وحمص وبعلبك (٢) ثم رجع الى الموصل ومنها سار الى شهرزور سنة ١١٤٠ (٥٣٥ هـ) ليضبطها من قبجاق بن ارسلان تاش التركاني وكانت تخضع له جميع بلاد التركان ولما بلغه مسير زكري اليه جمع رجاله وحارب زكري فظفريه واستباح عسكره، ثم سار الجيش الاتابكي في أعقابهم وحصروا الحصون والقلاع وملكوها، ثم بذل زكري الأمان لقبجاق فسار اليه وانخرط في سلك جنده (٣)

وفي سنة ١١٤١ (٥٣٦ هـ) دخل صاحب آمد في طاعة عماد الدين وخطب له في بلاده وخضعت له الحديثة أيضاً فنقل من كان بها من آل مبراش الى الموصل

الفصل التاسع

عماد الدين زكري والسلطان مسعود ومسيره الى بلاد الجزيرة

ان الأكراد انتهزوا الفرصة من غياب زكري الى الأقطار السورية فعمثوا فساداً وتمادوا في الظلم والعسف وصاروا يشنون الغارات على النواحي المجاورة وينهبون ويقتلون. ولما عاد زكري مظفراً قصدهم برجاله فضمض قوتهم

(١) كقرماني ج ٢ ص ١١٤

(٢) ابن الأثير ج ١١ ص ٢٨ و ٢٣

(٣) ابن الأثير ج ١١ ص ٣١

وفرق جمعهم وقتل منهم خلقاً كثيراً ثم استأسر زعماء الأكراد المهرانية
والهكارية واذ ذاك استقام له أمر الجبل وأمر زنكي ببناء قلعة المادية وكانت
قبلاً قلعة حصينة عظيمة تدعى أشب هدمها الأكراد لمعجزهم عن حفظها فلما
هلك زنكي الجبل سنة ١١٤٣ (٥٣٨ هـ) ابتناها ودمها باسمه ثم عاد الى الموصل.
وكان السلاطين السلاجقة قد تقرر الصلح بينهم فرجع السلطان مسعود الى بغداد
... وكان حاقداً على زنكي لاتفاقه مع عمه سنجر كما مر عنه الكلام - فانهز خلو
باله من الاضطرابات الداخلية والخارجية وأقبل بمسكركه الى الموصل ليطرد
زنكي عن البلاد فلم يفلح وعاد عنه خائباً وقال ابن خلدون (١) ان الاتابك
استعطف السلطان واستماله على أن يدفع اليه مائة الف دينار (٥٠٠٠٠ جنيه
مصرية) ويعود عنه فشرع في ذلك وحمل منها عشرين ألفاً وكان من أعظم
الأسباب في تأخر السلطان عن الموصل هو خوفه على بلاده من الأفرنج فقد
أكد له أكبر جيشه انه لا يقدر أحد على دفع الأفرنج عن البلاد غير اتابك
زنكي فقد وليها قبله مثل جاولي سقاوو ومودود وجيوش بك والبرسقي
وغيرهم من أكبر القواد - وكان السلاطين يمدونهم بالساكر الكثيرة - ولم
يقدروا على حفظها حتى وليها اتابك واذ لم يمهده أحد من السلاطين بالجند
والمال فقد افتتح من بلاد العدو عدة حصون ومدن (٢) وبعد هذا سار
الاتابك زنكي الى ديار بكر وملاك أعمالها : آمد. وطره. وأسمرد. وحران.
وحصن الرزق. وحصن يأسنه. وحصن ذي القرنين. واستولى أيضاً على
بعض أعمال ماردين (٣) ثم عزم على فتح الرها فسار اليها بجيوشه وضبطها
عنوة سنة ١١٤٤ (٥٣٩ هـ) في الخامس والعشرين من جمادى الآخرة (٤) من
الأمير يوسلين أو جوسلين وكان صاحب اماره الفتوحات الصليبية في بلاد

(١) ج ٥ ص ٢٣٥

(٢) المقدسي ج ١ ص ٣٦

(٣) ابن خلدون ج ٥ ص ٢٣٥

(٤) ابن خلكان ج ١ ص ٢٤١

الجزيرة ومملكته تمتد من قريب ماردين الى الفرات مثل الرها وسروج والبيرة وحلين وغيرها من البلاد . ولما دخل زنكي مدينة الرها أعجبه جداً ورأى تخريب مثلها لا يجوز وكان الجند قد تفرقوا فيها ينهبون ويقتلون فأمر أن ينادى في العسكر برد ما أخذوه من الرجال والنساء والأطفال الى بيوتهم واعادة ما غنموه من أثاث وأمتعة فرد الجميع ولم يفقد منه الا النزر القليل وعادت المدينة الى حالتها الأولى ^(١) ثم جعل عليها جنداً لحراستها وسار الى سروج فقاتلها . وبينما كان منشغلاً في فتح البلاد بلغه خبر قتل نائبه نصر الدين جتري فعزم من ثم على الرجوع الى الموصل وفتح جميع الحصون التي على طريقه ليأمن على دولته من غوائل العصاة ، فأقام على حصار حصن جبر على الفرات ، وأرسل جيشاً على قلعة فنك بجوار جزيرة ابن صر وعليها حسام الدين الكردي البشنوي . ولما طال الحصار على حصن جبر أرسل زنكي الأمير حسان المنيحي الى سالم بن مالك العقيلي صاحب الحصن ليحثه على تسليم الحصن وقال له اذا اصرت من الذي يمنعك منه . فأجابه سالم : يمنعني منه ذاك الذي منعك من الأمير بلك . وكان أمر حسان مع بلك أن حساناً كان صاحب منبج لحاصره بلك وأرسل يتهدده بالكلام عينه وبينما كان يضيق عليه بالحصار جاءه ذات يوم سهم فغرب في فؤاده وقتله . فعاد حسان بالجواب وأخبر زنكي بامتناع سالم عن تسليم الحصن . أما زنكي فأصر على الحصار . وفي احدى الليالي بينما كان نائماً في خيمته هجم عليه جماعة من غلمانه وقتلوه غيلة ودفن في الرقة ^(٢) فتفرقت كلمة جنوده ورفعوا الحصار عن حصن جبر وطادوا الى الموصل سنة ١١٤٦ (٥٥٤١) في الخامس عشر من ربيع الأول

ان عماد الدين اشتهر بحكته وتحوطه للامور من ذلك انه لم يكن يمكن

(١) ابن الاثير ج ١١ ص ٤٠

(٢) نسخة ص ٢٧

أحداً من خدمه أو أعوانه أن يفارق بلاده معتبراً أن البلاد كـبـسـتـان عليه سياج يهاب دخولها فإذا أخرج منها من يدل على عورتها ويطلع العدو فيها زالت هيبتها وأطرق الخصوم لها . ولما اجتمعت له الأموال الكثيرة أودع بعضها بالموصل وبعضها بسنجار وبعضها بحلب حتى إذا جرى خرق على هذه الجهات أو حيل بينه وبينها استعان على سد الخرق بالمال . أما شجاعته فآلية النهاية فيها وحسبنا في ذلك أن ولايته أهدق بها الأعداء والمنازعون كالتخليفة المسترشد ، والسلطان مسعود ، وأصحاب أرمينيا ، وركن الدولة صاحب حصن كيفا وابن عمه ثم الأفرنج ثم صاحب دمشق ، فكان يقتصف منهم ويفزؤهم في عقر ديارهم ويضبط بلادهم . ولم يتصد ابداً لحرب السلطان مسعود لكنه كان يحمل أصحاب الأطراف عليه وإذا فعلوا عاد السلطان محتاجاً إليه وطلب منه أن يجمعهم على طاعته فيصير كالحاكم النافذ الكلمة فيهم

وكان كثير الخبرات والصدقات للفقراء شديد الهيبة على أصحابه وقد روى صاحب الروضتين أن الأتابك زنكي خرج يوماً من الباب حيث كان أحد الملاحين نائماً فأيقظه أحد الجنود ولما استيقظ من نومه ورأى الأتابك واقفاً سقط على الأرض ميتاً . وكان يوصي بالغرباء حين يدخل غريب بلده أن كان جندياً اشتمل عليه الأجناد وأضافوه وإن كان صاحب ديوان قصد أهل الديوان وإن كان عالماً قصد القضاة بني الشهرزوري فيحسنون إليه ويؤنسونه غربته . وكان لا يؤمر إلا الرجال ذوي الهمم العالية والآراء الصائبة والأنفس الأبية وبوسع لهم في الأرزاق فيسهل عليهم فعل الجليل واصطناع المعروف ^(١) . وكان زنكي بحسن سيرته موضوعاً لمدح الشعراء ومن أحسن ما قيل فيه قصيدة لأحمد بن منير :

في ذرا ملك هو الد هر عطاءً واستلاباً
من له كف تبذ ال غيث سحاً وانسكاباً

فاتح في وجه كل امة للنصر بابا
 ترجف الدنيا اذا حرك للسير الركابا
 وتحزّ المشمخرات اختلالا واضطرابا
 وترى الاعداء من هيبته تأوى الشعابا
 يا عماد الدين لا زلت على الدين سحابا

الفصل العاشر

انقسام بلاد عماد الدين بين ولديه

نور الدين محمود ، وسيف الدين غازي

مات عماد الدين زنكي وخلف لولديه نور الدين محمود وسيف الدين غازي الموصل وما يتبعها والديار الجزرية والشامية ما خلا دمشق ^(١) فاخذ نور الدين وكان مع أبيه في غزوته الاخيرة خاتم أبيه وسار بجند حلب فملك غربي الجزيرة وهي الرها وحران وسروج وملك أيضاً حلب وما كان يتبعها وحمص وحما . واتفق أصحاب عماد الدين منهم جمال الدين محمد وصلاح الدين الباغسياني على حفظ ما بقي من البلاد لابنه الآخر سيف الدين غازي لان الملك الب ارسلان بن السلطان محمود - وكان أيضاً مع عماد الدين في غزواته - طمع في البلاد وأظهر طمعه فيها لجمال الدين وصلاح الدين . فوعدها خيراً خوفاً ان يفسد عليهما الامر . ثم أخذوا يلبيانه بالطرب والهوى ريثما يتيسر لهما تخليف الامراء لسيف الدين الغازي بن أتابك . وبعد ما حلفاهم وأرسلاهم الى الموصل كتبوا الى سيف الدين وكان على شهر زور يطلعانه على الاحوال ويستعجلانه بالقدوم . فجد بالمسير الى الموصل ودخلها . أما الب ارسلان فانه سار مع تفر يسير من الجند ومعه جمال الدين والباغسياني ولما وصلوا الى سنجار طلب الب ارسلان اخراج صاحبها والخطبة له فأجيب الى ذلك على

شرط ان يملك الموصل أولاً . ولما صار قريباً من الموصل أرسل جمال الدين
يخبر سيف الدين الغازي بوصوله فأرسل سيف الدين جنداً ألقوا عليه القبض
وقادوه اليها مقللاً فسجن في قلعتها وحينئذ استقرت هذه البلاد لسيف
الدين الغازي بن زنكي وهي آمد وماردين ودارا في شرقي الجزيرة والموصل
وما يتبعها مع سنجار ونصيبين في شمالها وكان اعداء عماد الدين زنكي قد
استبشروا بموته وطعموا في الاستيلاء على بلاده زاعمين ان ولديه لا يستطيعان
الذب عنها . فأخذ البرنس يوسلين وكان أميراً على الرها كما ذكرناه يرأس
أهل الرها وعاتمهم من الارمن ويحملهم على العصيان وتسليم البلدة اليه
فأجابوه الى ذلك واهدوه على اللقاء فسار يوسلين بعساكره الى الرها وضبطها
وامتنعت القلعة عليه بمن فيها من المسلمين . ولما بلغ خبره الى نور الدين
زنكي وهو بحلب قصد به عساكره ففارقها يوسلين هارباً الى ولايته تل باشر
وحينئذ دخل نور الدين المدينة ونهبها وأسر أهلها حتى اقوت من السكان ولم
يبق فيها الا النزر ^(١)

أما سيف الدين فبعد ان حلف له السلطان مسعود وأقره على ملكه
وذلك لسابق خدمه خضعت له البلاد وأطاعته ما عدا ما كان بديار بكر .
كالمعدن وحيزان وسمرقند ^(٢) فسار اليها بجيوشه وأخضعها كلها ثم قصد الشام
لملاقاة أخيه نور الدين وتقرير القواعد بينهما فقضى سيف الدين عند أخيه
بضعة أيام ثم عاد الى الموصل وكانت البلاد والقبائل تهابه كما كانت في زمن أبيه
ولما قضى سيف الدين غازي في الملك ثلاث سنوات وبضعة أيام اعتراه
مرض عضال أعيا أمره نطس الاطباء وتوفي سنة ١١٤٩ (٥٤٤ هـ) في جمادى
الثاني وله من العمر أربعون ربيعاً . قال عنه ابن الاثير ^(٣) : كان سيف الدولة
الاتابكي شجاعاً قافلاً كريماً يحب جنوده فكان يطعمهم بكرة مائة رأس غنم

(١) ابن الاثير ج ١١ ص ٤٦

(٢) المقدسي ج ١ ص ٤٧

(٣) جزء ١١ ص ٥٦

فاتح في وجه كل امة للنصر بابا
 ترجف الدنيا اذا حرك السير الركابا
 وتحز المشمخرات اختلالا واضطرابا
 وترى الاعداء من هيئته تأوى الشماها
 يا عماد الدين لا زلت على الدين سحابة

الفصل العاشر

انقسام بلاد عماد الدين بين ولديه

نور الدين محمود ، وسيف الدين غازي

مات عماد الدين زنكي وخلف لولديه نور الدين محمود وسيف الدين غازي الموصل وما يتبعها والديار الجزرية والشامية ما خلا دمشق ^(١) فاخذ نور الدين وكان مع أبيه في غزوته الاخيرة خاتم أبيه وسار بجند حلب فملك غربي الجزيرة وهي الرها وحران وسروج وملك أيضاً حلب وما كان يتبعها وحمص وحما . واتفق أصحاب عماد الدين منهم جمال الدين محمد وصلاح الدين الباغسياني على حفظ ما بقي من البلاد لابنه الآخر سيف الدين غازي لان الملك الب ارسلان بن السلطان محمود - وكان أيضاً مع عماد الدين في غزواته - طمع في البلاد وأظهر طمعه فيها لجمال الدين وصلاح الدين . فوعده خيراً خوفاً ان يفسد عليهما الامر . ثم أخذاً يلهيانه بالطرب واللهو ريثما يتيسر لهما تخليف الامراء لسيف الدين الغازي بن أتابك . وبعد ما حلفاهم وأرسلاهم الى الموصل كتبوا الى سيف الدين وكان على شهر زور يطلعانه على الاحوال ويستعجلانه بالقدوم . فجد بالمسير الى الموصل ودخلها . أما الب ارسلان فانه سار مع نفر يسير من الجند ومعه جمال الدين والباغسياني ولما وصلوا الى منجبار طلب الب ارسلان اخراج صاحبها والخطبة له فأجيب الى ذلك على

شرط ان يملك الموصل أولاً . ولما صار قريباً من الموصل أرسل جمال الدين
يخبر سيف الدين الغازي بوصوله فأرسل سيف الدين جنداً ألقوا عليه القبض
وقادوه اليها مغلاً فسجن في قلعته وحينئذ استقرت هذه البلاد لسيف
الدين الغازي بن زنكي وهي آمد وماردين ودارا في شرقي الجزيرة والموصل
وما يتبعها مع سنجار ونصيبين في شمالها وكان اعداء عماد الدين زنكي قد
استبشروا بموته وطعموا في الاستيلاء على بلاده زاعمين ان ولديه لا يستطيعان
الذب عنها . فأخذ البرنس يوسلين وكان أميراً على الرها كما ذكرناه يرأس
أهل الرها وطامتهم من الارمن ويحملهم على العصيان وتسليم البلدة اليه
فأجابوه الى ذلك وعاهدوه على اللقاء فصار يوسلين بمسأكره الى الرها وضبطها
وامتنعت القلعة عليه بمن فيها من المسلمين . ولما بلغ خبره الى نور الدين
زنكي وهو بجلب قصده بمسأكره ففارقها يوسلين هارباً الى ولايته تل باشر
وحينئذ دخل نور الدين المدينة ونهبها وأسر أهلها حتى اقوت من السكان ولم
يبق فيها الا النزر ^(١)

أما سيف الدين فبعد ان حلف له السلطان مسعود وأقره على ملكه
وذلك لسابق خدمه خضعت له البلاد وأطاعته ما عدا ما كان بديار بكر .
كالمعدن وحيزان وسمر ^(٢) فسار اليها بجيوشه وأخضعها كلها ثم قصد الشام
لملاقة أخيه نور الدين وتقرير القواعد بينهما فقضى سيف الدين عند أخيه
بضعة أيام ثم عاد الى الموصل وكانت البلاد والقبائل تهابه كما كانت في زمن أبيه
ولما قضى سيف الدين غازي في الملك ثلاث سنوات وبضعة أيام اعتراه
مرض عضال أعيا أمره فطس الاطباء وتوفي سنة ١١٤٩ (٥٤٤ هـ) في جمادى
الثاني وله من العمر أربعون ربيعاً . قال عنه ابن الاثير ^(٣) : كان سيف الدولة
الاتابكي شجاعاً قافلاً كريماً يحب جنوده فكان يطعمهم بكرة مائة رأس غنم

(١) ابن الاثير ج ١١ ص ٤٦

(٢) المقدسي ج ١ ص ٤٧

(٣) جزء ١١ ص ٥٦

جيدة وكذا عشية وهو أول من حمل على رأسه العلم وأمر بتعليق السيوفه
 بالمناطق وترك التوشح بها وحمل الرمح في حلقة السرج وبني المدارس للفقهاء
 والربط للفقراء وأوقف لها الاوقاف الكثيرة . وذكر ابن خلدان عنه وعن
 شديد رغبته في العلم واکرامه العلماء وعن مدرسته الشهيرة في الموصل
 المعروفة بالعتيقة^(١) وكانت الشعراء تقف على بابه فيبذل لهم الاموال الكثيرة
 وقد قصده الشاعر البغدادي شهاب الدين حيص بيص بقصيدة فاجازه عنها
 ألف دينار أميري ما عدا الاقامة والخلع الوفيرة وأول تلك القصيدة :
 الى مَ براك الحمد في زي شاعر وقد نلحت شوقاً اليك المنابر^(٢)
 اتابك ان سميت في المهد غازياً فسابقة معدودة في البشار
 وفيت بها والدين قد مال روقه وصدقتهما والكفر بادي الشعائر
 وخلف سيف الدين ابناً واحداً أخذ به نور الدين وسعى بتريته
 لكنه مات في ربيع الشباب وانقرض به عقب سيف الدين

الفصل الحادي عشر

ملك قطب الدين مودود

بعد وفاة سيف الدين اتفق جمال الدين محمد الوزير الاصبهاني المعروف
 بالجوار وزين الدين علي أمير الجيش وصاحب الرأي على تملك أخيه قطب
 الدين مودود فاحضروه واستحلفوه وحلفوا له ثم أركبوه الى دار السلطنة
 فاحسن الادارة وخضعت له جميع بلاد أخيه سيف الدين فلما ملك قطب الدين
 أخذ جماعة من أمراء الموصل يرأسون أخاه الأكبر نور الدين ويطمعون في
 تسليم الملك له وكان فيمن كاتبه عبد الملك مستحفظ سنجار يستدعيه ليسلمه
 المدينة فسير نور الدين جريدة في سبعين فارساً من امراء دولته الى سنجار

(١) ح ١ ص ٥٠٧

(٢) ابن خلدون جزء ٥ ص ٢٣٩

واستلمها من عبد الملك . وبلغ ذلك قطب الدين فجمع عسكره وسار من الموصل
 ونزل خيماً بتليمفر فترددت الرسل بين الفريقين وحال جمال الدين بينهما منعاً
 لحدوث الشر وقال للأمراء ليس من الرأي أن تقاتله فهو ابن أتابك ونحن عظمنا
 محله عند السلطان وهو يظهر قوتنا للفرنج بشجاعته واقدامه فإن قاتلناه
 وهزمناه طمع فينا السلطان وطمع به الفرنج فيكون الوبال علينا وما زال يلحّ
 بالصلح حتى رضي به الفريقان على أن تبقى ديار الشام لنور الدين وديار الجزيرة
 لأخيه قطب الدين . وبعد أن استقر الصلح عاد نور الدين إلى حلب وسار
 إلى حرب الفرنج سنة ١١٥١ (٥٤٦ هـ) فضبط دمشق مع كثير من مدنها
 وحصونها وأسر البرنس يوسلين (١)

وعاد قطب الدين إلى بلاده وساسها أحسن سياسة فتوفرت له الأموال
 والرجال وهابته النظراء وخشيت بأسه وبلغ من السؤدد مبلغاً عظيماً حتى أنه
 أمسك أحد السلاطين الساجوقيين وسجنه في قلعة الموصل وذلك أنه لما توفي
 السلطان مسعود بهمدان سنة ١١٥٢ (٥٤٧ هـ) عهد بالسلطنة للملكشاه
 ابن السلطان محمود . ثم قتل ملكشاه فتولاهما أخوه محمد في خلافة المقتفي
 لأمر الله الذي تولاهما بعد الراشد بالله سنة ١١٣٥ (٥٣٠ هـ) وكان المقتفي
 بالله من الخلفاء الذين امتازوا بحزمهم وحطوا من قدر الملوك المتغلبة واستلموا
 أزمة التدبير واحتازوا البلاد عن سواهم (٢) ولما بلغه خبر موت مسعود
 واقامة السلطان محمد على بغداد لم يرض فاستظهر على اعوانه من الأمراء السلاجقة
 وطردهم عن بغداد . ثم استولى على دور السلطان وأمواله واتفق مع سليمان شاه
 ولي عهد سنجر شاه أن يكون السلطان في بغداد على شرط أن يكفيه شر السلطان
 محمد نخطب له فيها سنة ١١٥٦ (٥٥١ هـ) وخلع عليه واعطاه ثلاثة آلاف فارس
 ليسير بها إلى محاربة السلطان محمد في همدان ويكسر شوكته ليتم لها الأمر

(١) المقدسي ج ١ ص ٧٢

(٢) ك : قرماني ج ٢ ص ١١٨

فسار سليمان شاه الى همدان وشببت بينهما نيران الحرب وانجلت أخيراً عن انكسار سليمان شاه فعاد راجعاً ومر بشهر زور . وكان السلطان محمد قد كتب الى قطب الدين الاتابكي يستنصره على سليمان شاه ويذلل له البذول . الكثيرة اذا ظفر . فارسل قطب الدين الى نجبته نائبه زين الدين بجماعة من جند الموصل والتقى زين الدين بسليمان شاه قريباً من شهر زور فاحاط به وأمسكه وقاده الى قلعة الموصل حيث اعتقل واقام سجيناً الى سنة ١١٦٠ (٥٥٥) وفيها توفي السلطان محمد المذكور آنفاً فارسل أكابر الساجوقية يطلبون من قطب الدين مودود اطلاق سليمان شاه ليولوه السلطنة فاطاق مراحه

ان الدولة الاتابكية في عهد قطب الدين قطعت شوطاً مهماً في مضمار التقدم وكان مما ساعد على تقدمها صدق واخلاص رجالها الذين شدوا أزرها ونظموا أمورها كما نظم البرامكة دولة بني العباس ومن أشهر رجال الدولة الاتابكية الوزير جمال الدين الجواد . ومديرها وصاحب رأيها الأمير زين الدين علي كوجك وكان تركاني الأصل ملك اربل وبلاداً كثيرة في تلك النواحي ثم سلمها الى قطب الدين مودود الاتابكي . ونقل ابن خلكان عن ابن شداد في سيرة صلاح الدين : كان زين الدين موصوفاً بالقوة المفرطة والشهامة وله في الموصل اوقاف كثيرة مشهورة من مدارس وغيرها ^(١) وقال ابن الاثير كان زين الدين حاكماً في الدولة الاتابكية وأكثر البلاد في يده . منها اربل وبلد الهكارية والعمادية وبلد الحميدية وتكريت وسنجار وحران ثم اصابه طرش سنة ١١٦٧ (٥٦٣ هـ) وفقد بصره فاضطره الحال الى التخلي عن وظيفته وتسليم البلاد الى قطب الدين ولم يترك في يده الا اربل ^(٢) فسار اليها حيث اقام الى ان توفي وقد تجاوز المائة سنة

ثم سلم قطب الدين قلعة الموصل الى نحر الدين عبد المسيح وجعله حاكماً .

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٥٥٠

(٢) ابن الاثير ج ٩١ ص ١٣٣

على البلاد وكان نغر الدين من مماليك زنكي عماد الدين ذا سيرة مثلى وسياسة
سديدة

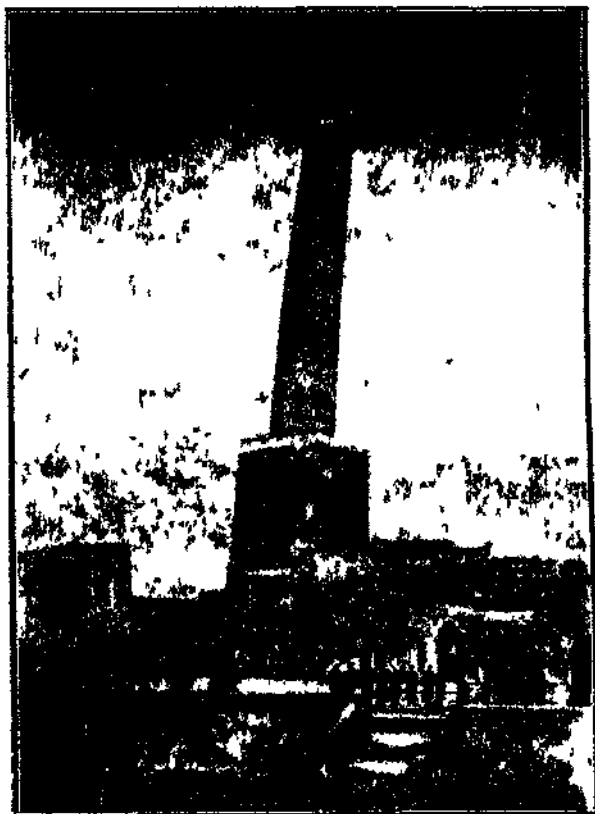
ولما أراد قطب الدين ان يوصي - قبل وفاته - بالملك لابنه الاكبر
عماد الدين زنكي سمى نغر الدين بصرف الملك عن عماد الدين لكثرة تعلقه
بعمه نور الدين الى أخيه سيف الدين غازي الثاني فنجح مسعاه وأوصى
بالملك لسيف الدين

وتوفي قطب الدين سنة ١١٦٩ (٥٦٥ هـ) وكان من أحسن الملوك
سيرةً واعفهم عن اموال الرعية محبوباً الى كبيرهم وصغيرهم قال فيه الشاعر :

خلق كماء المزن طيب مذاقة والروضة الغناء طيب نسيم
كالسيف لكن فيه حلم واسع عن جنى والسيف غير حلیم
كالغيث الا ان وابل جوده أبداً وجود الغيث غير مقيم
كالدهر الا انه ذو رحمة والدهر قاسي القلب غير رحيم

ولما بلغت نور الدين وفاة أخيه قطب الدين مودود وتملك سيف الدين
غازي بلاد أبيه ثم بلغه أيضاً تحكيم نغر الدين عبد المسيح وكان نور الدين
يبلغه لما كان يبلغه عنه من تشكيات ابن أخيه عماد الدين اقبل الى الموصل
وقال انه أولى بتدبير اولاد أخيه وافتتح في طريقه البلاد فسلم سنجار الى عماد
الدين . ثم وردت اليه الرسل من امراء الموصل يستحثونه على القدوم اليهم
ليسلموه المدينة

ولما وصلها دخلها من دون مقاومة ، فنظم أمورها من تخفيف
المكوس ، واقامة بعض الابنية ، أشهرها الجامع الشهير المعروف باسمه أي
بالجامع النوري ويسمى اليوم الجامع الكبير ، وانما سمي بالكبير لانه كان
يومئذ من أكبر الجوامع في البلاد الاسلامية (١)



صورة الجامع الكبير ، أو الجامع النوري
« ومنارته المرومة بالطويلة »

وجاء في وفيات الاعيان ^(١) عن سبب عمارته نقلاً عن الاسهباني في البرق الشامي انه كان بالموصل خربة متوسطة البلد واسعة وقد أشاعوا عنها ما نقر القلوب منها فقالوا ما شرع في عمارتها الا من ذهب عمره . فأشار عليه الشيخ الزاهد معين الدولة عمر الملا بابتياعها ورفع بنائها جامعا ففعل وأنفق عليه أموالاً كثيرة ووقف عليه ضيعة من ضياع الموصل ورتب فيه خطيباً ومدرساً وكان قد وصل في تلك السنة الى الموصل الفقيه عماد الدين أبو بكر

التوقاتي الشافعي فجعله مدرساً فيها . ثم جدد مناشير أهل المناصب وتوقيعات ذوي الرتب من القضاء والنقابة وأمر بإسقاط جميع المكوس والضرائب وأنشأ بذلك منشوراً منه :

« قد قمنا من كنز الأموال باليسير من الحلال فسحقاً للسحت ، ومحققاً لأحرام الحقيق بالمقت ٠٠٠٠ وبعداً لما يبعد من رضى الرب ، ويقصي من محل القرب . وقد تقدمنا بإسقاط كل مكس وضريبة في كل ولاية قريبة أو بعيدة » (١)

ومن طالع هذا المنشور يستدل على ما كان عليه هؤلاء الملوك من الرفق بالرعية . ثم أقر سيف الدين على الموصل وما يتبعها وجعل له حميداً رجلاً خبيراً اسمه سعد الدين كشتكين وأمره بالاركان اليه واتباع مشورته في كل أمر صغير وكبير . وسار الى سنجار فمدر أسوارها وأقطعها لمعاد الدين . أما نخر الدين فأخذه معه الى بلاد الشام وغير اسمه فدعاه عبد الله وأقطعه اقطاعاً كبيراً (٢)

الفصل الثاني عشر

محاربة سيف الدين الثاني الاتابكي لصالح الدين الأيوبي

توفي نور الدين محمود الاتابكي صاحب الديار الشامية والمصرية سنة ١١٧٣ (٥٦٩ هـ) فتولى الملك بعده ابنه الملك الصالح في السنة الحادية عشرة من عمره وحلف له يمين الطاعة جميع الامراء النورية . وكان نور الدين قد أرسل قبل وفاته الى ابن أخيه سيف الدين صاحب الموصل يطلبه مع جنده للمغازي فسار سيف الدين بمساكره ، وأخذ معه سعد الدين كشتكين ، وبينما هو في الطريق بلغه خبر وفاة عمه فماد عن مسيره وقصد البلاد التي كان عمه نور

(١) المقدسي ج ١ ص ١٨٨

(٢) المقدسي ج ١ ص ١٨٨

الدين قد اغتصبها منه وهي نصيبين والخابور وحران والرها والرقه ومروج^(١) وافتتحها جميعها ثم استكمل بقية البلاد الجزرية فلحقها وعاد الى الموصل ونعى خبر وفاة نور الدين الى صلاح الدين الأيوبي وكان عامه على مصر فطمع في البلاد لكنه تظاهر بالطاعة للملك الصالح فضرب السكة على اسمه وبعث له من الدينار الأميري ثم أرسل يعاتب الأمراء النورية لأنهم افسحوا لسيف الدين أن يستولى على البلاد ويعدم بقرب مسيره اليهم ليسترد البلاد زاعماً أنه أولى بصيانة البلاد للملك الصالح مراعاة لحقوق والده عليه . أما الأمراء النورية فرأوا عجز الملك الصالح عن إدارة الملك لصغر سنه سيما وأن شؤونهم قد عهدت الى أهل الأغراض والمطامع فكتبوا الى سيف الدين يستقدمونه ليلكوه البلاد غير أن سيف الدين خاف أن يكون في ذلك مكيدة فأبى الذهاب

أما صلاح الدين فسار الى (دمشق) سنة ١١٧٤ (٥٧٠ هـ) وبذل فيها الأموال ففتحها ودخلها وبعد أن ثبت فيها قدمه وقويت نفسه سار الى حمص وحما^(٢) وما يجاورها فلحقها أيضاً ثم أقبل الى حلب حيث كان الملك الصالح وحاصرها فقاتله الأهالي وأجلوه عن المدينة . ومن ثم كتب الملك الصالح الى ابن عمه سيف الدين يستنجد به على صلاح الدين ويستقومه ليسيروا اليه سوية ويطرده عن بلاده فاحتال صلاح الدين بتفريق كلمتهما ليتمكن من البلاد وعليه كتب الى عماد الدين في سنجار يطعمه في الملك وهو أحق به من أخيه الصغير فانقاد اليه عماد الدين وجاهر بالمصيان والمداء . فجهز سيف الدين عسكراً عظيماً تحت قيادة أخيه عز الدين وسيره الى الشام مع كبار أمرائه وبينهم القائد أمير الجيوش وقصد هو نفسه سنجار وحاصرها فلم يستطع فتحها . لأن عماد الدين كان قد حصنها وجده في الذب عنها . وبينما

(١) ابن خلدون ج ٥ ص ٢٥٣

(٢) ابن الأثير ج ١١ ص ١٦٨

كان سيف الدين على حصار سنجار بلغه خبر انهزام عسكر أخيه عز الدين في الشام وظفر صلاح الدين الأيوبي فاضطر حينئذ الى مصالحة أخيه عماد الدين والمسير عنه الى حلب . ولما وصلها اجتمعت اليه جنود حلب وصاروا كلهم على صلاح الدين تخاف صلاح الدين كثرتهم وكتب الى سيف الدين يبذل له حمص وحماة ويلتمسه أن يترك بيده دمشق ليكون نائباً فيها عن الملك الصالح الا أن سيف الدين رفض طلبه وقال : لا بد من تسليم البلاد والعودة الى مصر . وعلى هذا انتشب القتال بين الفريقين قريباً من حماة فانهمز عسكر سيف الدين وتبعهم صلاح الدين حتى دخلوا حلب واحتموا فيها فأقام على حصارها . ولما أحس سيف الدين بضعفه عن صلاح الدين أبرم معه صلحاً على أن يكون له ما بيده من بلاد الشام ولهم ما بأيديهم منها فأجابهم الى ذلك ورحل عن حلب الى حماة وفيها وفد اليه رسول الخليفة المستضيء بنور الله الذي خلف المستنجد بالله سنة ١١٧٠ (٥٦٦ هـ) مقدماً الخلع لصلاح الدين أما سيف الدين فانه لما عاد الى الموصل جمع العساكر الكثيرة وفرق فيهم الأموال الطائلة قال ابن الأثير^(١) تقللاً عن تاريخ صاحب الدولة الصلاحية . أن عدد عسكره كان عشرين ألفاً ثم عاد نغطاه بقوله كم هي الموصل وأعمالها على الفرات ليكون فيها عشرون ألف فارس وانما ذكر ذلك صاحب تاريخ الدولة الصلاحية قصد أن يعظم أمر صاحبه بالظفر والحقيقة أن سيف الدين جمع له ستة آلاف فارس وسار بهم الى ملاقات صلاح الدين ليجلوه عن البلاد الشامية سنة ١١٧٥ (٥٧١ هـ) : اهـ . ليس من الغريب أن يكون لسيف الدين عشرون ألف فارس وملكه كان يمتد تقريباً على بلاد الجزيرة^(٢) وجميعها بلاد عامرة كثيرة السكان ذات قرى عديدة واسعة على أن بني حمدان لما أرادوا دفع مؤنس المظفر عن الموصل خرجوا عليه بثلاثين ألف فارس . ولما انتشب

(١) ج ١١ ص ١٧٥

(٢) أبو الفدا ج ٣ ص ٥٩

القتال بين مودود وجاوي سقاو وأمر الموصل خرج جاوي بعشرين ألف مقاتل من أحداث الموصل لمحاربتة كما أثبتته ابن الأثير نفسه
انتشبت الحرب بين الفريقين فانكسر سيف الدين واستولى صلاح الدين على جميع مهماته واثقاله واتسع بها وتقوى وسار الى منبج واستولى عليها . وعظم شأنه بهذا الانتصار الباهر على العساكر الموصلية . ثم قصد حلب وحاصرها الا انه لم يظفر منها بشيء . ثم اتفقوا على الصلح وقرروا قواعده على ان يكونوا كلهم عوناً على الناكث الفادر . وعاد سيف الدين الى الموصل منصرفاً الى تعديل شؤونه واصلاح ما تضرع من اموره فاستوزر جلال الدين أبا الحسن وكان جمال الدين وزير البيت الاتابكي قد عزل فلما وايها أبو الحسن ظهرت منه المقدرة والمعرفة التامة بقوانين الوزارة . ثم استناب سيف الدين بقلعة الموصل مجاهد الدين قايماز وفوض اليه الامور وكان من خيرة امرائه بنى كثيراً من الجوامع والربط والخوانات ولبت في خدمته . أما جلال الدين فعزله سيف الدين لما كان بين جلال الدين وبين مجاهد الدين من المشاحنة . وكان سيف الدين ينقاد الى مجاهد الدين فألح عليه بعزله فعزله سنة ١١٧٧ (٥٧٣ هـ) . وأظهر سيف الدين حرمة عظيمة للخلفاء . وخطب في آخر حياته للخليفة الناصر لدين الله الذي ولي الخلافة بعد المستضيء سنة ١١٧٩ (٥٧٥ هـ) فقدم رضي الدين القزويني مدرس النازمية الموصل لاختد البيعة له . توفي سيف الدين غازي الثاني صاحب الموصل وديار الجزيرة بمرض السل سنة ١١٨٠ (٥٧٦ هـ) وعمره ثلاثون سنة وكان مشهوراً بحسن السيرة والعدل وحب الرعية ديناً يكره الظلم وأهله . وبما يحكى عنه ان الناس خرجوا سنة ٥٧٥ هـ جرية يستسقون لانقطاع المطر . وخرج سيف الدين أيضاً في موكبه فتار به الناس وطلبوا منه ان يأمر بمنع بيع الخمر فاجابهم الى ذلك ومن ثم دخلوا البلدة وقصدوا الحمارين ونهبوا بيوتهم وأراقوا ما به من الخمر (١)

الفصل الثالث عشر

استيلاء عز الدين مسعود الاول الاتابكي على حلب

لما أحس سيف الدين غازي الشامي بقرب الاجل أراد ان يعهد بالملك لابنه معز الدين سنجر شاه وعمره حينئذ اثنتا عشرة سنة الا انه خاف على البلاد من صلاح الدين الايوبي . وكانت شوكته قد قويت في الاصفاع الشامية وخشي من أخيه عز الدين ان ينازع ابنه على الملك فيأول حينئذ الى يد العدو . فأوصى بالملك لآخيه عز الدين مسعود عملاً بما أشار عليه أكابر دولته . ثم أعطى لابنيه بعض البلاد على ان يكون مرجعها الى عمهما عز الدين وان يتولى أمرها مجاهد الدين قايماز ومات سنة ١١٨٠ (٥٧٦ هـ) . فخطب بالملك لعز الدين . وأعطيت جزيرة ابن عمر وقلاعها لولده سنجر شاه . وقلعة عقر الحميدية لولده الصغير ناصر الدين كسك

وكان عز الدين مسعود من خيرة رجال العائلة الاتابكية . قد تقلد قيادة الجيوش العامة في عهد أخيه سيف الدين غازي . وسار الى محاربة صلاح الدين الايوبي سنة ٥٧٠ هـ جرية لما استفحل أمره بعد وفاة نور الدين الاتابكي صاحب الديار الشامية والمصرية كما أسلفناه

ثم بعد توليه الملك ببضعة أشهر مرض ابن عمه الملك الصالح صاحب حلب واشتد مرضه حتى آيس من الحياة . فأحضر اليه امرأته واستعطفهم ان يسموا حلب وما يتبعها لابن عمه عز الدين مسعود فقالوا له بل الاصلح ان نسميها لآخيه عماد الدين وهو ابن عمك وزوج أختك . وليس له الا سنجر فقط . وعز الدين له البلاد من القرات الى همذان ^(١) وهي تقرباً بلاد الجزيرة وكرديستان فأجابهم : ان عز الدين بطل شجاع وجنوده كثيرة وعدته متوفرة فان سلمناها لعماد الدين وهو قليل العدة والجند توشك ان

(١) ابن الاثير ج ١١ ص ١٩٣

تتمير الى صلاح الدين . سيما وعينه طامحة اليها غير قانع بما استولى عليه من البلاد الشامية . ونحن لم يبق بيدنا الا حلب . فاستحسن الجميع قوله وصوبوا رأيه وتوفي الملك الصالح سنة ١١٨١ (٥٧٧ هـ) وصره تسع عشرة سنة . وكان حليماً كريماً متمسكاً بمرى دينه حسن السيرة في الرعية عادلاً . وذكر عنه انه لما اشتد مرضه وصف له الاطباء شرب الخمر للتداوي . فقال لا أفعل حتى أستفتي الفقهاء فأفتوه فيه فقال أترى ان سمح الله بقرب الأجل أيؤجله شرب الخمر . لالتقيت الله سبحانه وقد استعملت ما حرمه عليّ . فامتنع ولم يشرب . (١) ولما قضى نحبه أُنقذ الأمراء النورية الى الملك عز الدين الاتابكي يستدعونه ليساموه حلب . فبادر عز الدين متوجهاً اليها في العشرين من شعبان سنة ٥٧٧ هجرية وصعد القلعة واستولى على ما بها من الخزائن وتزوج أم الملك الصالح . وأقام بها الى سادس عشر شوال . ثم رأى انه لا يمكنه حفظ الشام والموصل وكان خائفاً من صلاح الدين لا سيما وان أمراءه يلحون عليه في طلب زيادة رواتبهم . فرحل عن حلب وخلف بها مظفر الدين ابن زين الدين صاحب اربل المذكور آنفاً . ولما وصل الى الرقة لقيه أخوه عماد الدين صاحب سنجار فقرر معه مقايضة حلب بسنجار وهذا يدل على أهميتها يومئذ (٢)

ثم بلغت الاخبار الى صلاح الدين الايوبي وكان في الديار المصرية حين وفاة الملك الصالح فعاد الى الشام سنة ١١٨٢ (٥٧٨ هـ) حيث جهز العساكر

(١) أبو الفدا ج ٣ ص ٦٦

(٢) يذكر الحموي ان سنجار كانت مدينة في لطف جبل عال يقطعها نهر (الترار) ويسقي أراضيها وكان بجانبها واد عظيم تكثر فيه اشجار النخل والارج والنارج . وكانت سنجار في حوالي القرن العاشر أي في عهد الدولة الحمدانية كشيرة القرى والعمران وبقيت كذلك حتى أخربها ارطغرل السلجوقي لما اقبل الى الموصل في حوالي ١٠٥٧ (٤٤٩ هـ) فقتل من أهلها ٤٠٠٠ وأجلى البقية فاقوت من السكان (ابن العبري س) ثم تراجع عمرائها في عهد الدولة الاتابكية واليوم يشتمل جبل سنجار على نيف وخمسين قرية أعظمها السودة والقيران وعدد سكانه يبلغ ثمانية آلاف نسمة

الكثيرة ليسير الى بلاد الجزيرة والموصل ويأخذها من يد عز الدين وكان سبب ذلك ان صلاح الدين الابوي بلغه وهو في الشام ان رسول عز الدين مسعود وصل الى الفرنج يحثهم على قتاله ليشغله عنه فعلم انه قد غدر به ونكت باليمن ولهذا عزم على قصد حلب والموصل ^(١) وزاده أملاً فيها اتفاق بعض رجال عز الدين معه لا سيما منهم مظفر الدين بن زين الدين وهو المعروف بكوكبري وكان يومئذ صاحب حران . وقد قرر من عز الدين لنزاع جرى بينه وبين نائبه مجاهد الدين قايماز . فالتجأ الى السلطان صلاح الدين وقطع الفرات اليه . فقوى عزمه على قصد بلاد الجزيرة وسهل أمرها عليه ومن ثم عبر السلطان صلاح الدين وضبط حران والرها والبيرة وحصن كيفا والركة ونصيبين وسروج والخابور . وهو قرقيسيا وماكسين وعرمان ^(٢) . ثم جمع أهل مشورته واستشارهم في الموصل فأشاروا عليه ان يقصدها . فسار صلاح الدين بالعساكر الكثيرة . وكان عز الدين ومعه مجاهد الدين قد جمع العساكر من فارس وراجل وأحضر العدة الوافرة والاصلحة الكثيرة باذلاً للجند الاموال الطائلة . ثم شجن عز الدين ما بقي بيده من البلاد كالجزيرة وسنجار واربل وغيرها بالرجال والسلاح والاموال . فلما قرب صلاح الدين الى الموصل ورأى كثرة الرجال والعدد تحير في أمره وخشي سوء العواقب فانه رأى مدينة عظيمة ذات اسوار منيعة قد ملئت بالرجال . وعلم انه لا طاقة له على أخذها واذا عاد عنها خائباً كان ذلك حطة في قدره واحتقره الملوك بعد الشهرة الدائمة التي أحرزها . فدعى اليه ناصر الدين ابن عمه ومظفر الدين كوكبري بن زين الدين وقال لها لقد غررتماني في مشورتكما وأطمعتماني في غير مطعم . ولو قصدنا غير الموصل لمان علينا فتحه باسمنا وهيبتنا . أما ناصر الدين فشد أزره ورجاه بالفتح القريب . ومن ثم تقدم صلاح الدين الى

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ١٢٤

(٢) ابن خلدون ج ٥ ص ٢٥٩

الموصل سنة ٥٧٨ هـ فنزل محاذي باب كندة وأنزل مظفر الدين بياب الجسر وأنزل أخاه تاج الملوك عند الباب العمادي . ثم نصب المنجنيقات وقاتل قتالاً شديداً فلم يظفر منها بشيء وخاف أخيراً أن يكبسه الأهالي ليلاً فان عسكر الموصل كانوا ينزلون الى دجلة من باب سري قريباً من عين السكبريت . وهذا الباب يرى الى اليوم . فتأخر صلاح الدين عنها وأخذ يرأسل عز الدين في الصلح فلم يتفقا عليه لأن عز الدين شرط عليه إعادة البلاد التي ضيبتها منه . ولما رأى صلاح الدين أنه لا ينال غرضاً من الموصل ولا يحصل الا على العناء والتمب بلا جدوى ، وأن الجنود الاتابكية التي بسنجار تقطع الطريق على عساكره وأصحابه ، سار الى سنجار سنة ١١٨٢ (٥٧٨ هـ) وكان عليها حينئذ شرف الدين أخو الملك عز الدين مسمود . وبعد حصار طويل آيس صلاح الدين من أخذها الا أن أميراً من الرزارية راسل صلاح الدين ان يطرقه ليلاً فيسلم له المدينة من احدى جهاتها . فقصدتها ليلاً ودخلها ولما أحس به شرف الدين هرب بمن معه الى الموصل . واستقر لصلاح الدين ما ملكه بسنجار فخابت آمال عز الدين من استرداد البلاد من يده لاستحكامه في سنجار

فكتب عز الدين الى شاه أرمن صاحب خلاط من مدن وان يستنصره على صلاح الدين فكتب هذا الى صلاح الدين يشفع اليه في الموصل ويهدده بالمسير اليه ان لم يفعل . فلم يصغ اليه صلاح الدين وعلى ذلك جمع شاه أرمن عساكره وسار بأمرائه وأصحابه حتى التقى بعز الدين وكان صلاح الدين اذ ذاك قد بارح سنجار الى حران . فلما بلغه اجتماع شاه أرمن بعز الدين وليس معه العساكر الكافية لرد العدو ، سار الى جوزم تحت ماردین حيث امتنع الى سنة ١١٨٣ (٥٧٩ هـ) . ثم ان شاه أرمن طارق عز الدين ورحل الى بلاده فقصد صلاح الدين آمد وملكها ثم سار الى حلب وهي بيد عماد الدين ابن مودود زنكي وقد شغب عليه أمراؤه وجنده لقله رواتبهم . فلما رأى

عهد الدين ان لا مندوحة له من التسليم سلمها الى صلاح الدين على شرط ان يعطيه عوضاً عنها سنجار ونصيبين والخابور والرقه وسروج . فوضي بذلك صلاح الدين وأعطاه اياها واستلم منه حلب . فمدحته الشعراء منهم محيي الدين ابن الزكي بقصيدة منها هذا البيت :

وفتحكم حلباً بالسيف في صفر مبشر بفتوح القدس في رجب
فاتفق ان صلاح الدين فتح القدس في رجب سنة ١١٨٧ (٥٨٣ هـ) (١)

الفصل الرابع عشر

وهن الدولة الاتابكية

وقدوم السلطان صلاح الدين الايوبي الى الموصل دفعة ثانية
لا صيانة للبلاد الا بالرجال الصُديق ، ولا وقاية للملك الا بالثقة الخبر ،
الذين عركهم الدهر نجبروا غته وسمينه . أولئك هم حماة الاوطان ، ومعاقل
البلدان . وخفرة البنود ، وقادة الجنود . بهم يدفع العدو المباين ، وبهم يتم
التعاقد والتعاون . فاذا صارت الدولة الى رجال لم يعجموا عود الزمان ،
ولم يمنكهم تقلب الحدثنان . آل الملك ولا ريب الى البوار ، وحل به الدمار .
على ان الدولة بوحدتها الادبية كالانسان الفرد اذا أعدم حواسه الخارجية
التي بها يستعين على احكامه العقلية وافعاله البشرية أصبح ولا غرو عرضة
لتنقص ، بل مجموعة من الافعال والاحكام الناقصة . كذا قل عن الدولة اذا
أعدمت رجالها الخبيرين وهم عيونها ودليلها في الطرق الوعرة والسبل الموبقة
تسمى والحالة هذه في اخطار مبينة تمتورها في امورها الادارية ومسالكتها
السياسية فلا تغم ان تهوى

وهذا ما جرى للدولة الاتابكية في زمن أحاقت بها الاعداء وأشدهم

طمعاً السلطان صلاح الدين الايوبي حينما كان رجال هذه الدولة قد شغلتهم مشاحنة بعضهم عن مهام الملك . وكأف بعض الأمراء قد أغروا صدر عز الدين على عميده مجاهد الدين قايماز وأغروه بالقبض عليه . وكان مجاهد الدين من خيرة رجال الدولة الاتابكية واكثرهم خيراً وأجزلهم عقلاً^(١) . فاحتال عليه عز الدين وألقاه في السجن ثم استولى على أمواله وأملاكه^(٢) . وكان الذي أشار عليه بذلك محمود زلفندار صاحب الجيش وشرف الدين بن أبي الخير أحد اكابر الأمراء . ولما سجن مجاهد الدين سنة ١١٨٣ (٥٧٩ هـ) ولى قلعة الموصل محمود زلفندار وجعل ابن أبي الخير حاجباً وولاها ادارة الامور . قال ابن الاثير وصح اذ ذاك قول الشاعر :

ذهب الدين يُعاش في اكنافهم وبقي الذين حياتهم لا تنفع
وهكذا آلت الدولة الى يد صبيان لا خبرة لهم ولا حنكة . فكان على اربيل وأعمالها زين الدين يوسف بن زين الدين علي كوجك وهو صبي صغير . وعلى جزيرة ابن عمر معز الدين بن سنجر شاه بن سيف الدين بن مودود وهو صبي . وهذه كلها كانت بيد مجاهد الدين مع شهر زور وأعمالها ودقوقا وقلعة عقر الحميدة . فلما أُلقي عليه القبض انتهز الفرصة الخليفة الناصر لدين الله (الذي تبوأ عرش الخلافة بعد أبيه المستضيء سنة ١١٧٩) (٥٧٥ هـ) وأرسل جنداً الى دقوقا لحاصرها وأخذها . ثم أُنقذ صاحب اربل وصاحب الجزيرة يقدمان الطاعة لصلاح الدين وكان صلاح الدين قد زادت مطامعه ووثق من نفسه بالاستيلاء على الموصل وخصوصاً عند سماعه بسجن مجاهد الدين^(٣) واذا رأى عز الدين ما آل الحال به وقد شعر بحاجة ماسة في هذه الازمة الى مجاهد الدين أمر للحال باخراجه من السجن سنة ١١٨٤ (٥٨٠ هـ) وبجس ابن أبي الخير وزلفندار محمود قصاصاً لها على غدرهما

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٥٣٩

(٢) ابن الاثير ج ١١ ص ٢٠٣

(٣) طالع ابن شداد ص ٤٤

ولما رأى مجاهد الدين ما آل الحال بالدولة قصد شمس الدين البهلوان صاحب همدان وبلاد الجبل يستمدد على صلاح الدين فأجاب البهلوان طلبه وامده بنحو ثلاثة آلاف فارس فساروا الى اربل واكتسحوا البلد وخربوها ثم تفرقوا منشغلين في السلب والنهب . وبينما هم كذلك باغتتهم زين الدين يوسف فقتل منهم عدداً عظيماً ومن سلم لاذ بالهزيمة فرجع الاعجام منهزمين الى بلادهم وغنم الاربليون اموالهم وخيلهم وسلاحهم . اما مجاهد الدين فعاد الى الموصل بصفقة خاسر سنة ٥٨٠ هـ جربة ^(١) وبعد هذا سار صلاح الدين من حلب سنة ١١٨٥ (٥٨١ هـ) وعبر الى جزيرة ابن عمر فأخذ معه معز الدين سنجر شاه صاحبها وقدم الى الموصل وقبل وصوله اليها وهو عند بلد أرسى عز الدين أمه وابنة أخيه نور الدين مع بعض اعيان دولته ليصرفوه عنهم حقناً لدماء العباد فأبى صلاح الدين الا الحرب وأرجعهم خائبين لوثوقه من نفسه في احراز الغلبة . وتقدم حتى نزل بالاسماعيليات قريباً من الموصل بحيث يصل من العسكر كل يوم نوبة جديدة لحصار الموصل ^(٢) ثم جاءه صاحب اربل زين الدين يوسف ومعه أخوه مظفر الدين كوكبرى بعساكرهما فانزلهما على الجانب الشرقي من الموصل مع غيرهما من الامراء والتحم القتال بين الفريقين فأشار بعضهم على صلاح الدين ان يقطع الماء عن الموصل بتحويل دجلة الى ناحية نينوى فاستصوب الرأي لكنه أعرض عنه أخيراً لما يتيه من التعب وطول المدة وكان مجاهد الدين قد حصن المدينة وأصلح احوال الجند فكان يعبر كل يوم بعامة أهل المدينة الى الجانب الشرقي ويعودون مساء . وبعد ما اقام صلاح الدين نحو شهر وتحقق لديه عجزه عن فتحها رفع الحصار وسار عنها الى ميافاارقين فافتتحها وملكها ثم قرّر اقطاعها وأحكم قواعدها وعزم على العود الى الموصل لاستئناف الحرب فجعل طريقه على نصيبين ووصل الى كفر

(١) ابن الاثير ج ١١ ص ٢٠٥

(٢) ابن شداد ص ٤٤

زمار في فصل الشتاء فأقام بجوارها لقطع الغلة عن الموصل لعلمه انه لا يفتتحها الا بهذه الوسيلة . اما مجاهد الدين فلما رأى اصرار السلطان صلاح الدين وثباته على حرب الموصل ارتأى ان يصالحه فأنفذ اليه رسولا في ذلك . وبينما كانت تتردد رسل الصلح مرض السلطان مرضاً شديداً فرحل عن كفر زمار عائداً الى حران وتبعته رسل مجاهد الدين يسألونه الاجابة على الصلح فاجابهم الى ذلك على شرط ان يسلم له الملك عز الدين جميع البلاد الباقية له ^(١) . ونقل شهاب الدين المقدسي عن العماد ان صاحب الموصل نزل للسلطان عن جميع ما وراء الزاب من البلاد والقلاع والحصون والضيايع وشهر زور ومعاقها واصمها وولاية بني قججاق ^(٢) وولاية القرابي والبوازيخ وعانا وقرر عليه السلطان الموصل واصمها على ان يكون بحكمه وينفذ العساكر لخدمته وتكون الخطبة والسكة باسمه وان يطلق المظالم ولا يرتكب الماثم . وروى ابن خلدون انه في رمضان سنة ٥٨٢ هجرية وهي ١١٨٦ للميلاد ترددت الرسل بينهما في الصلح على ان يسلم عز الدين شهر زور واصمها وولاية الفراتي وما وراء الزاب (كركوك ودقوقا واريل وما يليها أي صقع باجري الى تكريت) ويخطب له على منابرها وينقش اسمه على سكتته ^(٣) فصارت جميع ديار الشام والجزيرة وديار بكر في طاعة صلاح الدين الايوبي . ثم أنفذ الى شهر زور مملوكه مجاهد الدين اياز فطرد عنها التركان المستولين عليها وتملكها ^(٤)

ومن ذلك الحين ضعفت الدولة الاتابكية وتقلص ظلها واوشكت الى الزوال وزادها شراً وخلا عوامل الحسد والشحناء حتى انقسمت القلوب وشرع كل واحد من اربابها يسعى في ايجاد الحيل ليوقع شراً بصاحبه وان عماد الدين

(١) ابن الاثير ج ١١ ص ٢١٠

(٢) والاصح هم بنو قججاق وهم قوم من الترك سكنوا ما بين جبال اورال ونهر ولغا فسمي ذلك الصقع أي شرق جنوبي روسيا صحراء قججاق

(٣) ج ٥ ص ٢٦٢

(٤) المقدسي ج ٢ ص ٦٤

فذكى اتابك بعد ان أسس اركانها واذاع اسمها في الخافقين واتسعت ذاك الاتساع المدهش بمدة وجيزة انحصرت اليوم بقطعة صغيرة من أرض الموصل ولم يبق من اخلافه الا عز الدين بن مودود على الموصل وابن أخيه سنجر شاه ابن سيف الدين على جزيرة ابن عمر وعماد الدين على سنجار وثلاثهم قد نبذوا الباب وتمسكوا بالقشور يخضعون لصلاح الدين الايوبي ويخطبون له في البلاد ويضربون السكة باسمه وهم على شفا جرف هار تثيرهم النزاعات وتسعهم الحزازات . وكان سنجر شاه يكاتب صلاح الدين موغراً صدره على عمه عز الدين ويشكوه بالغيانة ويشيه بمكاتبة الاعداء عليه وكان يتزلف بذلك الى السلطان صلاح الدين لينال منه ولاية الموصل

اما عز الدين فكان صابراً على ما يكره خوفاً من اثاره الحرب بينه وبين ابن أخيه حيث يتسنى لصلاح الدين ان يطردهما عن البلاد ويستولى عليها تماماً . ولما رأى سنجر شاه ان مراسلته صلاح الدين لم تغنه فتيلاً قصده بنفسه وهو نازل على عكا واقام عنده وهو لا ينال مأرباً حتى سئم المقام فاستأذن بالعودة فلم يأذن له . ثم ان سنجر شاه رحل خفية من دون علم السلطان اذ كان خائفاً على نفسه للتشكيكات الكثيرة التي كانت ترد الى السلطان من أهل الجزيرة . فكتب السلطان الى عز الدين يأمره بالمسير الى جزيرة ابن عمر وبضبطها ويأمره أيضاً بالقبض على سنجر شاه اذا عاد اليها . فظن عز الدين ذلك مكيدة ليشنع السلطان عليه بنكث اليهود فلم يفعل بل أرسل يطلب منه منشوراً بالجزيرة ، وترددت الرسل في ذلك حتى نهاية سنة ١١٩٠ (٥٨٦ هـ) فصار عز الدين الى الجزيرة وحاصرها أربعة أشهر ثم استقر الصلح بينهما على ان يكون نصف اعمال الجزيرة لعز الدين والنصف الآخر لسنجر شاه ^(١) وجاء في كتاب النوادر السلطانية ان السلطان صلاح الدين صالح المواصلة واعطاه ما بين النهرين وكان قد أخذها من سنجر شاه ^(٢) وهي ليست ما بين النهرين التي تشمل على سائر

(١) ابن الاثير ج ١٢ ص ٢٥

(٢) ابن شداد ص ٤٦

بلاد الجزيرة بل هي جزيرة ابن عمر وكانت مع ما يجاورها بيد سنجر شاه كما رأيناها
ان السلطان صلاح الدين الايوبي افتتح بلاداً كثيرة وملك بلاد الجزيرة
والشام وسورية وفلسطين ومصر ونال بسطة الدولة الاتابكية سؤدداً عظيمة
واسما شهيراً . ونقل ابن الاثير عن أحد الثقات انه رأى صلاح الدين يركب
ويعضده معز الدين صاحب ملاطية ويسوى ثيابه علاء الدين خرشاه ابن
عز الدين صاحب الموصل قال فعمجت من ذلك وقت في قلبي ماتبالي يا ابن
أيوب اية ميتة تموت يركبك ملك سلجوقي وابن اتابك زنكي^(١)

وتوفي صلاح الدين الايوبي سنة ١١٩٣ (٥٨٩ هـ) وخلفه ابنه عزيز
عماد الدين وكان صلاح الدين من مماليك نور الدين الاتابكي صاحب حلب
والشام وسار الى مصر لحرب الصليبيين وهناك تقلد الوزارة في الدولة الفاطمية
على عهد آخر خلفائها العاضد لدين الله ولما توفي العاضد لدين الله سنة ١١٧١
(٥٦٧ هـ) ولم يكن له وريث استبد صلاح الدين بالملك وكان يخطب للخليفة
العباسي ولنور الدين الاتابكي ، وبعد وفاة نور الدين استولى على حلب
واخضع الملوك الطوائف واستولى على بلادهم وأحرز صلاح الدين انتصاراته
باهرة في الحروب الصليبية واشتهر بحسن سيرته وكرم اخلاقه ولين طباعه .



الفصل الخامس عشر

في نهاية الملك عز الدين مسعود الاول

وملك ابنه أبي الحرث أرسلان شاه الملقب الملك العادل نور الدين

لما بلغ موت صلاح الدين عز الدين أتابك جمع أهل الرأي من أصحابه وفيهم مجاهد الدين قايماز كبير دولته ونائبه واستشارهم فيما يفعل فقر رأيهم على أن يكتبوا أصحاب الاطراف وهم مظفر الدين صاحب أربل وسنجرشاه صاحب جزيرة ابن عمر وعماد الدين صاحب سنجار ونصيبين والخابور والرقه ويتفقوا على العصيان والمطالبة ببلادهم . فأجمعوا رأيهم على ذلك وسار عز الدين بالعساكر مع أخيه عماد الدين الى الرها : وذكر شهاب الدين المقدسي أن بقية أصحاب الاطراف لم يتفقوا في ذلك مع عز الدين الا تباكي وانما اتفق معه أخوه عماد الدين ، فساروا في عساكرها الى تل موزن (بين رأس العين وسروج) لقصد الرها ، وأرسل العادل حينئذ يطلب الصلح وأن تكون البلاد الجزرية - الرها وحراف والرقه وما معها - بيده على سبيل الاقطاع من عز الدين فلم يجبه الى ذلك ^(١) وبينما كان يتهيأ للحملة أصابه مرض عضال آيس فيه من الحياة فترك الجند مع أخيه عماد الدين واقتبل الى الموصل وتوفي فيها سنة ١١٩٣ (٥٨٩ هـ) في شهر شعبان ودفن في المدرسة التي أنشأها مقابل دار المملكة . وكان ابن الجانب رقيق القلب يحب الرعية جداً ثم قام بالملك بعده ابنه نور الدين أرسلان شاه الأول فأقر مجاهد الدين قايماز على نيابته وتدير مملكته . وكان عمه عماد الدين قد رجع عن الرها بخفي حنين وهو يحدث نفسه بالاستيلاء على مملكة أخيه عز الدين فأشار الى بعض عماله أن يضبطوا بعض القرى المجاورة لهم وهي لنور الدين ففعلوا

ولما أحس نور الدين كتب الى عمه عماد الدين ينذره باعادة القرى وينهاه عن
 العود الى مثل ذلك . فأغلظ له عماد الدين في الجواب وعلى هذا تجهز نور الدين
 وسار الى نصيبين ليستولى عليها وقبل وصوله اليها توفي عمه عماد الدين سنة
 ١١٩٧ (٥٩٤ هـ) خلفه ابنه قطب الدين محمد على بلاده أي سنجار والخابور
 ونصيبين والرقه وسروج وهي التي عوضه صلاح الدين عن حلب لما أخذها منه
 وتولى تدبير دولته مجاهد الدين برتقش . وبلغ قطب الدين مسير عمه نور الدين
 بالجيوش فسار اليه من سنجار والتقى قريباً من نصيبين وبينهما نهر قطمه
 نور الدين وحمل على ابن عمه ففرق جيشه وهزمه شر هزيمة ثم دخل نصيبين
 وملكها ^(١) واذ لم يكن لقطب الدين طاقة على ابن عمه كتب الى الملك
 العادل أخي صلاح الدين يستنجده ويبذل الأموال الكثيرة اذا أعاد له
 نصيبين فسار الملك العادل الأيوبي اليها وكان نور الدين قد ضعف عن محاربة
 الملك العادل لمرض فشا في عسكره فقتل منهم خلقاً كثيراً ولاذ من بقي منهم
 بالهزيمة وأخلى نور الدين المدينة وعاد راجعاً الى الموصل ثم سار الملك العادل
 الى ماردين وحاصر قلعتها وقطع عنها الميرة فعمم الأمر على نور الدين
 وعلى غيره من ملوك الطوائف في ديار بكر والجزيرة وخافوه على ملكهم .
 وحدث في تلك الأيام أن العزيز توفي بمصر سنة ١١٩٨ (٥٩٥ هـ) ثم خلفه
 ابنه محمد منصور . وكان أول ما فعله محمد جمع عسكراً وسار الى حصار دمشق
 وهي بيد عمه العادل ليأخذها منه . وكتب الى نور الدين صاحب الموصل
 وغيره من الملوك على موافقته والأخذ بناصره وحركهم أيضاً على المسير الى
 ماردين ليشغلوا عمه العادل عن قتاله فيتهيأ له الاستيلاء على دمشق . وكان
 الاتابكيون قد أوجسوا خيفة من الملك العادل أن يغلبهم على أمرهم ويضبط
 بلادهم فاتفقوا على مجازاة صاحب مصر في محاربة العادل خدمة لمصلحتهم . أما
 الملك العادل فسار الى دمشق خوف أن يخرج من حوزته وترك على ماردين

ابنه الملك الكامل فانتشب القتال بينه وبين بني اتابك ولم يلبث العسكر
الكامل أن ولّى هارباً . ثم ثارت بعد ذلك حروب كثيرة بين نور الدين
وبين أصحاب الملك العادل أشهرها الحرب التي ثارت سنة ١٢٠٣ (٦٠٠ هـ)
وكان سببها أن الملك العادل استمال قطب الدين الاتابكي صاحب نصيبين أن
يخطب له في البلاد التي تحت يده فساء ذلك نور الدين وقصد نصيبين بجيشه وضبطها
وبينا كان على حصار قلعتها أتاه الخبر أن مظفر الدين كوكبري صاحب أربل
أقبل على الموصل فذهب نينوى وكانت عامرة وأحرق غلاتها . وكان قطب
الدين أيضاً قد كتب الى الملك العادل يخبره بما فعله نور الدين ويستنصره عليه
فأرسل الملك العادل ابنه الملك الأشرف موسى وانضم اليه مظفر الدين
صاحب أربل وصاحب الحصن وآمد وصاحب جزيرة ابن عمر وغيرهم على
مقاتلة نور الدين ، فالتقوا عند بوشري وثار بينهم حرب ضروس كانت
الدوائر فيها على عسكر نور الدين لما أصابهم من التعب والسغب فلاذوا بالهزيمة
الى الموصل ولم يبق مع نور الدين الا أربعة أنفار دخل بهم المدينة وكان
الأشرف يتبعه بأصحابه فذهبوا البلاد نهباً قبيحاً وأهلكوا ما لم يصلح لهم لا
سيما في مدينة بلد واستولوا على تلعفر ثم طلب نور الدين صلحهم فصالحه
الأشرف وعاد عنه

الا أن الملك العادل ما زالت عيونه طامحة الى الاستيلاء على ما بقي من
البلاد للبيت الاتابكي واذا لم يتيسر له تحقيق أمانيه بطريقة حربية لانشغاله
بحرب الصليبيين عمد الى طريقة سلمية فأخذ ابنة نور الدين زوجة لابنه ظلماً
منه أن ينال مأربه بهذه الوسيلة . أما نور الدين فانتهاز فرصة هذه المصاهرة
للانتقام من ابني اعمامه قطب الدين صاحب سنجار ونصيبين والخابور ومحمود
ابن سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر وكانت المداوة مستحكمة العرى بين
التفريقين فكتب الى الملك العادل يرغبه في الاستيلاء على بلادها فتكون له
جزيرة ابن عمر وللعادل نصيبين وسنجار والخابور . وعند هذا الخبر استبشر

العاذل وأمل نوال مأربه لانه علم متى ملك هذه البلاد يأخذ الموصل لاعماله . وأرسل يطمع نور الدين ان يعطي هذه البلاد اذا ملكها لابنه الذي هو صهره فاستقرت القاعدة على ذلك وتمالقا عليها ثم بادر العادل بالمسير بمساكره من دمشق الى الثقات وقصد الخابور فأخذه سنة ١٢٠٩ (٦٠٦ هـ) الا ان نور الدين احسّ بغلظه وعرف ان البلاد ذاهبة منه ومن بيته وقد أصبح في حصار شديد لا يقدر فيه على مفارقة الموصل والملك العادل واولاده يمتاطون به وقد ملكوا خلاط وديار بكر وديار الجزيرة ولا بد ان يستولوا يوماً على بلاده، وهكذا تنقرض في زمانه الدولة الاتابكية . فندم أشد الندم على ما فعل ودعا اليه خواصه من الذين يرجع اليهم في الامور واستشارهم في ماذا يفعل فاشاروا عليه بالاتفاق مع مظفر الدين كوكبرى صاحب اربل الذي كان يكره الملك العادل لكثرة طمعه ولما راجعوه بذلك اتفق معه وانضم اليهما ايضاً الملك الظاهر صاحب حلب وكيخسرو بن قلج ارسلان صاحب بلاد الروم على دفع الملك العادل وكان قد استولى على الخابور وهو مقيم على حصار سنجار . ثم بلغت هذه الاخبار والفتن الكثيرة الى الخليفة الناصر لدين الله فانهذ الى الملك العادل يحثه على الصلح وحقق الدماء . ثم وصل هبة الله بن المبارك استاذ الدار والامير اقي باش أحد كبار ممالك الخليفة وهما رسولا الى الملك العادل وبعد مداولة طويلة جرت مع الملك العادل اجاب الى الصلح على شرط ان تبقى له البلاد التي أخذها وتبقى سنجار لصاحبها . فاستقرت القاعدة على ذلك ورحل العادل الى حران . وجاء في كتاب الروستين ان الملك العادل صالح بني اتابك وردهم الى سنجار ونصيبين والخابور ^(١) . ومن ثم توثقت عرى المودة بين مظفر الدين وبين نور الدين . فأخذ نور الدين ابنتي مظفر الدين زوجتين لابنيه وهما عز الدين مسعود ومنصور عماد الدين زنكي ثم اصاب نور الدين ارسلان شاه الاول ابن زنكي مرض عضال مات فيه

سنة ١٢١٠ (٦٠٧ هـ) وكان ذا سياسة للرعايا شديداً على اصحابه كثير المهابة وكان شجاعاً ذا همة باذخة دفع بسطوته الظامعين في ملكه من الاشداء كالسلطان صلاح الدين الايوبي وخافه الملوك مجاوروه ، ولولاه لاستولى الايوبيون على ملكه ولم يبقوا على أحد من الاتابكيين . وكان كريماً لا يطمع فيما لغيره فانه كان قد توصل ان يستولى على ماردين لكنه تجاوز عنها لصاحبها كرمياً . وفي مرضه أمر بالملك لابنه الملك القاهر عز الدين مسعود الثاني وحلف له الجنود وأعيان الناس ثم اعطى ولده الاصغر منصور عماد الدين قلعة عقر الحبيدية وقلعة شوش وولايتهما وولى على تدير المملكة والقيام بمصالحها الامير بدر الدين لؤلؤ^(١) لان مجاهد الدين قايماز كان قد توفي حتف انقه في حصار نصيبين سنة ١١٩٧ (٥٩٤ هـ) خلفه على تدير المملكة الامير بدر الدين لؤلؤ وكان ذا رأي سديد مع كمال خلال السيادة فيه . ولما اشتد المرض بنور الدين أمره الاطباء ان يقصد الحمام المعروف بعين القيارة قريباً من الموصل فتوفي ليلاً في الطريق ومعه الملاحون والاطباء فأخفى بدر الدين موته وحمله الى داره ولم يعلم أحد بموته حتى فرغ من قضاء بعض الدعاوي التي جلس لها وعند العصر نماه القوم فدفن بالمدرسة التي أنشأها مقابل داره

الفصل السادس عشر

وفاة الملك القاهر وتملك ابنه الملك ارسلان شاه الثاني

استقرت بلاد الموصل للملك القاهر وقام بدر الدين لؤلؤ في تديرها والنظر في مصالحها أحسن قيام فباتت هذه المملكة في زمانه بأمن وراحة وعمر مدرسة شهيرة ثم باعته الاجل فتوفي سنة ١٢١٨ (٦١٥ هـ) يوم الاثنين لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر^(٢) وكان كريماً حليماً قليل الطمع

(١) ابو الفدا ج ٣ ص ١١٩

(٢) ابن خلكان ج ٢ ص ١٢٥ وابو الفرج ص ٤٠٣

في أموال الرعية ذارقة شديدة يكثر من ذكر الموت . روى ابن الاثير قال :
 حكى لي بعض من كان يلازمه كنا ليلة قبل وفاته بنصف شهر عنده فقال لي
 قد وجدت ضجراً من القعود فقم بنا نتمشى الى الباب العمادي وهو الباب
 الذي في سور شمالي الموصل وقد سمي باسم حماد الدين زنكي مؤسس هذه
 الدولة والى اليوم يعرف بهذا الاسم ومن هذا يستدل ان دار الامارة كانت
 في شمالي الموصل على دجلة وربما قريباً من موقع قره سراي . قال : فقمنا
 وتوجهنا الى الباب العمادي ولما وصل التربة التي عملها لنفسه عند داره وقف
 عندها لا يتكلم ثم قال لي لعمرك ما نحن في شيء أليس مصيرنا الى ههنا واطال
 الحديث في هذا ثم عاد الى الدار فقلت له الانغشي الى الباب العمادي فقال لم
 يبق لي نشاط الى هذا ولا الى غيره ودخل داره وتوفي بعد أيام فأصيب أهل
 بلاده بموته وعظم عليهم فقده لانه كان محبوباً اليهم قريباً من قلوبهم ففي كل
 دار لاجله رنة وعويل (١)

وكان الملك القاهر قبل وفاته قد اوصى بالملك لابنه الاكبر نور الدين
 ارسلانشاه الثاني وعمره عشر سنوات واقام بدر الدين وصياً عليه ومدبراً
 لدولته . ولما جلس نور الدين على سرير ملك آباءه سنة ٦١٥ هجرية أحسن
 بدر الدين القيام بواجب الوصاية وأخلص الخدمة عاملاً بالرأي الصائب في
 تأييد ملك الموصي به فأرسل الى الخليفة يطلب له التقليد والتشريف ثم انتقل
 الى الملوك المجاورين يعرض عليهم تجديد العهد لنور الدين على القواعد المارعية
 بينهم وبين ابيه . وهكذا ضبط بدر الدين أمور المملكة رغماً عن صغر سن
 السلطان وكثرة الظالمين في دولته كاعمام ابيه وكانوا مقيمين في المدينة وعمره
 حماد الدين صاحب ولاية قلعة عقر الحמידية وشوش وما يليها وكان يحدث
 نفسه بالملك ، فسد بدر الدين بحسن سياسته ذلك الحرق ورتق ذلك الفتق
 وأحسن السيرة في الرعية وغير ثياب الحداد التي كان يلبسها الناس حزناً على

موت الملك السالف وتابع الاحسان والخلع عليهم جميعاً ثم جلس لكشف ظلمات الناس .^(١) وبعد مضي أيام قلائل وصل التقليد من الخليفة لنور الدين بن القاهر بالولاية ولبدر الدين بالنظر في أمر الدولة ثم وفدت من المملوك كتب التعمية وتوثيق عرى المهدي والولاء

أما عماد الدين فبات متحيزاً للفرس ليستولي على الملك . فأخذ يكتب مستحفظ قلعة العمادية ويبذل له المواعيد اذا سلمه القلعة . وكان بدر الدين يستقصي أخباره ويتتبع مقاصده وقد اطلع على الدسيمة فساد فبزل مستحفظ العمادية وأنفذ اليها أميراً بجماعة من الجند فتسلموها منه . ثم بث نوابه في غيرها من القلاع حذراً من تلون الحوادث . واتفق في تلك الايام ان الملك نور الدين اعترأ مرض ولازم داره لا يركب ولا يظهر للناس ، فاستفاد زنكي من غيابه ، وكتب الى جند العمادية يقول لهم ان ابن أخي قد مات وبدر الدين يحاول الاستيلاء على البلاد . وأنا أحق منه بملك آبائي وأجدادي . ففتح الجند بكلامه . وعلى هذا أسلموه القلعة في شهر رمضان من السنة عينها

فجهز بدر الدين عسكرياً وسيره الى العمادية لحصارها . وكان مظفر الدين كوكوبري صاحب اربل في نصرة عماد الدين . فكتب اليه بدر الدين يذكره حلفه وعهوده بان لا يمرض الى اعمال الموصل وقلاع الهكارية والزوزان^(٢) وما يليها ، ومتى تعرض اليه أحد منعه بماله ورجاله . فطالبه بدر الدين بوفاء الوعود . فلم يرض مظفر الدين وأصر على الاخذ بناصر زنكي برجاله وماله . وقوي زنكي لمناعة موقعه وشدة فصل الشتاء . فلما رأى بدر الدين حرج موقفه ويأس جنده من أخذ القلعة لحسن استحكامها عاد الى الموصل وانفسح المجال لعماد الدين ان يرسل باقي قلاع الهكارية والزوزان مستدعياً أهلها الى

(١) ابى الاثير ج ١٢ ص ١٣٨

(٢) الزوزان جبل في كردستان يمتد مئتي ثلاثة أيام تقريباً في شمالي جزيرة ابن عمر . وهو سهر في اعتدال مناخه وخصوبه يأري اليه الاكراد في فصل الصيف باغنامهم لكثرة منتجماته

طاعته . ولم يمض زمن طويل حتى لبي جميعهم هذا الطلب وسلموه القلاع فملكها وجعل عليها الولاة . ولما رأى بدر الدين ما كان من خيانة مظفر الدين واتفاقه مع عماد الدين حيث لم ينجع فيهما اللين ولا الشدة وهما ما زالوا يتمرضان الى البلاد واطرافها بالنهب والأذى أرسل الى الملك الاشرف موسى ابن العادل صاحب ديار الجزيرة وخلاط ان يصير في طاعته ويستنصره على عدوه . فاجابه الاشرف بالقبول ووعدته الأخذ بناصره والمحاربة دونه واستعادة قلاعه المضبوطة . وكان الملك الاشرف يومئذ بحلب نازلاً بظاهرها فارسل الى مظفر الدين ينحي عليه باللائمة لتعديه القواعد المقررة بينهم منها ان يكونوا خصماً للنكاكث . ثم يتهدده ان لم يعد ما أخذه من بلاد الموصل أن يوافيه بنفسه وجنده ويقصد بلاده فيستولي عليها . فلم يجبه مظفر الدين لوثوقه من النجاح باتفاق صاحب آمد وصاحب ماردين معه . فجهز الاشرف عسكرياً وسيره الى نصيبين نجدة لبدر الدين وكان عماد الدين بعد ما فرغ من أمر الجبل سار الى المقر حيث جمع له جيشاً كثيفاً وأقبل به على اعمال الموصل التي في الصحراء وأمدّه أيضاً مظفر الدين كوكبري بطائفة من جنده . فلما اتصل الخبر ببدر الدين أتقذ جنداً الى اطراف الموصل ليدفعوه عنها . فساروا اليه جريدة بخيلهم وسلاحهم . وبعد قتال عنيف في سهل تحت العقر انتصر المسكر البدرى وانهمز عماد الدين بمسكره الى اربيل وكانت هذه الاخبار قد بلغت الخليفة الناصر لدين الله . فأقذ وفداً من قبله ليتوسطوا في الصلح ولما رضي به المتحاربون أقسموا بحضور الوفد على مراعاة الشروط المقررة بينهم بان لا يتعدى أحدهم على بلاد الآخر

الفصل السابع عشر

الدولة الاتابكية في عهد الملك ناصر الدين بن الملك القاهر

كانت اشاعات عماد الدين زنكي عن وفاة نور الدين ارسلانشاه قد انتشرت ، فارتاب أهالي الموصل في حياته ، وظنوا ان بدر الدين يستمر موته محاولة في الاستيلاء على الملك . والحقيقة ان نور الدين ارسلانشاه ما زال مريضاً لا يخرج للناس كمادة بني اتابك وقد انتابته أمراض شتى أضعفته حتى توفي سنة ١٢١٩ (٦١٦ هـ) . وقام بعده في الدولة أخوه الملك ناصر الدين محمود وله حينئذ من العمر ثلاث سنوات . وبعد ما حلف له الجند ركب للناس قاطماً نوا . وطابت نفوسهم لما علموا ان لهم سلطاناً من البيت الاتابكي . وكانت مطامع مظفر الدين وعماد الدين في ضبط البلاد قد تجددت سيما وقد بلغهما عن مسير أغلب جند الموصل الى الملك الاشرف في حلب نجدة له بسبب اجتماع الصليبيين في مصر وهي كانت التجريدة الخامسة التي نهض بها الجور والجرمانيون سنة ١٢١٦ (٦١٣ هـ) وكان الصليبيون يحاربون الكامل ناصر الدين الايوبي . فأراد الملك الاشرف أن يجمع الجيوش ويحمل على البلاد الشامية التي بيد الافرنج فينهبها ويخربها ليعود بمض الافرنج الذين بدمياط الى بلادهم وبذلك يخفف الامر عن الملك الكامل صاحب مصر فاتهم مظفر الدين وعماد الدين هذه الفرصة وجما العساكر وقصد بعضهم اطراف الموصل بالنهب والسلب . أما بدر الدين فأنفذ الى نصيبين حيث كان بعض جند الاشرف يستدعيهم اليه ليستعين بهم على عدوه . فلم ي جند الاشرف طلبه وقدموا الى الموصل تحت قيادة مملوك للاشرف اسمه ابيك . فمهر بدر الدين دجلة بمجموع العساكر ونزل في شرقها ثم قطع مظفر الدين مياه الزاب وتقابل الفريقان فحرت بينهما مناوشات خفيفة منها ان بدر الدين حمل على ميسرة مظفر الدين وفيها عماد الدين زنكي فهزمها . وعقب

هذه المعركة عبر العسكر البدري الى الموصل . ونزلت عساكر العدو ازاء باب الجسر مزيلة حصن نينوى فأقامت ثلاثة أيام ، أخيراً لما رأى مظفر الدين كثرة العساكر الموصلية خاف ان يكبسه بدر الدين ليلاً بالفارس والراجل على الجسور وفي السفن . فرحل ليلاً من غير ان يضرب كوساً^(١) أو بوقاً واجتاز الزاب الى أربل وبعد هذا بأيام ترددت الرسل بينهم واستقر الصلح أيضاً على ان يبقى لكل واحد منهم ما بيده من البلاد^(٢)

ولم تمض أيام على هذا الصلح حتى تجددت الفتن وثار الحرب فان عماد الدين لما كان مستولياً على جميع قلاع العقر والهادية ارتأى جند بدر الدين الذين على قلعة كواشي وكانت على ما يظن من أمنع قلاع الموصل بجوار زاخو ان يسلموها الى عماد الدين حينما رأوا ان أمر الجبل صائر اليه فخلعوا طاعة الملك ناصر الدين الاتابكي وسلموا القلعة لعمه زنكي . فكتب بدر الدين الى مظفر الدين يعاتبه على نكثه العهد المرة بعد الأخرى . ثم أتقذ الى الملك الاشرف وهو يجلب يعلمه الحال ويطلب المدد . فعبر الاشرف الفرات الى حران ليسير الى الموصل . ولما نعى خبر قدومه الى مظفر الدين صار يرسل ملوك الاطراف ليثبرهم على الملك الاشرف ويخوفهم من خلو وجهه فيهم فوافقه على ذلك عز الدين كيكاوس بن كيخسرو بن قاج ارسلان صاحب بلاد الروم . وصاحب آمد . وصاحب حصنكيفا . وصاحب ماردين . واتفقوا كلهم على الطاعة لكيكاوس والخطبة له في سائر بلادهم الا أن هذا التحالف لم يدم زمناً طويلاً فان كيكاوس باغتته المنية بعد أيام سيرة . ومن ثم انقسمت عروة هذا التحالف وتشتت شمل اصحابه . فعمد مظفر الدين الى مراسلة بعض أمراء الملك الاشرف ليغيرهم عليه ويستميلهم لنفسه فأجابوه الى ذلك وفارقوا الملك الاشرف الى دنيسر حيث اجتمعوا بصاحب آمد . وعقدوا النيات على

(١) الكوس كلمة فارسية معربة معناها « الطبل »

(٢) ابن الاثير ج ١٢ ص ١٤٠

أن يحولوا بين الاشرف وبين بدر الدين . الا أن صاحب آمد فارقههم وصالح
الاشرف فأنحل عقد المتآمرين وعاد جميعهم الى طاعة الاشرف ما عدا أحدهم
وهو أحمد المشطوب فانه سار الى سنجار وعليها حينئذ فروخشاه بن زنكي
مودود الاتابكي ونعى خبره الى فروخشاه فأتقذ جنداً اعتقلوه وحملوه أسيراً
اليه ولما حضر احمد عند فروخشاه أخذ يقنعه بإطلاقه ليشغل الاشرف عن
سنجار التي كان طامعاً بها فقتع فروخشاه بكلامه وأطلقه وسار احمد المشطوب
معن معه وقد انضوى اليه بعض أهل المصاد حتى بلغ البقعاء ^(١) وأخذ ينهب
القرى الكثيرة . فحملت عليه عساكر الموصل وطاردته حتى هرب الى تلعفر
واحتفى فيها فتبعه جند بدر الدين وحاصروه فيها أياماً ولم يتمكنوا من
القبض عليه . ثم قصده بدر الدين بنفسه وحاصر تلعفر فافتتحها وملكها
وكانت لصاحب سنجار وأخذ أحمد المشطوب أسيراً الى الموصل حيث سجنه
سنة ١٢٢٠ (٦١٧ هـ) ثم أرسله مصفداً بالاغلال الى الملك الاشرف

اما الملك الاشرف فانه بعد ما أصلح شأن الامراء العصاة أقبل الى الموصل
بجمع من جنده وكان نائماً على فروخشاه وطامعاً بسنجار فخافه فروخشاه
على نفسه وأقبل اليه متذللاً ثم سلمه سنجار واستعطفه ان يستعمله على الرقة
فاستعمله . وملك الاشرف سنجار وما يليها . وكان فروخشاه آخر أمير من
البيت الاتابكي ملك سنجار ودام فيها ملكهم نحو أربع وتسعين سنة ثم
انتقلت الى السلاطين الايوبيين

ثم قدم الاشرف الى الموصل ودخلها بالعساكر الكثيرة في التاسع عشر
من جمادى الاولى سنة ١٢٢٠ (٦١٧ هـ) وكان يوم وصوله اليها يوماً حافلاً
مشهوداً ترجل له بدر الدين لؤلؤ وحمل الغاشية بين يديه ^(٢) (والغاشية ستارة
مرصعة بالجواهر النفيسة كانت تحمل على رؤوس الملوك كالمظلة تعظيماً لهم)

(١) قال الجوهري البقاء كورة بجوار الموصل بينها وبين نصيبين ، وقاعدتها برقميد وهي
اليوم « أبو وجنة » . ويطلب الى تكون البقعاء عين ناحية زمار

(٢) أبو الفرج ص ٤٠٦

ثم وافته رسل الخليفة الناصر لدين الله ابن المستضيء تنوسط في الصلح فاستقر الصلح على ان يعيد مظفر الدين جميع القلاع الاقلعة العمادية وشوش وهي في غربي المعر على مسافة ١٥ كيلومتر ورضي الاشرف بذلك حسماً للفتن والنزاع الذي كان يشغلهم عن حرب الفرنج فجعل أجلاً لتسليم القلاع وأخذ عماد الدين زنكي رهينة عنده الى حين تسليم القلاع . ثم اب عماد الدين قدم للملك الاشرف رهينة عنه قلعتي العمادية وشوش فاطلق سبيله . ولما رحل الملك الاشرف عن الموصل في رمضان من السنة عينها أتقذ بدر الدين عند حلول الأجل المعين يطلب تسليم القلاع الى نوابه . فنكتت عماد الدين الوعد ولم يسلم من القلاع الاقلعة « جل صورا » من اعمال الحكارية . وكان عماد الدين قد احتال على وكيل الملك الاشرف واسترد منه الرهينة وهي قلعتا العمادية وشوش وهكذا آلت اليه أيضاً جميع اعمال الجبل

وبعد مضي مدة يسيرة تفر أهل الجبل من عماد الدين لسوء سيرته وكثرة مظالمه فمالوا الى بدر الدين لؤلؤ لما كانوا يسمعون عنه من حسن السيرة في الرعية والعدل وحب الخير فكتبوا الى بدر الدين سنة ١٢٢١ (٦١٨ هـ) يقدمون له الطاعة ويعمدونه بتسليم القلاع له ويرضون منه ان يعطيهم فيها بعض الاقطاع . اما بدر الدين فتخوف ان يسير اليهم من غير استئذان الملك الاشرف مراعاة له وحذراً من غدره . فكتب له بذلك واجابه الملك الاشرف بالاجازة على شرط ان يخلي له نصيبين ودارا وقرقيسيا وهي بلدة كانت عند ملتقى الخابور في أرض الجزيرة واليوم ترى على خرباتها قرية صغيرة تسمى « أبو سراي » . فبعد ما سلم بدر الدين هذه المدن الثلاث للاشرف قصد القلاع المذكورة ففتحت له ابوابها ودخلها من غير معارضة وأحسن بدر الدين السيرة في الاهالي وذاعت شهرته الصالحة في سائر اطراف الجبال ورغب أهالي بقية القلاع في الدخول في طاعته فسلموها له الاقلعة شوش فلما استمرت على العصيان اما عماد الدين زنكي فلما رأى ما صار اليه أمره قصد أذربيجان

سنة ١٢٢٢ (٦١٩ هـ) ودخل في خدمة أوزبك بن البهلوان وأقام عنده^(١) وأتى عنه في وفيات الاعيان : انه لما أخذت منه قلاع الهكارية وما يجاورها من القلاع انتقل الى اربل عند حميه مظفر الدين كوكبري صاحب اربل فأقام بها وكنا نحن بجواره وكان من أحسن الناس صورة ثم قبض عليه مظفر الدين حموه لأمر بطول شرحه وسيره الى سنجار الى الملك الاشرف ثم أفرج عنه وعاد الى اربل وقايسه مظفر الدين عن القلاع بشهر زور واعمالها فانتقل اليها وأقام بها الى ان توفي سنة ١٢٣٢ (٦٣٠ هـ)^(٢)

والظاهر من تباين القولين في خاتمة عماد الدين انه بعد مسيره الى أوزبك تغير أهل العمادية على بدر الدين لؤلؤ سنة ١٢٢٥ (٦٢٢ هـ) وأخذوا يرأسون عماد الدين ومظفر الدين ويمدون كلا منهما بالقلاع كما يورده ابن الأثير^(٣) وأظهروا من ثم لبدر الدين لؤلؤ ما كانوا يبتغونه له من المخالفة وشق عصا الطاعة فلم يدعوا عندهم من أصحابه الا من وافقهم على افكارهم . وبناء على ذلك تخلف عماد الدين عن خدمة أوزبك وعاد الى اربل ليطلب كمادته مساعدة حميه مظفر الدين . ولما كان مظفر الدين نفسه طامعاً في هذه القلاع وراغباً في الاستيلاء على بلاد الدولة الاتابكية ولهذا السبب عينه اثار حروباً وقصد الموصل دفعات متوالية^(٤) فعقد النية على التخلص من عماد الدين كيلا يحول بينه وبين مطعمه وغدر به فعقله وأرسله الى الملك الاشرف . اذ كان الملك الاشرف ينفر من عماد الدين لغدره وعصيانه . وبعد ان اعتقله مدة أطلقه فماد عماد الدين الى حميه ليطلبه ببلاده ، فاعطاه حموه بلاد شهر زور رجاء ان تبقى بلاد الدولة الاتابكية بينه وبين بدر الدين لؤلؤ . ولما رضي عماد الدين بذلك سار الى شهر زور وأقام فيها الى وفاته كما نقلناه عن ابن خلصان

(١) ابن الأثير ج ١٢ ص ١٦٩

(٢) ابن خلصان ج ٢ ص ١٢٦

(٣) ج ١٢ ص ١٨٣

(٤) ابن الأثير ج ١٢ ص ١٧٤ و١٨٧

الفصل الثامن عشر

عصيان بعض اطراف الجبل

ثم ما آل حكم الموصل الى بدر الدين لؤلؤ بموت ناصر الدين محمود الاتابكي ذكرنا ان بدر الدين لؤلؤ استولى على قلاع الجبل الا قلعة شوش وكانت هذه القلعة أمنع من عقاب الجوتجاور عقر الحميدية وتبعد عن الموصل نحو اثني عشر فرسخاً فقصدها بدر الدين بجنوده سنة ١٢٢٢ (٦١٩ هـ) وافتتحها . وكان مظفر الدين كوكبري ينظر الى هذا الانقلاب بعين الحسد فمزم على ان يقصد الموصل ويضبطها غير انه تريت خوف ان يباغته الملك الاشرف بجنوده . فتمتقت له حيلته ان يشغله عنه ليأمن غوائله وتبقى البلاد بينه وبين بدر الدين لؤلؤ وبعدة وجيزة توصل الى ان يشير عليه شهاب الدين غازي صاحب خلاط والمعظم عيسى صاحب دمشق . ذكر ابن خلدون : ان شهاب الدين غازي ولي عهد الاشرف وعامله على خلاط وأرمينيا استظهر بأخيه المعظم صاحب دمشق وبمظفر الدين كوكبري وتداعوا لحصار الموصل ^(١) فلما انتشبت الحرب بين بني أيوب خلا الجو لمظفر الدين فأقبل الى الموصل وحاصرها واستمر على حصارها مدة عشرة أيام وأخيراً حبطت مساعيه بحبوط مساعي مؤازريه وانكسار جيوشهم امام جند الملك الاشرف فعاد مظفر الدين عن الموصل الى أربل بصفقة خائب

وكان هذا الاختلال قد سرى الى الجبل وأفسح مجالاً لبعض أهاليه ان يشقوا عصا الطاعة ويظهروا بالعصيان لاسيما أهالي قلعتي هرور ^(٢) والعمادية فتغلب عليها بمض العصاة وهم اولاد خوجة ابراهيم وطرودوا عمال بدر الدين وضبطوها وكانت العمادية حينئذ قلعة منيعة لجدة حصونها التي شادها عماد الدين

(١) ج ٥ ص ٢٧٢

(٢) هرور في ناحية برواري العليا على مسافة ٥٠ كيلو متر عن العمادية

الاتابكي الاول وهي الى اليوم في موقعها شمالي الموصل على مسافة ٨٠ كيلومترا .
 اما هرور فتجاوز العمادية وقد وصف الحموي غزارة مياهها ووفرة خيراتها
 وكثرة معادنها لاسيما الموميائي والحديد

فلما بلغ خبر عصيان هاتين القلعتين الى بدر الدين جهز المساكر وأرسلها
 اليهما ، وبعد حصار طويل افتتحهما الجند وألقوا القبض على العصاة
 سنة ١٢٢٥ (٦٢٢ هـ) فأخذ بدر الدين عماله في سائر جهاته واستقر الامن
 ومن ثم انصرف بدر الدين الى اصلاح الخراب الذي سببته تلك الاضطرابات
 في الموصل ونواحيها زيادة على ما اتلفه الجوع من النفوس التي لا يحصى
 عديدها (١)

وكان بدر الدين لؤلؤ قد عظم قدره وارتفع شأنه وآلت الامور اليه في
 الحل والابرار . وورد في كتاب روضة المناظر ان بدر الدين استولى على الدولة
 الاتابكية بعد موت الملك القاهر فانقرضت دولة بني اتابك (٢) : ومفاد ذلك
 ان نور الدين ارسل انشاء الثاني وناصر الدين محمود اللذين خلفا اباها الملك
 القاهر عز الدين الثاني كانا طاجرين عن ادارة الملك لحدائثة سنهما فتسلم بدر الدين
 مقاليد التدبير بحيث لم يبق لها الا اسم الملوكية فقط . ثم لما توفي ناصر الدين
 محمود استقل بالبلاد تماما فوصل اليه التقليد من الخليفة العباسي المستنصر بالله
 الذي تولى الخلافة بعد أبيه الظاهر بأمر الله سنة ١٢٢٦ (٦٢٣ هـ) ولقبه
 بالملك الرحيم فخطب له على المنابر

وقد اختلف المؤرخون في تعيين زمن وفاة الملك ناصر الدين محمود
 آخر الملوك الاتابكيين فذهب أبو الفداء الى أنه توفي سنة ١٢٢٢ (٦١٩ هـ)
 وبعد موته استقل بدر الدين بالبلاد (٣) . وذكر أبو الفرج : أن ناصر الدين

(١) ابن الاثير ج ١٢ ص ١٨٧

(٢) ك : ابن الشحنة ج ٩ ص ٦٨

(٣) ج ٣ ص ١٣٧

توفي سنة ١٢٣٣ (٦٣١ هـ) ^(١)، وهذا هو الأصح، على أن الطغراآت والنقود ما زالت تضرب باسم ناصر الدين محمود إلى سنة ٦٣١ هـ على ما يرى في جدول (طغراآت) مسكوكات بعض ملوك الدولة الاتابكية الذي نشره المسيو. ن. سيوفي كما سنراه ومن بعد هذه السنة ضربت المسكوكات باسم بدر الدين لؤلؤ كما يلاحظ في الجدول عينه. ومن ذلك يستفاد أن ناصر الدين الاتابكي ملك إلى سنة ٦٣١ وفقاً لما يعينه أبو الفرج

الفصل التاسع عشر

نظرة اجمالية في أحوال دولة بني اتابك

انقرضت الدولة الاتابكية في الموصل بموت ناصر الدين محمود وقد دامت فيها نحو مائة وست سنوات أي ٥٢١ - ٦٣١ هجرية ١١٢٧ - ١٢٣٣ ميلادية وقام فيها تسعة ملوك هاك اسماءهم مع مدة ملكهم :

(١) عماد الدين زنكي بن اقسنقر

١١٢٧ (٥٢١) - ١١٤٦ (٥٤١)

(٢) سيف الدين الأول بن عماد الدين

١١٤٦ (٥٤١) - ١١٤٩ (٥٤٤)

(٣) قطب الدين مودود بن عماد الدين

١١٤٩ (٥٤٤) - ١١٦٩ (٥٦٥)

(٤) سيف الدين الثاني بن قطب الدين مودود

١١٦٩ (٥٦٥) - ١١٨٠ (٥٧٦)

(٥) عز الدين مسعود الأول بن قطب الدين مودود

١١٨٠ (٥٧٦) - ١١٩٣ (٥٨٩)

(٦) نور الدين ارسلان شاه الأول بن عز الدين مسعود الأول

١١٩٣ (٥٨٩١) - ١٢١٠ (٦٠٨)

(٧) الملك القاهر عز الدين مسعود الثاني ابن ارسلان شاه الأول

١٢١٠ (٦٠٧) - ١٢١٨ (٦١٥)

(٨) نور الدين ارسلان شاه الثاني بن الملك القاهر

١٢١٨ (٦١٥) - ١٢١٩ (٦١٦)

(٩) الملك ناصر الدين محمود بن الملك القاهر

١٢١٩ (٦١٦) - ١٢٣٣ (٦٣١)

واشتهر هؤلاء الملوك بعمل الخير كتناسيس الجوامع واقامة المدارس ونشر العلوم كما سنراه في الفصل الآتى . وامتازوا خاصة بالعدل وحسن التدبير والرفق بالرعية . وقد ذكر صاحب الروضتين حادثاً في عدالة عماد الدين الأول قال : ان عماد الدين في عودته من احدى غزواته نزل بمساكره في ظاهر جزيرة ابن صر ودخل البلدة وأقام في قلعتها . فاحتذى به أمير من كبار أمرائه يدعى أبا بكر الديبسي . ودخل البلدة متخلفاً عن بقية الجند . فنزل دار رجل يهودي وطرد صاحبها منها . أما اليهودي فقصده عماد الدين يستنصفه وكان راكباً والديبسي بجانبه . فلما اطلع الاتابك على الشكوى نظر الى الديبسي نظر مغضب ولم يفه بكلمة بل رجع الفهقرى ودخل البلدة وأمر باخراج خيمة من القلعة ونصبها في ظاهر البلدة واذ لم تكن الأرض حينئذ تحتل وضع الخيام لكثرة الوحل والطين فكان الفراشون يضعون على الأرض تبناً لينصبوا خيمة زنكي وفعل الاتابك زنكي ذلك توبيخاً للديبسي على سوء فعله باليهودي

ان مملكتهم اتسعت اتساعاً عجيبياً في مدة يسيرة حتى كانت تشمل في حياة الاتابك عماد الدين الاول على الموصل وسنجار والخابور ونصيبين (من الجزيرة) وعلى سائر القلاع الكردية (من كردستان) وعلى حلب وحمص وحما (من الشام) ثم واصل الفتوحات فوسع نطاق مملكته الى ماردين

ودارا والرها وحران وسروج وآمد وشهرزور . ولما توفي عماد الدين الأول وخلفه في الملك ابنه نور الدين محمود وسيف الدين غازي الأول امتدت الدولة الاتابكية فصارت تشمل على سائر بلاد الموصل الى تكريت وعلى بلاد ديار بكر وشهرزور لسيف الدين غازي . وعلى سائر بلاد الجزيرة والشام ومصر لنور الدين وخطب له أيضاً في الحرمين الشريفين واليمن ^(١) وكان الملوك الاتابكيون قد استقلوا بالبلاد والضرائب وذلك من عهد عماد الدين الأول وما لآثم على احراز هذا الاستقلال انتقاض أمر السلاطين السلجوقيين وضعف الخلفاء العباسيين يومئذ وكانوا لا يألون جهداً في اخضاع الاتابكيين وتقييدهم بدفع الجزية فلم يفلحوا كما يدلنا عليه قدوم المسترشد بالله بمساكره الى الموصل وعوده عنها من غير جداء . ثم قدوم السلطان مسعود اليها وما كان من حربه مع عماد الدين الأول ورجوعه عنه خائباً . فقوي من ثم أمر بني أتابك وحازوا المنعة والصولة في الحروب حتى خافهم سائر الملوك . وكان السلاطين السلجوقيون أنفسهم يهابونهم ويخشون بأسهم حتى أمسك الاتابكيون السلطانين السلجوقيين وهما الب ارسلان بن السلطان مسعود وسليمان شاه وزجوهما في سجن الموصل أي في قلعتها . وهرب الخليفة الراشد بالله من السلطان مسعود السلجوقي فلاد بهما الدين زنكي واستجار به ولم يجسر السلطان السلجوقي على قصده ولا المطالبة به . وكان الاتابكيون قد قطعوا خطبة الخلفاء والسلاطين وصارت الخطبة والسكة باسمهم في سائر بلادهم الى أن جددها للخلفاء سيف الدين غازي النائي خطب للناصر لدين الله سنة ١١٧٩ (٥٧٥ هـ) . وكانت مملكتهم على أتم انتظام وادارتهم هوسومة بالعدل والرفق ، لسبق موظفيهم وهم قاضي القضاة ثم نائب الملك أو الوزير وكانت الأوامر تبلغ باسمه وتمت أمره طامة الجيش . ثم أمير الجيش ورئيس الدزدارية وهو رئيس خفر القلاع ثم أمير حاجب الدولة

ثم مأمور المال . هي جل الوظائف التي كانت عند بني أتابك وكان لهم أيضاً العمال على البلاد لجمع الضريبة . وهي كما كان يؤخذ يومئذ من سائر البلاد العباسية أي الصدقة أو الزكاة ، والجزية والخراج ، والمكوس والملاحات والأمناء وأعشار السفن وأخماس المعادن والمراسد والسمارك وغلة الضرب وضرائب الصناعة والمستغلات ^(١) وقتل ابن الأثير عن أبيه الذي كان حامل الاتابكيين على جزيرة ابن عمر في أخذهم ضريبة المستغلات قال أتابنا كتاب من الديوان بالموصل يأمرهم بمساحة جميع بساتين العقيمة وهي قرية تحاذي جزيرة ابن عمر على دجلة ولها بساتين كثيرة بعضها مطلق وبعضها يؤخذ منها عن كل جريب شيء معلوم ، والجريب من المزرعة مساحة تحصل من ضرب ستين بنفسها وهي عبارة عن ٣٦٠٠ ذراع مربع

وكانت هذه الضرائب تجمع في بيت المال فكانوا ينفقون منها في شؤون الجيش وإدارة الملك ويذخرون ما فضل منها في بيت المال حتى حشدوا مالا طائلاً واختزنوا ذهباً وفضة كانوا يبذلونه في سبيل الإبهة والترف الملوكي . أورد السائح الأندلسي ما شاهده هو نفسه في استقبال شائق جرى في الموصل لخاتون المسعودية أم عز الدين مسعود الأول وغالى في وصف إبهة الاحتفال وأمارات الجلال حتى قال : وكان مشهداً بهت الأنظار وأحدث الاعتبار . ذلك لما رآه من الحرائر الملوثة والفلائد المزوقة التي كانت تجل أعتاق الابل ثم انتظام عسكر الجواري والجنود الذين كانوا يطوفون بسيدتهم وقد جللت قبتها كلها بسبائك ذهب مصوغة أهلة ودنانير سعة الأكف وصلاسل وتمائيل بدلية الصنع بحيث لا يبين من القبة موضع ومطيتها تزحفان بها زحفاً وصخب الحلي يسد المسامع ومطاياها مجللة الأعتاق بالذهب ومراكب جواربها كذلك . فيقول هذا السائح الشهير وكان مجموع ذلك الذهب لا يحصى تقديره ^(٢)

(١) زيدان ج ٢ ص ٣٤

(٢) ابن جبير ص ٢١٦

وبدا ظل هذه الدولة يتقلص وسعدها يدبر ونحسها يقبل لما كشف صلاح الدين الايوبي القناع عن مخبثات مظامعه في الاستيلاء على دولتهم وساعده في ذلك موت الملك الصالح بن نور الدين محمود وتسليمه البلاد لابن عمه سيف الدين غازي وكان سيف الدين عاجزاً عن صيانة هذه البلاد الفسيحة الارزاء فضبط منه صلاح الدين سائر بلاد الشام وأغلب بلاد الجزيرة ثم أقبل الى الموصل بمساكره وحاصرها دفعتين وأخيراً أجبر صاحبها عز الدين مسعود الاول أن يصالحه بتسليم سائر البلاد التي وراء الزاب وبلاد شهر زور وأن تكون الخطبة والسكة باسمه فانحصرت حينئذ دولة بني اتابك في الموصل وبعض القلاع الكردية وبعض بلاد الجزيرة كنصيبين ودارا وقرقيسيا وهذه أيضاً أخذها الملك الاشرف من ناصر الدين آخر الملوك الاتابكيين سنة ١٢٢١ (٦١٨ هـ) فلم يبق لبني اتابك الا الموصل وفلمعتاشوش والمادية مع بقية قلاع المسكارية والزوزان وهي النواحي الكردية التي تحدها بلاد المعجم شرقاً ووأن شمالاً وبتليس وسمرق في الشمال الغربي وديار بكر في الغرب الجنوبي والموصل جنوباً

ان الاتابكيين خضعوا لصلاح الدين الايوبي ، وبعد موته سنة ١١٩٣ (٥٨٩ هـ) صاروا يضربون النقود باسم أخيه الملك العادل الذي تولى بلاد الجزيرة والشام. وخطب الملك القاهر عز الدين مسعود الثاني باسم الخليفة الناصر لدين الله وباسم الملك الفائز محيي الدين يعقوب بن الملك العادل . ثم في سنة ١٢٢٥ (٦٢٢ هـ) خضع ناصر الدين محمد بن الملك القاهر للملك الاشرف صاحب الشام والجزيرة وللملك الكامل صاحب مصر ولدي الملك العادل وضرب النقود باسمهما وكانا يومئذ متفقين على نزع دمشق من يد اخيهما الملك المعظم وبعده من يد ابنه الملك الناصر ودام اتفاقهما زمناً طويلاً (١). وفي سنة ١٢٢٦ (٦٢٣ هـ) خطب للخليفة العباسي الظاهر بأمر الله وللملك

الكامل ولأخيه الملك الأشرف وكان بدر الدين لؤلؤ قد أتقذ الى الملك
الأشرف فصار في طاعته وطلب منه أن يوازره على الطامعين في ملك
الاتابكي الصغير^(١) فدامت الخطبة والسكة للملك الأشرف كما يتضح جلياً
من جدول (طغراآت) مسكوكات بعض الملوك الاتابكيين التي وقف عليها
المسيو . ن . سيوفي ونشرها في هذا الجدول :

ملوك الموصل الاتابكيون

Atabeks de Mossel

لا اله الا الله وحده لا شريك له . الناصر لدين الله أمير المؤمنين
٦٠٨ au 608 (١٢١١ م)

الملك الفائز ؟ عمر^(٢) : Autour :

محمد رسول الله صلى الله عليه . عز الدنيا والدين اتابك : R

مسعود بن ارسلان شاه بن ؟ مسعود : Autour :

لا اله الا الله وحده لا شريك له . الناصر لدين الله أمير المؤمنين
٦٢٢ id au 622 (١٢٢٥)

عدة ؟ الدنيا والدين أبو نصر محمد : Autour :

محمد رسول الله صلى الله عليه . ناصر الدنيا والدين اتابك محمود : R

الملك الأشرف . الملك الكامل : Autour :

الامام . لا اله الا الله وحده لا شريك له . الظاهر بأمر الله أمير المؤمنين
٦٢٣ id au. 623 (١٢٢٦)

الملك الأشرف : Autour :

ابن مسعود . محمد رسول الله صلى الله عليه . ناصر الدين والدنيا اتابك محمود : R

(١) أبو الفرج ص ٤٠٤

(٢) الظاهر ان الاتري المسيو سيوفي قرأ عمر بدلا من العادل أبي الملك الفائز

Autour : الملك الكامل

الامام . لا اله الا الله وحده لا شريك له . المستنصر بالله أمير المؤمنين .

(١٢٣٠) ٦٢٨ id au. 628

Autour الملك الأشرف

R : محمد رسول الله صلى الله عليه . ناصر الدنيا والدين أتابك :

Autour محمود بن مسعود . الملك الكامل

الامام . لا اله الا الله وحده لا شريك له . المستنصر بالله أمير المؤمنين .

(١٢٣٣) ٦٣١ id au. 631

Autour الملك الفائز ؟ الملك الأشرف

R : محمد رسول الله صلى الله عليه . ناصر الدنيا والدين أتابك :

Autour محمود بن مسعود . الملك الكامل

الامام . لا اله الا الله وحده لا شريك له . المستنصر بالله أمير المؤمنين .

٦٩٩ id au. 6٩٩

Autour الملك الكامل . الملك الأشرف

R : محمد رسول الله صلى الله عليه . ناصر الدنيا والدين أتابك :

Autour محمود . بن مسعود

وبعد هذا التاريخ أي سنة ٦٣١ هجرية انتقل حكم الموصل الى السلطان .

لؤلؤ ف ضرب السكة وخطب باسم الخلفاء العباسيين والسلطين الايوبيين .

وباسمه كما سنراه في تمة هذا الجدول

الفصل العشرون

تقدم الموصل عمراناً وحضارة في عهد الدولة الاتابكية

رأينا ما كان من تدهور الموصل في استيلاء الأمراء السلجوقيين عليها وما سببته اطماعهم وحروبهم السجال من الانحطاط في عمرانها ومعنويتها . وزاد على ذلك عسفهم وسوء ادارتهم حتى خرب معموورها وعفت معاهد علومها . وأصبحت على شفا جرف هار فكان أكثر عمرانها خراباً لما تسلمها الاتابكيون . ينقل صاحب تاريخ الكامل عن أبيه : انه رأى الموصل وأكثرها خراب بحيث يقف الانسان قريباً من محلة الطباين ^(١) ويرى الجامع العتيق ودار السلطان وليس بين ذلك عمارة قط . فكان الانسان لا يقدر على المشي الى الجامع العتيق الا ومعه حامية لبعده عن العمارة وهو الآن في وسط العمارة وليس في هذه البقاع أرض مراح . فان عماد الدين جدد عمارة الموصل وقصدها الناس واتخذوها دار اقامة . ثم أمر ببناء دور المملكة ولم يكن للسلطان غير الدار المعروفة بدار الملك مقابل الميبدان . ثم رفع اسوار المدينة . وعمق خندقها ^(٢) : ومما أوردناه يستفاد ان الموصل لما استلمها الاتابكيون كانت خراباً ، وذلك للسبب الذي ذكره ابن الاثير نفسه ، وهو مجاورة الافرنج وجور الأمراء السلجوقيين وانتقال حكمها من يد الى يد بحيث ان طمع هؤلاء الأمراء بها وغاراتهم المتواصلة عليها في تنازعهم حكمها جعلها خراباً سيما في جهتها الشرقية أي القسم الواقع منها على النهر من غربه كما يتضح مما ورد في تاريخ الكامل انه لم يكن عمارة بين محلة الطباين - وهي على ما يظن محلة باب الجديد - وبين الجامع العتيق أو جامع الامويين ، ويعرف اليوم بجامع المصنفي ، فكان هذا الخراب من جنوب شرقي المدينة الى شمالها الشرقي

(١) ترد في تاريخ مختصر الدول « محلة الطباين »

(٢) ابن الاثير ج ١١ ص ٤٥

أي من محلة باب الجديد الى جامع المصنفي الواقع في محلة الصحراء أو الكوازين فكان القسم الشرقي من المدينة انقاضاً وردماً لا يسكنه أحد . ولما ملك الموصل الاتابك عماد الدين زنكي الاول همر تلك الاخرة فقصدها الناس وسكنوها . ثم شيد دور المملكة بجوار « قره سراي » ازالة للمخاوف . وجعل الارض المراح التي نراها اليوم بين موقع قره سراي وبين محلة المكاوي في شمال شرقي المدينة كلها عمراناً حتى أصبح الجامع العتيق أي الجامع المصنفي في وسط العمران ^(١)

ولم يزل قسم من هذا الخراب باقياً حتى بعد وفاة عماد الدين زنكي فكان في وسط المدينة بقعة فسيحة شيد فيها نور الدين محمود الاتابكي الجامع النوري أو الجامع الكبير ^(٢) وقد ورد ذكره . ومن هذا يستدل ان موقع الموصل هو اليوم كما كان قبلاً في عهد الاتابكيين حيث اننا نجد اليوم الجامع الكبير يتوسط المدينة تقريباً . الا انها كانت في سائر اطرافها أوسع عمراناً مما هي الآن . اذ كانت البيوت تلاصق الاسوار ويدلنا على ذلك ابن جبير الذي شاهد الموصل سنة ١١٨٢ (٥٧٨ هـ) في عهد الملك عز الدين مسعود الاول بن قطب الدين مودود الاتابكي قال : ان البيوت فيها (الموصل) بعضها على بعض مستديرة بمجدار السور المطيف بالبلد كله . وفي هذه البيوت حُرُز ووقاية وهي من المرافق الحربية . وفي أعلى البلد قلعة عظيمة قد رُص بناؤها رصاً (موقعها في القلعات) وتنصل بها دور السلطان وقد فصل بينهما وبين البلد شارع متسع يمتد من أعلى البلد الى أسفله أي من شماليه الى جنوبيه على خط مستقيم . وكان الاناكيون قد عمروا القسم الذي على دجلة على طول المدينة مشيدوا فيه رباطاً كبيراً كانت فيه المساجد والمدارس والمارستانات والخانات والاسواق وأحدث فيه الامير مجاهد الدين قايمار جامعاً على شط

(١) أبو الفرج ص ٣٥٩

(٢) ابن خلكان ج ٢ ص ١٦٩

دجلة يعرف اليوم بالجامع الاحمر أو جامع الخضر
وكانت البناية في الموصل من أجل البنايات ، على أحسن أساليب الرياسة
العربية . فقد ذكر ابن جبير عن حسن أبنيتها ، وجمال هندامها ، وانتظام
إبراجها وبيوتها . وقال عن الجامع الذي شيده مجاهد الدين على دجلة : اني
ما أرى وضع جامع أحفل منه ببناء يقصر الوصف عنه وعن تزيينه وترتيبه .
وكان ذلك نقشاً في الآجر . ومقصورته عجيبة تذكر بمقاصير الجنة لطيف
بها شبابيك حديدية تتصل بها مصاطب تشرف على دجلة لا مقعد أشرف منها
ولا أحسن ووصفه يطول ، انما وقع الالماع بالبعوض جرياً الى الاختصار .
وامامه مارستان خفيل وداخل البلد قيسارية للتجار كانها الخان العظيم تسفلت
عليها أبواب حديدية وتطيف بها دكاكين وبيوت بعضها على بعض قد جلى
ذلك كله في أعظم صورة من البناء المزخرف الذي لا مثيل له لما أرى في البلاد
قيسارية تعدها ^(١)

ومن أشهر جوامع المدينة كان الجامع الجديد أو الجامع الكبير . وقد
وصف المؤرخون انه كان آية في الحسن والاتقان . ثم جامع الامويين أو
الجامع العتيق (المصفي) وكان الاتابكيون قد جددوا عمارته على أحسن
أساليب البناية وزخرفوه في انواع النقوش . ومن أشهر أبنيته قبة الشهيرة
التي كانت في صحن داره . وكان داخلها سارية رخام قائم قد خلخل جيدها
بخمسة خلاخل مجدولة جدل السوار من جرم رخامها . وكان في أعلاها خصة
رخام منمنة يخرج عليها انبرب من الماء خروج انزعاج وشدة فيرتفع في
الهواء قدر القامة كاه قضيب من البلور معتدل . ثم ينعكس الى أسفل القبة
وينساب بقنوات الى الجامع الاحمر ، وجامع الامويين . وآثار هذه المنارة
باقية الى اليوم . ثم جامع النبي يونس وقريباً منه أي بجانب خربات نينوى
قل التوبة وكان عايه رباط عظيم يشتمل على بيوت كثيرة ومقاصير ومظاهر

وسقايات يضم الجميع باب واحد . وفي وسط ذلك البناء بيت ينسدل عليه ستر وينغلق دونه باب كريم مرصع كله ويطيف بهذا البيت شمع كأنه جذوع النخل عظماً . فكانت أهالي الموصل يخرجون الى هذا الرباط كل ليلة جمعة ويتعبدون فيه . وكان حول هذا الرباط قرى كثيرة تتصل بها أخربة نينوى واليوم لا أثر لذلك سوى بعض القرى الصغيرة . وذكر السائح الاندلسي المدارس والربط العديدة وذكر أيضاً ما شاهده في طريقه من النزل والمخانات والأبنية الكثيرة التي شادها الملوك الاتابكيون . وسعى هؤلاء الملوك أيضاً في تنشيط الزراعة . وكانت الموصل قبلهم في أقصى الحاجة اليها وأقل البلاد ثمرة حتى كان الذي يبيع الفواكه يتخذ له مقراضاً يقرض به العنب اذا أراد وزنه لقلته . وبعد ما عمر الاتابكيون البلاد صرفوا همتهم الى حث الأهالي على غرس البساتين الكثيرة في ظاهر الموصل حتى أصبحت بوقتهم من أغنى البلاد فاكهة ^(١) وقد نسج وزراء هذه الدولة على منوال ملوكها في تعمير البلاد وأخصهم جمال الدين الاصفهاني وزير قطب الدين مودود . فقد نوه المؤرخون عن اعماله ومبراته وبذله المساعدة لأرباب العلم وتشييده الأبنية الكثيرة وتعميره الجسور ، منها جسر عظيم بناه على دجلة عند جزيرة ابن عمر بالحجر المنحوت والحديد والرصاص والكلس . وذهبت به همته الى أن يشيد في مكة أبنية جليلة . فجدد مسجد الخيف وبنى الحجر بجانب الكعبة وزخرف الكعبة وبنى مسجداً على جبل عرفات وعمل الدرج عليه . ثم عمل بعرفات مصانع الماء وبنى على المدينة سوراً ^(٢)

وذكر المؤرخون أيضاً عن أبي المنصور عبد الله الزيني الملقب بمجاهد الدين قايعاز الخادم وزير سيف الدين غازي الثاني فانه أثر في الموصل آثاراً جليلة وشيد مدرسة ومارستاناً وأوقف أملاكاً كثيرة على خبز الصدقات وأنشأ ميماً وأجرى له جميع ما يحتاج اليه ومدّ على النهر جسراً غير الجسر

(١) المقدسي ج ١ ص ٤٣

(٢) أبو الفدا ج ٣ ص ٤٤

الأصلي وبني أيضاً الأزال والخانات في الطرق ليأوي إليها المسافرين في قرّ الشتاء وحرارة القيظ ^(١) ونشط العلم وأربابه فقصده المؤثفون كإبي المعالي سعد بن علي الخطيري وقدم له كتابه الذي سماه «كتاب الاعجاز» برسم الأمير مجاهد الدين قايماز . ومدحته شعراء البلاد منهم ابن التعاويذي وكتب له من بغداد قصيدة منها :

مجاهد الدين دمت ذخراً لكل ذي فاقة وكزاً

وكانت سوق الآداب والعلوم نافقة عند الاتابكيين لكثرة المدارس التي أنشأوها منها مدرسة سيف الدين غازي الاول . وهي المدرسة العتيقة وكانت من أحسن المدارس على دجلة في القليعات وتعرف اليوم بمدرسة يونس النحوي وفيها بعض الخطوط من ذلك العصر . ثم مدرسة عز الدين مسعود الاول وكانت من أوسع المدارس وقبالتها مدرسة ابنه نور الدين ارسلان شاه الاول وبينهما مساجد كبيرة ^(٢) . ويعد ابن جبير من مدارس العلم في الموصل ستاً ونيفاً كانت مبنية على دجلة مع مارستان عظيم . وكلها حسنة البناء تلوح كأنها قصور شاهقة عدا المدارس العديدة المنتشرة في سائر أنحاء المدينة فنبت منها في ذلك العصر العلماء الاعلام والشعراء الامثال منهم : أبو منصور عبد الواحد بن ابراهيم المعروف بابن الفقيه (النصف الثاني من القرن الثاني عشر للميلاد) وابراهيم بن نصر السلامي (النصف الثاني من القرن الثاني عشر) وابن دهان عبد الله بن أسعد الشاعر البليغ وله ديوانه المشهور (النصف الثاني من القرن الثاني عشر) وابن الصائغ موفق الدين صاحب شرح الرنخشري (أواخر القرن الثاني عشر) وبنو الاثير ومنهم المؤرخ الشهير صاحب تاريخ السكامل (أوائل القرن الثالث عشر) والشيخ كمال الدين موسى بن يونس بن مالك وكان يدرس في الجامع الكبير الدروس

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٥٣٩

(٢) ابن خلكان ج ٢ ص ١٢٥

الفقهية والمنطقية والطبيعية والرياضية والموسيقية فقصده الكثيرون من مسلمين ومسيحيين من البلاد البعيدة ليدرسوا عليه كالشيخ أثير الدين الابهري وعلم الدين قيصر بن أبي القاسم المقرئ المعروف بتعاسيف (أوائل القرن الثالث عشر) ويحيى أبو بكر بن سعدون صاحب كتاب دلائل الاحكام (أواسط القرن الثاني عشر للميلاد) والمدرس الشهير أبو الحرم بن ريان النحوي وكان يلقي دروساً فقهية ورياضية وموسيقية وغيرها (أواخر القرن الثاني عشر) ويوسف أبو درة الموصلية (مبادي القرن الثالث عشر) وله ديوان شهير في مجلدين ضخمين على ما ذكره ابن خلكان^(١). وأبو المحاسن بهاء الدين بن شداد صاحب النوادر السلطانية (مبادي القرن الثالث عشر) وكانت الشعوب المسيحية صارفة همها يومئذ الى انشاء المدارس ورفع منار الموم فان سبريشوع بن المسيحي البطريرك (أواسط القرن الثالث عشر للميلاد) كان قد أنشأ المدارس على النسق المصري المعروفة بالداخلية فكان يقوم بنفقات المعلمين والطلبة بجميع ما يعونهم من أكل وشرب ولباس حتى الحمامات أيضاً^(٢) فنبتغ فيهم في ذلك العصر شعراء بليغون كيوحنا الموصلي وجيورجيس وردا وخميس بن القرداحي الأربليين. ولثلاثتهم دواوين شهيرة بديعة في اللغة النكلدانية جمعوا فيها حوشي اللغة وفصيحتها ببلاغة والسجام وجزالة

(١) ج ٢ ص ٤٤٤

(٢) الطيرماني ص ١١٧

الفصل الواحد والعشرون

استيلاء السلطان لؤلؤ على سنجار وبعض ديار الجزيرة لمدة وجيزة
ثم عمران الموصل وعلومها في عهد سلطنته

خلف السلطان بدر الدين لؤلؤ بني أتابك في ملك الموصل سنة ١٢٣٣
(٦٣١ هـ)، فسار على آثارهم وظل يخطب ويضرب السكة باسم السلاطين
الأيوبيين أي باسم الملك الكامل والملك الأشرف حتى كانت سنة ١٢٣٧
(٦٣٥ هـ) وفي هذه السنة لقي الملك الأشرف حتفه وتوفي الملك الكامل
بعده بستة أشهر فاستبشر الماطان لؤلؤ بوفاتها . إذ كان دائماً في استعادة
ما ذهب من بلاد بني أتابك . فقطع الخطبة والسكة باسم الأيوبيين . ثم جهز
جيشاً كثيفاً ليسير به على سنجار . ويضبطها من يد الملك الصالح نجم الدين
أيوب بن الملك الكامل . وكان الملك الصالح يومئذ منشغلاً عنه الى حرب
الخوارزمية ^(١) وبأذلاً قصارى جهده في كبح جماحهم ومنع شرهم . فتخير
السلطان لؤلؤ هذه الفرصة وقصده بالعساكر الى سنجار سنة ١٢٣٧ (٦٣٥ هـ)
أما الملك الصالح فأرسل الى الخوارزمية وهاذتهم ببذل حران والرها

(١) الخوارزمية أو الخوارزميون هم جوع من عساكر جلال الدين بن خوارزمشاه محمد
فلتت من سيف التتر . وذلك أن جلال الدين بعد ما قتله التتر سنة ١٢٤٠ (٦٢٨ هـ) سارت
جيوشه مع الأمراء الذين كانوا يتولون قيادتها كبركة خان وكشلوخان وصاروخان وانضوا
تحت راية السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباز صاحب بلاد الروم وصاروا في خدمته الى أن
توفي وخلفه في السلطنة ابنه غياث الدين كيجسرو فسامهم ذلاً ومن ثم هربوا منه وانتشروا
في الديار الجزرية والسورية وأغشوا فيها قتلاً ونهباً وما زالوا على ذلك حتى استألفهم الملك
الصالح نجم الدين أيوب والملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب منعاً لشرهم وحذراً
من بأسهم ثم أقطعهم الرها وحران والركة . وكان الخوارزمية يجاهدون بالعصيان حيناً بعد
حين وقد كبر فسادهم وعم بلاؤهم البلاد . فاجتمع الحلبيون وصاروا جيشاً عظيماً الى قتالهم
وحملوا عليهم بشدة سنة ١٢٤٠ (٦٣٨ هـ) فالتفوا منهم خلقاً كثيراً وقتلوا مقدمهم حسام
الدين بركة خان فاحمل عقد نظامهم ولحق فريق منهم مع أميرهم كشلوخان بالعساكر التترية
وتفرقت بقيتهم في عرض البلاد الشامية وهكذا انكشف شر الخوارزمية

وأطادهم الى طاعته ومن ثمّ حمل بجنده على السلطان لؤلؤ وعساكره وناجزهم القتال حتى هزمهم شر هزيمة وغنم أنقاهم وكانت شيئاً كثيراً^(١) ولم تحب آمال السلطان لؤلؤ بهذه السكثرة المريبة بل عاود السكرت على سنجار سنة ١٢٤٠ (٦٣٨ هـ) وكانت حينئذ بيد الملك الجواد يونس بن مودود بن الملك العادل الأيوبي اذ كان قد قاىض دمشق من سنجار فضبطها السلطان لؤلؤ واستولى عليها

ثمّ لما حمل الحلبيون على الخوارزمية ومزقوهم في البلاد أي ممزق سنة ١٢٤٠ (٦٣٨ هـ) سار السلطان لؤلؤ في السنة عينها الى بلاد الجزيرة واستولى على نصيبين ودارا وقرقيسيا وكانت هذه البلاد من أقطاع الخوارزمية فامتدت مملكته واستقل بها فلم يكن يخطب لغيره من الملوك الا للخليفة العباسي وما زال على ذلك الى سنة ١٢٤٢ (٦٤٠ هـ) فخضع للسلطان غياث الدين كيخسرو وهو الحادي عشر من سلسلة الملوك السلجوقيين الذين ملكوا على الروم في قونية فصار يخطب باسمه وباسم الخليفة المستعصم بالله . ولما توفي السلطان غياث الدين كيخسرو سنة ١٢٤٣ (٦٤١ هـ) استبد السلطان لؤلؤ بالخطبة والطغراء في بلاده الى سنة ١٤٥٨ (٦٤٦ هـ) فاشرك فيها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز صاحب حلب

ثمّ جيش السلطان لؤلؤ عسكراً سنة ١٢٥٠ (٦٤٨ هـ) وسار به الى جزيرة ابن عمر وكانت بيد الملك المسعود بن الملك المعظم بن سنجر شاه بن سيف الدين غازي . وهذا كان آخر البيت الاتابكي . فخاربه السلطان لؤلؤ وقهره وضبط منه جزيرة ابن عمر ثمّ أسره وسيره في ركوة الى الموصل وكان قد تقدم فأوعز الى المتوكلين به أن يرموه ليلاً في دجلة فغرقوه وأذاعوا أنه رمى بنفسه في الماء وهم نيام^(٢) وكان السبب في هذه الفتنة اذ ذكره ابن العبري

(١) أبو الفدا ج ٢ ص ١٧٠

(٢) أبو الفرج ص ٤٥٦

أن الملك المعظم في حياته أخذ ابنة السلطان بدر الدين لؤلؤ زوجة لابنه الملك المسعود ليأمن على دولته من بدر الدين الذي كان قد استنفحل أمره وعظم شأنه . ثم لما توفي الملك المعظم وصار أمر الجزيرة الى ابنه الملك المسعود أخذ يسيء الى امرأته ابنة السلطان لؤلؤ . فشكت حالها الى أبيها وأرسل أبوها في طلبها وأخذها عنده . ثم حمل على زوجها انتقاماً منه ^(١) وجرى ما ذكرناه .

ولما عاد السلطان لؤلؤ الى الموصل حمل الملك الناصر يوسف صاحب حلب على بلاده التي في الجزيرة سنة ١٢٥٠ (٦٤٨ هـ) وكان سبب ذلك أن السلطان لؤلؤ أبطل الخطبة والسكة باسم الملك الناصر من سائر بلاده وجعلها باسم الملك الصالح نجم الدين أيوب صاحب الشام . فاغتاظ الملك الناصر من ذلك وقصد نصيبين بعساكره فقابلته عساكر الموصل والتحم القتال بينهم بظاهر نصيبين وبعد حرب شعواء انهزم الموصليون واستولى الحلبيون على ائقال لؤلؤ وخيمه وضبطوا نصيبين ، ثم نازلوا داراً وأقاموا على حصارها ثلاثة أشهر وافتتحوها فهدموا أسوارها وأخربوها ثم ساروا الى قرقيسيا وضبطوها وهكذا انحصرت مملكة السلطان لؤلؤ في سنجار وجزيرة ابن عمر واعمال الموصل ^(٢) وكانت يومئذ على ما ذكرها الحموي الموصل والطيرهان والسن والحديثة والمرج وجهينة والمحلبية ونينوى وبرطي وياهدر وابعدر او حبتون وكرمليس والمعلة ورامين وياجرمي ودقوقا وحانيجار والموصلان ^(٣) وبعد هذه الكسرة أصبح السلطان لؤلؤ يخطب للملك الناصر يوسف ويضرب السكة باسمه فيما بقي بيده من البلاد حتى قدمها التتر كما تراه في تمة جدول ظفرا آت الدولة الاتابكية للموسيون سيوفي :

الامام . لا اله الا الله وحده لا شريك له : المستنصر بالله أمير المؤمنين

(١) ابن العربي س ص ٤٩٢

(٢) ابوالفدا ج ٣ ص ١٨٩

(٣) يراد بالموصلين الموصل وجزيرة ابن عمر وقد جاء البيت في كتاب تاج العروس :

وبصرة الازد منا والعراق لنا والموصلان ومنا المصر والحرم

id. au 632 سنة ٦٣٢ (١٢٣٤ م)

لؤلؤ . محمد رسول الله صلى الله عليه . بدر الدنيا والدين أتابك . R :
الامام . لا اله الا الله وحده لا شريك له . المستنصر بالله أمير المؤمنين

id. au 633 سنة ٦٣٣ (١٢٣٥ م)

Autour الملك الكامل

لؤلؤ . محمد رسول الله صلى الله عليه . بدر الدنيا والدين أتابك : R

Autour الملك الأشرف

الامام . لا اله الا الله وحده لا شريك له . المستنصر بالله أمير المؤمنين

id. au 633 سنة ٦٣٣ (١٢٣٥ م)

Autour الملك الأشرف

لؤلؤ . محمد رسول الله صلى الله عليه . بدر الدنيا والدين أتابك : R

Autour الملك الكامل

الامام . لا اله الا الله وحده لا شريك له المستنصر بالله أمير المؤمنين

id. au 638 سنة ٦٣٨ (١٢٤٠ م)

لؤلؤ . محمد رسول الله صلى الله عليه . بدر الدنيا والدين أتابك : R

الامام . لا اله الا الله وحده لا شريك له المستعصم بالله أمير المؤمنين

id. au 640 سنة ٦٤٠ (١٢٤٢ م)

Autour السلطان كيخسرو

لؤلؤ . محمد رسول الله صلى الله عليه . بدر الدنيا والدين أتابك : R

Autour السلطان كيخسرو

الامام . لا اله الا الله وحده لا شريك له . المستعصم بالله أمير المؤمنين

id. au 642 سنة ٦٤٢ ؟

لؤلؤ . محمد رسول الله صلى الله عليه . بدر الدنيا والدين أتابك : R

Autour السلطان كيخسرو

الامام . لا اله الا الله وحده لا شريك له المستعصم بالله أمير المؤمنين
 id. au 612 سنة ٦٤٢ (١٢٤٤ م)

أؤثو . محمد رسول الله صلى الله عليه . بدر الدنيا والدين أتابك : R
 الامام . لا اله الا الله وحده لا شريك له . المستعصم بالله أمير المؤمنين
 id. au 613 سنة ٦٤٥ (١٢٤٧ م)

أؤثو . محمد رسول الله صلى الله عليه . بدر الدنيا والدين أتابك : R
 الامام . لا اله الا الله وحده لا شريك له المستعصم بالله أمير المؤمنين
 id. au 613 سنة ٦٤٦ (١٢٤٨ م)

أؤثو . محمد رسول الله صلى الله عليه . بدر الدنيا والدين أتابك : R
 يوسف : الملك الناصر Antour
 الامام . لا اله الا الله وحده لا شريك له . المستعصم بالله أمير المؤمنين
 id. au 617 سنة ٦٤٧ (١٢٤٩ م)

أؤثو . محمد رسول الله صلى الله عليه . بدر الدنيا والدين أتابك : R
 الملك الصالح نجم الدين أيوب Antour
 الامام . لا اله الا الله وحده لا شريك له . المستعصم بالله أمير المؤمنين
 id. au 650 سنة ٦٥٠ (١٢٥٢ م)

أؤثو . محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . بدر الدنيا والدين أتابك : R
 الملك الناصر يوسف Antour
 الامام . لا اله الا الله وحده لا شريك له . المستعصم بالله أمير المؤمنين
 id. au 652 سنة ٦٥٠

أؤثو . محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . بدر الدنيا والدين أتابك : R
 الملك الناصر يوسف Antour
 ان السلطان أؤثو تأثر الملوك الاتابكيين وسار على منهاجهم في رفع منار
 العلم وتشديد معاهد الادب زيادة على ما اقامه الاتابكيون فنالت الموصل في

عهد القديح المولى علماً وأدباً وطبق الاتفاق ذكر مدارسها وعلومها حتى أمها
في زمانه كثيرون من العلماء والادباء كالجغرافي الشهير ياقوت الحموي والتي
فيها بالشاعر البليغ علي بن المقرب الذي مدح السلطان لؤلؤ بقصيدة
ضافية الايات

واشتهر من علماء الموصل وادبائها في العصر اللؤلؤي العلامة ابن حلكان
(في أواسط القرن الثالث عشر) والاديب ابن اردخيل أبو عبد الله محمد
(أواسط القرن الثالث عشر) وأبو الحسن غنيم الدين علي بن عدلان صاحب
كتاب عقلة المجتاز في حل الالغاز وكتاب حل المترجم للملك الاشرف (أواسط
القرن الثالث عشر) وابن الخلاوي أحمد بن محمد وكان شاعر البلاط السلطاني
وصاحب السلطان لؤلؤ في ذهابه الى هولاءكو ملك التتر كما ستراه

وبلغت الموصل في حضارتها وعمرانها مبلغاً لم يكن أقل خطورة من بقية
العواصم المشتهرة يومئذ بمدنيتهما وعمرانها، وكان أرباب الحرف والصناعات
كثيرون على ما يظهر من عدد الحوانيت في الجدول المنشور في آخر هذا
الفصل. واشتهرت الموصل خاصة بمنسوجاتها وعن اسمها شاعت في أوروبا
(الموصليات *Mousselmies*) من الانسجة القطنية الرقيقة الصنع مع متانتها
وحسنها وكذا اشتهرت في بقية الصنائع فكان أهلها يصطنعون الحلي والمصاغات
والاسلحة والظنائف وامتازوا في فن البناية والرياسة. فان النزر الباقي من
آثارهم يتم على حسن ذوقهم في الابنية الفاهقة المتينة ومنها بقايا قصر السلطان
لؤلؤ (قره سراي) الواقع على دجلة في شمال شرقي المدينة وبقاى منه جدار
عظيم ضارب في الفضاء مع نوافذه الواسعة المطلّة على النهر. ومن الاقوال
المأثورة ان هذا القصر كان في وسط المدينة في عهد السلطان لؤلؤ والأصح
أنه كان واقعاً في وسط العمران الذي كان يمتد يومئذ الى الاسوار وذلك في
سائر أنحاء المدينة واليوم هو في ظاهر المدينة يبعد عن العمران نحو كيلو متر

وأكثر . وترى الى اليوم على جدرانہ كتابات متقنة الخط ناتئة الحروف منها
هذان البيتان :

لو أنصفوا أنصفوا لكن بغوا فبني
عليهم الدهر بالآفاتِ والمحنِ
وأصبحوا ولسان الحال ينشدهم
هذا بذاك فلا عتب على الزمن



بقايا قصر السلطان لؤلؤ المعروف بقصره سراي

محاسن الموصل

في عصر السلطان بدر الدين لؤلؤ سنة ٦٥٦ هـ

نقلا عن كتاب مرآة الزمان لابن الجوزي

جوامع (٣٥) مساجد (٣٠٠٠) مدارس (٢٨) دور الحديث (١٨٠)
 خانقاهات او (تكية درويش) (٢٧) كنائس المسيحيين (٥٨) معابد
 اليهود (١٦) حمامات «زوج» (٢٠٠) حمامات للرجال (١٠) خانات
 الخاكة (٩٠٨) مطاحن (مدارات) (٤٠٢٠) مزارات (١٢٠) معاصر
 للسمسم (٩٩) خوابي ماء للغير (مزملات) (١٢٥) جوم الخاكة (٧٥٠٠٠)
 ابواب المدينة (٩) قناطر (١٦٠٠) ققافيز (٢٦٠٠٠) دور مشمعة (٣٦٠٠٠)
 حجر مربعة (١٠٠٠٠) بساتين في المدينة (٣٦٠) بساتين (خضروات) (٩٥)
 ارحاء (٦٨) نواعير «دواليب» (١٦) سفن على دجلة (٢٥٠) جسر (٢)
 درجيات (١٨) نصارى المدينة (٤٣٠٠٠) اليهود (٣٦٠٠) سراديب
 المنازل (١٦٠٠٠) قرى الشرق (٢٣٠٠) قرى الغرب (١٥٠٠) الاسواق (٣٦)
 حوانيت القيصرية (١٢٠) حوانيت الاسواق (٤١٥١٥) الدمغة اليومية
 (١٠٠٠٠ درهم) دور الضرب (١٠٠٠) عمارة القيصرية النورية (٦٩٩)
 قيصرية المسك (١٢) (١)

الباب الرابع

الدول التي حكمت الموصل أخيراً وهي الدولة الأيلخانية والدولة الجلايرية والدولة التيمورية والدولة القوبونية والدولة الصوفية والدولة العثمانية.

الفصل الأول

المغول أو التتر ومنشأ الدولة الأيلخانية

كانت الاقوام المغولية أو التركية تسكن الاقطار الشمالية من آسيا أي تركستان ومغولستان وما نيجوريا وقسمًا من سيبيريا . والتتر اسم لاحدى هذه القبائل المغولية ثم تعم لما ملك جنكيزخان فأصبح اسم التتر مرادفًا لاسم المغول حتى صار يطلق على عموم الاقوام التورانية وذلك منذ الاجيال الوسطى^(١) كان ترموجين أو جنكيزخان مغولياً وكان أبوه حاكماً على بعض القبائل التترية التي على شواطئ نهر سلنكا (*S'evga*) وبعد وفاة أبيه سنة ١١٦٤ ميلادية ظهرت رعاياه بالعصيان عليه فنهض جنكيزخان لمحاربتهم وصار يرغمهم على الطاعة شيئاً فشيئاً حتى تغلب عليهم جميعاً وأحرز شهرة عظيمة ثم نادى بنفسه ملكاً (خاناً) على التتر قاطبة

وياخص السمعاني^(٢) : ان ترموجين ويسميه ترموجين كان منذ نعومة اظفاره في خدمة اونك خان وهو المسمى الملك يوحنا الذي كان مستولياً على قبائل الترك المشاركة . ولما بلغ ترموجين أشده اشتهر بشجاعته وبسالته في الحروب وبلغ من التقدم مبلغاً عظيماً ففسده الاقران وسعوا به الى أونك خان حتى اوغروا صدره عليه فعزم أونك خان على اعتقاله . ولما علم ترموجين بالدسياسة

(١) سامي

(٢) المكتبة الشرقية جلد ٣ ج ٢ ص ١٠٢

جمع أصحابه وحمل عليه ثم استولى على مملكته وحينئذ سمي نفسه جنكيزخان. ومعناه خان الخانات. وبعد ما استقرت له البلاد التي كانت في حوزة اوناك خان أخذ يرسل رؤساء بقية القبائل التترية ويدعوهم الى طاعته فن لم يطعه سار اليه وقهره حتى خضعت له جميع هذه القبائل التترية. ثم لما كبر أولاده الاربعة وهم : توشي وجغتاي واوكتاي وتولي ولاهم البلاد ونظم حدود مملكته وأقام الخضر على الطرق ليحموا المسافرين منهم واليهم تسهيلاً لاسباب التجارة ثم اتخذ جماعة من تجار التتر الى بخارى لعرض بضاعة بلادهم مع رسول الى السلطان محمد الثاني خوارزمشاه. فلما وصلوا الى بخارى نهبهم خوارزمشاه وقتلهم. وعلى ذلك سار جنكيزخان بجيوشه الى بخارى وافتتحها سنة ١٢١٩ (٦١٦ هـ) وقتل كثيراً من أهلها واحرقها حتى جعلها قاعاً صفصفاً ومن ثم سار جنكيزخان يدوخ البلاد فامتدت غزواته من ولايات المعجم العربية الى شطوط نهر الفولكاواقصى سواحل بحر الخزر ولما توفي جنكيزخان سنة ١٢٢٦ (٦٢٤ هـ) خلفه ابنه اوكتاي الذي دُعي قاآن خان. وسير قاآن خان جيوشه ليدوخوا البلاد فملكوا المدن الكثيرة وحازوا نصراً باهراً حتى ارتعدت فرائص الملوك فرقاً لسطوتهم. يقول الشيخ ابن الاثير ما معناه : قصد التتر بلاد تركستان وبلاد ما وراء النهر وخراسان والري وهمذان وبلد الجبل الى حد العراق واذربيجان وما يجاورها ثم افغانستان وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان فملكوها قاطبة بعد أن افسدوا فيها قتلاً ونهباً، واحرزوا ظفراً لم يطرُق الامناع مثله. فان الاسكندر المقدوني الذي اتفق عليه المؤرخون انه ملك الدنيا لم يملكها في هذه السرعة انما ملكها في نحو عشرين سنة وهؤلاء ملكوا أكثر المعمور واحسنه في نحو سنة واحدة فلم يبق ملك من الملوك الا وهو غير آمن على نفسه من صولتهم. ومن عجيب أمرهم عيشتهم الشظفة التي تعودوها في الحروب فكانوا يحتاجون الى ميرة ومؤن انما كانوا يكتفون بالبان خيلهم أو البانـ

البقر، أما خيلهم فكانت لا تعرف أكل الشعير بل كانت تحفر الأرض بحوافرها وتأكل عروق النبات ^(١) وسار التتر إلى آمد وارزن وميا فرقين سنة ١٢٣٠ (٦٢٨ هـ) ونهبوا أسودها ثم قصدوا مدينة سمرقند وبعد قتال عنيف دخل التتر وبذلوا في أهلها السيف حتى كادوا أن يأتوا على آخرهم. ومن هناك أقبلوا على أعمال أربل حيث فتكوا فيها فتكاً ذريعاً. وجاء في تواريخ مختصر الدول ^(٢) أن مسير التتر إلى بلد أربل كان سنة ١٢٣٥ (٦٣٣ هـ) فعبروا إلى بلد نينوى ونزلوا ساقية قرية ترجلي أو ترجلة وكانت عند منبع ساقية كرمليس في شرقيها تبعد عنها نحو الساعة بجوار عينها الكبرى وأتى منهم إلى قرية كرمليس وكان أهلها قد اجتمعوا بالكنيسة ولها بابان فدخلها التتر وجلس منهم أميران كل واحد على باب وأذنوا للناس بالخروج من الكنيسة فن خرج من أحد بابيها قتلوه ومن خرج من الباب الآخر أطلقه الأمير الآخر الواقف على ذلك الباب، وابقاه. وأقام التتر مدة في تلك البقعة المأمرة بقراها الكثيرة فأخربوها وأتلفوا منها خلقاً لا يحصى عددهم ثم عادوا عنها. والظاهر أن بدر الدين لؤلؤ خرج اليهم وهاذهم على تأدية الجزية كما يؤيده أبو الفرج ابن كيوك خان الذي خلف أباه قاآن خان ولي سنة ١٢٤٧ على بلاد الروم والموصل والشام والكرج أميراً اسمه ايلجيكناي ولم يكن ايلجيكناي عاملاً عليها بل أقامه الخان لجمع الاتاوة ^(٣). وذكر ابن الأثير أن مونككا خان لما ملك ولي الأمير ارغون على جمع الاتاوة من الموصل وغيرها. وكانت الاتاوة عندهم أن يزن الممتول في السنة عشرة دنانير والفقر ديناراً واحداً ومن مراعي ذوات الأرباع الذي يسمونه قويمجور يؤخذ من كل مائة رأس من نوع واحد رأس واحد ^(٤). وجاء في كتاب الفتوحات

(١) ج ١٢ ص ١٤٨

(٢) أبو الفرج ص ٤٣٦

(٣) أبو الفرج ص ٤٤٩

(٤) أبو الفرج ص ٤٥٩

الاسلامية ان هولاء كوا لما قصد بغداد أخذ معه عساكر الموصل^(١). فيتضح ان التتر ملكوا الموصل قبل فتحهم بغداد. ولما كانت سنة ١٢٣٦ (٦٣٤ هـ) جمع التتر قوتهم وحملوا على العراق حتى وصلوا الى زنكاباذ وسر من رأى نفرج عليهم الدويدار مجاهد الدين وشرف الدين الشراي بالعساكر الكثيرة فحاربوهم ودفعوهم عن البلاد. ثم ان التتر حادوا السكر على بغداد نهاية السنة فظفروا بجيوش بغداد الا انهم لم يتمكنوا من دخولها لمناعتها وقوة اسوارها. ولما ملك مونككاخان سنة ١٢٥١ (٦٤٩ هـ) أرسل أخاه هولاء كوا بجيوش كثيرة الى فتح بغداد وأقبل هولاء كوا عازماً ان يفتحها عنوة، فخرج اليه الخليفة المستعصم بالله الذي تولى أمر الخلافة بعد أبيه المستنصر بالله سنة ١٢٤٢ (٦٤٠ هـ) وانتشب بينهما القتال ثم انتصر التتر على جيوش الخليفة بخيانة وزيره ابن العلقمي ودخل هولاء كوا مظفراً الى بغداد سنة ١٢٥٧ (٦٥٥ هـ) وقيل (٦٥٦ هـ)^(٢) وسار ليشاهد دار الخلافة ثم أمر باحضار الخليفة فحضر اليه واهداه جواهر نفيسة ولاكئ ودراً معبأة في اطباق^(٣). لكن هولاء كوا غدر به وقتله مع اولاده وظلت الجيوش التتيرية تنهب وتقتل مدة سبعة أيام في بغداد وقيل مدة أربعين يوماً^(٤). وتلف في اثنائها خلق لا يحصى عددهم فانقرضت الدولة العباسية من بغداد وقد دامت خمسمائة واربعاً وعشرين سنة قام فيها سبعة وثلاثون خليفة. ومن ثم انتقل منصب الخلافة الى التتر وأسس هولاء كوا دولته في بغداد في عهد مونككاخان فسميت الدولة الايلخانية نسبة الى لقب هولاء كوا (ايلخان) المعطى له من الخان العظيم. ولما استقر الملك لهولاء كوا سار الى فتح البلاد فامتدت مملكته حتى أصبحت تشتمل على ثمانية أقاليم وهي: اقليم خراسان وكرسيه نيسابور واطليم العراق

(١) دحلان ج ٢ ص ٢٨

(٢) دحلان ج ٢ ص ٢٨

(٣) أبو الفرج ص ٤٥٦

(٤) ك: ابن الشحنة ج ٩ ص ١١٣

المعجمي ويعرف أيضاً ببلاد الجبل وكرسيه اصفهان واقليم العراق العربي وكرسيه بغداد واقليم اذربيجان وكرسيه تبريز واقليم خوزستان وكرسيه نستر واقليم فارس وكرسيه شيراز واقليم ديار بكر وكرسيه الموصل واقليم الروم وكرسيه قونية ^(١) وغيرها ليست مشتهرة مثل هذه الاقاليم العظيمة ان هولاء لم يكن لهم الاستقلال التام في البلاد التي كانت تحت ضبطه بل كان يخضع فيها للخان الأعظم لذلك لم يضرب اسمه على السكة بل اسم الخان الأعظم . ولم تستقل الدولة الايلخانية استقلالاً تاماً الا لما تملكها ارغون خان رابع ملوكها فانه أول من بدأ منهم ان يضرب في السكك اسمه مع اسم الخان الأعظم ^(٢) . اما ما يتناقله المؤرخون من ان هولاء كانوا الخان الأعظم وكبير الدولة المغولية فذلك لانه أول من ملك بلاد المسلمين بعد فتح بغداد وزوال الدولة العباسية

الفصل الثاني

ختم سلطنة بدر الدين لؤلؤ وما حصل من الاضطراب في الموصل لما آل الملك الى الدولة الايلخانية التتية أتخذ بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ابنه الملك الصالح اسماعيل بالنيابة عنه الى ملك التتر لتقديم الطاعة فظهر له هولاء كوعبة وقال « أنتم بعد في شك من أمرنا وما ظلمت الى اليوم لتنظروا من الظاهر بصاحبه ، فلو انتصر الخليفة وخذلنا لكان محيئكم اليه لا الينا . قل لاييك : لقد عجبنا منك تعجباً كيف ذهب عنك الصواب وعدل بك ذهنتك عن سواء السبيل واتخذت اليقين ظناً وقد لاح لك الصبح فلم تستصبح » . فلما عاد الصالح الى الموصل وبلغ اباه ما حمل من الرسالة الزاجرة ايقن بدر الدين ان المنية قد كشرت له عن انيابها فذلت نفسه وهلع قلبه هلعاً

(١) ك : ابن الشحنة ج ٩ ص ١٣٢

(2) Museum Cuficum Borgianum p : 75

شديداً وبادر الى خزائنه فاخرج ما فيها من الجواهر والاموال وصادر أيضاً ذوي الثروة من رعاياه وأخذ حتى حلي نسائه ودرر أولاده ثم سار الى طاعة هولاكو ببجبال همدان . فأحسن هولاكو قبوله واحترمه لكبر سنه ورق له وجبر قلبه بالمواعيد الجميلة وقدمه حتى اصعده على سريره واذن له ان يضع يده في اذنيه حلقيتين كانتا معه فيهما درتان يتيمنان ^(١) وبعد ان أقام بدر الدين أياماً عنده عاد الى الموصل مذعوراً مما شاهده من عظمة المغول وهيبة هولاكو ودهائه

ثم توفي السلطان الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ بعد رجوعه بايام قلائل في العشرين من تموز سنة ١٢٥٨ (٦٥٧ هـ) وتولى ابنه الملك الصالح الموصل وابنه علاء الدين سنجار وابنه اسحق المجاهد الجزيرة وايدهم هولاكو مظهراً لهم الرعاية والمودة ^(٢) ثم أرسل يطلب الملك الصالح ليسير معه في حروبه غير ان أولاد بدر الدين تغيرت قلوبهم على المغول وزادهم تغييراً ظهور الملك الظاهر بيبرس البندقدار رابع المماليك البحرية في مصر سنة ١٢٥٩ (٦٥٨ هـ) وكان قد استفحل أمره وسار يدوخ البلاد فذاع صيته واشتهرت شجاعته ولاذ به الملوك المسلمون يستنصرونه على المغول التتر . ولما كانت سنة ١٢٦٠ (٦٥٩ هـ) هرب علاء الدين بن السلطان لؤلؤ صاحب سنجار الى الملك الظاهر بيبرس في مصر فجعله نائباً على حلب ^(٣) وكتب علاء الدين الى اخيه الملك الصالح صاحب الموصل يصف له شوكة البندقدار وعظمته ويشير عليه بمغادرة الموصل والاتحاق بالبندقدار حتى اذا تمكن من قهر المغول وضبط البلاد منهم يصبح من المقدمين اليه فيوليه مع الموصل بلاداً اخرى

ولما بلغ الكتاب الى الملك الصالح ووقف على ما فيه وضعه تحت طرأخته وكان عنده آنئذ شمس الدين محمد بن يونس الباعشيقي أحد امراء ابيه النواب

(١) ابو الفرج ص ٤٨٣

(٢) ابو الفرج ص ٤٨٦

(٣) شاكر ج ١ ص ٨٧

جبلد نينوى . فغافله وأخذ الكتاب من تحت الطراحة وخرج هارباً الى قريته
 باعشيقا . ولما طلب الملك الصالح الكتاب ولم يجده وقع عنده ان شمس الدين
 سرقه لسوء في نفسه فسير من ساعته جنداً في طلبه ووصل الجند مساء الى
 شمس الدين فاشغلهم بالاكل والشرب واوصى غلمانه ان يكثروا لهم من
 الخمر فاكثروا لهم منه حتى سكروا وناموا وعندئذ أخذ شمس الدين اولاده
 وما يميز عليه وركب أول الليل قاصداً اربل . ثم طفق يشيع في طريقه ان
 الملك الصالح عازم على نهب نينوى وقتل اهاليها فصدقوا كلامه لا سيما وكان
 قد بلغهم عن ذلك قبلاً ومن ثم انتشر الخبر بين سكان نينوى وقرأها ان الملك
 الصالح يريد قتلهم فاسرعوا في العبور الى اربل منهزمين . أما الرسل الذين
 انفذهم الملك الصالح في طلب ابن يونس الباعشيتي فلما أصبحوا وقد صبحوا من
 سكرهم ولم يجدوه ظنوه قد سبقهم الى الموصل فأقبلوا الى الملك وعرفوه بما
 جرى لهم وحينئذ تحقق ظن الصالح بان ابن يونس قد هرب الى المغول
 ليطلبهم على الكتاب الوارد اليه من اخيه فاعتراه خوف شديد واسرع بجماعة
 من أمرائه وأولاده أخذوا من قصره ما خفف حمله ورحل ذلك اليوم عينه
 متوجهاً الى الشام . ثم خالفه بعض أمرائه فتخلفوا عنه راجعين الى الموصل
 وكان زعيمهم أميراً اسمه علم الدين سنجر فلما بلغوا الموصل القوها موصدة
 الابواب وذلك ان زوجة الملك الصالح ترکان الخوارزمية اتفقت مع ياسان
 أحد رجال الشحنة وأغلقت أبوابها بوجه الأمراء الراجعين مستبدة بحكم
 الموصل . فنزل هؤلاء الأمراء خارج المدينة وأخذوا يغيرون على أبوابها
 الدفعة بعد الاخرى حتى يئسوا من فتحها . ثم اتفقت عصبة داخل المدينة
 بزعامة رجل اسمه محيي الدين بن زبلاق من الكتبة الماهرين الذين كانوا بخدمة
 بدر الدين لؤلؤ وأنكروا فعل ترکان والشحنى فهجموا على الابواب
 وافتتحوها وأدخلوا علم الدين بأصحابه . فهرب الشحنى بترکان الى القلعة
 وتحصنوا فيها . فانتقض الامن الداخلي وانتشر أهل الفساد من الاوباش

والسفلة في المدينة ينهبون ويقتلون . قال أبو الفرج قتل في هذه الغائلة عدد لا يحصى من النصارى . ولم يفلت منهم الا من هرب أو أسلم . وفي اليوم الثاني وهو السبت نزل الاكراد من الجبال المجاورة على نينوى وقرأها فنهبوها . وقتلوا المتخلفين فيها من النصارى . وفيما كانت أحوال الموصل وما يجاورها في أسوأ الاحوال وقد عمتها القوضى قدم عسكر المغول من صوب جزيرة ابن عمر . فخرج لقتالهم الامير علم الدين سنجر بعسكره . وقد انضم اليه أمراء الاكراد ، والتقى بجيش المغول بعيداً عن الموصل فتناوشوا القتال ثم احتال عليهم المغول واحتاطوا بهم من جميع الاطراف وأعملوا فيهم السيف حتى كادوا أن يأتوا على آخرهم . وفيهم قتل علم الدين سنجر مع بقية أمرائه فباتت الموصل في فوضى الحال يتغلب فيها القوي على الضعيف . حتى أواخر الصيف وحينئذ تواترت الاخبار بقرب وصول المغول ثانية ولم يذته تشرين الثاني حتى كانت المدينة محاطة بجند المغول وعلى مقدمتهم أمير كبير يدعى محمدغو

الفصل الثالث

عودة الملك الصالح بدر الدين لؤلؤ الى الموصل وموته فيها

ثم انتقال حكمها الى عمال التتر

بلغ الملك الصالح بن السلطان لؤلؤ الى مصر فأكرمه الملك الظاهر بيبرس البندقدار وأحسن اليه وكان في تلك الايام قد ظهر في مصر رجل ادعى نفسه من أولاد الخلفاء . فجهز له الملك الظاهر جيشاً وأرسله معه الى بغداد ليكشف التتر عنها ويستولي على ملك آبائه . ثم أتقذ معه الملك الصالح . فلما قربوا من بغداد خرج عليهم عليّ بهادور بجيش من التتر فقتل ابن الخليفة وفرق جموعه . أما الملك الصالح فانه أقبل الى الموصل وكان محمدغو القائد التتري على حصارها فأفرج له حتى دخلها مطمئناً ^(١) ثم أحاطت بها العساكر التترية من

كل صوب وأقام سمدغو على حصارها الى الربيع وهو عاجز عن فتحها . ولما رأى جلد الأهالي وعزمهم في الدفاع مع ما هم عليه من قلة الارزاق . أتقذ الى الملك الصالح يعده بالمواعيد الكثيرة اذا فتح له المدينة . وفي تلك الاثناء أقبل عسكر من الشام بمقدمتهم أمير اسمه برلوا نجدة للملك الصالح فالتقى بهم المغول عند سنجار وقتلهم واغتنموا خيلهم وسلاحهم . وعند ذلك ارتأى الملك الصالح أن يطايب المغول ويصالحهم بفتح المدينة ففتحها لهم وخرج الى استقبالهم بالآلات الطرب والاغاني غير ان سمدغو غدر به وأمر بالقبض عليه . وحينئذ دخل المغول الموصل فسبوا ونهبوا وأعملوا السيف ثمانية أيام قتلوا من أهلها خلقاً لا يعلم عددهم الا الله وحده ^(٢) . وسبب قدوم التتر الى الموصل كانت خيانة شمس الدين بن يونس الباعشيقي فانه لما سرق رسالة علاء الدين لاخيه الملك الصالح أخذها الى المغول وأطلعهم عليها فنار غضبهم على أولاد السلطان بدر الدين لؤلؤ وقصدوا مدينتهم وفعلوا فيها كما ذكرناه . ثم ان سمدغو كأف شمس الدين فولاه الموصل وقبل أن يسير عنها أحضر عنده ابن الملك الصالح واسمه علاء الملك وهو صبي حدث فأسقاء خراً كثيراً . ثم أمر أن يشد ويقطع أرباً . ثم رحل سمدغو عن الموصل وأصبح معه الملك الصالح الى هولاء كوح حيث قضي عليه صبراً . ونمّ الامر في الموصل لشمس الدين . غير أن أهل الغدر لا يفلحون ففي السنة التالية من ولايته وهي سنة ١٢٦٢ (٦٦١ هـ) سعى به أحد الجنود واسمه الزكي الاربلي الى الاهالي وأثارهم عليه مدعيًا انه جمع الاموال والجواهر من خزائن السلطان بدر الدين لؤلؤ وانه كان قد سقاء سمًا وقتله . وأزاح الزكي الاربلي الحجاب عن غدر الباعشيقي وخيائته في قدوم المغول والخسائر الفادحة التي لحقت بالاهاالي من سببه . فهاج الاهالي وهجموا على الباعشيقي وأوثقوه وبعد ان أوسعوه سباً وأشبعوه ضرباً قتلوه شر قتلة وهذا جزاء من غدر وظلم

ثم تولى بعده على الموصل وما يجاورها الزكي الاربلي وأقام في ولايتها حتى توفي هو لا كوسنة ١٢٦٤ (٦٦٣ هـ) ^(١) وخلفه ابنه أبا قحطان وكان هذا قد بلغه عن الثورة الاهلية التي أثارها الزكي الاربلي على عاملهم فأنفذ الى الموصل أحد الأمراء وهو ناصر الدين فأفأ مصحوباً بالأوامر المشددة في قتل الاربلي فأقبل فأفأ الى الموصل سنة ١٢٦٦ (٦٦٥ هـ) وبعد أن نفذ أوامر أبا قحطان في قتل الاربلي تولى مكانه الى سنة ١٢٧٦ (٦٧٥ هـ). ثم عزله أبا قحطان وولى مكانه رجلاً نصراني المذهب اربلي المولد يدعى مسعود برقوقطي ^(٢) وكان أبوه أعلم الدين يعقوب التاجر من أخص ثقات أبا قحطان وأعز المقرين اليه . وكان يعقوب في السنة المذكورة قد سار الى أبا قحطان لتأدية الاحترام والسلام . وفي عودته وهو في الطريق أدركته المنية . ولما أخبر أبا قحطان بوفاته اغتم عليه فولى مكافأة لاختلاصه ابنه الأكبر مسعود على الموصل واربل ثم مضى على ولاية مسعود مدة ليست يسيرة وكان فأفأ مقيماً في الموصل يتربص فرصة ليشيه الى ملك الملوك فلم يجد عليه أمراً كبيراً أو صغيراً فاتفق معه بعض ذوي الاغراض وأتقذوه الى ملك الملوك لينوب عنهم في رفع الشكوى على مسعود بسوء ادارته وكثرة مظالمه . فأوفد الملك نقرأ من عظماء مملكته الى الموصل ليستقصوا أحوال مسعود ويطلعوا على حقيقة الشكوى . فلما قدموها أرشاهم فأفأ وأيد الشكاية زوراً . وعلى هذا عزل الرسل مسعوداً عن الولاية وجعلوا فأفأ مكانه غير أن مسعوداً لم يرض بهذا الحكم بل قصد أبا قحطان ليرفع اليه ظلامته ويبرر نفسه مما اتهم به غدرأ فأتقذ أبا قحطان أخاه مع صهره الى الموصل ليحصا الشكوى . ولما أتيا اطلعا على بطلان الشكوى وارتشاء الحكام فأرسلوا الى الملك يخبرانه بذلك ومن ثم صدر الأمر الملوكي بقتل الحكام واعدام فأفأ مع عدد غير يسير من مؤازريه قتلاً بالسيف فأعدموا في اليوم الثامن من

(١) ابو الفدا ج ٤ ص ٢

(٢) برقوقطي او برقوقيا اسم قرية وربما كانت عند اربيل . ابن العبري س ص ٥٣٩

شهر آب سنة ١٢٨٠ (٦٧٩ هـ) وأعيدت ولاية الموصل واربل الى مسعود الاربلي^(١) وقتل مع فأفاً رجل من قارسي الأصل يدعى جلال الدين وذلك لأنه كان مؤازراً لفأفاً . فلما أقبل مسعود الى اربل ثار أهل المقتولين عليه وأقسموا أن يثأروا منه فأقتذوا يشونه أنه دخل عنوة الى بيت جلال الدين القارسي ونهب ما وجد فيه من ذهب وحجارة كريمة . فقبلت شكايتهم ووردت الأوامر بالقاء القبض على مسعود وارساله مقيداً الى الموصل حيث ينرم خمس ربوات من الدراهم . ولما جيء به الى الموصل أرشى الجنود المغولية وهرب ليلاً

الفصل الرابع

أخبار عمال التتر في الموصل

توفي أباقا في همدان سنة ١٢٨٢ (٦٨١ هـ) ثم خلفه على سرير الملك أخوه تاكودار ودعا نفسه أحمد . وأحسن أحمد السيرة في الرعية فأخرج من خزائنه الأموال الطائلة ووزعها على الجنود ورؤسائها . ثم أحسن الى الملل النصرانية فأصدر أمراً باستثناء الكنائس والاديرة والقسوس والرهبان من دفع الجزية والتكاليف الاميرية . وبعد ما فرغ من ترتيب الشؤون الداخلية أخذ يرسل اعداءه ويسالمهم فكتب الى صاحب مصر يدعو الى الصلح ويلقي عليه التبعة والمسئولية قدام الله ان هو أصر على الحرب وسفك الدماء فلي صاحب مصر الطلب وشرط عليه شروطاً منها ان تفوض الولاية في الموصل وبغداد وسنجار الى ابن بدر الدين لؤلؤ بعين الضمان السنوي الذي يقدمه عمالهم عليها فرضي أحمد بذلك لكنه عزل قبل ان تتوثق عرى الصلح أي في سنة ١٢٨٤ (٦٨٣ هـ)

وملك بعده ارغون فأقطع اقطاعات كبيرة لآبناء الملوك من العائلة التتارية

الملوكية وأرسلهم بالجيوش الكثيرة على بابل ومازندران وآثور وخراسان وبلاد الروم . ثم أرسل في طلب مسعود برقوطي وقلده ولاية الموصل مع ملحقاتها . ثم حمل على القبائل المتمردة وفرقهم شذر مذر

وفي السنة التالية من ملكه لم الأكراد والتركمان والعرب شعنتهم واجتمعوا حتى أصبحوا جيشاً يبلغ عددهم نحو أربعة آلاف فارس وانضم اليهم من العبيد المصريين نحو ثلاثمائة فارس فقصدوا الموصل وأخربوا القرى التي على طريقهم وكانت كلها عامرة . ثم حملوا على مدينة الموصل سنة ١٢٨٦ (٦٨٥ هـ) في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول فخرج مسعود بما عنده من جنود المدينة لقتالهم . ولما رأى كثرتهم خاف منهم فعاد الى المدينة وعبر دجلة الى دير متى في جبل القاف تاركاً المدينة خالية من الحامية فدخلها هؤلاء اللصوص ونهبوا وقتلوا قتلاً ذريعاً وكان بعض النصارى قد لجأوا الى تقيب العلويين فامنهم على أنفسهم وحماهم في داره غير ان هؤلاء الطواغيت لم يراعوا حرمة ذلك البيت فدخلوه ونهبوا ما وجدوا فيه وقتلوا الملتجئين^(١) . ثم بلغهم ان الأهالي أخفوا أموالهم وكنوزهم في سوق البزازين فهجموا عليه ونهبوه وقتلوا كل من طارضهم في مأربهم وفي اليوم الثاني تركوا المدينة منهوبة مسلوقة في اشقى حال ورحلوا . وبعد ما رحلوا عاد مسعود برقوطي الى الموصل وقد ولى سمعه وأقبل نحسه بتصحبه لأخوين مقدمين الى الملك المغولي وهما بوقا وآروق وكان الملك يرسلهما كل سنة الى بغداد والموصل ليجمعا له المال ثم شعر الملك منهما بخيانة وأمر بقتلهما فأمسك بوقا وقتل وأرسل الملك الى الموصل جنداً مع الأمير ييتمش في طلب آروق حيث كان مشقياً . ولما أقبل ييتمش الى الموصل لمح تصحباً من العمال لآروق فاستشاط منهم غضباً . وأمر بالقبض على آروق ومسعود وقتلهما مع أناس من ذويهما وأمسك أيضاً تاج

الدين بن مختص وبعد ان أوسعه ضرباً اغرمه خمسين ألف دينار ^(١) . ثم أثار
يتمش اضطهاداً على النصاري الذين تظاهروا بالتصحب لمسعود وقتل منهم
كثيراً في الموصل واربل وما يجاورها من القرى سنة ١٢٨٩ (٦٨٨ هـ)
ثم تولى يتمش بلاد الموصل فسمى في توطيد الأمن وقطع دابر المتمردين
لكن سعيه ذهب ادراج الرياح لان في السنة الأولى من ولايته تجمع قطاع
الطرق من سوريا وعددهم ألفا فارس وساروا الى سنجار فسلموا الا من ثم
وصلوا الى قرية بيشابور من قرى جزيرة ابن عمر فقطعوا دجلة الى قرية عامرة
يسكنها الكلدان وهي قرية واسطو واليوم تعرف بواسطة فباغتوها على غرة
ولما لم يستطع أهلها الدفاع عن أنفسهم هربوا الى البساتين والكروم الكثيرة
التي لتلك القرية محتمين فيها اما اللصوص فدخلوا القرية ونهبوها وقتلوا فيها
نحو الخمائة نفس وأسروا ألفاً وبعد ذلك تفرقوا في السبع القرى المجاورة
حيث أفسدوا نهباً وقتلاً . وبينما كانوا في رجوعهم يقطعون نهر الخابور بالغنائم
والأسرى أدركهم أمير الموصل وقتل منهم كثيراً واسترد بعض السبايا والغنائم
كان أرغون قد قتل عمه في أول ملكه فأصبح خائفاً على حياته لا يثق
بأحد حتى صار يرتاب في رجال دولته موحساً منهم الغدر والخيانة فعزل منهم
وقتل غياث الدين كيخسرو صاحب بلاد الروم وقبض على الوزير شمس الدين
الجوني وكان متهماً بقتل عمه وايبه وقتله . قال أبو الفرج : قتل شمس الدين
سنة ١٢٨٥ ميلادية . هكذا كانت آخره هذا الرجل العظيم الهيبوب الحكيم
الذي كانت الدولة بأسرها معلقة بخنصره ^(٢) . ثم ان ارغون ولي على وزارته
سعداً اليهودي وجعله صاحب ديوانه في بلاد العراق وسماه سعد الدولة واعتمد
عليه في سائر أموره وكان لسعد الدولة اخوان جعل أحدهما حاكماً على بغداد
والآخر حاكماً على الموصل وماردين وديار بكر مع تاج الدين بن مختص ^(٣)

(١) ابن البري س ص ٦٥

(٢) أبو الفرج ص ٢٢

(٣) ابن البري س ص ٦٩

ومن الأمر الآخر أكد ان اليهود لم يقلدوا الرتب والوظائف في الممالك التي نشأت في هذه البلاد فقد كان منهم الدباغون والصباغون والاساكفة والتجار والصرافون. ولم يكن منهم أولو المناصب والرتب الرفيعة الا في عهد المملكة المغولية. فان بعض ملوكها الخانات لم يريدوا ان يعهدوا بقيادة الجيوش أو بالمراتب الادارية لانجال الملوك والامراء من أهالي هذه البلاد. ولا لاصحاب الشرف وأولي الدراية من الوطنيين وذلك لمقصد سياسي بل كانوا يقلدونها لمن يضمونها بحال أكثر بصرف النظر عن أهليته وعدم أهليته وجل مرادهم هو جمع الدرهم من الأهالي وتهويلهم بالشوكة والقسوة ليكونوا لهم صاغرين. ولهذا تقدم افراد الأمة اليهودية لاسيا في سنوح هذه الفرصة الغير المنتظرة فقصده الكثيرون منهم باب الملك في العاصمة وهي تبريز وتقلدوا المراتب غير ان ذلك لم يدم طويلاً. فان الملك أرغون مات مسموماً سنة ١٢٩١ (٦٩٠ هـ) وسبب موته انه كان قد عدل عن دين الاسلام وأحب دين البراهمة من عبدة الاصنام فاستقدم بعض سحرة الهند وركبوا له دواء لحفظ الصحة واستدامتها فصابه من ذلك الدواء مرض الصرع ومات فيه. وعزا بعض حاشيته قتله الى وزيره سعد الدولة. فصدرت الاوامر المشددة من الديوان بقتل اليهود في انحاء المملكة قاطبة. وذكر ابن العبري في تاريخه السرياني انه قتل من اليهود في هذه العائلة خلق كثير

وعقب أرغون على سرير المملكة أخوه كيخاتوخان ويسمى أيضاً ارناغين فسار كيخاتو سيرة ذميمة وتمادى في الجور وأسرف في تبذير الأموال الطائلة وما زال على ذلك لا يزعجه وازع حتى باتت الدولة الايلخانية في الحاجة القصوى وأصبحت منذ تملك كيخاتوخان على شفا جرف هار لتقعاسه عن مهام الملك وانهماكه في الملاهي وجشمه المفرط في حشد الأموال لا ليتحوط بها في ثبات ملكه وتوطيد دعائمه بل ليصرفها في سبيل القصف واللهو. فكان يبيع الرتب ويعهد بولاية البلاد لمن بذل له مالاً أو فر. فتلك الأموال الطائلة التي كانت

تجمع من بلاده الواسعة الارعاء لم تكن الا ملحاً ذائباً في غمر ملاذه . وغالى كىخاتو في الاسراف والتبذير حتى وقع وزيره صدر الدين الفارسي في ارتباك مالى أفضى به الى حط رواتب الجيش . ولما اطلع كىخاتو خان على حرج موقعه أصدر أمراً باتاً بالغاء السكك المعدنية تلافياً لذلك الخلل . ثم فرض في بلاده استعمال اوراق مالية سماها الشاو وهي قطعة من ورقة موسومة بعلامة حمراء ونوع الشاو فجعلها ذات العشرة دنانير وذات الخمسة دنانير . ثم الدينار الواحد ثم الدرهم الواحد وضيق على الأهالي ان يسلموا ما عندهم من ذهب وفضة الى الخزينة ويستعوضوا عنها باوراق مالية وتهدد بحكم الموت من تجاوز على أوامره الملوكية . فهاج الناس وماجوا ونزع منهم كثيرون عن اوطانهم تخلصاً من هذا العسف ^(١) . ثم نهض يبدو أحد افراد العائلة الملوكية فتمدد جبال همدان ليطاع ابناء الملوك على كىخاتو خان وسيرة الذميمة ويشيرهم عليه فاتفق جميعهم معه وأقبل يبدو بجيش من متطوعة التتر الى بغداد الموصل فقتل نواب كىخاتو واستولى على البلاد . ثم قصد ديار بكر وبعد ما ضبطها سار الى تبريز عاصمة المملكة والنعم القتال بينهما فقتل كىخاتو واستولى يبدو خان على المملكة سنة ١٢٩٤ (٦٩٤ هـ)

الفصل الخامس

حالة الموصل في زمن انقراض الدولة الايلخانية

لم يجلس يبدو خان على سرير الملك الا اياماً يسيرة فان قازان خان اغتصب منه العرش في السنة عينها واستمر له الملك الى سنة ١٣٠٣ (٧٠٣ هـ) ثم خلفه فيه محمد خدا بنده أو خربند بن أرغون وكان يسمى نيقولاوس فاستعمل هذا على الموصل فخر الدين عيسى بن ابراهيم . ثم توفي محمد خان سنة ١٣١٦ (٧١٦ هـ) خلفه ابنه أبو سعيد وعمره ثلاث عشرة سنة ولما استقر له الملك أمر بقتل

أبي الطيب رشيد الدولة فضل الله بن يحيى الهمداني لانه اتهم بقتل خربندخان وذكرك عنه ابن خلدون انه وضع تاريخاً جمع فيه شتات اخبار التتر وانسابهم وقبائلهم . ثم طمع الامراء في ملك أبي سعيد لصغر سنه فاستعان عليهم أبو سعيد بجوبان عميده وقتل منهم نحو أربعين أميراً . ولما عاد الأمن الى نصابه انصرف هذا الملك الى تنظيم احوال البلاد فنصب عليها العمال وجعل عاملاً على الموصل علاء الدين علي بن شمس الدين الملقب بجيدر . وجرت لأبي سعيد حروب كثيرة مع سلاطين مصر . وفي سنة ١٣٣٥ (٧٣٦ هـ) توفي ولم يخلف ولداً لملك البلاد . فتنازعها امراؤه وجرت بينهم حروب دامت تسع سنوات

انقرضت الدولة الايلخانية وقد ملكت بلاد العراق نحو ثمان وسبعين

سنة وقام فيها تسعة ملوك هذه اسماؤهم :

- (١) هولاكو خان ١٢٥٧-١٢٦٤ ميلادية
- (٢) أبا قاخان بن هولاكو ١٢٦٤-١٢٨٢
- (٣) أحمد خان بن هولاكو ١٢٨٢-١٢٨٤
- (٤) أرغون خان بن أبا قاخان ١٢٨٤-١٢٩١
- (٥) كيخاتو خان ابن أبا قاخان ١٢٩١-١٢٩٤
- (٦) بايدو خان بن طرقي بن هولاكو ١٢٩٤-١٢٩٤
- (٧) قازان خان بن أرغون ١٢٩٤-١٣٠٣
- (٨) محمد خان خدابنده بن أرغون ١٣٠٣-١٣١٦
- (٩) أبو سعيد بن خدابنده ١٣١٦-١٣٣٥

وكانت الموصل في هذه المدة تخضع مع اعمالها لهذه الدولة ويحكمها العمال والضامنون الذين كانوا يضمونها من الملوك الايلخانيين بمبلغ من الذهب . وهذا هو الدستور الذي جرى عليه بعض هؤلاء الملوك . وكان هولاكو أول من نشم به منهم قباع البلاد للملوك الذين خضعوا له بمبلغ معين الى أجل

مضروب من ذلك أنه باع اربل لبدر الدين لؤلؤ بسبعين ألف دينار . ثم باعها لشرف الدين الجلالي ^(١) وعلى هذا جرى كيخاتو أيضاً . ومنهم من كان يجعل العمال على البلاد ويجمع الضرائب باسمه كما فعله أرغون فإنه كان يرسل كل سنة معتمديه الى البلاد ليجبوا له الاموال ^(٢) واستمر الملوك الايلخانيون يحكمون هذه البلاد ولهم فيها الخطبة والسكة لم يشاركهم فيها أحد الا الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوُن الصالحى الذي ملك في مصر ٦٢٦هـ - ٦٣٤هـ فإنه كان قد حاربهم وانتصر عليهم فخطبوا له في الموصل وديار بكر وبغداد وضربوا الدينار والدرهم باسمه كما كان يضرب له في الشام ومصر ^(٣) ان بني ماغوغ وهم التتر جاؤا ضربة قاضية على ترقى هذه البلاد فانهم دكوا معالمها وأزهقوا أرواح أبنائها حتى أقوت ديارها بعد ما كانت زاهية فقد قتل هولاء في بغداد لما دخلها ألف ألف حتى خلت من السكان وتشتت من بقي منهم في البلاد ^(٤) وذهب غيرهم الى أن عدد القتلى بلغ في ذلك اليوم ألف ألف وستائة ألف وقالوا بل أكثر من أنفي ألف ^(٥) وظل السيف يعمل أربعة وثلاثين يوماً ^(٦) ونهبت العساكر التتية من قصور الخلفاء وخزائنها أموالاً طائلة وألقوا جميع كتب العلم في دجلة فألشد شعراء تلك الأزمنة السوداء مرأى تفقت إلا كباد أسفاً على فقدان اخوانهم وأبنائهم وضياع ماثر أجدادهم . فهذه المراثي وان كان يرى فيها شيء من الغلو في ايراد الحقائق التاريخية كالعدد الفاحش من القتلى وخراب المدن وخلوها من السكان مع ذلك تفيد جلياً أن الخسائر كانت فادحة وأن التتر كانوا قد اخشوا نهباً وقتلاً . حيث أن هولاء كو نفسه يشهد بذلك في كتاب أنقذه الى الملك

(١) ابن العبري س ص ٥٠٦

(٢) ابن العبري س ص ٥٦١

(٣) أبو الفدا ج ٤ ص ١٣٧

(٤) شاكر ج ٢ ص ٢٣٨

(٥) ك قرماني ج ٢ ص ١٣٢

(٦) دحلان ج ٢ ص ٢٩

الناصر يوسف صاحب حلب سنة ١٢٥٨ (٦٥٧هـ) منه قوله « اننا لا نرحم من شكا ولا نرق لمن بكى قد أخرجنا البلاد وأفنىنا العباد وتركنا في الأرض الفساد »^(١) وقد انتاب الموصل ما انتاب غيرها من البلاد التي تسيطر عليها التتار من المظالم والمذابح فان السيف الثري استمر يرتشف من دماء أهاليها مدة ثمانية أيام كما أسلفنا ذكره وزادها ادباراً غارات التركمان والعرب والأكراد وقد ظلت الموصل مدة غير يسيرة محطاً لرحال المساكر التتارية التي كانت تتوارد اليها ترى لقصد الديار الشامية والمصرية فكثرت فيها الظلم وغلت الأسعار ومسها الجوع المدقع دفعات متوالية وهكذا سقطت من حائق عزها الاتابكي الى حضيض الفقر الأدبي والمادي فأقفرت مدارسها وخلت معاهدتها ولم يبق من تلك العلوم الا أثره نيرة

ان الملوك الايلخانيين لم يسروا على وتيرة واحدة في ادارة الملك فقد قام منهم ملوك اتصفوا بالعدل وامتازوا بحسن السيرة وخدمة العلم فانه في زمن أباقاخان اشتهر نصير الدين الطوسي الفيلسوف وابتنى في مراغا مرصداً عظيماً وأهله بالآلات العديدة واجتمع عليه الطلاب من البلاد الشاسعة . وشيد خزانة فسيحة جمع فيها من الكتب النفيسة ما ينيف على أربعمئة ألف مجلد^(٢) وكان نصير الدين مقلداً ادارة الأوقاف والمدارس في بغداد وبلاد الموصل فكان يصرف من هذه الأوقاف على المعلمين والمتعلمين^(٣) كذا جاء عن قازان خان أنه أصدر مرسوماً الى سائر بلاد مملكته بأن تستأصل معابد الاوثان وتشيد مكانها مدارس لابناء العرب^(٤) واشتهر منهم في زمان هذا الملك رشيد الدين فضل الله بن أبي الخير الذي تقلد الوزارة وخدم العلم وألف أربعة كتب محفوظة في المكتبة الملكية في باريس منها مفاتيح التفاسير ولطائف

(١) ابو الفرج ص ٤٨٤

(٢) شاكر ج ٢ ص ١٤٩

(٣) ابن العبري ص ٢٩٥

(٤) ابن العبري ص ٩٥٥

الحقائق . وكذا محمد بن علي بن الطباطبة الذي قصد عامل الموصل نغر الدين عيسى بن ابراهيم سنة ١٣٠٣ (٧٠٣ هـ) وقدم له كتابه « الفخري » وهو كتاب يشتمل على تاريخ الدولة العربية الى آخر الخلفاء العباسيين . وطبع هذا الكتاب آخر مرة الموسيو . هـ . درنبرغ

ان الموصل بعد تلك النوائب التي انتابتها تحسنت أحوالها في أواخر الدولة الايلخانية سيما في زمن أبي سعيد وكان هذا الملك ديناً مشتهراً بالعدل واصابة الرأي ^(١) وكان قد استعمل على الموصل وما يليها علاء الدين علي بن شمس الدين محمد الملقب بحيدر فأحسن حيدر ادارتها وعدل في أهلها . وأطاد عمرانها وحضارتها كما كانت في عهد السلطان لؤلؤ . فان السائح الطنجي الذي زار الموصل في عهد ولايته ينوه بذكر نجاح ملك أبي سعيد ويصف عدل عامله على الموصل علاء الدين حيدر واحسانه ومبراته ثم يصف المدينة وعمرانها كما وصفها لنا ابن جبير في زمن الدولة الاتابكية فيثنى على اتقان بنائها وحسن زخرفة جوامعها وشوارعها وأرباضها ومساجدها وحماماتها وفنادقها وأسواقها ودور سلطانها ويذكر أنه كان على البلدة سوران وثيقان أبراجهما كثيرة متقاربة وفي باطن السور بيوت بعضها على بعض مستديرة بجداره . ومن هذا يستدل أن عمران الموصل رجع في آخر الدولة الايلخانية كما كان قبلاً حيث أن البيوت كانت تمتد الى السورين وداخلهما أي انه كان بين السورين فتحة واسعة فيها البيوت الكثيرة ^(٢) لكن هذا العمران زال في المصيبة الدهماء التي داهمت الموصل بورود العساكر التيمورية

(١) أبو الفدا ج ٤ ص ١٢٢

(٢) ابن بطوطة ص ١٧٥

الفصل السادس

الدولة القانية أو الجلايرية واتقراضها على يد تيمورلنك

ان الدولة القانية أو الجلايرية هي من أقسام الدولة الايلخانية . وكان مؤسسها في العراق وبلاد المجمع الأمير الشيخ حسن الجلايري ويسمى أيضاً حسن بزرگ وحسن الكبير . وورد نسبته في المكتبة الشرقية نقلاً عن أحمد بن عرب شاه صاحب تاريخ تيمورلنك : هو الشيخ حسن بن حسين ابن اقبوفا بن ايلكان سبط أرغون خان ^(١) وفي نخبة التواريخ ابن ايلكان ابن جلاير ^(٢)

كان الأمير الشيخ حسن والياً على إقليم الأناضول من قبل أبي سعيد آخر ملوك الدولة الايلخانية . فلما توفي أبو سعيد وتنازع دولته أ كابر الامراء سار الأمير حسن الى اذربيجان وحارب علي بادشاه وموسى خان والشيخ حسن الجوباني مؤسس الدولة الجوبانية في ديار بكر . ثم عاد عنهم قائماً بملك العراق العربي فاتخذ بغداد مقر سلطته ^(٣) وخضعت أيضاً لحكمه الموصل وكانت في عهد الدولة الايلخانية كرسي إقليم ديار بكر كما رأينا . فلما ظهر الشيخ حسن أفرزها من ذلك الإقليم وضبطها وقد أورد السمعاني أن الدولة القانية ملكت بلاد أثور ومادي وجعلت عاصمتها بغداد . وملك الشيخ حسن سبع عشرة سنة ثم توفي سنة ١٣٥٦ (٧٥٧ هـ) ثم خلفه ابنه الأمير الشيخ آويس فسار من بغداد سنة ١٣٥٧ (٧٥٩ هـ) الى اذربيجان وحارب صاحبها أخيجوق فظفر به وقتله ودخل توريز سنة ١٣٥٩ (٧٦١ هـ) ثم توفي سنة ١٣٧٤ (٧٧٦ هـ) وقد حكم تسع عشرة سنة ومدحه من الشعراء الذين

(١) السمعاني مجلد ٣ ج ٢ ص ١٣٣

(٢) ص ٣٧

(٣) نخبة ص ٣٧

كانوا في زمانه سلمان الساوجي ومحمد عصار وعبيد الزكاني . جاء في نخبة الاخبار أنه بعد وفاة السلطان آويس استولى يرام خوجه من آل قره قويونلي على الموصل وسنجار وحكمها الى حين وفاته سنة ١٣٨٠ (٧٨٢ هـ) . ثم خلف السلطان آويس على ملكه أي العراق واذريجان ابنه السلطان حسين فلك نحو ثماني سنوات ثم خرج عليه أخوه السلطان أحمد فقتل سنة ١٣٨٢ (٧٨٤ هـ) ودفن في توريز في المدرسة الدمشقية ^(١) وخلفه السلطان أحمد أخوه وكانت بداية دولته كثيرة الاضطرابات والحروب وقتل السلطان أحمد كثيراً من الأمراء والحاشية ثم انتقض عليه أهل دولته سنة ١٣٨٤ (٧٨٦ هـ) وسار بعضهم الى تيمورلنك يستصرخونه على السلطان أحمد . فأجابهم تيمورلنك وأقبل بمساكره . فلما قارب توريز أجفل عنها السلطان أحمد الى بغداد فضبط تيمورلنك توريز وتسّر (شوشتر) والسلطانية ^(٢) . وفي سنة ١٣٩٢ (٧٩٥ هـ) استولى تيمورلنك على اصبهان وعراق العجم والري وفارس وكرمان وضبطها من بني المظفر اليزدي بعد حرب طاحنة هلك فيها ملوكهم وبادت جموعهم . وكان أحمد يشدد عزائمه في بغداد ويستجيش المساكر لمنازلة عدوه أما تيمورلنك فعدل الى مصانمته ومهاداته وما زال يخادعه حتى فتر عزمه وافترت جنده فنهض اليه على غرة حتى انتهى الى دجلة ففر أحمد ليلاً وحمل ما قدرت عليه الرواحل من أموال وذخائر وسار الى مصر ملتجئاً بسلاطينها الجراكسة . فلما وصل السلطان أحمد الجلايري الى مصر سنة ٧٩٥ هجرية خرج اليه السلطان الظاهر برقوق صاحب مصر وتلقاه وأمر الأمراء بالمشي في خدمته وأكرمه ^(٣)

(١) نخبة ص ٣٧

(٢) مدينة قديمة في العجم في غربي شمالي قزوين على مسافة ١٥٠ كيلو مترا انحدها خدا بنده الايلخاني مقر سلطة قزخرها ونظمها حتى جعلها أحسن المدن وفيها دفن ابنه أبو سعيد ثم دمرها تيمورلنك وأخرها

(٣) ك: ابن الشحنة ج ٩ ص ٢٠٦

الفصل السابع

استيلاء تيمورلنك على الموصل

نشأ تيمورلنك الدائع الصيت والمشتهر بحروبه ومظالمه في قصبة « كش » وسميت قديماً « سبز » من مدن ما وراء النهر . وقيل ان تيمورلنك ينتمي نسباً الى العائلة الجنكيزية . وكان عمه سيف الدين والياً على كش في خدمة السلاطين التغلقين الذين ملكوا في دلهي من اعمال الهند . ولما توفي عمه المذكور ناب في الولاية منابه ثم أصبح زعيم قبياته فانضم اليه كثيرون رغبة في خدمته . واتفق مع أمير من أكابر تلك المملكة وهو الأمير حسن فقوض اركان المملكة التغلقية واستولى على بلادها منادياً بنفسه ملكاً سنة ١٣٦٨ (٧٧٠ هـ) ومن ثم قصد خوارزم وضبط جميع بلاد ما وراء النهر . ثم حمل على شيراز واستولى عليها . فانقرضت دولة آل المظفر في زمن آخر ملوكهم الشاه منصور . وسار أيضاً الى بلاد فارس وملكها . ثم قدم الى بغداد حيث كان محاصراً السلطان أحمد الجلايري فهرب منه السلطان أحمد كما ذكرناه ودخل تيمورلنك الى بغداد واستولى على العراق العربي بأسره . فكان حينما مرّ خرب ودمر وأتلف النفوس . وكان من عادته ان يطالب عسكره في نهاية كل معركة برؤوس القتلى من الاعداء ليقيم منها قبة لاكرامه ^(١) هكذا فعل في بغداد فانه صنع قبة من تسعين ألف رأس من رؤوس رجال بغداد . ^(٢) وقال القرمانى : بنى في حلب شكل المآذن من رؤوس الرجال مرتفعة البناء . دورها نيف وعشرون ذراعاً . وعلوها في الهواء نحو عشرة أذرع والوجوه بارزة تسفي عليها الرياح ^(٣) وقتل امام اسوار مدينة دهلي (دلهي) مئة ألف

(١) ك . ابن الشحنة ج ٩ ص ٢٢٧

(٢) دحلان ج ٢ ص ٥٢

(٣) ك . قرمانى ج ٢ ص ٢٠٤

أسير . ودمرها حتى جعلها خراباً

أما عن قدومه الى الموصل واطرافها فيقول السمعاني ^(١) : أقبل تيمورلنك أو تيمورخان الى بغداد وتكرت سنة ١٣٩٣ (٧٩٦ هـ) فضببطها عنوة ونهبها وملك اربل والموصل وجزيرة ابن عمر وحصن كيفا وأرزن وماردين صلحاً فان المتغلبين عليها بادروا اليه بتقديم الطاعة وبالهدايا والتحف النفيسة . وهم : على رئيس اربل ويار علي التركماني الموصل و عز الدين الكردي الجزري وسليمان الحصن كيفاوي وسارتاسيوكوس الارزني و طاهر الدين المارديني . ثم سار تيمورلنك بجيشه على بلاد فلسطين وخرب في طريقه ريشينا وآمد والرها

ولما رحل تيمورلنك ترك ابنه جلال الدين ميرانشاه على هذه البلاد فولى ميرانشاه على الموصل رجلاً من خاصته يدعى حسين بك ^(٢) وبث عماله في بقية البلاد . وكان ميرانشاه أظلم من أييه صبغ أرض هذه البلاد بدماء أهلها وخرب معمرها زيادة على ما جناه أبوه على أهالي حصن كيفا والحديثة وآمد وطورعبدین . وحاد تيمورلنك الى هذه الديار دفعة ثانية سنة ١٤٠١ ميلادية فقتل ودمر في بابل واربيل والموصل وجزيرة ابن عمر وماردين . فلم يسلم من سيفه الا قرية اربو . وكانت على ما يظن من قرى الجزيرة . وذلك ان تيمورلنك لما قرب من هذه القرية خرج اليه مطرانها واسمه بهنام شتى فتذلل بين يديه وطلب اليه أن يشفق على أبناء قريته . فأجاب طلبه واجتازهم الى ماردين ^(٣) ولا بد ان يكون السبب في عودة تيمورلنك الى هذه الاقطار ناقاً على أهلها . بعد ما صالحوه على الطاعة - انهم ظهروا في العصيان كما جاء في المكتبة الشرقية عن عز الدين صاحب جزيرة قردو . وهي جزيرة ابن عمر

(١) المكتبة الشرقية مجلد ٣ ج ٢ ص ١٣٤

(٢) منهل الاولياء

(٣) السمعاني مجلد ٣ ح ٢ ص ١٣٤

حينما امتنع عن تقديم الاموال السنوية لتيمورلنك حمل ابنه أميرانشاه عليها ودمرها سنة ١٣٩٥ (٧٩٨ هـ) . وربما ان السلطان احمد الايلكاني حاد الى بغداد قبل وفاة تيمورلنك كما يستفاد من كتاب الفتوحات الاسلامية ان السلطان احمد هرب من تيمورلنك ولاذ بالسلطان الظاهر برقوق صاحب مصر من الملوك الجراكسة واستنصره على عدو الانسانية وهذا نص العبارة : بلغ الخبر الى الملك الظاهر برقوق فنادى في عسكره بالتجهز الى الشام وأفاض العطاء واستوعب الحشد من سائر أصناف الجنود . وارتحل الى الشام ومعه السلطان احمد بن آويس وكان العدو تيمور قد شغل بحصار ماردين فأقام عليها أشهراً ومملكتها . ثم مرّ بقلع الاكراد وأغارت عساكره عليها واكتسحت نواحيها وفي هذه المدة جهز السلطان برقوق عساكر كثيرة وبعثها مع السلطان احمد الى بغداد فملكها . وضرب السكة باسم السلطان برقوق كما ذكره العلامة ابن الشحنة في تاريخه وبقي السلطان برقوق بالشام مع عساكره مترقباً لقتال تيمور والثوبة به متى استقبل جهته . فبلغ ذلك تيمور فلم يتجراً على الاقدام بل رجع الى بلاد خراسان ولم يقدر على دخول الديار الشامية الا بعد وفاة السلطان برقوق ^(١) ولا بد ان اصحاب الاطراف أي الموصل والجزيرة وغيرها تغيروا على تيمورلنك وخلصوا طاعته وصاروا في طاعة السلطان احمد بعد عودته الى بغداد فنقم عليهم تيمورلنك وكرّر راجعاً الى بلادهم سنة ١٤٠١ (٨٠٤ هـ) فخرّب ودمر وقتل كما نقله السمعاني

بينما كان تيمورلنك يستعد لقصد الصين وافته المنية وهو في مدينة اترار الواقعة قريباً من سيحون سنة ١٤٠٤ (٨٠٧ هـ) وعمره حينئذ ٧١ سنة . فنقل نعشه الى سمرقند ودفن فيها . وكانت مدة سلطنته ٣٦ سنة . وخلفه ابنه ميرانشاه على اذربيجان والعراق وديار بكر . وكان تيمورلنك مع كثرة مظالمه العديدة شديد الرغبة في العلوم فانه نقل الآثار القديمة من البلاد التي

آخرها الى سمرقند . ويقال انه أسس مدارس كثيرة وخزانات كتب نقيصة^(١) وكتب بيده ترجمة حياته وفيها يعتذر عن غشمه وظلمه في هدر الدماء وتخريب البلاد مورداً الاسباب التي حملته على ذلك فترجم كتابه الى اللغات الأوروبية لاهيته

الفصل الثامن

الدولتان القره قويونلية والآق قويونلية

ان قره قويونلي وآق قويونلي طائفتان من التركان الذين كانوا يقطنون قديماً بلاد تركستان وفي عهد ارغون خان التتري نزحوا الى اذربيجان بائقالم ثم تحولوا عنها فسارت طائفة قره قويونلي الى نواحي ارنجيان وسيواس وأقبلت طائفة آق قويونلي الى اطراف الموصل وديار بكر وكانت طائفة قره قويونلي قد امتدت وقويت شوكتها فعزم زعيمها قره يوسف على ضبط البلاد من يد ميرانشاه بن تيمورلنك فجمع أصحابه حتى أصبحوا جيشاً عظيماً . ثم سار على ميرانشاه والتقى الفريقان قريباً من توريز وبعد حروب دامية قتل ميرانشاه في احدي المارك وتمزق أصحابه شذر مذر سنة ١٤٠٦ (٨٠٩ هـ) وكان السلطان احمد الايلكاني دائباً في استرجاع ملكه فأقبل بمجموعه وأصحابه ولما نعى خبر قدومه الى قره يوسف خرج اليه قره يوسف والتحم بينهما القتال سنة ١٤١٠ (٨١٣ هـ)^(٢) فقتل السلطان احمد الايلكاني وشتت شمل أصحابه ومن ثم استقر له الملك في اذربيجان والعراق العربي ثم حمل سنة ١٤١٢ (٨١٥ هـ) على بادشاه شروان الشيخ ابراهيم فقتله واستولى على ساوا وقزوین ونواحيهما^(٣)

(١) سامي

(٢) السعدي مجلد ٣ ج ٢ ص ١٣٨

(٣) نخبة ص ٤٤

وقام بعد قره يوسف في الدولة القره قوبونلية ثلاثة ملوك ، وهذه
أسمائهم :

الامير اسكندر بن قره يوسف ١٤٢٠ (٨٢٣ هـ)

ميرزا جهانشاه ١٤٣٥ (٨٣٩ هـ)

حسن علي بن جهانشاه ١٤٦٧ (٨٧٣ هـ) الى ١٤٦٨ (٨٧٣ هـ)

وفي زمان حسن علي ظهر أوزون حسن فضبط منه البلاد . وانقرضت
حينئذ الدولة القره قوبونلية كما سنراه

الدولة الاققيونلية — وسميت بذلك لان ملوكها كانوا يرسمون على
أعلامهم خروفاً أبيض . وهكذا سماها اليونان « آسبروبروباتيد » أي
الخروف الأبيض ^(١)

ذكرنا آنفاً ان طائفة آق قويونلي لما زحمت على تركستان انتشرت في
نواحي ديار بكر والموصل وما زالت تكثر وتمتد حتى آق انخضاد شوكة آل
تيمورلنك وتغلب أمر قره يوسف من آل قره قوبونلي فاستفاد آل آق
قوبونلي من هذه الانقلابات ونادى زعيمهم طور علي بك الملقب بملاء الدين
التركاني بنفسه ملكاً مستقلاً في ديار بكر والموصل وما يليهما ودام له الملك
من دون معارض حتى توفي خلفه ابنه نغر الدين قطلي بك أو قتلغ بك وملك
سنة واحدة ثم توفي . وخلفه ابنه قره ايلدك عثمان وفي سنة ١٤٢٠ (٨٢٣ هـ)
حارب اسكندر بن قره يوسف وانتصر عليه انتصاراً باهراً على ما ينقله
السمعاني . وكان قره ايلدك شجاعاً جرت له مع الترك والعرب وقائع عظيمة .
ثم قتل وولي الملك بعده ابنه حمزة بك . وكان سيء الاخلاق قبيح السيرة
ظلم الرعية واحتجف أموالها . وما زال على ذلك الى أن مات سنة ١٤٤٤
(٨٤٨ هـ) خلفه جهانكير ابن أخيه علي بك وسار هذا مقتنياً آثار عمه في
الظلم والجور والاهمال حتى انتزع الامن وعم الخراب وانتشر الاختلال

من نهب وقتل في سائر بلاده . ثم زال هذا الاختلال عند ظهور الامير الكبير أبي النصر حسن بك المعروف باوزون حسن أو حسن الطويل وقدمه الى الموصل سنة ١٤٦٤ (٨٦٩ هـ)^(١) . وأورد السمعاني ان ظهور حسن الطويل كان سنة ١٤٦٨ (٨٧٣ هـ) وبعد ما ضبط الموصل تجهز وسار الى ديار بكر وملكها فآلت اليه الدولة الاقويونية . وكان حسن الطويل بطلاً شجاعاً ذا خبرة في الحروب وبأس شديد . وكان قره يوسف قد أغار على ماردين وآمد ونهبها فحمل عليه حسن بك الطويل وقتله قريباً من آمد . ثم أعقبه في الدولة القره قويونية ابنه حسن علي الذي كان مسجوناً مضيقاً عليه مدة ملك أبيه كلها . وقد أصابه من جراء ذلك خلل في عقله فلم يستطع الثبوت اراء مطامع حسن الطويل . وعلى هذا هرب ملتجئاً بأبي سعيد ميرزا سبط تيمورلنك وقتل هناك . فاستولى حسن الطويل على بلاد دولة آل قره قويونلي . ثم تجهز وسار الى محاربة أبي سعيد ميرزا بن محمد أميرانشاه ابن تيمورلنك الوريث الأخير للمملكة التيمورية في صمرقند فخرج اليه أبو سعيد بعسكره والتقى قريباً من قره باغ حيث اشتد القتال فانكسرت جيوش أبي سعيد ثم أمسكه أوزون حسن وقتله سنة ١٤٦٨ (٨٧٣ هـ) فدان له المراقان وبلاد فارس وكرمان واتخذ مدينة تورين مقراً للسلطنة^(٢) وأغار أيضاً بجيوشه على البلاد الشامية سنة ١٤٧٢ (٨٧٧ هـ) وقصد أيضاً تكريت وحاصرها ثم ساقته همتة الى الاستيلاء على بلاد الكرج فسار اليها وافتتحها . ولما انتشبت الحرب بينه وبين السلطان محمد الثاني العثماني وانكسرت جيوشه تظاهر الكرجيون بالعصيان وخلعوا طاعته . فجمع أوزون حسن قوة عظيمة وحمل على بلادهم سنة ١٤٧٦ (٨٨١ هـ) وأجبرهم على الخضوع والطاعة له ثم توفي سنة ١٤٧٧ (٨٨٢ هـ)^(٣) وخلفه في ملكه علي ما يثبت السمعاني ابنه

(١) توفيق فكرت ص ٢٤٣

(٢) نخبة ص ٤٥

(٣) نخبة ص ٤٥

السلطان خليل ولم يبق في الملك الاستة أشهر فان ابن عمه مراد بك خلع طاعته في العراق فقصده السلطان خليل بمساكره وبينما كان منشغلاً في محاربته سار أخوه يعقوب بك حاكم ديار بكر ليستولى على تبريز فعاد السلطان خليل عن مراد بك الى حرب أخيه يعقوب بك وقتل في إحدى المواقعات عند حدود سلساس بين اذربيجان وأورمية وتبريز على مسافة ثلاثة أيام فلك أخوه يعقوب بك وكان حازماً نشيطاً أحسن الى الرعية ونظم أمور الملك الى سنة ١٤٩٠ (٨٩٦ هـ) وفيها توفي . ثم خلفه أخوه مسيح بك ووقع ثمة خلاف بين الأمراء في أمر توليته ولم ينحسم النزاع الا بخلعه وتولية علي بك بن خليل بك وهذا أيضاً خلعه الأمراء . وجلس مكانه على عرش السلطنة بايسنقر ميرزا ابن يعقوب بك بسعي خليل الصوفي سنة ٨٩٦ هجرية . وكان بايسنقر صبيّاً دون العشر سنين . ثم وقع بين الأمراء عدة حروب ومشاجرات لأن كل حزب منهم اختار له واحداً من العائلة المالوكية ومال اليه وكان خليل الصوفي قد قتل ولم يبق لبائسنقر من يحميه من الطامعين في ملكه فلاذ بالهزيمة الى جهة شروان متخفياً ولم يظهر الا في سنة ١٤٩٢ (٨٩٨ هـ) فأقبل الى توريز مدعياً بالسلطنة فخاربه رستم ابن عمه وقتله وقد ملك سنة وثمانية أشهر . ثم استقر الملك لرستم ميرزا بن مقصود بن حسن الطويل وبعد ما أبطل تلك المشاغب وتقررت له السلطنة انصرف عن مهام الملك الى اللهو والانهماك في اللذات وما زال على ذلك حتى اختل نظام الملك فثار عليه أمراؤه وأصحابه وأرسلوا في طلب أحمد ميرزا بن أوغورلي محمد بن اوزون حسن . وكان أحمد ميرزا قد هرب بعد قتل ابيه الى السلطان بايزيد الثاني العثماني خوفاً من عمه يعقوب فقبله بايزيد وأحسن مثواه وصاهره فلبث عنده أحمد ميرزا الى أن ولي رستم وأساء السيرة في الرعية فكاتبه الأمراء واستقدموه اليهم ليسلموه زمام الملك فأجابهم وأقبل بأصحابه وحارب ابن عمه رستم فظفر به عند نهر آراس وقتله سنة ١٤٩٥ (٩٠١ هـ) . ثم دخل تبريز وتبوأ عرش المملكة

الاقبيلونية وحاول اصلاح شئون المملكة واجراء قوانين سلاطين آل عثمان لرفع الاستبداد وابطال المظالم غير ان ذلك لم يوافق أمراءه فخلعوه بعد ملكة سنة واحدة وأقاموا مكانه ملكاً مراد بك بن يعقوب بك وهذا قتل أحمد ميرزا وبعد مدة يسيرة ثار عليه امرؤه وخلعوه ثم ملكوا مكانه آلوند ميرزا ابن يوسف بن أوزون حسن فأمسك آلوند ميرزا مراد بك وسجنه في تبريز وانصرف جهده في اصلاح خلل الملك وبينما هو على ذلك جاهر بالعصيان محمد ميرزا وأقبل عليه بالعساكر الكثيرة . وانتشبت الحرب بينهما فانكسر آلوند ميرزا . وآل أمر الملك لمحمد ثم جمع آلوند ميرزا قوته وحمل على العدو بقوة عظيمة وقتله وهزم جموعه . ثم لم يمض على ذلك الا زمن يسير حتى ثار الأمراء على آلوند فخلعوه وأخرجوا مراداً من السجن واجلسوه على سرير الملك دفعة ثانية فسار مراد بك بجيشه على ديار بكر وانتزعها من يد اعمامه الذين كانوا قد تغلبوا عليها وانقرضت هذه الدولة التركمانية سنة ٨٥٠٨ (٩١٤ هـ) على يد الشاه اسماعيل الصفوي كما نراه في الفصل الآتي

الفصل التاسع

الدولة الصوفية

ان جد السلاطين الصوفيين هو ابو اسحاق الشيخ صفي الدين الاردبيلي بن جبرائيل العلوي الحسيني وقيل انه ينتسب الى علي بن أبي طالب بموسى الكاظم واشتهر صفي الدين وأحفاده بالزهد والتصوف . ولهذا سميت دولتهم بالصوفية . وسميت أيضاً الصغوية نسبة الى جدهم صفي الدين . وكان صفي الدين يسكن في زاوية من أربيل وقد ذاع خبر زهده وتقواه فأحبه أهل بلده وكثر فيها اشياعه وأصحابه . واجلته الملوك انفسهم فصاروا يقصدون زيارته تيمناً حتى ان تيمورلنك نفسه لما اقبل على اردبيل أمه مستمداً دعاه وقد توسط الشيخ الى تيمورلنك باطلاق الأسرى الذين معه فلبى تيمورلنك طلبه

وأطلقهم ولبت كثير منهم في خدمة الشيخ ثم بعد وفاته أحرز ابنه الشيخ جنيد شهرة أوسع من شهرة أبيه فكثرت اعوانه حتى خافه السلطان ميرزا جمال شاه ثالث سلاطين آل قره قويونلي وخشي أن ينتزع منه الملك لتوارد الأعداء عليه فأبمده عن أذربيجان . ثم سار الشيخ جنيد بمن معه إلى ديار بكر محتسماً بأوزون حسن فأكرمه أوزون واحله عنده على السعة والرحب وزوجه بأخته فازداد الشيخ جنيد حرمة وعظمة في عيون أصحابه . ولما استولى أوزون حسن على أذربيجان رحل الشيخ جنيد بأصحابه إلى أردبيل حيث استجاش الجنود الكثيرة وأغار على كرستان في جنوبي سلسلة جبال القوقاز فغنم منها غنائم كثيرة من أموال ومواشي لا تحصى ثم سار إلى محاربة السلاطین خليل من السلاطين الدربندية في شروان من بتليس فقتل هناك في إحدى المعارك سنة ١٣٥٨ (٧٦٠ هـ) وخلفه ابنه الشيخ حيدر وجمع أيضاً أصحابه وقصد السلاطين الدربندية فانكسر وحمل عليه صاحب شروان فرح يسار وبدل عسكره ثم قتله مع أولاده ولم يسلم منهم إلا يارعلي وأخوه اسماعيل من امرأته عالما شاه ابنة خاله أوزون حسن وهذا اسماعيل هو مؤسس الدولة الصوفية أو الصقوية . وكان حازماً هرب بأخيه إلى نواحي لاهجان فاجتمع اليهما قوم من أصحاب أبيهما . فلما بلغ يعقوب بك صاحب توريز من آل اق قويونلي قبض عليهما وحبسهما في قلعة اصطخر فكانا بها مدة حياة يعقوب بك . ولما استولى رستم ميرزا عفا عنهما وأطلقهما وأوصاهما أن يكونا من زمرة الفقراء فبقيا على ذلك حتى توفي رستم ميرزا وتولى مكانه أحمد بك بن أوغورلي نفاف يارعلي واسماعيل صولته وشدة بأسه وهربا إلى كيلان ملتجئين إلى صاحبها الشريف حسن خان . فلما سمع أحمد بك بقرارهما إلى صاحب كيلان أتقذ يطلبهما منه فأنكر انهما عنده فعين أحمد بك جماعة من العلماء ليستحلفوه بالكلام المنزل انهما ليسا في أرضه فعمد حسن خان إلى الحيلة ونصب لهما عريشاً من الأخشاب في محل خفي وأصعدهما عليه

وحلف بالله العظيم والكلام المنزل القديم أنهما ليسا في أرضه . ثم استمر اسماعيل وأخوه هناك حتى قتل أحمد بك وتولى مكانه آل لوند ميرزا وعند ذلك خرج اسماعيل وأتى لاهجان وكان فيها شيعة من اصحاب ابيه فاجتمعوا عليه ودلوه على أصحاب أبيه الذين في بلاد الروم فقصدهم ولم شعهم وعاد بهم الى لاهجان وانضم اليه الذين بها وفي سنة ١٤٩٩ (٩٠٥ هـ) توجه بطائفة من جنده قاصداً اذربيجان وغلب على مراد بك آخر ملوك الدولة الاقويونية واستولى على بلاد اذربيجان وسمي بالشاه وخطب له على منابرها ، ثم قصد صاحب شروان سنة ١٥٠٠ (٩٠٦ هـ) وقتله وضبط بلاده ثم أقبل الى ديار بكر سنة ١٥٠٧ (٩١٣ هـ) واستولى عليها وفي سنة ١٥٠٨ (١١٤ هـ) افتتح بغداد ^(١) وعدا ايضاً على شيبك خان صاحب خراسان وما وراء النهر من الدولة الازبكية فكسره وقتله واتخذ جمجمته قدحاً كان يشرب به الخمر مدة حياته وهكذا دانت له بلاد المعجم والعراقين وكردستان اما مراد بك فانه لما هرب من الشاه اسماعيل كان قد لاذ بسلاطين آل عثمان ثم بعلاء الدين ابن ذي القادر وطلب نصرته على الشاه اسماعيل فأمدّه بالجند والمال وكان قد اقبل مراد بك الى بغداد واسترد ملكه بينما كان الشاه اسماعيل منشغلاً في حروب خراسان ولما فرغ من افتتاح البلاد عاد الشاه اسماعيل الى بغداد بجيش كثيف فطرد مراد بك وعماله عن البلاد وهكذا انقرضت الدولة الاقويونية من الموصل وغيرها من بلاد الجزيرة وكردستان والعراق والمعجم وصارت الى يد الشاه اسماعيل . ثم تدخل في شؤون الدين فنصر المذهب الشيعي واهله وأعلنه رسماً في اطراف مملكته ونكل بأصحاب المذهب السني وقتل منهم خلقاً كثيراً . ولما كانت سنة ١٥١٤ (٩٢٠ هـ) قصده ياوز السلطان سليم خان العثماني بن السلطان بايزيد ودارت بينهما حرب داحسة اسفرت عن انهزام اسماعيل شاه بعد ان جرح جرحاً بليغاً فاستولى سليم خان على ديار بكر وبعض

جهات كردستان وكان بين الشاه اسماعيل والملك الأثرف قانصوه الغوري مودة وطيدة فاستنجد به الملك اسماعيل وأتت العساكر من مصر وسار اليه السلطان سليم بمساكره وكان الشاه اسماعيل قد احرق كل ما يوجد في طريق الترك من المؤن . ثم التقى السلطان بقانصوه الغوري وكانت بينهما الموقعة الشهيرة بمرج دابق في نواحي حلب انكسرت فيها العساكر المصرية وقتل قانصوه . وحاش الشاه اسماعيل بعد هذا عشر سنوات وتوفي سنة ١٥٢٣ (٩٣٠ هـ) عن ٣٨ سنة واربعة اشهر من العمر . فنقل نعشه الى اردبيل ودفن مع اجداده . ثم خلفه في الملك ثم ابنه طهماسب الاول وقاتل هذا الازابكة في خراسان ثم ثارت الحرب بينه وبين السلطان القانوني سليمان الأول فكانت الدائرة على طهماسب وضبط السلطان سليمان خان وان وشروان . ثم بغداد والموصل سنة ١٥٣٤ (٩٤١ هـ) ^(١) وتوفي طهماسب الأول في قزوین سنة ١٥٧٥ (٩٨٣ هـ) وعمره ٦٥ سنة فنقل نعشه الى المشهد

ورد في تاريخ منهل الاولياء انه جرى في الموصل ثلاث حوادث غريبة في سنة ٩٨٠ هجرية وهي زلزال قوية حدثت في الموصل هدمت بيوتاً وابنية غير يسيرة وفي السنة عينها انكسفت الشمس كسوفاً تاماً حتى ظهرت النجوم والكواكب ودام هذا الكسوف من وقت الظهر حتى العصر . وفيها أيضاً انقطعت الامطار فاحلت الارض وعم الضيق سكان الموصل قاطبة فخرج أهلها على اختلاف ادیانهم وطبقاتهم الى خارج المدينة يقتادون الماشية والاغنام وهم يبكون ويتضرعون الى الله . وبينما هم يستمطرون المراحم الالهية اذا بسحابة ظهرت وبعد قليل صبت ميازيها فاروت الارض

وقام بعد طهماسب ابنه اسماعيل الثاني سنة ١٥٧٥ (٩٨٣ هـ) وكان اسماعيل في حياة أبيه محبوساً في قلعة آلموت . فلما توفي أبوه ساعدته أخته يري خان على قتل أخيه حيدر وسهلت له الجلوس على سرير الملك فنصر المذهب

السني واشياعه وخذل المذهب الشيعي وكان غشوماً ظالماً قتل أخوته الثمانية وأخته يري خان ليؤمن الملك لنفسه وقتل ثلاثين ألف رجل من المنتشيعين لأخوته . وقتل اسماعيل أكثر الرافضة وكان متجبراً تحجب عن الناس على خلاف قاعدة اسلافه وفوض الأمر الى وكيله وهو الوزير الأعظم عندهم فعجز عن ضبط البلاد وذلت في عهده الدولة الصفوية . ثم مات مسموماً . قيل ممته أخته ولعلها غير يري خان وقيل دُس اليه السم في الترياق . وقد كان يكتر من شربه حذراً من السم وقيل هجم عليه خواصه متزيين بزي النساء وقتلوه لانهم كانوا حاقدين عليه لسوء سيرته . وكان يقول اذا تجدد رأس الخيمة ينبغي ان نجدد الاطناب أيضاً فابفضوه وقتلوه سنة ١٥٧٧ (٩٨٥ هـ)

وكان لاسماعيل أخ بخراسان اسمه خدا بنده قد عصاه وانضم اليه أكثر القبائل هناك فأتى سنة ٩٨٥ هـ جرية وجاس على عرش المملكة الصفوية لكنه عجز عن ادارة الملك لامراض شتى اعترته فعهد به الى ابنه الأكبر حمزة ميرزا . وأقبل في زمانه السلطان مراد خان الثالث العثماني الى بلاد العجم بالمساكر الكثيرة وانتشبت الحروب بينه وبين عساكر الدولة الصفوية وكانت معارك دامية مهولة قتل فيها حمزة ميرزا سنة ١٥٨٢ (٩٩٠ هـ) فتضعفت الجيوش الصفوية وتفرقت اطلب لها ملجأ من الجيوش العثمانية واستولى السلطان مراد الثالث على تبريز وروان وتقليس وجميع نواحيها . فضعفت احوال الدولة وكثرت فيها المشاغب والقتال . ثم ان الامراء خلعوا خدا بنده وأرسلوا في طلب ابنه الثاني الشاه عباس الأول وكان في خراسان فاقبل الشاه عباس واستلم أزمة الملك سنة ١٥٨٦ (٩٩٥ هـ) وكان حازماً شجاعاً طرد الاغيار الذين دخلوا بلاده عنوة وأصلح احوال المملكة . ثم وسع اصفهان واتخذها مقر المملكة وعقد اتفاقاً مع الانكليز حمل على البرتغال وضبط منهم جزيرة هرمز وغيرها ثم طرد الولاة العثمانيين وضبط منهم بغداد والموصل لمدة قصيرة كما سنراه وتوفي سنة ١٦٢٦ (١٠٣٦ هـ) . خلفه في الملك حفيده الشاه صفي ويُدعى

سام ميرزا وملك خمس عشرة سنة. ثم توفي ودفن في قم سنة ١٦٤١ (١٠٥١ هـ).
 وخلفه ابنه الشاه عباس الثاني وملك خمساً وعشرين سنة وتوفي وله من العمر ٣٤ سنة ١٦٦٦ (١٠٧٧ هـ). خلفه ابنه الشاه سليمان وكان يسمى صفي ميرزا شاه
 ملك تسعاً وعشرين سنة ثم توفي سنة ١٦٩٤ (١١٠٦ هـ). ثم خلفه ابنه الشاه
 حسين وكان هذا جباناً واهي العزيمة مترخياً. وكانت الدولة الصفوية في عهده
 على انحطاط متواصل. واجتمع على قتاله الاكراد والخوازميون وعرب
 مسقط والافغانيون. ثم وصل الافغانيون الى العاصمة وهي اصفهان فاقاموا
 على حصارها الى سنة ١٧٢٢ (١١٣٥ هـ) وانتحوها تحت قيادة محمود الافغاني
 ودخلوها. فتسلم محمود الافغاني أزمة الملك من الشاه حسين وسجنه في قصره
 مدة سبع سنوات. ثم قتله سنة ١٧٢٩ (١١٤٢ هـ). واستقر الملك لمحمود
 الافغاني حتى ظهر نادرشاه من اتباع الصوفيين. وقد اشتهر بحزمه وبسالته
 فلم شعت الجنود الصفوية مستنهضاً هم رجالها وحمل على الافغانيين فطردهم عن
 حدود البلاد الفارسية وأجلاس على سرير الملك طهماسب الثاني بن الشاه حسين
 وكان صبيّاً حدثاً ليس له من السلطنة الا اسم عار. اما ادارة الملك فكانت
 لنادرشاه ودعى نادرشاه نفسه طهماسب قولي خان انما الى السلطان طهماسب.
 ثم لما توفي طهماسب الثاني سنة ١٧٣٨ (١١٥١ هـ) خلفه ابنه عباس الثالث
 وقضى على سرير الملك ثمانية أشهر. ثم خلع وعفي أثره فانقرضت الدولة
 الصفوية أو الصفوية واستأثر نادرشاه بخزائن السلطان وآل اليه النقص
 والابرار فاعلن نفسه ملكاً على الدولة الصفوية. ولما استقر له الملك استجاش
 العساكر وسار الى البلاد الهندية فدوخها. ثم سار بجيوشه الى بلاد بني عثمان
 وسندكر قدومه على الموصل في عهد الوزراء الجليليين

انما لم تتوصل الى اخبار الموصل ومعرفة احوالها مفصلاً في عهد هذه
 الحكومات الأخيرة أي منذ تملك التركمانيين القويون نلبيين على هذه الديار
 سنة ١٤١٠ (٨١٣ هـ) الى حين استيلاء الدولة العثمانية عليها سنة ١٥٣٤ (٩٤١ هـ)

ولهذا فقد اقتصرنا على ايراد حوادث التركمانين بالاجمال لقلّة الموارد الى ذلك .
 وبما لا ريب فيه ان الموصل أصبحت في عهد تغلب تيمورلنك عليها هدفاً
 لنبال المظالم وعرضة للآفات يتناوب على حكمها المتغلبون من التركمانين والاعجام
 وفي زمانهم زالت حضارتها ونل عمرانها وأصبحت علومها على شفا جرف هار
 اذ لم تكن هذه الحكومات المتسيطرة لتسعى في توطيد الأمن بل كان دأبها
 غزو البلاد واختزان الاموال من الرعايا بالسف والجور منصرفه عن منافع
 البلاد الى خدمة صوالحها واضرام نيران الحروب لتوطيد ملكها . وكان أهل
 هذه البلاد يثنون تحت نير العبودية الثقيل ويحتسون كأس المرائر بالصبر
 الجليل . ومن الأقوال المأثورة : ان المساكر التركمانية كانت ترتكب في الموصل
 انواع المظالم من اغتصاب وخطف وابتزاز وعنف الى غير ذلك حتى انها كانت
 تتخذ الجوامع والكنائس والمعابد والمدارس اسطبلات وكثيراً ما كانوا
 يدخلون البيوت ويطردون أهلها ليسكنوها أو ليجعلوا فيها خيلهم . ومن
 هناك جرت العادة ان يبني الاهلون دورهم واطئة بشكل سراديب ويجعلون
 ابوابها ضيقة كيلا يستطيع هؤلاء الفشومون دخولها بخيلهم والى اليوم
 يشاهد في الموصل آثار ذلك الظلم في بعض الابنية القديمة من جوامع وكنائس
 واديرة على هذا الشكل

الفصل العاشر

قدوم السادة والمعمرية الى الموصل في عهد الدولة العثمانية

بعد ما استولى السلطان سليمان خان القانوني الأول على بلاد العراق وطردها
 عنها الاعجام سنة ١٥٣٤ (٩٤١ هـ) ^(١) أقيم الوزير مجرلي سليمان باشا والياً
 على بغداد وهو أول وال تركي حكم في العراق والحق ببغداد سائر البلاد العراقية

(١) منهل الاولياء

التي ضيبتها من الاعجام وجعلها أي بغداد مركز المشيرية أو الوزارة . وكانت المشيرية تنقسم الى باشاوية (باشالق) والباشوية الى اقضية . وكانت الموصل يومئذ من أشهر وأهم باشاويات بغداد وكان لهؤلاء الوزراء نوع من الاستقلال الاداري لا يراجعون الباب العالي الا فيما هم من الأمور وكذا نيط بارادتهم أمر تعيين الباشوات والولاة على سائر البلاد المتعلقة ببغداد . وكانت نعمة هذه البلاد في حالة سيئة واضطراب دائم لاسباب أخصها غارات المعجم المتوالية وعصيان اكراد الجبل وجور الاغوات فان الجبل الذي تحده جنوباً وغرباً دجلة وشرقاً بلاد المعجم وشمالاً أرمنية وبحيرة وان كان عاصياً لتفرد اغواته الذين كانوا يتمتعون باستقلال تام . فكان هؤلاء الاكراد ينزلون من الجبل كالسيل الجارف ويغيرون على القرى فيقتلون وينهبون حتى أخبروا من هذه القرى عدداً عظيماً ما زال خراباً الى اليوم

ودام حكم هؤلاء الوزراء المستقلين الى سنة ١٨٣١ (١٢٤٧ هـ) حينما عصى داود باشا آخر هؤلاء الوزراء على أوامر السلطان محمود خان غازي ابن عبد الحميد خان وسترى كيفية ذلك في محله

لبنت الموصل بعد التحاقها بالبلاد العثمانية مدة غير يسيرة في ادارة مضطربة وغير مطردة لفوضى الحال وسوء اخلاق بعض أهاليها يومئذ . فرأت الحكومة العثمانية خير وسيلة كافلة لتقويم أود الاهالي واصلاح هذا الخلل الفاشي ان تسير معهم على مبادي الرفق واللين من غير سفك دماء وقتل رجال ولا استعمال عنف وشدة بل بالتشبت بوسائل الانذار والارهاب . ومن ثم ارتأت ان تسكن في الموصل بعضاً من اهل الشرف والتمتوى كما رأيتاه في اوراق تتضمن تاريخ العائلة العمرية لكاتبها الفاضل حسن افندي بن محمود افندي العمري . وها نحن نورد الحادث نقلاً عن الكاتب: صدرت الارادة السلطانية بجلب ذاتين محترمين من اشراف السادة والعمرية القاطنين في الحرمين الشريفين لانذار الأهالي . فدعي السيد عبد الله الاعرجي الحسيني من المدينة المنورة

ودُعي الحاج قاسم العمري من مكة المشرفة . فسكن السيد عبد الله في المحلة الواقعة في شمالي الموصل وتعرف اليوم بمحلة السادة . وسكن الحاج قاسم العمري في المحلة المسماة باب العراق في جنوبي الموصل وتعرف ايضاً بمحلة الشيخ محمد . يقول الكاتب انه لم يقع على زمن قدومهما معيناً وانما استدل عليه استدلالاً من عهد تشييد الجامع العمري الذي اقامه على ثقته جد الطائفة العمرية في الموصل الحاج قاسم سنة ١٥٦٣ (٩٧١ هـ) في محلة باب العراق وضريحه فيه كما يؤيده الكاتب : ان الحاج قاسم العمري احد كبار الفضلاء وخيار الفصحاء قد دفن في الجامع العمري الذي انشأه في محلة الشيخ محمد

واقاد يومئذ افراد هاتين العائلتين الكريمتين مدينة الموصل فوائده حيث انهم أصلحوا خللها ورتقوا خرقها . ووعظوا الناس بالصلاح . ودلّوهم الى أبواب الخير والصلاح . وقام منهم الخطباء الفصحاء والعلماء الفضلاء والزعماء النوابغ والكبراء الجهابذ الذين سعوا في تحسين الاخلاق ونشر العلوم . وسندّكر ان شاء الله مشاهيرهم في كتابنا الثاني وحتى اليوم ما زالت الموصل تباهي برجال هاتين العائلتين الشريفتين وهم من خيرة رجالها

يقول صاحب منهل الاولياء : لم أقف على تراجم الامراء الذين تواردوا على الموصل بعد ما ملك آل عثمان ولا على أسماهم الا على أسماء الذين كانوا عليها بعد الالف . ومنهم من نعرف احوالهم . ومنهم من لم نطلع على تراجمهم فذكرنا مختصراً ما وقفنا عليه ففي سنة ١٥٩١ (١٠٠٠ هـ) ربيع الاول كان الامير عليها من قبل الدولة العلية حسين باشا وعقبه بياله باشا ولا يذكر تاريخ منهل الاولياء شيئاً عنهما وفي سنة ١٥٩٥ (١٠٠٤ هـ) احيلت الولاية للامير الشهير سنان باشا وكان وزيراً عادلاً شجاعاً ولي مصر في زمان السلطان سليم . ثم أرسل الى الاصقاع اليمانية لاصلاح الاختلال الذي كان فاشياً فيها ثم عقبه في الولاية أحد الاشراف من الاهالي وهو بكر باشا بن اسماعيل بن يونس الموصلية سنة ١٦٢٠ (١٠٣٠ هـ) وكان بكر باشا معروفاً باصابة الرأي . وتولى

الموصل سنة واحدة . ثم نُقل الى ولاية خرت برت . ثم أُعيد الى ولاية الموصل فممر اسوار المدينة ومكافأة له ضُمت على ولايته خرت برت . وفي سنة ١٦٣٠ (١٠٤٠ هـ) صارت ولاية الموصل لوالي ديار بكر محمد باشا . ثم في سنة ١٦٣٦ (١٠٤٦ هـ) وجهت لمحمد باشا بن بكر باشا

الفصل الحادي عشر

استيلاء العجم على بغداد والموصل

وقدوم السلطان مراد خان الرابع العثماني اليهما

كانت بغداد في كفالة الوزير يوسف باشا واتفق انه وقع اختلاف بينه وبين أحد كبار عسكره يقال له بكر الصوباشي فهجم الصوباشي باثني عشر ألفاً من رجاله على يوسف باشا وقتله وتغلب على بغداد وكانت الدولة العثمانية يومئذ في اضطراب واختلال فانتهز الصوباشي الفرصة من فوضى الحال . وأظهر العصيان والاستبداد . وأمر بالخطبة له وضرب السكة باسمه فوردت الاوامر من الباب العالي الى حافظ احمد باشا والي ديار بكر ان يسير بعساكره لتأديب العاصي . فلما أحس الصوباشي بقدوم حافظ احمد باشا واطلع على كثرة عدده وعدته داخله الخوف فاتخذ من ساعته رسولاً الى عباس الاول من الملوك الصفويين في اصفهان يوقفه على الاحوال ويعده ببغداد اذا أقبل الى الاخذ بناصره فارسل الملك عباس يشدد عزمه ويعده بالمدد العاجل . أما حافظ باشا فوصل بغداد ووجدها محصنة قد أوصدت أبوابها وأقيمت الحامية ورجال الدفاع على الاسوار فاحتاط بها وشدد الحصار . وكانت بغداد يومئذ عرضة للآفات الطبيعية قد فشت فيها الامراض السارية وزاد على ذلك القحط وغلاء الاسعار نخشي عباس الصفوي ان يقدمها خوفاً من مريان الامراض الى جنده واكتفى ان يرسل للصوباشي نحو ثلاثمائة نفس ليستلموا

منه مغتايح المدينة^(١) ولما آيس الصوباشي من وصول عساكر عباس الصفوي
 عهد الى ابرام الصلح مع حافظ باشا فشرط عليه ان تكون له بغداد وملحقاتها
 خاجابه حافظ باشا الى ذلك وعقد معه الصلح ثم عاد عنه . ففرح الصوباشي
 بذلك ورأى انه بلغ مرامه فقتل جماعة الاعجام وعلق رؤوسهم على شرفات
 السور . أما الشاه عباس فلما بلغه ما فعله الصوباشي من الانتقاص والطيانة
 قصده بنفسه . وأنفذ الى الصوباشي يطالبه ان يبر بوعوده في تسليم بغداد .
 فأبى الصوباشي تسليمها وأجابه اني أخذتها صلحاً بعد اعراضك عنها
 ونكولك بي . فاستشاط الشاه غضباً ومن ثم شدد الحصار على المدينة ومنع
 عنها الارزاق وكانت حينئذ المؤن قد نفدت فاشتد الجوع فيها حتى أكل
 الادميون بعضهم . وكان للصوباشي ولد يقال له محمد وكان هو المتسلم محافظة
 قلعة بغداد فأرسل له الشاه يعده ويعنيه بان يجعله حاكم بغداد عوض أبيه
 فاغتر بوعده الشاه . وفي الليلة التالية فتح أبواب القلعة للاعجام فدخلوها
 بضجة عظيمة سنة ١٦٢٢ (١٠٣٢ هـ) وقبض الاعجام على الصوباشي
 وأحضروه أمام الشاه وكان ابنه محمد جالساً الى جانب الشاه فأخذ يوبخ أباه
 على خيائته . وأمر الشاه ان يوضع الصوباشي بقفص من حديد وان يجعلوا
 القفص في قارب مشحون زفتاً وكبريتاً ويضرموا فيه النار ليلتهب في دجلة
 امام الناس وأمر أيضاً بقتل أخيه علي أغا والقاضي والنائب ومعهم قتل نحو
 أربعة آلاف نفس وأحرق ما وجدته في المدينة من مخازن الكتب وأخرب
 مرقد الامام الاعظم عبد القادر الكيلاني وارتكب فظائع كثيرة
 ثم أرسل الشاه عباس وزيره قاسم خان بالمساكر العديدة الى الموصل
 ليفتحها فسار قاسم خان الى كركوك وضبطها ثم أقبل الى الموصل وكان واليها
 يومئذ حسين باشا الجرکسي فدافع عن المدينة مدة طويلة وأخيراً فشل
 وسلمها الى قاسم خان فتولى أمرها^(٢) وكان قاسم خان فظاً قاسياً خافته

(١) دحلان ج ٢ ص ١٣١

(٢) توفيق فکرت ص ٢٤٨

الاهالي فنزع منهم كثيرون لما قاسوه من جور و ظلمه وفيهم هاجر الى جزيرة ابن عمر من آل العمري موسى وهو الذي شيد الجامع الشريف في الموصل وهاجر أخوه مراد خان الى الهاديّة

ولما كانت سنة ١٦٣٨ (١٠٤٨ هـ) أقبل السلطان مراد خان الرابع من استامبول بخمسين الف فارس وخمسين الف راجل قاصداً بغداد . فقصده الموصل وأقام بجوارها وحضر اليه من الهاديّة أميرها قباد بك مع عدد عظيم من الاكراد بالطبول والاغاني احتفاء بالسلطان . وبعد ان استأمنوه على أنفسهم التحقوا بجيشه فأحسن اليهم السلطان وأعطى لقباد بك ولاية الهاديّة ما دام في قيد الحياة . ثم تقدم السلطان الى الجانب الشرقي من دجلة فلما رأى قاسم خان كثرة الجنود لاذ بالهزيمة فاستولى جند السلطان على المدينة . وبعد ذلك ساروا يطلبون بغداد وقد التحق بجند السلطان كثير من أهالي الموصل واربيل وكركوك وسليمانية . وبلغ خبرهم الى الشاه وكان الشاه عباس قد توفي وجلس مكانه الشاه الصفّي سام ميرزا فاقبل سام ميرزا من توزر بعساكره فخصن قلعة بغداد ووضع عليها الامراء الخبيرين وأقام ينتظر ورود السلطان العثماني . ثم قدم السلطان وخيم قريباً من سامرا وليث هناك بضعة أيام حتى تسنى له جمع ما يلزمه من الذخيرة والاسلحة الكاملة وتقدم على بغداد وحاصرها نحو الاربعين يوماً . ثم حفر الانغام تحت قلعته فافتتحها ودخلها والى اليوم يرى مدفع في بغداد يدعى (طوب الفتح) تركه هناك السلطان مراد ومن ثم استقرت الموصل وبغداد لبني عثمان

ومن تولى الموصل بعد ما فتحها السلطان مراد كان علي باشا الربيعي سنة ١٦٨٣ (١٠٩٥ هـ) ويعرف أيضاً بعرب علي باشا وروم علي باشا . وعلي قدومي باشا وشيد له قصراً منيفاً على تل صغير في جنوبي الموصل قريباً من مزار الشيخ محمد النزلاني والى اليوم ترى اطلاله وآثاره ويعرف بتل علي قدومي باشا

وكان علي باشا عادلاً حازماً أصلح أحوال الولاية وتلافى الخلل الذي أحدثته في المدينة تلك التبدلات الفجائية ثم قطع دابر اللصوص الذين كانوا قد انتشروا في المدينة وخارجها فاستتب الأمن داخلًا وخارجًا . واليوم له سلالة النجبية الطيبة في بغداد وهم من خيرة أعيانها يعرفون بآل الريسي وتولى الموصل أيضاً سنة ١٦٩١ (١١٠٣ هـ) مصطفى باشا ويعرف بمصطفى باشا الاسير . ثم سنة ١٦٩٧ (١١٠٩ هـ) تولى الموصل علي باشا وتولاها بعده سنة ١٧٠٧ (١١١٩ هـ) السيد شريف محمد باشا بن الشاهوار وفي سنة ١٧١١ (١١٢٣ هـ) اشتد الجوع والفلاء في الموصل ونواحيها حتى جلا أكثر الاهلين تاركين دورهم وزحوا الى البلاد طلباً للرزق ويعرف هذا الفلاء بفلاء ابراهيم باشا لان والي الموصل كان يومئذ ابراهيم باشا وكان هذا ذمير السيرة طائياً ومن مظالمه قتله احمد افندي العمري الشهير بفضله وحسن سيرته وذلك حسداً . فان احمد افندي كان قد شيد له قصراً منيفاً على شاطئ دجلة وحوط فيه جنينة غناء وصار يجتمع اليه أعيان البسطة وعلماؤها يتجادلون اطراف الحديث بين مباحثات دينية وعلمية فتتغص ابراهيم باشا من اجتماعهم هذه وأخذ يمتلئ في قتل احمد افندي فكتب الى القسطنطينية يستحصل أمراً باعدامه ناسباً اليه أموراً لم تكن فيه . ثم سجنه وأعدمه ضمن السجن . وكان ثم ابنه أبو بكر قد رحل قبل اعدامه الى القسطنطينية للدفاع عن أبيه واثبات براءته ونزاهته مما اتهم به فتوفق ان ينال العفو بارادة سنية ثم اسرع راجعاً الى الموصل ودخلها بعد قتل أبيه بيوم واحد . فلما رأى ما جرى لآبيه اقبل راجعاً الى عاصمة العثمانيين ليشكو الى السلطان ظلامة أبيه وهناك استحصل أمراً من الباب العالي في اعدام ابراهيم باشا فأعدم ^(١) وفي تلك الايام ظهر خليل باشا من آل الرشوان وجمع له عصاية من المتمردين ونادى بالعصيان على الحكومة العثمانية . ولما بلغ خبر عصيانه الى القسطنطينية

وردت الاوامر الى يوسف باشا والي الرقة بالمسير على العصاة فأقبل يوسف باشا الى الموصل وحاربه وما زال يراوغ في القبض عليه حتى أمسكه وقطع رأسه وأرسله الى القسطنطينية . ولم تنقطع القلاقل والمشاغب من مدينة الموصل . فانه في سنة ١٧٢٥ (١١٣٨ هـ) ثارت فيها فتنة عرفت (بفتنة علي المفتي) وهو علي افندي المعروف بابي الفضائل بن مراد آل العمري وانما سميت باسمه لانها جرت في زمانه وكانت عائلة عظيمة انقسم فيها الاهلون الى حزينين معادين دام القتال بينهما نحو ستة أشهر استنزفت قواهم وأوبقت خبرهم وأتلفت رجالهم وكثر فيهم النهب والقتل حتي ان الحكومة نفسها لم تستطع ان تقف بوجه هذه النار المندلعة

وكان لملي أفندي المفتي جنينة خارج الاسوار تعرف الى اليوم بالناعور يقضى فيها يومه ثم يعود مساء الى داره داخل المدينة . ولما ثارت هذه الفتنة أمرت الحكومة بان تغلق أبواب المدينة يومياً عند غروب الشمس وان يمنع الخروج والدخول منها واليها الا من باب السراي الذي كان موقع الحكومة واليكجربة . وكان علي أفندي يقاسي مشقة في عودته مساءً الى داره داخل المدينة فاستدعى الى الحكومة بفتح باب جديد ازاء جنينته ليسهل عليه الدخول والخروج . ولما أجابت الى طلبه فتح باباً مقابل الجنينة والدار الواقعتين بين باب الايض (باب البيض) وبين باب الجيش ^(١) (باب لكش) وسمي الباب الجديد الى اليوم ^(٢)

وبعد ما انطفأت نيران هذه الفتنة فشت بالمدينة حمى محرفة مع امراض متنوعة أفنت من العباد خلقاً كثيراً . ثم عقب ذلك آفة الجراد التي اتلفت مزروعات تلك السنة فزاد الغلاء في الطين بلة وعلى اوتار الشجون عويلا ورنه

(١) سمي باب الجيش لان الجيوش كانت تجتمع عنده للسفر الى بغداد

(٢) او . خطأ

الفصل الثاني عشر

تولي العائلة الجليلية حكم الموصل ثم قدوم طهماسب نادرشاه

الى الموصل . في ولاية الوزير الحاج حسين باشا

كانت الموصل قد تضرعت أحوالها منذ عهد التتر ومن بعدهم في تملك الدول التركمانية وزادت على ذلك الآفات الطبيعية والفتن الداخلية التي تطاير شررها واندلعت سنتها النارية فالتقت من أهلها خلقاً كثيراً وعطلت مدارسها وقوضت من عمرانها قسماً مهماً فقيض الله لها رجالاً نبوتوا في ربوعها الخضراء من أرومة شريفة وأصل كريم أخذوا فتنها وأقاموا أسوارها وهم الوزراء الجليليون الذين تولوا حكمها قرناً ونيف فشادوا جوامعها وكنائسها ومدارسها وأقطعوا لها الاوقاف . وأجروا عليها النعم . وهي باقية الى اليوم تقر بفضلهم وخدمهم الجليلة المشكورة وتنبى بأفصح اللسان عن همهم الباذخة . وحسن تدبيرهم وسمو مداركهم ورفعة قدرهم . فتحسنت أحوال الولاية في أيامهم واستتب الامن الوارف في أقاصي الموصل وأدانيها . وهاك كلمة في العائلة الجليلية

ان العائلة الجليلية من البيوتات العريقة في الشرف ظهرت في أوائل الجيل الثامن عشر وتولت الحكم في الموصل وفي بعض بلاد ما بين النهرين . وكان جدهم الاكبر عبد الجليل بن عبد الملك قد أقبل من ديار بكر واستوطن الموصل وصار له فيها خمسة أولاد اسماعيل وابراهيم وصالح ويونس و خليل امتازوا بالنجابة والبسالة وباركهم الله فتموا وكثروا ونالوا بحذقهم الثروة الطائلة والعز الباذخ والمجد المؤئل

ونشأ منهم الحكم والولاة والوزراء الذين اشتهروا بالنجابة والشجاعة والهمة العالية والعدل في الناس

كانت الحرب تدور رحاها سنة ١٧٣٦ (١١٣٩ هـ) بين الاعجام وبين الدولة العثمانية فقدم الجليليون المساعدات الكثيرة لتجهيز العساكر في الموصل بما تحتاج اليه من الذخائر وأمدوها بالسيف والمال . ومن ذلك الحين قدرتهم الحكومة العثمانية حق قدرهم وكافأت اخلاصهم ومعروفهم فأقامت أحدهم وهو اسماعيل باشا بن عبد الجليل والياً على الموصل سنة ١١٣٩ هـ جرية . ثم تناقل الجليليون حكمها الواحد تلو الآخر وساعدوا أرباب الخير وبذلوا المساعدات الجمة للرسالة الكبوشية . ولما انتقل الكبوشيون من الموصل سنة ١٧٣٤ (١١٣٧ هـ) استقبل الجليليون المرسلين الدومنيكيين الذين فتحوا رسالتهم في الموصل سنة ١٧٥٠ (١١٦٣ هـ) فأفصح لهم الجليليون مجالاً واسعاً للعمل ودافعوا عنهم حباً بالخير الذي كان ينشأ عن يدهم الى جميع الاهالي على اختلاف نحلهم واديانهم

وسعى اسماعيل باشا مدة ولايته بتحسين شؤون الولاية وعمر الجامع المعروف بجامع الاغوات الشهير بمساعدة اخوته ابراهيم أغا وخليلى أغا . ثم توفي سنة ١٧٣٣ (١١٤٦ هـ) ودفن في المقبرة القديمة بجوار الباب الجديد . وفي حياته عهدت ولاية الموصل لحسين باشا الدرندي . ثم للحاج حسين باشا ابن اسماعيل باشا سنة ١٧٣٠ (١١٤٣ هـ) وتداول أمرها سبع مرات لشهرته الذائعة . ثم خول الرتب السامية ولقب الوزير الكبير سنة ١٧٣٤ (١١٤٧ هـ) مكافأة له على خدمه الجليلة فوفقت على بابه الشراء وهنأته بقصائدها نخص بالذكر منهم الشاعر الاديب « الشيخ محمد الغلامى » الموصلى وقد قرّظ الوزير بقصيدة ضافية الايات مطلعها :

أورقَ الحى لم أنت خاضية كفا وسحبَ الندى لم أنتِ واكفة وكفا
واشتهر الوزير الحاج حسين باشا في الحروب التي ثارت بينه وبين الاعجام حتى طبقت شجاعته الخافقين وغداً علماً يشار اليه بالبنان
رأينا ان محمود الافغانى لما استولى على الدولة الصفوية عنوة وضبط

بلادها انتشرت فيها الفتن والمشايخ وأصبح أمرهم فوضى فاعتصمت الدولة العثمانية من ذلك فرصة وشتت الغارة على البلاد المعجمية وضبطت منها قسماً عظيماً . ثم لما قام في الدولة الصفوية طهماسب الثالث وهو المعروف بكولي خان أو بنادرشاه كما مر عنه الكلام وتمكن من طرد الافغاني عن البلاد الفارسية وقهر اعداءه وأخذهم بحمد السيف خضعت له بلاد الدولة الصفوية . وكان طهماسب عنيداً غشوماً كثير الحروب سفاكاً للدماء فانه بعد ما قمع شوكة التاترين أرسل يطلب من السلطان محمود بن السلطان مصطفى الثاني اعادة البلاد التي ضبطها اختلاساً . ولما لم يلتفت اليه السلطان العثماني حمل بالاعجاب على تبريز فاستولى عليها وعلى جبهاتها . ثم أقبل نادرشاه بعساكره الجرارة على بلاد كردستان ووصل كركوك فحاصرها وافتتحها مع ما يليها . وكانت عساكره حينما مرت خربت ودمرت وقتلت الرجال وسببت النساء حتى ارتعدت فرائص أهالي هذه البلاد لشدة ما أصابهم من الطلع والويلات . ثم قدم الى بغداد سنة ١٧٣٢ (١١٤٥ هـ) وبعد حصار قصير افتتحها ونهبها وقتل من أهلها . وكان واليها احمد بك قد سهل فتحها له لاغتياله من السلطان محمود وبعد فتحه بغداد واطرافها سير وزيره تركس خان بجيش يبلغ عدده ثمانية آلاف جندي الى الموصل فأقبل تركس خان الى الموصل بعساكره وأخرب طريقه قرى طامرة كثيرة وهدم ما وجده في طريقه من العمران والآثار منها دير مارايليا ويسمى دير سعيد الواقع جنوبي الموصل على مسافة خمس كيلو مترات

ان الحموي يصف حسن بناء هذا الدير وانتظامه واتساعه وما يحتاج به من القلالي العديدة ورهبانه الكثيرين . اما عن سبب تسميته بدير سعيد فيورد ان سعيد بن عبد الملك بن مروان الاموي الذي كان يتقلد يومئذ اماردة الموصل في ايام ابيه اعترضه مرض عضال فعالجه طبيب نصراني اسمه سعيد ولما عوفي الأمير من مرضه فوض طبيبه ان يطلب ما شاء من المكافاة فطلب

منه ان يبتني ديراً بظاهر الموصل وان يهب ارضه فابتنى الدير ومياه باسمه
دير سعيد

قال صاحب وفيات الاعيان ^(١) : كنت اظن ان دير سعيد منسوب الى
سعيد بن حمدان من ملوك الموصل الحمدانيين حتى رأيت في كتاب الديرة
منسوباً الى سعيد بن عبد الملك الاموي . اه . والصواب ان هذا الدير سمى
بتشييده مارايلىا الحيري العربي جنساً والنصراني مذهباً في اواخر القرن
السادس للميلاد ^(٢) كما شهد بذلك توما المرجي ويشوعدناح البصري مؤرخ
الاديرة وايد الحموي هذا الرأي بما نقله عن الخالدي ان ثلاثة من رهبان
النصارى (وهم مارايلىا ويسميه الحموي سعيداً وربان اوراهام وربان برعدتا)
اجتازوا بأرض الموصل قبل الاسلام بنحو مائة سنة تقريباً وابتنى كل واحد
منهم ديراً دُعي باسمه

اما ما قيل عن سعيد بن عبد الملك الاموي الذي تولى امانة الموصل في
خلافة أبيه سنة ٦٨٤ (٦٥ هـ) ولعميره هذا الدير فقد يكون صحيحاً وذلك
استناداً على ما رأيناه في قصيدة كلدانية خطية لا يشوعيات الاربلي المعروف
بابن المقدم (أواسط القرن الخامس عشر للميلاد) ان مارايلىا ابرأ سعيداً أمير
الموصل من مرض عضال اعتراه فبنى له الأمير ديراً بجوار الموصل . وليس في
ذلك أمر ممتنع حيث قد تحقق ان مارايلىا عاش أكثر من مائة سنة كما يؤيده
يشوعدناح البصري ^(٣) ولا بد انه عاصر في آخر حياته الامير سعيد الذي في
فرصة شفائه أكمل له بنيان ديره ووجه شيئاً من الأراضي المجاورة فسمي
لذلك دير سعيد . وبقي هذا الدير عامراً أهلاً بالرهبان الكثيرين حتى قدم
تركس خان وزير نادرشاه بجيوشه فقتل رهبانه وخرب عمرانه وتركه قاعاً
صفصفاً لا يسكنه أحد واليوم ليس في هذا الدير الا هيكله القديم وبعض

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٤٦٣

(٢) الطبرهاني ص ٤٩

(٣) كتاب العفة طبعة بيجان ص ٤٥١

الغرف الحديثة البناء وحولها الاتقاض القديمة

تقدمت الجيوش النادرشاهية الى الموصل وظهرت بغتة صباح اليوم الخامس والعشرين من شهر شوال سنة ١٧٣٢ (١١٤٥ هـ) قبالة الموصل على مسافة نصف ساعة عند قصر علي قدومي باشا في أرض الغزلاني . فقام الحاج حسين باشا بهيمته المفطور عليها وغيرته الشديدة واستحث هم الاهالي مستهضاً غيرتهم وحميتهم الوطنية بأقوال حماسية حتى ثار جميعهم وهبوا بسلاحهم الى حومة القتال يقودهم أسد الحروب الجليليون فالتحمت الحرب بين الفريقين ودامت من الصباح حتى العصر فابلى الموصليون في تلك الحرب بلاءً حسناً وأظهروا فيها من الحماسة وضروب الشجاعة وفنون الحرب ما يتيسر له العقل ويدل على شديد وطنيتهم وغيرتهم . وكان قاضي الموصل يومئذ يحسن اطلاق المدافع فاطلق قنبلة واصاب زعيم جيوش العدو ومن ثم اندحرت جيوش نادرشاه ولاذت بالهزيمة منكصة على الاعقاب بصفقة خاسر . ولما ولى العدو دخل الاهلون الى المدينة واعلام النصر تحفق فوق رؤوسهم بين تحيات الشيوخ والاولاد وتهليل النساء ^(١) . واشتهر من الجليليين في هذه الحرب الضروس مراد باشا ومحمد أمين باشا وعبد الفتاح باشا أخو الحاج حسين باشا واولاد عمه عبيدي أغا ومصطفى أغا وعبيد أغا والحاج قاسم المغازي فانشدت شعراء الموصل تصف هذه الحرب وتنوه بالذكور الطيب على أسودها الجليليين . فقال الكاتب الأديب والشاعر اللبيب المرحوم حسن عبد الباقي مقرظاً :

قفا نصطبج ما بالاناء المجدد فاحياء اموات الغبوق على يدي
وان حلف الساقى وانكر فضلة تبقت من الصهباء ذخراً الى غد
فأي يمين والبنان خضبية وفضلتها شمس ولست بارمد
ولما بلغ نادرشاه خبر انكسار عساكره ورجوعهم عن الموصل بنخبة

المسمى شق عليه ذلك اذ كان قد اشتهر بغزواته وفتوحاته الكثيرة في بلاد الهند والعجم والأتراك فعمد النية على ان يقصد الموصل بنفسه ويفتتحها عنوة ويقتل رجالها ويسبي نساءها ، لكنه انصرف عن ذلك لحاجة دعوته ان يرحل الى بلاده . ولما كانت سنة ١٧٤٣ (١١٥٦ هـ) عيى حيوشه العديدة وجهازها بالعدد الوفرة والمؤن الكثيرة وأقبل الى الموصل

الفصل الثالث عشر

قدوم طهماسب نادرشاه ثانية الى حصار الموصل

كان الحاج حسين باشا قد اهتم سنة ١٧٤٢ (١١٥٥ هـ) بترميم اسوار الموصل وتقوية مستحكاتهما وحفر أيضاً خندقاً حولها ثم ببلغته حركة نادرشاه فاسرع الى تجهيز المساكن وتدارك المهمات الحربية وكان نادرشاه قد قدم بغداد أولاً وطلق يتهدها برمي القنابل . فعمد أحمد باشا واليها الى الحيلة وأنفذ يقول له ان يسير أولاً الى فتح الموصل وفي عودته يجد بغداد مفتوحة امامه . فنجحت حيلته « والحرب حذعة » ثم رفع نادرشاه الحصار عن بغداد وسار بجيشه الى الموصل وهو يرجي نفسه ان يكون أمر الموصل كالبصرة والحلة والقرية وغيرها من البلاد الكثيرة التي افتتحها واستولى عليها . فانتشرت جيوش نادرشاه في اطراف الموصل واستولى على قراها واقضيبتها المجاورة من ذلك كرمليس وبرطلي وقره قوش وتدعى أيضاً خوديدا أو باكزيره وتلكيف وباطنايا وتلسقف والقوش وكان يقتل النصارى ويسبي النساء والصبيان وأخرب عسكره مدناً كثيرة وقرى طامرة من النصارى واليزيدية من ذلك تلا ، وكانت طامرة كثيرة السكان . ثم وضع يده على الأديرة ونهبها وقتل رهبانها منها دير مار اوراهام الواقع قريباً من قرية باطنايا وهو الى اليوم باق لا يسكنه أحد (وقد شيد هذا الدير مار ابراهيم في أواخر الجبل السادس على هايد كره عمر الطير هاني بجوار قرية بامادا وربما بيت مادي من بلد ينوى

ويظن أنها باطنية (١) وكان الرجال والنساء يفرون من وجههم فالتجأ كثير من أهالي البلاد والقرى المجاورة الى الموصل وتألبوا فيها فاستقبلهم الحاج حسين باشا وحبر مدع قلوبهم من هذا الطاغية وقوى عزيمتهم وشجعهم على قتاله وجهزهم بالموثون والاسلحة . وكان نادرشاه قد قارب من الموصل وأتقذ



طهماسب كولي خان المروفي نادرشاه

رسالة الى المفتي السيد يحيى يخاطب بها الحاج حسين باشا فجمع الحاج حسين باشا أهالي الموصل ليستحثهم فاجتمعوا اليه بسلاتهم في الجامع الاحمر الذي

على ضفاف دجلة وقرئت عليهم رسالة نادرشاه وهذا بعضها :

باسم الله العلي الأعلى . الموصل الى مدارج العلى . هذا كتاب منا الى العالم النبيل والنحرير الجليل المفتي يحيى أحياء الله كما يشتهي ويتمناه وصانه من كل طارق وبلوى والى قاطبة قاطنى الموصل حفظهم الله من المصيب والويل كى يوقظهم من رقدة الغفلة وسنة العثرة ويزيل عنهم الدهشة والوحشة فيستمعوا له وينصتوا استماع قبول واذمان وايقان واتقان . عسى أن تنجوا وتفرحوا ولا تلقوا وراء ظهوركم لقاء تعنت وطفيان تحزنوا وتندموا . واعلموا ياخواني المؤمنين . انا جند خلقنا من رحمة الله وغضبه . فالبشرى ثم البشرى لمن اتبعنا وهدانا . والنذرى ثم النذرى على من خالفنا وعصانا . أو ليس لكم من آثار الماضين تبصرة ومعتبر الا فتذكروا خيار الهند والسند والترك في انموذج وصل اليكم من وقائهم وملاحهم . ووقائع جيرانكم من أهل كركوك وما ولاها كيف تعنتوا فتندموا . ثم أطاعوا فنجوا . ذا خط في جلاباب أمن وأمان وشفقة ودعة وامتنان فلا تلقوا بأنفسكم الى التهلكة واتقوا فتنة لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة ولا تقدرّون الدفاع فلا تعرضوا أعماركم للاتقطاع . قال الله عز وجل من قائل « تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان » وورد في الحديث « ان من فرج عن أخيه المؤمن فرج الله عنه سبعين كربة يوم القيامة . ومن رأى أخاه في حفرة فأنبأه انجاه الله من النار » . وأرسلت اليكم كتابي وصحيفتي مع السيدين النجيين الفخيمين قاضي كركوك حسن افندي ومصطفى أغا يوصلانه اليكم ويرشدانكم الى الصواب ويحذرانكم من العقاب فعليكم أن تنظروا اليه بعين الانصاف مجتنبين التعنت والاعتساف . واستقبلوا السلطان العادل الكامل الرؤوف والخاص الأعمى العظوف أدام الله عزه وجلاله على مفارق العالمين تفرحوا وتسروا فان همته العالية معروفة بالشفقة والاستعطف فلا تعرضوا أنفسكم لنزول نيران غضبه وشدة بطشه وسخطه . انما علينا البلاغ وعليكم الحساب

علينا اتمام الحجة القراء وعليكم سلوك الحجة البيضاء وليبلغ الشاهد منكم
 المستمع لكتابنا الغائب والسلام على كل من اتبع الهدى . اهـ
 ومن منطوق هذه الرسالة يستدل القاريء على ثقة نادرشاه من نفسه
 لقوة جيوشه الكثيرة وعدده الوفيرة

وبعد ما قرئت الرسالة على مسامع الخاصة والعامة التفت الحاج حسين باشا
 الى الأهالي وسألهم عن رأيهم فأجابهم جميعهم بصوت واحد انهم مستعدون لما
 يأمرهم به وموافقون رأيه في اقتحام غمائر الحرب ولو كلفتهم اراقة دماهم
 جميعاً . فأوعز الحاج حسين باشا الى المفتي باعطاء جواب ملائم . وهذا
 ملخصه :

باسم الله وما اعتصمنا الا بالله ومن لاذب بكهف كفايته كفاه وحماه .
 هذا كتاب فصلت آياته وتحدثت معجزاته . وظهرت شواهد دعوته وبيناته
 ظهور نار القرى ليلاً على علم بل هو أشهر كجلمود صخر حطه السيل من عل
 الى ملاباشي (علي أكبر) أجرى الله بذياب صمصام قهره من أذن رعوته
 قطرات الشرور المتصاعدة الى صماخ دماغه من انجرة النخومة والغرور وأخذت
 شرارات تلك النية الفاسدة بصصر الدمدمة الالهية كما أهلكت عاداً بالدبور
 وصل كتابكم الرسول الى العامة المشتمل بزعمكم على الطاعة فلا تفرنكم الحياة
 الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور مفتخرين به بأنكم جند الله مخلوقون من الغضب
 أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا
 اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا طاملون . فالعياذ بالله
 أمن بعد ايماننا وطاعتنا لسلطاننا والمقاتلة دون أموالنا والمكافئة عن أولادنا
 وعيالنا يهولنا منكم شقايق اللسان . وروعنا سحر البيان ووسوسة الشيطان
 وكثرة الهذيان

قام الحمام على البازي يهدده واستصرخت بأسود الغاب أضعفه .
 يا من يسد فم الأفعى بأصبعه يكفيه ما قد يلاقي منه اصبعه .

فما وعيدكم عندنا الا كصير باب . وكما طنّ لوح الهجير ذباب . أفرايتم
 أن القصاب تهوله كثرة الغنم . أو الأسد الغشمشم يدركه تراكم النعم .
 تذكرونا بما فعلتم بالسند والهند . وبما فعلتم مع أولئك العلوج . وتدهشونا
 بما فتحتم من قلعتي كركوك وأربيل وترعبونا بأمثال تلك الأباطيل . كلا
 ستعلمون ثم ستعلمون . أترتاع بالقراع ونحن الأسود الضارية ، والسباع
 الكواسر العادية . أسيافنا صقيلة . وسطورتنا ثقيلة وحلومنا رزينة وقلوبنا
 كالحديد متينة . وبلدتنا بحمد الله حصينة

لنا جبل يحتمله من يجيره منيع برد الطرف وهو كليل
 ستر العرش مسبول علينا . وعين الله ناظرة إلينا وسيعلم الظالمون
 أي منقلب ينقلبون ورتنا عن آباء صدق . ونورثها اذا متنا للبنين
 فلا سمعاً لكم ولا طاعة . وأهلاً بالسعادة والشهادة هذه الساعة
 ردى حياض الردى يا نفس وأتركي حياض غير الردى للشاء والنعم
 فما بيننا الا ما صنع الحداد من سيوف حداد ورماح مداد ويقبل الله
 في شأنه ما أراد

حرر عن لسان الحاج حسين باشا الوزير الجليل والى مدينة الموصل
 المحروسة وحسين باشا والى حلب وكافة وجوه البلد وأعوامها والسلام
 وبعد أن ختم الكتاب سلم الى يد الرسول ونهض أهالي البلدة نهضة
 واحدة للذود عن الأوطان . وجمع الحاج حسين عموم الاهالي الذين كانوا
 في القرى والجبال . ثم أمر باحضار أرباب الحرف والصناع وأوعز اليهم
 بالانكماش في اعداد اللوازم الحربية . أما بقية الاهالي فساروا الى خارج
 المدينة يشتغلون على الأسوار في نقل الحجارة والتراب فاشترك في هذا العمل
 جميع الاهالي من هاشمهم الى مخزومهم حتى أن بعض أفراد العائلة الجليلية
 شوهدوا ينقلون التراب تشويقاً للناس وتحريكاً لعواطفهم الجنسية . ثم سير
 الحاج حسين باشا الكتائب المنظمة خارج المدينة وعليها القواد والأمرأ .

وخرج هو نفسه فغيم بنقطة مناسبة . ثم تقدم نادرشاه بعد وصوله المكتوب اليه بمساكره الى جهة النهر الشرقية بجوار قرية ياربجه . وتقدم أيضاً أهالي الموصل يقودهم الأمراء الجليليون الابطال ومهمهم حسين باشا والي حلب بمساكره . وقوج باشا حاكم سنجاقي بمساكره وكتيبة من خيالة العرب البواسل وعددهم يبلغ نحو الخمسمائة راكب . فانتشرت عساكر نادرشاه كالجراد في تلك البقاع الواسعة وقد اصطفت للحرب . ثم حمل عليهم عبد الفتاح بك الجليلي أخو الحاج حسين باشا بفرقة وعمره حينئذ أربع وعشرون سنة فعبر النهر الى الضفة الشرقية . ودارت بين الفريقين حرب طاحنة فحاول عبثاً نادرشاه ان يقطع عن العساكر الموصلية خط الرجعة . وكان الفضل في ذلك للباقة ومهارة قائدها البطل الهميم عبد الفتاح بك . وبعد ضرب وطمع انسحبت العساكر الموصلية فقطعت النهر ودخلت المدينة وقد قتل وجرح منهم نفر يسير . أما خسائر العدو فكانت فادحة وقتل منهم في هذه المعركة قائد فرسانهم واسمه جيلوخان ودفن بقرية تسمى الى اليوم باسمه « قرية جيلوخان » وهي على طريق الخذر تبعد عن الموصل ساعتين تقريباً . ولما كان اليوم الثاني أغلقت أبواب المدينة وصعدت العساكر الموصلية على القلعة وأقام بعضها على الاسوار . ثم تقدم العدو وعدده ثلاثمائة الف محارب ونيف واحتاطوا بالقلعة والاسوار وأنفذوا الى الحاج حسين باشا رسولا آخر يتهددون به الاهالي ويقولون لقد تقرر عندنا ضبط مدينتكم فعلى م سفق الدماء والعصيان على أوامر الشاه . ولماذا تطوحن بأنفسكم وأموالكم في مواضع الهلكة والتلف . انما عليكم ان تسلموا فتسلموا . فأجابهم الحاج حسين باشا مخيباً آمالهم قائلاً : اننا لو اتقون بالله ان يمدنا بالنصر المبين . فما بيننا وبينكم الا السيف والسنان فلا تعاودونا بالرسل والتهديدات وان أتاانا منكم رسول آخر لاعيدنه اليكم جثة بلا راس فتقدموا ولا تبطلوا « لا يفلح الساحر حيث أتى » ثم عاد الرسول متعجباً من بسالة الاهالي وثباتهم . فأبلغ نادرشاه

ما سمعه ووطاه ومضى على ذلك أربعة أيام . ولما كان اليوم السادس من عودة البعثة الاخيرة أحاطت عساكر العدو بالمدينة . ثم قطع نادرشاه دجلة ودار حول المدينة ليفتقد المواقع ويطلع على مناعة الاسوار وقوتها وعاد الى خيمته . وفي اليوم الاول من شعبان اجتمعت العساكر النادرية الى الجامع الاحمر فنقلوا الحجارة والتراب وبنوا ازاء السور والقلمة اثني عشر استحكاماً ووضعوا عليها المدافع . وكان الحاج حسين باشا أيضاً قد وضع المدافع على ابراج الاسوار وصوبها الى جهة العدو . وفي اليوم السادس من شهر شعبان بدأ نادرشاه باطلاق القنابل التي كانت نهراً تتساقط على الاسوار كال مطر . وليلاً تتناثر كنجوم من أديم السماء . وقد ملأ رعيد صوتها تلك الآفاق . وأقام نادرشاه ثلاثة أيام بلياليها يطلق قنابل مدافعه حتى قيل انه ألقى على المدينة والاسوار في تلك المدة ما ينيف على خمسين ألف قنبلة . والى اليوم يرى من هذه القنابل في دار الحكومة وامام بعض البيوت حيث كان الاهالي يجمعونها لكثرتها ويجعلونها في أرض دورهم . ومع هذا فان التضيق الشديد مازاد الاهالي الا اقداماً وثباتاً على مناوأة عدوهم والذب عن حياض وأوطانهم ثم ان نادرشاه طفق يحاول هدم الاسوار التي قاومت بمتانتها قنابل العدو ولم تنزعز . وكانت على الباشطائية الواقعة في شمالي الموصل بجوار جامع الامام يحيى أبي القاسم العساكر العديدة يصلون العدو حرباً حامية باطلاق قنابلهم . وكان محافظ هذا البرج ليلاً الحاج حسين باشا نفسه وفي النهار كان يطوف هو وأولاده حول المدينة لافتقاد المواقع والجند فيشجعونهم ويوزعون عليهم اللوازم الحربية ويجندون شجعانهم بالهدايا والذهب . وأقام نادرشاه في هذا الموقع ازاء جامع الامام يحيى أبي القاسم خمسة عشر يوماً بلياليها أطلق فيها من القنابل نحو مائة ألف^(١) ثم تحول بفرقة الجند من يارمجة الى قرية قاضيكنند الواقعة قبالة باشطائية وجمع قوته ازاء هذا البرج الباقي الى

اليوم يشرف على دجلة وهو خير أثر عن الاسلاف . ثم أمر باطلاق القنابل الشديدة على هذا البرج العظيم وكانت جنود الموصل تقابلهم من أعلاه بشجاعة لا نظير لها . لكن تلك المرميات العديدة المتوالية التي كان العدو يلقيها هدمت جانباً من البرج نغارت عزائم الاهالي واستحوذ عليهم القشل والقنوط . ولما رأى الحاج حسين باشا سوء المصير وان المدينة أوشكت أن تقع بيد العدو صالح الجند وشرع يستحثهم ويحرك فيهم روح الوطنية ويذكرهم ما سيحل بهم اذا دخل العدو الى الاوطان ثم أوعز حالاً باحضار العملة والبنائين والصناع فباشروا بلحم الصدع وستر الثلثة ولم يمض على ذلك ساعات حتى غدا البرج سالماً لاشمب فيه

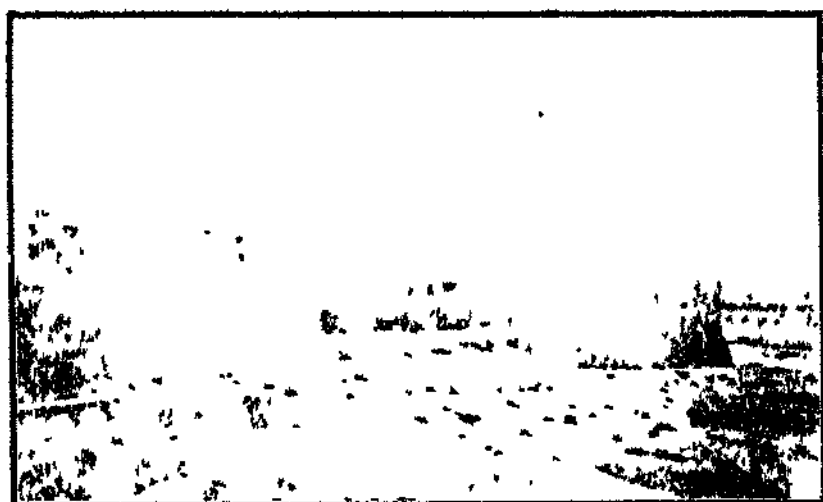
ولما لم يفلح نادر شاه بهذه عمدة الى اخرى فأمر بحفر ثلاثة الغام في السور وقد أحدثت تلك الانغام اضراراً جسيمة غير أن الاهالي بغيرتهم ونشاطهم كانوا يتلافون هذه الاضرار بحيث لم يجمعوا ليلاً ونهاراً فكانوا ليلاً يصلحون الخلل ويرمون الثلعات الطارئة على الاسوار ونهاراً يحاربون العدو بجلد وثبات عجيبين

ودامت الحرب أياماً كثيرة حتى آيس نادر شاه وأعياءه فتح الموصل فعمد الى اغفال اهاليها بالمسير عنهم أياماً حتى يركنوا ويأووا الى بيوتهم مطمئنين ثم يباغتهم على غرة

فكف عن الحصار وسار بجيوشه الى جزيرة ابن عمر حيث وضع السيف وقتل ونهب وسبي النساء . ثم دخل بيعة النصارى من الكلدان وكانوا قد التجأوا اليها يوم الاحد للصلاة خوفاً من ذلك الطاغوت . فرغ ذلك المصلى بدم الابرياء وصنع مذبحاً مهولة . ولما فرغ منها فاجأ الموصل فالفها أمتع من عقاب الجو . اذ كانت أهلها مدة غيابه قد زادوا في تحصينها وحكموا أسوارها واستحضروا المؤن والعدة . فمدّ الجسور على الخنادق وعبرت جنوده كالجراد عدداً والسيوف بأيديهم مصلطة والقنابل من خارج تلتقي على

على المدينة ترى . أما جند الموصل فلم يحفلوا بهم بل حملوا عليهم وقتلوا منهم عدداً عظيماً حتى كسروهم ودفعوهم على الاعقاب مفشولين . ثم جمع العدو قوته واستأنف الهجوم ودامت هذه المعركة نحو ثمان ساعات في آخرها تبددت العساكر النادرشاهية وولوا منهزمين . وحاول نادرشاه ان يقوي عزم المنهزمين فلم يصغوا اليه بل ما زالوا هاربين لا يلوون على شيء حتى قطعوا دجلة الى معسكرهم . وقد قتل منهم الى هذه المعركة الاحيرة نحو ٥٤٠٠ قتيل وأما من العساكر الموصلية فلم يقتل الا مائة نفر لا غير وبعض الجرحى . ولما أيقن نادرشاه بعجزه عن فتح المدينة وتأكد انه لا ينال منها فلامه ظفر وتذكر قول أهاليها اهم لا يسلحون المدينة وفيهم عرق ينبض . ثم لاحظ العار الذي يلحقه برجوعه خائباً عنهم عول على ابرام الصلح فأرسل الى الحاج حسين باشا رسولا يدعو الى الصلح فأبى الحاج حسين باشا مصالحته وأجابه مع الرسول اننا مستعدون للمدافعة عن مدينتنا وان كذبت احلامكم فليس لكم الا ان تمودوا الى بلادكم والسلام . ولما رجع الرسول الى نادرشاه سأله عن المدينة وعن الاخرى التي أحدثتها قبايلهم فأجابه الرسول كما نظن ان قنابلنا لم تترك فيها شيئاً من العمران لكنني أقيمتها لا أثر فيها لتلك القنابل الكثيرة . ووجدت خلقها شديدي البأس ثابتي العزيمة مصرين على محاربتنا^(١) فكتب نادرشاه ثانية مكتوباً الى الحاج حسين باشا يلتمسه ارسال ائمين من قبله لوضع قاعدة يستقر عليها الصلح . فاستدعى الحاج حسين باشا القاضي ومفتي الشافعية الغلابي وقره مصطفى بك وأرسلهم الى قرية قاضيكند حيث كان نادرشاه مخيماً برجال بطاقته فلما بلغ الرسل الى فسطاط نادرشاه استقبلهم بحفاوة وبش بهم وأسدى جزيل الثناء على عزم الاهلين وثباتهم وقال ليس مقصدي من الموصل الا تصحيح مذهب أهل السنة والشيعة . وبعد المراجعة تقررت قواعد الصلح بين الطرفين وخلع نادرشاه على الرسل . ثم ان الحاج

حسين باشا أهدى ثمانية رؤوس من جياد الخيل وأحسنها وأقذفها مع ابن عمه الحاج قاسم أغا . نفلع نادرشاه على الحاج قاسم أغا الخلع الثمينة ثم أطلق المريقان الأسرى . ولم ترسل شمس اليوم الرابع من رمضان أشعتها القرمزية على قمة البرج العالي (باشطاية) أثر البطالية والاقدام الا وكانت العساكر



صورة البرج الأعلى (باشطاية) وجامع الامام ابي القاسم يحيى عليه السلام

النادرشاهية تسير متجهة نحو الشرق بقلب هالع وقدم مرتجف وهي تلقي نظرة وداع أخيرة ملؤها الهية على مدينة كللتها أشعة الشمس الذهبية بأكليل الظفر والانتصار

ففتحت الموصل أبوابها . وكان ذلك اليوم يوماً حافلاً تغنى فيه الشعراء مقرئين منقذ الموصل وواليها الحاج حسين باشا . ولأحدهم قصيدة منها :

هذا الحسين المحتشم	صدر النوال في الندى
مولى المكارم والأئم	سيف الجلال في العلى
نور الهداية والهدى	عين السماحة والكرم
سيف العلى مهندا	ماحي المكاره والظلم

ولقد ظن هذا الحادث الشهير الأب لا زلا الدومنيكي^(١) وهو معاصره تقريباً « خيم طهماسب نادرشاه ازاء الموصل على الضفة اليسرى من دجلة على قمة تل مجاور لنبي الله يونس وصوب على المدينة ١٦٠ مدفعاً و ٢٣٠ مرمية (هاون) وكان أهالي الموصل شديدي العزم قد حلقوا على الدفاع الى آخر رمق من الحياة واقسموا على ان يقتلوا النساء شهامة اذا تمكن الفرس من المدينة . اما الاعجام فانهم حاصروا المدينة حصاراً شديداً اثنين وأربعين يوماً اللقوا في مدتها ما ينيف على أربعين ألف مرمية وهجموا خمس هجمات شديدة على الاسوار فدفعهم جند الموصل بشجاعة عظيمة وقتلوا منهم خلقاً كثيراً . وبعد ان اقام الاعجام كل هذه المدة ولم يفلحوا بشيء رجعوا عن المدينة خائبين وقد فقدوا رجالهم ومؤنهم . وعجيب انه لم يقتل من أهالي البلدة الا نفر يسير جداً وقد نسب هذا الظفر المدهش الى اعجوبة باهرة من المذراء حريم البتول فبنيت كنيستها وجعل لها وقف من أربعة اطرافها ٤٠ متراً عرضاً حولها اه

وبالحقيقة ان هذا الانتصار كان عجباً نظراً الى يأس الأهالي وضعفهم ونقص معداتهم بالنسبة الى قوة العدو العظيمة بالرجال الكثيرة والعدد الوفيرة ولهذا فقد نسب الحاج حسين باشا نفسه وقاطبة أهالي الموصل على اختلاف ادیانهم انتصارهم الجليل الى شفاعاة المذراء والقديسين الذين هدم هذا الطاغية هياكلهم ومبانيهم^(٢) وعليه فيروي سكان الموصل الى اليوم عن الاقاويل الماثورة انه شوهد من سطح كنيسة المذراء الطاهرة اشخاص يحملون المدينة ويردون عنها القنابل مصوبينها الى جهة العدو ويؤيد ذلك الحس العام . هذا ما رأيناه منقولاً عن تاريخ الموصل لياسين افندي العمري^(٣) حيث يذكر عن سبب سعي الحاج حسين باشا بتجديد كنيسة المذراء التي

(١) Couronne de rose N° 12 - 1907

(٢) مختصر تواريخ الكنيسة لمعلم لودون المنيل من الحوري يوسف درود ص ٦٢٥

(٣) أو خطية

تهدمت خلال تلك الحرب . ويقرأ في هذا التاريخ انه قد تجددت وتبنت في تلك الاونة ثمانى كنائس في الموصل على ثقة الحاج حسين باشا نذكر منها كنيسة العذراء الملقبتين بالطاهرة الواقعتين الى الجهة الشمالية من المدينة قريباً من السور فالواقعة قريباً من النهر تدعى « التحتانية » وهي للكلدان والأخرى « الفوقانية » وهي للسريان القديم

وقد تجددت كنيسة الطاهرة للكلدان بهمة الحاج حسين باشا سنة ١٧٤٣ (١١٥٦ هـ) بوكالة زكريا الصايغ وكان هذا يومئذ صرافاً في الحكومة عند الباشا المذكور . وقد وقفنا على القصيدة التي نظمها حسن عبد الباقي افندي الأديب البارع حين جولانه مع حسين باشا على سطح الكنيسة المذكورة بعد الفراغ من عمارتها وهذه هي :

عرج بنا يا أبا الاسرار معتسفاً	ليعة ملئت عزاً وتقديسا
واقصد بنا قاعةً للطاهرة بنيت	حتى بها نذهب الاتراح والبوسا
فيها أناجيل لا نحصى فضائلها	كم عبت كل مطران وقيسا
وتيمت كم وكم رهبان بهجتها	وفي الاوائل كم دقوا نواقيسا
قم واستمع سحراً الخان نفعتهم	تحلهم في ظلام الليل فانوسا
في هيكل الدير قم وانظر ترعجاً	من الاشعة كالصباح مقبوسا
فقد قدمنا سألنا من أخ ثقة	من شاد اركان شيء كان مدروسا
ف قيل لي زكريا بالبنا سبب	بعزم ليث همام قامع الروسا
علي الجناب وزير ضيغم بطل	حسين قام لها للضد دبوسا
لا زال سمعه بالاقبال مبتدراً	واعداؤه لم تزل بالذل والبؤسا
امواله صح في التاريخ جاد بها	جوزيت يا زكريا لاجر من عيسى

يستفاد من مضمون هذه الابيات ان كنيسة الطاهرة كانت كنيسة الدير الاعلى وهو دير مار جبرائيل حيث ينوء بالذكر الطيب عن رهبانها ونواقيسها قديماً كما يستفاد أيضاً ان كنيسة الطاهرة في زمن الشاعر كانت آهلة بالرهبان

الذين يشبههم بالنباريس ويدعو قارء ان يصني الى اصواتهم الشجية في صلواتهم السحرية ، فاما ان هؤلاء الرهبان الذين يذكركم الشاعر كانوا يسكنون يومئذ الدير الاعلى بعد خرابه فيما بقي لهم من الغرف أو القلاي أو أنهم بعد خراب الدير المذكور انتقلوا وسكنوا في كنيسة الطاهرة نفسها أو في ما يجاورها في الابنية

الفصل الرابع عشر

في آخر ايام الحاج حسين باشا وفيمن خلفه من الوزراء الجليليين

في آخر حياة هذا الوزير الجليلي أي سنة ١٧٥٦ (١١٧٠ هـ) حدث في بلاد ما بين النهرين برد قارس لم يسبق له مثيل حتى جمد النهر فاشتقت الناس هذه المصيبة واوقفت اشغالهم واعمالهم وسدت بوجههم ابواب الارزاق وسبل المتاجر وعقب ذلك جوع مدقع فان القحط كان قد ضرب اطمابه في ديار بكر وشملت هذه الكارثة بلاد الموصل أيضاً . وكان ذلك من أكبر الشدائد والضيقات فان البرد القارس اتلف المزروعات والمواشي وزاد على ذلك انقطاع وارد العملة لعدم وجودها في البلاد المجاورة وقلة وسائل النقل لجلبها من البلاد البعيدة . ولما كانت السنة التالية وهي سنة ١٧٥٧ امل الناس الخير والبركة لجودة المزروعات التي كانت تبشر بمحصب وخير . وقبل ان يضع الحصادون يدهم على العمل اذا بمراد هائل هجم على الثروع بفتة فالتف خضراءها وغضراءها ولم يدع منها حبة واحدة فاحتار الناس لهذه الأزمة الشديدة وضاق بهم المخلص فهلكت الدواب والبهاثم وتشتت الناس الى البلاد البعيدة طلباً لارزق وهلك منهم كثيرون في الطرق . وقد افاضت العائلة الجليلية خيراتها على الفقراء وفتحت لهم اهرائها وأخذت توزع عليهم الاقوات بسخاء حامي

توفي الحاج حسين باشا اثناء هذه الكارثة أي سنة ١٧٥٧ (١١٧١ هـ)

وعمره ٦٣ عاماً^(١) وقد أدى للاوطان خدماً جليلة فتقلد الحكم في قارص والبصرة وشيد في الموصل جامعه المعروف باسمه أي جامع الباشا وفيه دفن . وخلف من الاولاد أربعة يذكرهم منهل الاولياء وهم الغازي محمد أمين باشا وسعد الله بك وأسعد بك وحسن بك^(٢) ، واشتهر بوقته وزيره الحاج سليمان آغا . وبعد وفاة الحاج حسين باشا وردت الاوامر من الباب العالي بتقليد منصب الولاية الى ابنه محمد أمين باشا . وكان محمد أمين خبيراً بشؤون الادارة شجاعاً ذا فكر ثاقب ورأي صائب تغنت الشعراء بمدح حسن اخلاقه وكرم طباعه فقال فيه بعضهم :

كالبدر من حيث التفت رأيتهُ يهدي الي عينيك نوراً ثاقباً
وكان في حياة أبيه قد تقلد المناصب الرفيعة وشام برق الأمور وخبر غشا
وسميتها فانه خول رتبة ميرميران سنة ١١٥٦ وكان عمره آنئذ ثلاثاً وعشرين
سنة وفي سنة ١٧٥٢ (١١٦٦ هـ) أقيم على اصلاح الخلل والفساد الذي كان طائياً
في سنجار واطرافها فأحسن القيام بهذه المهمة وبرز شجاعة حبيته الى اولياء
الأمر . ثم انه سافر الى كوتاهيه مع ابيه واقام فيها مدة غير يسيرة في الاشغال
والمهمات والمناصب التي كان والده يتقلدها . وتولى ايضاً حكم بغداد ثم حكم
الموصل ثلاث دفعات وكان وزيره في اثنتائها صلتان آغا ابن الحاج سليمان آغا .
وخول امين باشا رتبة الوزارة السامية سنة ١٧٦٦ (١١٨٠ هـ) . ثم انتقل
الى ديار بكر لاصلاح شؤونها سنة ١١٨١ هـ وبعد مضي ستة اشهر انتشبت
الحرب بين تركيا وروسيا وحينئذ تبلمغه الأمر بالمسير الى ميدان الحرب فصار
برجاله الى ساحة القتال حيث ابرز شجاعة ودربة احرز بها شهرة عظيمة .
ثم اعتقل اسيراً في احدى المعارك وبقي في الامر خمس سنوات . ولما ابرم
الصالح بين الدولتين رجع الغازي محمد امين باشا الى القسطنطينية فحضر له

(١) طومار

(٢) توبيق فكرت ص ٢٩٠

استقبال شائق وخمسه بالاكرام السلطان عبد الحميد خان الأول وائني عليه مقدراً شجاعته . وطاد الى الموصل سنة ١٧٧٥ (١١٨٩ هـ) وبعد وصوله اليها بشهرين اعتراه مرض عضال فتوفي وعمره سبع وخمسون سنة عن نجلين كربين هما سليمان ومحمد وسيرد ذكرهما في محله

وتقلد ايضاً حكم الموصل عبد الفتاح باشا بن اسماعيل باشا الجليلي سنة ١٧٦٩ (١١٨٣ هـ) وكان عبد الفتاح باشا قبل هذا التاريخ قد رحل الى بغداد لتزاع جرى بينه وبين بعض الاهالي ثم خول وهو في بغداد رتبة ميرميران وولي حكم الموصل بأرادة سلطانية . فلما قدم الموصل خشيه اعداؤه وخصومه وخافوا ان يقابلهم بالسوء لكن سهمهم طاش فان عبد الفتاح باشا حاملهم بما فطر عليه من ابداء النفس وشرفها وقابلهم باللطف والبشاشة واحسن اليهم اذ لم يتنازل الى الاستئثار منهم شأن النفوس الخسيسة . ثم خول عبد الفتاح باشا رتبة الوزارة السامية وقلد منصب ولاية طرابلس فرحل الى الولاية المذكورة سنة ١٧٧٢ (١١٨٦ هـ) ليصلح فيها بعض الشؤون وانااب عنه على الموصل ابن عمه احمد آغا وفي مدة غيابه شغب بعض اهالي الموصل على احمد آغا وطلبوا قتله وعلى هذا انقسمت الاهالي الى فرقتين فرقة عاصية وفرقة موالية لاحمد آغا وافضى بهم النزاع الى سل السيوف وسفك الدماء وزاد في الطين بلة فشيان الطاعون في الموصل ونواحيها فأت فيه خلق كثير . قال صاحب منهل الاولياء : كنا نصلي على الجنائز عند الباب الجديد فعددنا الموتى الذين اخرجوا من ذلك الباب تجاوز عددهم مائة وعشرين واجتمعت الجنائز يوماً في المصلى وكنا كلما فرغنا من واحدة جاؤا بأخرى فسقط بعض الحاضرين في المصلى فرفعناه وادخلناه المسجد فلم يكن ساعة الامات واحصينا يوماً عدد الذين دفنوا خارج المدينة فبلغ ألفاً ونيماً . اهـ

وقد احصي عدد الذين اخرجوا من ابواب المدينة ليدفنوا في المقابر التي خارج البلدة فبلغ مجموع ذلك مائة الف وهذا عدا الذين دفنوا من المسلمين

والمسيحيين في المساجد والكنائس . وقد عرف من احصاء آت الجنود المقلدين حراسة ابواب المدينة بأنه لم يبق بعد انتهاء الطاعون الا نحو الخمس من سكانها في قيد الحياة ^(١) ومن ذلك يستفاد ان عدد اهالي الموصل يومئذ كان ماينيف على ١٢٥٠٠٠ . وفر الكثيرون من الأهالي هارين من وجه هذه البلية السوداء وتركوا اموالهم ودورهم فقراء ومنهم الذين ماتوا في بيوتهم ولم يشعر احد بهم فاضحت مخادعهم قبوراً لهم

وردت الأوامر بتقليد منصب الولاية للوزير سليمان باشا بن محمد امين باشا وكان عبد الفتاح باشا قد توفي اثناء سفرته في الشام ودفن فيها في القدم فأعاد سليمان باشا الامن الى نصابه واصلاح احوال المدينة . ثم عهدت اليه ولاية بغداد ايضاً سنة ١٧٧٩ (١١٩٣ هـ) وولي ايضاً سيواس وبعده قارص وكان حينئذ على ولاية الموصل عبد الباقي باشا احد خواص والي بغداد . وكان عبد الباقي باشا عاتياً ظلم الاهالي واستنزف اموالهم ثم شن بعسكره الغارة على اهالي العمادية فهب اموالهم واستاق دوابهم والحق باهالي تلك النواحي اضراراً جسيمة وبينما كان عائداً بالغنائم الى الموصل قطع طريقه أهالي العمادية وحملوا عليه حملة واحدة فناوشهم القتال وفي اثنائه اصابته ضربة قاضية فخر صريعاً وتشتت عسكره فأخذ اهالي العمادية اموالهم ورجعوا الى اماكنهم ^(٢) ولما وصل خبر مقتله الى عاصمة العثمانيين وردت الأوامر بتولية سليمان باشا الجليلي على الموصل ^(٣) وذلك سنة ١٧٨٥ (١٢٠٠ هـ) . ثم عينه السلطان العثماني على كبح جماح عشائر الرشوال فجعل تحت امره اثني عشر والياً ليساعده في هذه المهمة . ولما عصى عمر باشا والي بغداد على السلطان أرسل سليمان باشا بمراد سنية الى بغداد لمحاربة العاصي فصار اليه وظفر به . وكان الوزير سليمان باشا متصفاً بجليل الاخلاق مع الحزم واصالة الرأي . وقد تداول ولاية الموصل

(١) او . خطية

(٢) جودت ج ٢ ص ٢٩٠

(٣) طومار

دفعات جدّ في خلالها اسوار الموصل فارّخه الشاعر المجيد عثمان بك تاش
الموصلي بهذه الايات :

شاد هذا السور سلطان المدى صاحب الشوكة في هذا الاوان
قائم ذو المجد في اتقانه حاكم الوقت سليمان الزمان
ربّ فاجعله اماناً للورى وبالطافك محروساً مصان
وباب الحكم عدلاً ارخوا فادخلوه دار عزّ بامان
ذكر صاحب منهل الاولياء عن الحاج عبد الباقي باشا بن عبيد أغا الجليلي
انه تولى ولاية الموصل سنة ١٧٨٤ (١١٩٩ هـ) وتوفي اثناء حملته على اليزيدية
العصاة خلفه فيها محمد باشا بن أمين باشا سنة ١٧٨٩ (١٢٠٤ هـ) واستوزر
بكر افندي بن يونس افندي وعمر جامع باب اليبض أو باب البيض وجامع
المحمودين مع مدارسهما ومدحته الشعراء فقال فيه بعضهم :

ولقد رويت عن الثقة روايةً عن ذلك الملك العظيم السؤدد
ان المحامد والمحسن . كلها جمعت وصارت للوزير محمد

ثم خلفه في الولاية نعمان باشا بن سليمان باشا سنة ١٨٠٧ (١٢٢٢ هـ)
وعمر الجامع الشهير المعروف بجامع النعمانية مع مدرسته . ولما يحكم نعمان باشا
الا سنة واحدة وفي عهد ولايته جاهر اليزيدية بالعصيان واخشوا في الاطراف
سلباً ونهباً حتى قطعوا الطرق عن المسافرين ثم تجمعوا من النواحي البعيدة
واشهروا الحرب على الحكومة المحلية فسار اليهم نعمان باشا بعساكره وقتلهم
واخضعهم . وكان قبل ولايته بنحو أربع سنوات أي سنة ١٢١٨ هجرية
أقبل علي باشا والي بغداد لتأديب بعض قبائل اليزيدية الذين كانوا قد قطعوا
السبل فحمل على سنجار وخرب ودمر القرى واتلف المزروعات والبساتين
وأجبر العصاة على الطاعة ^(١)

الفصل الخامس عشر

كلمة استطردية في الشيعة اليزيدية

لما كان معظم اتباع هذه الشيعة يقطنون القرى المجاورة للموصل وفيها أكبر رجالهم وأعظم معابدهم رأينا أن نلخص كلاماً عنهم . اتنا لم نقف على حقيقة تسمية اشيع هذا المذهب باليزيدية فقد ذهب البعض الى ان تسميتهم باليزيدية تنسب الى يزيد بن سلمى . والقول الاصبوب والاصح ان ينسب تمليل تسميتهم بذلك الى اله كانوا يعبدونه اسمه يزد أو يزدان . فقد أتى في تاريخ كلدو^(١) نقلاً عن توما المرجي (القرن التاسع للميلاد) الذي يذكر في كتاب الرؤساء ٥ فصل ١١) عن أهالي مدينة موغان انهم كانوا يعبدون سمياً اسمه يزد . فيقول المؤلف قد يكون فيما ذكره توما المرجي اصل تسمية هذه الشيعة باليزيدية على ان كلمة يزدان تعني « اله » باللغة الفارسية

واورد المستر لا يارد السائح الانكليزي الشهير عن تيوفانيس المؤرخ اليوناني الذي كان حائماً في القرن السابع للميلاد العبارة الآتية « ان الامبرطور هرقلوس خيم بجنوده قريباً من مدينة يزدم » . وظن المجاور رولينصن ان « يزدم » كانت من مدن حدياب فيقول الاب مارتان : قد تذكر هذه المدينة أول مكان انتشرت فيها الشيعة اليزيدية . وكتب الموسيو (R. Au) ان تسمية هذه الشيعة باليزيدية تنسب الى الخليفة يزيد الاموي وقد أعطيت لهم من كتبة الاسلام في القرن الثالث عشر^(٢) . اهـ . فرمى الكاتب كلامه على عواهنه ولم يدعم رأيه هذا ببينة ولا قدم لنا سبباً في ذلك لنرى ماهو وجه العلاقة بينهم وبين يزيد بن معاوية (٦٧٩ ميلادية) أو يزيد ابن عبد الملك (٧١٩) أو يزيد بن الوليد (٧٤٣)

(١) L'Abbé Martin ٤٣ ص

(٢) Recueil de textes et de documents sur les Yezidis p. 7

ان اصحاب هذه الشيعة يسكنون بحوار حلب ووان وارض وم ويكترون
في نواحي الموصل على عيين دجلة في سنجار وعلى يساره في الشيخان عند
معبدهم الشيخ عدي ويبلغ عددهم ما ينيف على ٣٠٠٠٠٠ قال الأب مارتال
ومنهم اي اليزيدية في جبال قوقاس وعلى سواحل بحر قزوين وفي جبال الطاي
الى مكجسكا ومنهم في بلاد الصين ولكن باسم آخر

اما ديانتهم فهي مانوية المبدأ وقد ذهب بعض المؤرخين الى انها تتصل
بمذهب زردشت القائل بوجود الهين . وتعرض هذه الديانة على اصحابها
تقديم العبادة للشمس وللشيطان لأنه مبدأ الشر كما يعلم المذهب الزردشتي
بوجود الهين هما هرمزد اله الخير واهيرمان اله الشر فيعتقدون بوجود اله
الخير الذي لاحد لصلاحه ورحمته وهو فوق جميع المخلوقات كما يعتقدون
ايضاً بالشيطان وهو ملاك ساقط مشجوب يقدمون له العبادة تخلصاً من شره
لا لاستحقاقه الذاتي . ويرهنون - مبرئين انفسهم من الخطأ في ذلك - ان الله
الذي لاحد لصلاحه وجوده ومحبته للخلائق لا يفعل بهم شراً لأنه صالح
اما الشيطان فهو منقاد طبعاً الى عمل الشر لانه مصدر الشر ومبدأه . وعليه
فالفطنة تقضي على من يريد سعادة الحياة أن يهمل عبادة الله الصالح بطبيعته
الذي لا يشاء عمل الشر ويطلب ولاء الشيطان وحمايته تخلصاً من اذاه . اذ
للشيطان وحده ان يسلط الشرور وان يدفعها . فيعبدون الشيطان باسم الملك
العظيم أو ملك القوة المقهور من مبدأ الخير . اما مبدأ الخير فيملك مدة الف
سنة وهي اجل غير محدود وعند نهايتها تستمر نيران حرب عوان بين اله
الصلاح واله الشر وفيها يتهاى لاله الشر اما أن يحرز الغلبة او يبرم
صلحاً مع اله الخير وكتا الحالتين ستمودان بالنفع العظيم على اتباعه واشياعه
رأس الامة اليزيدية جمعاء أمير من شيعتهم يسمونه أمير الشيخان .
ويقع في الشيخان الواقعة في شمال شرقي الموصل على مسافة ٤٥ كيلو متراً .
واهم قرى الشيخان قرية بيت عذري الشهيرة في تاريخ الكلدان حيث يقع

أميرهم . ولهذا الأمير سلطة مطلقة على اليزيدية وتحت أمره أمراء ثانويون يخضعون له ويبلغون أوامره الى جميع النواحي . ورئيسهم الديني الاعلى هو الشيخ الاكبر ويدعونه « بابا شيخ » وتحت يده جملة من الشيوخ يتلقون أوامره في متعلقات الدين ينفذونها في الشعب كل في مركزه وناحيته وللشيخ الاكبر فقط حق التشريع في الامور الدينية كتحديد الصوم والصلوات والتحريم الى غير ذلك . ومن يتعدى على أوامر الأمير الاكبر أو الشيخ الاكبر يعرض نفسه الى اشد العقاصات وهو استباحة بيته وأمواله . وهاتان الرتبتان الامارة والمشيخة محصورتان في عائلتين يتقلدها السلف عن الخلف . ولليزيدية عوائد وتقاليد غريبة كنفرتهم من اللون الازرق وكرهيتهم المظيمة للخس وعدم تلفظهم بحرفي الطاء والشين ولهذا يسميهم الأوريون (Shamanistes) وعندهم لا يجوز استخدام الفرس والحصان في حمل الانتقال ومن يتعدى على ذلك يقع تحت طائلة الحرم الشديد ولا يحل منه الا بعد تقديمه التوبة الصارمة والغرامة النقدية

ولهم أيضاً مواسم شتى في بحر السنة منها ان يزوروا كل أول أرباء من نيسان رومي قبور أمواتهم بالدفوف والمزمار . ثم يأكلون ويشربون عليها ويطعمون الفقراء . ويوم الخميس الثاني يجتمعون في بعشيقا في محل يدعى الشيخ محمد . ويوم الجمعة يجتمعون للرقص أيضاً في بعشيقا . والجمعة التي تلي يجتمعون للرقص في قرية دراويش عند قبر حسن فردوش . والجمعة الثالثة يزورون بالطبول والمزمار قبر الشيخ أبي بكر الواقع قريباً من باحزاني أي مشهد الالام أو ميادين الطراد . ولليزيدية أيضاً ثلاثة ايام صوم في السنة يسجد اليزيدية لصنم بشكل طائر يسمونه طاووس ملك وهو عندهم الاله السامي الذي كان قبل جميع الخلائق وهو موجود في كل مكان ويرسل خدامه الى العالم ليفرزوا بين الضلالة والايمان^(١) . ويمتقدون بتناسخ الارواح وبناء

(١) قال نو في كتابه عن اليزيدية *Recueil de documents sur les Yezidis*

على ذلك يعتقدون بأن رؤسائهم عاشوا في جميع العصور . ويجعلون الشيخ عدي واحداً مع الاله طاووس ملك . ولا يقولون بوجود جهنم أو الشياطين وعندهم ليست الارواح الشريرة الا الآفات الطبيعية كالامراض والطاعون والقحط والموت وغير ذلك . أما كتبهم الدينية فهي (كتاب الجلوة) المنسوب الى الشيخ عدي ويشتمل على التماثيل القديمة اليزيدية . ثم (الكتاب الاسود) الذي كتب سنة ١٣٤٢ وهو يبحث عن عوائد الأمة اليزيدية في ذلك العصر . وقد نشر الموسيو (نو) هذين الكتابين مترجمين الى اللغة الفرنسية في كتابه الذي ذكرناه ^(١)

ان الابحاث التي نشرت في تاريخ اليزيديين وديانتهم وعوائدهم واخلاقهم هي كثيرة وأشهر الذين بحثوا فيها هم المستر هنري لا يارد الرحالة الانكليزي . والموسيو سيوفي وكيل دولة فرنسا في الموصل قديماً في البحاث التي نشرها في المجلة الاسياوية (*Journal Asiatique*) ثم المونسينور سموئيل جيميل في كتاب اخبار الدسناوية ^(٢) مترجماً الى اللغة الايطالية

وبحثوا ابحاثاً مطولة في مقام الشيخ عدي وهو معبد اليزيدية الذي يحجون اليه . قال الاب مارتان : ان معبد الشيخ عدي كان قديماً ديراً على اسم مار ادي احد الاثني والسبعين تلميذاً ^(٣) ولا صحة لقوله انه كان على اسم مار ادي . أما ما ثبت عندنا فهو انه كان ديراً أسسه راهبان يوحنا ويشوعسبران في القرن السابع للميلاد . وذلك استناداً على ما أثبتته منظومة يشو عياب بن المقدم (القرن الخامس عشر) ورسالة خطية باللغة الكلدانية ان كلمة طاووس هي محرقة عن أصلها اليوناني (تيثوس) أي الله ، وكان المسيحيون قد أخذوا هذه الكلمة عن الاروام واستعملوها في كتاباتهم وصلواتهم حتى شاعت تاووس الله فتعلمها منهم اليزيدية وأطلقوها على الصم الذي كانوا يبدونه

(١) ترجم كتاب الخلوة الى اللغة الانكليزية وذيله وطبعه O. H. Parry Louvre 1897 ثم طبع الاصل العربي مع ترجمته الانكليزية (Isa Joseph)

(٢) وهم اليزيدية الذين يسكنون الشيوخ

(٣) كلدوس ٣٨

قديمة العهد كتبها راهب نسطوري اسمه راميشوع سنة ١٧٩٣ يونانية الموافقة ١٤٥٢ ميلادية وتبحث هذه الرسالة عن هذا المقام انه كان ديراً أسسه الراهبان المذكوران في القرن السابع . ثم احتله الشيخ عدي وكان مسافر أبوه الكردي المحلة التيرهي المذهب ^(١) راعياً لاغنام الدير المذكور . وبعد وفاته خلفه ابنه عدي في رعاية الاغنام . ثم تقلب على الراهبان سنة ١٢١٩ فطردهم واغتصب الدير مع املاكه . وكان رئيس الدير حينئذ قائماً يسبح في الاراضي المقدسة . فلما عاد ورأى ما حل برهبانه رفع غلامته الى باطو أمير المغواء فالتى القبض على عدي سنة ١٢٢٣ وقتل . وبعد قتله بسنين يسيرة عاد أولاده - متولوا على الدير المذكور ثانية



مقام الشيخ عدي

() التيراهية هي الوثنية القديمة أي ديانة زرادشت (طالع Chronicon) . وذكرهم ابن ادثير (ح ١٢ ص ٨٧) قال : التيراهية كفار لا دين لهم يرحمون اليه ولا مذهب يتبعون عليه وكانوا من الخارجيين المفسدين على شهاب الدين فاروق بهم اثم تاج الدين الور مملوك شهاب الدين قتل منهم خلقاً كثيراً . ويورد ابن دثير شيئاً من اخلاقهم وعوائدهم

ان هذه المخطوطة حلت من نفس المنيو (نو) محل الثقة التامة فجعل
الشيخ عدي كردياً في جنسه تيراهياً في مذهبه . واذ لم يمكنه انكار وجود
الشيخ عدي بن مسافر الاموي المسلم الذي أقبل من قرية فار من أعمال بعلبك
الى الجبال الهكارية حيث اتخذ زاوية وتبعه خلق كثير وفيها توفي سنة ١١٦٠
(٥٥٥ هـ) ^(١) افتركر أن الاول هو غير الثاني . والمقبة التي اعترست هذا
البحانة في طريق ابحائه خاصة هو الفرق في تاريخ وفاته اذ أن عدي الاموي
توفي سنة ١١٦٠ او ١١٦١ وعدي الكردي قتل سنة ١٢٢٣ ولعل عدي الذي احتل
الدير المسمى اليوم باسمه هو غير عدي الذي اقبل بنفسه من بعلبك الى الجبال
الهكارية . جاء في فلائد الجواهر للشيخ محمد الحنبلي انه بعد وفاة الشيخ
عدي بن مسافر الاموي خلفه ابن اخيه الشيخ ابو البركات بن صخر بن مسافر
الاموي وكان هذا الرجل ايضاً من المشايخ الكمل العظام وصاحب عمه واستفاد
من يمن اتقاسه وخلفه بعده ولده ابو المفاخر عدي بن ابي البركات بن صخر
ابن مسافر الاموي الثاني الاصل الهكاري المولد والدار وكان له اعتبار فائق
وقدر زائد . اهـ . فدلّ عدي الذي احتل دير يوحنا ويشوعسبران هو عدي
أبو البركات لقربه من التاريخ الذي يعينه صاحب المخطوطة اذا سلمنا بصحة
روايتها على أن الناقد يجد فيها صعوبات حجة اذ كيف يصح أن عدي صاحب
الاعتبار الدائع والصيت الزائد الذي احترمه الناس الى حد العبادة كما يرويه
ابن خلكان يكون راعياً لأغنام الدير . وكيف يمكن أن يكون الشيخ الزاهد
والعبد الصالح مجوسياً تيراهياً وكيف يصح التسليم بوجود شيخين وكل منهما
يدعى عدي باتباعهما في وقت واحد ومكان واحد مع ما هما عليه من البون
الشاسع في الدين والمبدأ اذ من الاكيد ان عدي الاموي المسلم اتخذ زاويته
في موقع مقام الشيخ عدي قال الحموي : لياش قرية في الجبل من بلد الموصل
حيث كان يعيش الشيخ عدي بن مسافر الشافعي . وكذا قال بقية المؤرخين أن

الشيخ عدي سكن ليش أو لالش من الجبال الهكارية والحال أن معبد الشيخ عدي هو اليوم في الجبل المسمى عند الأكراد واليزيدية حتى الآن بمضيق لالش . وإذا سلمنا بأن معبد الشيخ عدي حيث يحج اليزيدية اليوم هو لعدي الكردي التيرهني فإن ياترى زاوية الشيخ عدي العربي الشافعي وقد ثبت عندنا أنها في مضيق لالش . زد على ذلك ما أورده ابن المقدم سيفي منظومته عن الشيخ عدي الذي احتل الدير المذكور أنه كان مسلماً خلافاً لما رواه صاحب المخطوط . وجاء في الكتاب الأسود أن عدي شيخ اليزيدية كان سورياً ^(١) . وذكر ابن خلكان نسبة قال : الشيخ عدي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان كذا أُمي علي نسبة بعض ذوي قرابته الهكاري مسكناً العبد الصالح الذي تنسب إليه الطائفة العدوية . ونقل الموسوسيو في نسبة عن يامين افندي الخطيب العمري الموصللي قال : عدي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان بن الحكم ابن أمية كان عريقاً في علم الشريعة وأبلاه الله بمصيبة إذ زعم اليزيدية أنه اله واتخذوا قبره مقاماً يحجون إليه ^(٢)

فالأكد عندنا أن مقام الشيخ عدي أي معبد اليزيدية كان قديماً ديراً والأدلة على ذلك كثيرة منها النصوص التاريخية كمنظومة يشوعياب بن المقدم ورسالة راميشوع ثم التقليد الجاري عند النساطرة وموقع هذا المقام في محل منعزل عن العمران في وسط الجبال ثم بنيته على نسق الدائرة الباقية إلى اليوم وغرفة المقصورة في الصخور كما تراه في دير ربان هرمز الفارسي ثم الخطوط السكلدانية بالقلم الأسطرنجيلي التي ترى اليوم على بعض جدران المعبد ^(٣) . قال الموسيومان (*Menant*) يرى الباحث المدقق في هذا المقام آثار دير قديم في هندامه على شكل الدائرة القديمة ثم بقايا كنيسة ومي في شمال جهته الشرقية

M. Sioeffi loc.cit. p. 81 (١)

F. Nou. p. 19, 23 (٢)

(٣) طالع سياحتنا في مجلة المشرق ١٩٢٢ - ٨٢٢

من الشرق الى الغرب الا اننا لانعلم كيف أصبح هذا الدير زاوية للشيخ عدي الاموي ولا كيف آل أمره الى يد ابناء الأمة اليزيدية

الفصل السادس عشر

تمة اخبار الوزراء الجليليين

استقال نعمان باشا بعد سنة من ولايته لمرض اعتراه فأقيم مكانه أحمد باشا بن بكر أفندي وفي مدة حكمه ثارت بين الاهالي فتنة حالت دون مرامه من الاصلاح واشتدت حتى آلت الى اشهار السلاح وايقاد نار حرب أهلية ، وفي تلك الفوائل قتل أحمد باشا . فوردت الاوامر من الباب العالي بتعيين الوزير محمود باشا الجليلي وبولايته تم الصلح بين الاهالي وهدأت تلك الروبة . وكان الاكراد في الجبال قد شقوا عصا الطاعة فاكثروا الغارات على قرى المسيحيين حتى أجلاوا أهلها وادام عصيانهم وظلمهم الى سنة ١٨٠٨ (١٢٢٣ هـ) وكان السلطان محمود خان الثاني ذا رغبة شديدة في الاصلاح وهو يعد من أعدل واشفق سلاطين آل عثمان . فأرسل جيوشاً جرارة تحت قيادة الصدر الأعظم كورجي محمد رشيد باشا فقبل هذا الى كردستان لقهر اغواتها المتطاولين الساكنين في الجبال واستنجد الوزراء الجليليين فامدوه برجالهم واموالهم . ثم سار الوزير المشار اليه الى اقليم بهدينان والعمادية وافتتح كل المراكز والقلاع المحصنة المستقوى بها أولئك الاغوات المتمردين ونكل باعوانهم وقتل منهم ونفى . اما الذين أذعنوا فسلموا وحازوا التأييد بالتصرف في ولاياتهم التي كانوا يديرون دفعة شؤونها ، ومنهم كان درويش بك أمير أرزن^(١) . وتوفي محمود باشا في بغداد سنة ١٨٠٩ (١٢٢٤ هـ) . وفوضت الولاية الى سمد الله باشا نجل الحاج حسين باشا وكان عالماً فقيهاً يحل العلم واربابه فسعى مدة ولايته في نشر الوية العلم بين ظهرائي قومه غير ان المنية اختطفته قبيل

أو أنه سنة ١٨١٢ (١٢٢٧ هـ) ودُفن في جامع الرابعية وهو الجامع الذي شيدته رابعة خاتون أخت الحاج حسين باشا . ثم تقلد الولاية بعده الوزير أحمد باشا بن سليمان باشا سنة ١٢٢٧ هجرية ، وصهر جامع نبي الله شيث ومدرسته وأوقف لها الأوقاف الكثيرة . ثم نقل الى ولاية مرعش حيث توفي سنة ١٨٢٣ (١٢٣٩ هـ) وكان رضي الاخلاق ذا حزم وعقل ثاقب فقال فيه الشاعر :

منه الوزارة نالت مجداً أثيلاً مؤبداً

لو نستطيع لقات لازلت أحمد احمد

وتولى بعده حكم الموصل الوزير حسن باشا نجل الحاج حسين باشا سنة ١٨١٧ (١٢٣٣) وكان هذا عالماً نحريراً عمر المدرسة الحسنية التي اشتهرت بوقته وسمى بتنشيطها بكل الوسائل الممكنة . وفيه يقول السيد شهاب :

كالحسن الوزير ما ابصرت عين المعالي من وزير حسن

خيراته الحسان ما تنتهي أو تنتهي أعمار أهل الزمن

ثم ولي الولاية عبد الرحمن بك بن عبد الله بك سنة ١٨٢١ (١٢٣٧ هـ) وتوفي بعد تقلده منصب الولاية بأيام يسيرة خلفه الوزير يحيى بن ليمان باشا سنة ١٨٢٢ (١٢٣٨ هـ) وخول رتبة كبير الوزراء ، وكان له مدرسة شهيرة تعرف بمدرسة يحيى باشا . وفي مدة ولايته حدث غلاء ومجاعة عظيمة في الموصل فعمل فرنه وخفف وطأة الجوع وكان كريماً محباً للخير . صنف له عبد الباقي أفندي ديواناً سماه (نزهة الدنيا في مدح الوزير يحيى) وتوفي في القسطنطينية سنة ١٨٦٧ (١٢٨٤ هـ) وراثه الشاعر بقوله :

ان الوزارة ماتت من بعد ما مات يحيى

ومن تولى أيضاً حكم الموصل عبد الرحمن باشا بن محمود باشا سنة ١٨٢٦ (١٢٤٢ هـ) وفي آخر أيامه فشى في الموصل الطاعون فأهلك من أهلها خلقاً

كثيراً . وبعده أى سنة ١٨٢٨ (١٢٤٤ هـ) تولى الحكم أمين باشا بن الحاج عثمان بك بن سليمان باشا وهو آخر من تولى حكم الموصل من العائلة الجليلية وتوفي سنة ١٨٤٦ (١٢٦٣ هـ)

تناوب الجليليون على ولاية الموصل وحكمها مدة مائة وعشرين حولاً عرفوا فيها بالدعة وضعة النفس مع رفعة الشان والسؤدد الذى احرزوه بالرتب السامية . وكان حكمهم بالموصل أشبه بحكم مستقل ، لهم الوزراء والكتاب من الاهالي . واشتهروا في الخصال الحميدة والعدل وفعل الخير . فأنشد الشعراء مدحهم وغالوا سيما في الثناء على عدلهم والأمن الشامل في بلادهم فلا يسمع من الناقلين عن الأولين الا الممدحة عنهم والشكر على الخيرات التي كانوا يبذلونها للاهلين بيد فائضه عند ورود الآفات التي كانت تنتاب الموصل وقد أفاد هؤلاء الوزراء الاجلاء أهالي الموصل فوائد جمة بالجوامع والكنائس والمدارس الكثيرة التي شادوها والاقواف العديدة التي أوقفوها لها

وترك الجليليون لاولادهم املاكاً واسعة اقتنوها بثروتهم . وهي باقية خير دليل على حدة ذهنبهم وشدة ذكائهم . اذ انهم ربطوا تلك الاوقاف وجعلوها وقفاً للذرية لاتباع ولا تشرى كي لا يفقدها اولادهم من بعدهم كيفما تلونت الاحوال في مستقبل الازمان . وفي ذلك مبلغ الحزم واصالة الرأي ولا يزال الى اليوم اخلاف الجليليين الكرماء يسرون على تلك الاخلاق الحميدة والمكارم العديدة التي ورثوها من اجدادهم النبيلين ، فقد جمعوا بين سعة اليسار وحب الخير وضعة النفس . ولهم في قلوب أهالي الموصل منزلة رفيعة لسابق خدم عائلتهم الجليلية بحيث يحلمهم الكبير والصغير ويحترمهم الشريف والوضيع . وتحف بمجالسهم الهيبة والوقار ، فيقصدها الناس على اختلاف طبقاتهم ونحلمهم من علماء واشراف . وناهيك بخيراتهم الجزيلة لبأسي الخدباء وفقراءها جهاراً وسراً . أما مساعداتهم للفقراء في اثناء مجاعة الحرب الكونية التي اشتدت في هذه المدينة فهي اكثر مما سمعنا ورأينا

الفصل السابع عشر

ولاية قاسم باشا آل العمري ومقتله في بغداد

ثم قدوم أمير راوندوز الى اطراف الموصل

استقال أمين باشا من ولاية الموصل فتولاها بعده قاسم باشا بن حسن ابن احمد بن علي المفتي المعروف بأبي الفضائل آل العمري . وكان قاسم باشا ذا رأي صائب وحزم نقيب شهيراً بكرمه وحسن اخلاقه . ولما استلم مقاليد الحكم وتقلد زمام التدبير ازداد قدراً وشاناً وطبق عدله الآفاق . ونشأت خصومة بينه وبين داود باشا والي بغداد لم تقف على حقيقة اسبابها وتمكنت الخصومة بينهما حتى آلت الى العداوة فأخذ داود باشا يتحين فرصة للانتقام منه . ثم تهيأ له ان يستحصل أمراً من الباب العالي بقتله . وكان ثم تعيين ولاية الموصل وعزلهم منوطاً بانهاء ولاية بغداد

فقدم أغا التتر يحمل براءة الحكم بقتل قاسم باشا . ولما بلغ الموصل نزل ضيفاً عنده . فوقع في نفس قاسم باشا ريبة من مجيء أغا التتر الى بغداد . وأوجس خيفة من ذلك وعرف ان قدومه لا يكون الا لامر هام . ولا أهم مما كان بينه وبين داود باشا من الحزازات . فلما جن الليل وقد استغرق أغا التتر في سبات عميق أرسل قاسم باشا فاستدعى اليه رئيس العلماء عبد الله افندي وقال له أستريب بقدوم أغا التتر . ونفسي تحدثني ان في محفظته أمراً هاماً يتعلق بحياتي وأريد أن أزيح غني هذا الارتياب . ثم عمد الى محفظة أغا التتر وفتحها فوجد فيها البراءة التي تنطق بأمر قتله بناء على انهاء داود باشا . فأخذ قاسم باشا أمر قتله وأخفاه . فلما كان الصباح سار أغا التتر قاصداً بغداد وهو لا يعلم ما جرى . وعند وصوله اليها طلب البراءة في محفظته فلم يجدها فاطلع داود باشا على ضياعها . وأخبره أيضاً بنزوله ضيفاً عند قاسم

باشا ، فتحقق لديهما ان قاسم باشا أخذها ليلاً وأتخذ نفسه من القتل بمحذقه ودهائه

كان داود باشا كرجي الاصل نال الوزارة . وحكم في بغداد بعد قتل سعيد باشا وكان ذا علم غزير وشان خطير . فان حسن افندي بن محمود افندي يذكّر في اخبار العمريّة ان وجوه بغداد ما كانوا يستطيعون مقابلة داود باشا الا يوم الجمعة . ولا يجسرون على التدخين وشرب القهوة بحضوره لما يجدون من هيئته . فبعد خيبة مسعاه في قتل قاسم باشا باعوام نهر من أولي الامر في طامسة بني عثمان واشتدت هذه النفرة والوحشة حتى شق داود باشا عصا الطاعة على السلطان محمود خان الثاني . فوردت الاوامر الى قاسم باشا والي الموصل ان يشخص بمجيوشه الى بغداد ويفتحها . ثم يلقي القبض على داود باشا وأعوانه . فسار قاسم باشا الى بغداد وبصحبه أديب العراق عبد الباقي افندي الفاروقي . ولما انتهى اليها أتخذ رسولا الى أصحاب داود باشا ان يسلموه ويطيعوا للاوامر السلطانية . فاجابوه لو جئتنا فرداً لسلمناه لك لكننا نحاذر جند الموصل ونخشى غدرهم . فاذا كنت تؤثر السلم وحقق السماء اقبل الينا بنفسك ونحن نسلمه لك . ثم أقسموا له على ذلك . فقصدهم قاسم باشا بنهر يسير وعند وصوله اليهم . حمل عليه بعضهم من أهل الغدر وقتلوه غيلة . ومن ثم أرسل من القسطنطينية علي رضا باشا سنة ١٨٣٠ (١٢٤٦ هـ) مصحوباً بالاوامر المشددة في فتح بغداد والقبض على واليها . فقدمها علي باشا وافتتحها . ثم اتى القبض على داود باشا وأرسله مقيداً الى القسطنطينية . وخلف قاسم باشا في ولاية الموصل محمد سعيد باشا بن ياسين افندي سنة ١٨٣١ (١٢٤٧ هـ) وفي اثناء ولايته قدم الى اطراف الموصل محمد باشا أمير راوندوز المعروف بميركور أي الامير الاعور . وكان السبب في قدومه على ما نقله لنا أحد الافاضل أن أمير اليزيدية كان قد قتل غدرآ علي أغا الباطني (من بالطة بجوار بريقكان على مسافة بضع دقائق) وكان علي أغا رعيم عشاير

الالكوشية . فرجع ابن أخيه ملايحي أفندي المزوري العالم الفاضل ظلّامته الى ميركور واستعداه على اليزيدية قتلة عمه . فأقبل ميركور وعبر الزاب الكبير بجنود كالجراد . وهاجم اليزيدية فقتل منهم خلقاً كثيراً ولاذ منهم بالهزيمة الى جبل جودي فطور عابدين لجبل سنجانار . ومنهم اعتصموا في الجبال واختفوا في الغابات والاحراش ومنهم عدد عظيم فروا هارين الى الموصل الا انهم لم يجدوا فيها ملجأ فان الجسر كان قد أزيح عن دجلة خوفاً من غائلة جنود راوندوز . فلحق الامير بالهاربين من اليزيدية وكافوا قد تحصنوا في قل قوينجق . فحاصرهم أياماً حتى استولى عليهم فاعمل فيهم السيف وقتلهم عن بكرة أبيهم . ووجدنا في تاريخ دير ربان هرمزد (وهو تاريخ خطي يتعلق بحوادث الدير المذكور) كلاماً مسهباً عن قدوم ميركور الى هذه النواحي وعن مظالمه فيها من نهب وتخريب وقتل الى غير ذلك ويذكر ان قدومه كان أولاً الى جزيرة ابن عمر سنة ١٨٣٢ (١٢٤٨ هـ) فنهبا وقتل من اهلها خلقاً كثيراً . ثم تحول عنها الى ازخ فوجد اهلها متهيئين الى حربه . واهد قتال عنيف دام أياماً طاد عنهم بصفقة خائب الى مجاورات الموصل ونزل في قرية حطارا فاخذ اهلها اليزيدية بحمد السيف ، ثم اقبل بمسأكره الى انورا حيث اطلع على وهن الموصل وقلة جندها في تلك الآونة . فتقدم الى قرية القوش وبعد ما نهبا وقتل من اهلها عدداً كثيراً بحيث لم يسلم من يده الا من هرب الى الجبال سار الى دير الرهبان هرمزد المجاور للقرية المذكورة فنهبه وقتل قسماً من رهبانه فاخذت تلك الاراضي بدم الابرياء . وللقس دميانوس الالقوشي قصيدة ضافية الايات في اللغة الكلدانية يصف ويلات تلك الكارثة ومظالم ميركور

وهنا جدير بنا ان نقف لنلقي نظرة على هذا الاثر الجليل الذي يصف لنا حسن موقعه الاب مارتان بقوله : وموقع هذا الدير من أجل المواقع الطبيعية بل انه يعد من الآثار الفريدة اذ لا نجد له نظيراً شرقاً ولا غرباً ،

وقد يسوغ لنا ان نشبهه بدير القديس سابا الواقع قريباً من اورشليم . اه
 ان هذا الدير الشهير يجاور القوش قرية ناحوم النبي الواقعة في شمالي
 الموصل عن مسافة عشر ساعات ، وهو مبني في صدر جبل من سلسلة جبال
 قردو المعروف بجبل بيت عذري اسمه ربان هرمزد في حياته . وقد أورد
 ابن المقدم في مقالته عن الاديرة : ان عتبة (والاصح عتبة) ملك الموصل
 شيد للربان هرمزد ديراً بقرب صومعته في الجبل وأوقف له أملاكاً وأراضي
 وارحاء . ويؤيد عامة المؤرخين العرب قدوم عتبة الى الموصل وبنينوى فيذكر
 ابن خلدون في تاريخه ان فاتح الموصل هو عتبة بن فرقد سنة ٦٤٠
 (٢٠ هـ) أي في العهد الذي به عمر ربان هرمزد ديره في جبل بيت عذري
 وسكنه كما يؤكد صهر بن متى الطيرهاني ^(١) وما زال هذا الاثر الجليل باقياً
 الى اليوم بفرقه وقلاليه العجيبة المنقورة كلها في صخور عظيمة وعددها
 يتجاوز المئات معلقة في ذلك الجبل الشاهق فتلوح للناظرين كأوكار للاطيار
 التي تملأ بتغريداتها فضاء تلك الآكام والوديان . وبين تلك الغرف الصخرية
 مراق عجيبة تصلها ببعضها ثم تنفذ الى الكنيسة . وأعجب ما يرى هناك
 مائدة الرهبان وهي حجرة واسعة فسيحة مربعة الشكل تبلغ مساحتها نحو
 خمسين متراً مربعاً منقورة في صخرة عظيمة وفي وسطها ثلاثة عواميد عظيمة
 من الصخرة عينها . ومنها أيضاً المقاعد والرفوف والكوى . وفي هذا الجبل
 عدة صهاريج منقورة أيضاً في الصخر بصناعة محكمة . ثم الكنيسة وهي
 مبنية من الكلس على صخرة عظيمة ناتئة في الجبل تشرف على واد عميق
 فيراها الناس من فرجته كأنها موطن الراحة ومربع الامن تدعوهم اليها
 ليدوقوا عذوبة الراحة

لسوء الحظ قد أصبح هذا الاثر الفريد لطول العهد هدفاً للاخراب واليوم
 يسكنه النزر من رهبان دير السيدة لطائفة الكلدان . ولرهبان هذا الدير فصل

عظيم لا ينكر في تهذيب انصارى الجبل المجاور (١)

والآن نعود الى ما كنا في صده من غزوة ميركور ، فانه بعد ما أخش
 نهباً وقتلاً في نواحي الموصل رحل عنها ثم عاد اليها في السنة الثانية وهي
 سنة ١٨٣٣ وكانت ولاية الموصل قد عهدت ثانية ليحيى باشا الجليلي ووصل
 ميركور الى جهات المقر نخرج عليه الزباريون وقتلوه قتالاً شديداً ثم تغلب
 عليهم فطرد أميرهم محمد سعيد باشا عن ولاية العمادية وجعل مكانه موسى باشا
 وكان موسى باشا قد نازع محمد سعيد باشا على الولاية ، ولما آيس من بلوغ
 امنيته التجأ بميركور واستنصره على أخذ الولاية لنفسه فقدم ميركور ونصره
 على خصمه وقتله الولاية ، ثم اقل ميركور راجعاً الى راوندوز فاعتصب
 اهالي العمادية وطرده موسى باشا وأعادوا محمد سعيد باشا على الولاية . ولما
 نهى الخبر الى ميركور حاكم راوندوز اقبل الى أطراف الموصل بجيش كثيف
 هلمت منه قلوب الاهالي لكنه لم يجسر على التقدم الى الموصل بل رحل
 بمساكره الى العمادية وأقام على حصارها ثلاثة اشهر حتى نفذت مؤن الاهالي
 وخارت قواهم ولم يعد لهم صبر على تحمل هذا الضيق والخوف من جوره اذا
 ظفر بهم . فصالحوه وسلموه سعيد باشا . ولما دخل ميركور القلعة غدر باهلها
 فقتلهم وقتل من رؤسائهم . ثم أقام عليهم والياً أخاه رسول بك فالتحقت العمادية
 براوندوز . أو بالأحرى أصبحت ادارة مستقلة حتى تولى الموصل اينجه
 محمد اليرقداري



الفصل الثامن عشر

اينجه بيرقدار محمد باشا ، واجرا آتة في الموصل

بعد ما ضبطت الحكومة التركية الموصل ونواحيها وطردت عنها المتغلبين من التركمان والاعاجم فوضت ادارتها الى ولاية أهليين . وذلك لاسباب أخصها رغبة الاهالي في حاكمية عربية كما تعودوه منذ القرون الطويلة ولم يخضعوا للحكومات التترية والتركانية الا كرهاً . فانهم ما زالوا يشوقون الى خلع نير عبوديتهم الثقيل حتى أقبلت جيوش الاتراك الى هذه البلاد وضبطتها كما أسلفناه . فقلدت ولايتها الى رجال من نفس الاهالي اتثقت باخلاصهم وصدقهم ، كثقتها بالرجال الجليليين وغيرهم . ورأت ذلك أسلم طاقية وأقرب صحة لتضمن البلاد لنفسها . اذ بذلك تكسب ثقة الاهالي فتأمن عصيانهم وثوراتهم مع ما هي عليه من بعد الشقة وقلة وسائل النقل فاكثفت منهم ان يستعرفوا سلطانها خليفة المسلمين وأن يخضعوا لها كحكومتهم بصرف النظر باديء بدء عن استجابة المال منهم بالخراج وغيره . وظلت ولاية الموصل يتناوب حكمها الولاة الاهليون غالباً . ثم لما امتنت الحكومة التركية من غوائل الاهالي أرسلت ولايتها من الاتراك وامتنعت من نصب الولاة الاهليين فمينت على الموصل بأنهاء والي بغداد اينجه بيرقدار زاده

كان محمد باشا تركي الاصل من مدينة بارطين في قسطنطيني . وكان قد خدم السلك العسكري في مصر وغيرها . ثم رحل الى الشام حيث مكث مدة طويلة ريثما جمع له أصحاباً ومريدين وشخص بهم الى ديار بكر ثم الى الموصل ونزل بظاهرها قريباً من باب سنجار فخرج عليه الاهالي وطرده عن الحدود . ولما انتهى خبره الى والي بغداد أرسل فاستقدمه اليه سنة ١٨٣٣ (١٢٤٩ هـ) وولاه متصرفية كركوك حيث بقي زهاء سنتين وشيد فيها قصرأ منيفاً لدار الحكومة على نهر شاطرلي

ولما عزّل محمد سعيد باشا آل ياسين افندي عن الموصل سنة ١٨٣٥ (١٢٥١ هـ) ^(١) فوضت ولايتها الى محمد باشا البيرقداري . فأقبل محمد باشا الى الموصل بثلاث كتائب من الجند النظامي وثلاثمائة من الخيالة . وكانت الولاية يومئذ مسلوكة إلا من كثيرة المشاغب الداخلية لمصيان اغوات الجبال . فأصدر محمد باشا أمراً بجمع النغير العام من الموصل ونواحيها فلبى الاهلون أمره كرهاً وسار بالجند الى اسماعيل باشا الذي عقب رسول بك على اماره المادية وقد شق عصا الطاعة على الحكومة واستقلّ بإدارتها مع ما يجاورها . فأقام محمد باشا على حصارها حتى افتتحها فهرب اسماعيل باشا بجنده الى ناحية نيروا شمال شرقي المادية ، وكان قد عمر قلعتها فامتنع فيها ^(٢) ودخل محمد باشا الى المادية . وبعد ما أصلح احوالها أناب عنه أحد اخصائه فيها ثم عاد وفي طريقه نزل على قرية « كر محمد عرب » وأرسل فأحضر اليه أمراء وأغوات الشيخان وقتلهم عن آخرهم . ثم رحل بجنده الى راوندوز لالقاء القبض على أميرها العاصي وهو رشيد بك فخاربه وشتت شمل أصحابه لكنه لم يتمكن من القبض عليه . لان رشيد بك لما رأى قوة محمد باشا لاذ بالهزيمة ومن ثم عاد محمد باشا الى الموصل وكان اسماعيل باشا قد جمع أصحابه ورجاله وأقبل بهم من جهة كردستان الى الموصل فأرسل يبذل الطاعة لايمنجه محمد ويطلب ان يقلده ولاية المادية كما كان قبلاً فلم يجب محمد باشا الى طلبه . واذ لم ينل مأربه نحول برجاله الى جزيرة ابن عمر حيث أقام مدة يرأسل اكابر المادية ويلاينهم باذلاً لهم المواعيد حتى انقادوا له وسلموه القلعة سنة ١٨٤٢ (١٢٥٨ هـ) فدخلها واستقل بها . ولما بلغ خبره الى محمد باشا جهز عسكرياً وسيره الى اسماعيل باشا فالتشب بينهما قتال شديد بجوار قرية عينتوثا دارت

(١) توفيق فكرت ص ٢٩٨

(٢) عن تاريخ المادية وهو كتاب خطي في اللغة العربية محفوظ عند احمد اشرف قرية زبروا من قرى المادية نقل لنا شيئاً منه حضرة صديق افندي السملوحي

دوائر على اسماعيل باشا فانتكسرت عساكر العمادية وولوا منهزمين الى الجبال بعد ما أضرمو النار في القرية المذكورة . وكانت عساكر الموصل قد طادت على أعقابها فلم اسماعيل باشا شعث رجاله وأقبل بهم عن طريق الجبل قاصداً الموصل وفي طريقه مرّ على قرية القوش فنهبها وقتل من أهلها خلقاً كثيراً وأرسل من رجاله الى دير الربان هرمزد فنهبوه ثم أحضروا رهبانه وكانوا قد اختفوا لشدة خوفهم وأوجعهم ضرباً وأذاقوهم من تباريح المذابات الفادحة شيئاً كثيراً . وكان خبر قدومه قد نعى الى محمد باشا فأرسل عليه فرقة من الجيش . ولما أحس بهم اسماعيل باشا هرب برجاله واستاق معه رئيس الدير المذكور الاسباحنا ورهبانه وأرسلهم مقيدين بالاغلال الى العمادية وهم حفاة عراة . ثم ان العساكر الموصلية سارت تقفو أثره حتى أدركته بجوار الشيخكان فناوشوه القتال ثم احتاطوا به من كل صوب غير انه تخلص منهم برجاله الى العمادية حيث تحصن

وكانت هذه الاضطرابات الجارية في داخلية ولاية الموصل قد تبلغت الباب العالي وقد أشغل الحكومة العثمانية خاصة خروج ميركور الراوندوزي وتسيطره على اطراف الموصل ومظالمه الدموية فيها . فأرسل الباب العالي الوزير الشهير مصطفى رشيد باشا الديبلوماس لقطع دابر العصاة وحسم المشاغب السارية في الموصل ، فأقبل هذا الداهية السياسي بالجود الكثيرة والعدد الوفيرة الى الموصل واصطحب معه محمد باشا والي الموصل وعلي باشا والي بغداد وسار بهم يريد لقاء القبض على ميركور فخيمت عساكرهم في صحراء حرير (دشت حرير) وهي ناحية ما بين اربيل وراوندوز . وهناك أدركوا عجزهم عن لقاء القبض على الامير العاصي لمناعة حصونه وكثرة جنوده . فعمد ذلك السياسي الخطير رشيد باشا الى اعمال الحيلة ورأى خير ذريعة للقبض عليه استئمانه بالحيلة فراسله وأمنه حتى وثقه من نفسه فأقبل اليه ميركور صاغراً . كذا روته سالنامة الموصل نقلاً عن وثائق رسمية . ونقل

أحد أحفاد ميركور ان مصطفى رشيد باشا سار بالامير المذكور الى عاصمة
العثمانيين حيث نال العقو السلطاني والاذن بالعودة الى وطنه . وبينما كان في
الطريق عند سيواس فاجأه التتر (حامل البريد السلطاني) يحمل البراءة في
قتله الى والي سيواس فقتل في سيواس ودفن فيها

ولما تم القبض على ميركور انقلبت المساکر العثمانية الى العماوية وشدوا
عليها الحصار واقاموا عليها اياماً حتى افتتحوها وامسكوا اسماعيل باشا وساقوه
الى الموصل مكبلاً بالاغلال ومن هناك أرسل الى بغداد ففك عقال الرهبان
وكان الابا حنا قد توفي في السجن لشيخوخته ولشدة ما اصابه من الضرب
اشهر محمد باشا بهمة الباذخة وسعيه في تعمير دور الحكومة وهي باقية
الى اليوم فانه جمع اليه تجار المدينة واغنياءها والزمهم باعطاء المصاريف المطلوبة
لوجه ذلك فشىد الثكنة العسكرية والمستشفى وجامع سوق الخنطة وجدد مزار
دانيال النبي واقام ابنية كثيرة في المراكز المربوطة بولايته ثم نظم احوال الجند
وانشأ لهم الافران العديدة واهتم أيضاً ببنائة معمل لصنع المدافع والقنابل
والبارود وغيرها من الاسلحة وجلب لذلك الصنائع الخدق فعمل ما ينبغي على
الثمانين مدفعا واليوم يرى منها مدفعا عظيما امام الثكنة العسكرية يقرأ على
أحدها ايات من الشعر في اللغة التركية منها :

ناشا طوپهاي وزير دلير امرى ايله وجوده كلدى بوطوب
أول محمد مشير با تدبير كه أوله فاتح وغا وحروب
همتيله ديدم بو تاريخى طوب آتش فشان اعداى كوب

١٢٥٩

وكان محمد باشا شديداً فيما يرومه قاسياً على العصاة فظاً شرساً مع الأهلين
من ذلك انه لما ثارت أهالى الموصل وأبوا قبول القانون العسكري وتنفيذه
أرسل اليهم أحد اعوانه يدعى قاسم افندي ليدعوهم الى الطاعة ويقنعهم في
الاذعان الى القانون العسكري. فلما أقبل رسوله الى الاهالي ثاروا عليه وقتلوه .

محاضر محمد باشا عشرين مدفعاً صوبها على المدينة ثم أرسل عليها بعض الكتائب النظامية فدخلوها ونهبوا أسواقها وسفكوا دماء أرباب كثيرين . ثم أمسك بعضاً من وجوهها وأرسلهم تقياً الى البصرة . ومن ثم انتقد الاهلون الى الاذعان . وصار محمد باشا يجند الاهالي من غير مراعاة السن والحال فكان يبت عسكراً في شوارع المدينة ليأتوه بمن يصادفونه ايا كان . وقصده من هذا التجنيد اجراء التوقيات الشديدة لقطع دابر العصاة والامصوص الذين كانوا قد كثروا في الموصل واطرافها . فنجح مسعاه وقصد العصاة من أهالي تلعفر وسنجار فقتل من كبارهم وأوساطهم ثم حمل على عشائر شمر وضعضعهم وأسر من شيوخهم الشيخ هجر وأتى به الى الموصل حيث أقام مدة ثم هرب . وباتت الولاية بعد تدميره العصاة من الاكراد والاعراب في أمن شامل . وضيق أيضاً على الذين يشربون المسكرات ويتعاطون المحرمات فكان يقاصص بالصلب والقتل من يشكى اليه بذلك . أما مالية الحكومة فكانت في وقته تجمع من المكس والحراج أي الاعشار ومن المسقفات وهي خمسة وعشرون غرشاً كانت تدفع عن كل بيت . وغرش واحد عن كل رأس غنم . وكان محمد باشا يسد مصاريف الولاية من هذا الاستجابة كدفع مرتبات الجيش والعلماء والخطباء ومساعدة الفقراء والمحتاجين الى غيرها . وتوفي محمد باشا سنة ١٨٤٣ (١٢٥٩ هـ) فدفن في جامع نبي الله شيت

ثم تعاقبت الولاة الاتراك على الموصل . وكانت الولاية في أول ايامهم في اضطراب من جراء الاختلال الدائم وتوارد النوائب ومن أشهرها الغلاء المعروف عند أهالي الموصل بغلاء الليرة سنة ١٨٧٨ (١٢٩٥ هـ) . وكانت الامطار في تلك السنة قد هطلت بغزارة . والموسم يبشر برخص وخصب وخير شامل وقبيل ان يضع الحصادون يدهم على المنجل هبت ريح سموم لاحقة أحرقت الزروع وجعلت سنابلها عصابة لا حب فيها . وعمت هذه الآفة ديار بكر وبغداد مع كافة نواحيها . وزاد على ذلك البرد الشديد حتى جمد

النهر وامتنع وارد الحنطة من ديار بكر وبغداد . فاشتد الضيق واستحكمت حلقاه لصعود أعان الغلة صموداً فاحشاً اعتباراً الى ذلك الوقت . ثم لندورها وقلتها . فأكل الناس لحوم الحيوانات المائنة وتلف منهم خلق كثير جوعاً ووجعاً لا كلهم الجيف . ومن أشد ما حكى عن حوادث تلك السنة المفجعة ان امرأة فقيرة باعت مصاغاً ذهباً لم يبق لها غيره بمبلغ مائة غرش وفي اليوم عينه تبلغ الامر من الحكومة المحلية بحط الدراهم أي تنزيلها فأصبح ذلك المبلغ بيدها ستين غرشاً . ولما قصدت السوق لتزود ما يقيتها ويقيت ابنتها الصغيرة صادفها نبال فسرقت منها دراهمها وعادت تلك المسكينة تنذب نكد طالعها لعلها انها أصبحت مع ابنتها فريسة بين انياب الجوع المدقع

الفصل التاسع عشر

مظالم الفريق عمر وهي باشا في الموصل

أنفذ السلطان عبد الحميد خان بن عبد المجيد الى نواحي الموصل الفريق عمر وهي باشا لثلاثة مقاصد اصلاحية : أولها تحسين أحوال الجند وتحصيل ما بقي من الخراج في ذمة الاهالي . ثانيها اخضاع عشائر شمر العاصية واسكانهم في بعض أراضي ما بين النهرين للزراعة . ثالثها تهذيب القبائل اليزيدية واقناعهم بالنصح وارشادهم الى اعتناق الدين الاسلامي . فدخل الفريق المذكور مدينة الموصل في ٥ حزيران سنة ١٨٩٠ (١٣٠٨ هـ) في ولاية عثمان بلشا . وبدأ في انجاز هذه المهمة . وأول ما فعله انه اتهم اعضاء مجلس الادارة باختلاس أموال أميرية فسجنهم مع بعض الاعيان في حبس العامة في ذلك الفصل الشديد القيظ وأبقاهم في السجن مدة ستة أيام ، ثم أمر باخراجهم فمزلم من وظائفهم . وانما بدأ في معاملة وجوه المدينة وكبارها بسوء المعاملة كي يخافه سواد الشعب فينقادون له انقياداً اعمى . وبعد هذا شكل لجنة تحصيلية تنظر في جميع ما تبقى على الاهالي من الديون الاميرية وأخذ يستعمل

العنف والشدة حتى أجبر الكثيرون من الفقراء على بيع ثيابهم ويوتهم لدفع المال تخلصاً من ذلك الفشوم الجائر . ومن تأخر عن دفع المال يأمر بأن يسود وجهه وتغلل يده ورجلاه بالحديد ويطاف به في الاسواق والشوارع كي يزيد الخوف في القلوب الهالعة . فجمع في مدة قصيرة عن ثماني سنوات مائة أموالاً طائلة بلغت ٥٢٠٠٠ ليرة ونيقاً من باقي التزام وضمان وبدل عسكري وخراج وتعداد غنم الى غير ذلك . فزاد في تعيينات العسكرية وشيد داراً للحكومة على طرز جديد . ثم أحضر كبار المدينة واغنياءها وحملهم الاعانات الجبرية فجمع منهم ألفاً ومايتي ليرة وصرف هذه الاموال في وجوه لم تكن كثيراً

وبعد فراغه من جمع الاموال عمد الى اخضاع العشائر العاصية من عرب وشبك وأخذ يبدل لهم الورق والعين في سبيل اسكانهم وتدريبهم على زراعة الاراضي . ثم أحضر شيوخ القبائل والزعماء وأمرهم بتسليم ما عندهم من أسلحة فلبوا طلبه رغبة بما وعدهم من المال فجمعوا له ٢٥٠٠ قطعة من انواع البنادق غير ان سميه في اخضاعهم لم يكن الا ضرباً على حديد بارد فان أولئك الاعراب ما زالوا جارين على ما كانوا عليه من العصيان وقطع الطرق . ومن اعماله انه أطلق جميع المسجونين من أصحاب الجنايات وكان عددهم ثمانين . وذلك من دون الاستئذان من الباب العالي ثم حط اثمان المسكوكات وهي الليرة والمجيدي . وبعد مضي ثمانية أشهر على ذلك وقد رأى التجار ما أصابهم من الاضرار الجسيمة والخسائر الفادحة رفعوا ظلامتهم الى المراکز العليا وأعطيت البرقيات من الوالي ومجلس البداية وتجار المدينة واعيانها وكل فريق منهم يتشكى من اغتصاب امواله وحقوقه المهتزمة . ولما اطلع الفريق على ذلك شدد المنع على ادارة البرق من ارسال البرقيات قبل اطلاعه عليها هو نفسه

الفصل العشرون

الحملات على اليزيدية

توالت غارات العساكر على اليزيدية . وقد ذكرنا عن حملة محمد باشا أمير راوندوز وعن غارته الشعواء على الشيخان ومذابجه فيها . ثم كانت بعدها حملة محمد شريف باشا على سنجار سنة ١٨٤٤ (١٢٦٠ هـ) وعقبها في السنة عينها تقريباً حملة حافظ باشا ^(١) وفي كلتا الحملتين جرت مذابح دموية قتل فيها على ما يؤكده الرحالة المستر لا يارد نحو ما يناهز ثلاثة ارباع سكان الجبل فمنهم قتلوا رمياً بالرصاص وبقتال الجسد ، ومنهم لجأوا الى المغاور والكهوف فحاصروهم الجند وأضرموا النار فيها فاتوا حريقاً أو خنقاً بالدخان ثم استاقوا الاولاد الى المدن حيث عرضوا للبيع لتزيد أثمانهم في ثروة الذين غمسوا يدهم في دم هؤلاء المساكين

قال الرحالة لا يارد : فاضطر اليزيدية ان يهجروا قراهم ويشكلوا عصابات للدفاع عن حياتهم فقطعوا الطرق وأخذوا ينهبون السابلة ويفجرون على القرى المجاورة . ثم حمل عليهم كريدلي محمد باشا سنة ١٨٤٥ (١٢٦١ هـ) فافش فيهم قتلاً وألقى القبض على زعيمهم الشيخ ناصر ولم يطلقه حتى شفع فيه المستر رسام وكيل الدولة البريطانية في الموصل فاطلق سراحه على شرط ان ينفذه اليزيدية فقدوه بمبلغ عظيم من الدراهم

وكان كريدلي محمد باشا من أشد الولاة وأقسامهم على أهالي الموصل فانه قبض على بعض منهم وزجهم في السجون العميقة وأوسمهم اهانة . وشدد في جمع الاموال الاميرية التي كان يسميها « ديش باره سى » درهم السن . وذكروا الرحالة لا يارد - وكان في الموصل اثناء ولايته - انه تمارض ذات يوم وتحدث

(١) جاء عنه في قاموس الاعلام أنه كان والياً على كردستان في حياة السلطان عبد المجيد

اعوانه باحتضاره ففرح الاهلون بهذا النبأ ، وكانت هو قد بث الميون والجواسيس ليستطلع نيات القوم فامسك من الاشراف بداعي أنهم يتجاوزون على حدود سلطته وأغرمهم أموالاً طائلة . وكانت عساكره قد انتشرت في القرى وبين القبائل وأخذت تنهب وتسلب حتى اضطر الاهالي ان يهجروا قراهم ويتركوا مزارعهم تخلصاً من هذا الظلم ، فعمدوا الى قطع الطرق تلافياً لمعيشتهم

وفي سنة ١٨٤٥ (١٢٦٢ هـ) زحف الوالي طيار باشا بمساكره على سنجار . وفي اليوم الثامن من تشرين الاول بلغ بهم عند قرية ميكران وهي من أهم قرى الجبل وقد دمرت أهلها النكبات العديدة من غزوة كريدلي محمد باشا تخافوا ان يصيبهم من طيار باشا ما أصابهم ممن سلقه . ولهذا أصروا على المدافعة ما أمكنهم . فأتقذ اليهم الباشا واحداً من خاصته مع شزيمة من الجند ليسكن روعهم ويدعوهم الى الاذعان والطاعة . فلما رآه الاهالي قادماً مع الجند خافوا دسيستهم فأطلقوا عليهم النار وأصابوا منهم فارسين وفرّ البقية . فاغتاظ طيار باشا من ذلك وحمل على القرية . وكان أهلها قد تحصنوا في الجبل بين الكهوف والصخور فقتل الجند من وجدوا فيها من الشيوخ والاطفال والنساء ^(١) ودام الجبل في اضطراب حال واختلال والحكومة العثمانية ترسل المرايا الواحدة تلو الاخرى حتى كانت حملات الفريق صمر وهي باشا وهي آخر نكبات اليزيدية وأشدّها هولاً

شرع الفريق بانجاز مهمته الثالثة وهي ارشاد اليزيديين الى اعتناق الدين الاسلامي فأتقذ يطلب زعماءهم فامتثلوا أمره كرهاً لما وقع من هيئته وخوفه في قلوب عموم أهالي الموصل ونواحيها . فحضر اليه من قرى الشيخان خلق كثير من اليزيدية مع أربعة من كبار زعمائهم وهم يجهلون سبب دعوتهم . ولما قاربوا المدينة خرج لاستقبالهم هو نفسه مع العلماء والأعيان يتقدمهم

(١) Nineveh and its remains. 21.

الامراء العسكرية مع كتيبتين من الجند والموسيقى العسكرية فدهش أولئك لهذا الاكرام الغريب والاحتفاء المعجيب وما زالوا يسرون بهم والموسيقى تعزف احتفاءً بهم حتى وصلوا دار الحكومة فوقفهم صفوفاً ثلاثة مع أميرهم ميرزا بك في صحن الدار ووقف الفريق مع الوالي والأعيان على درج المرقى ثم عرض على اليزيدية أمر الفريق بأن يلعنوا الشيطان فسكت جميعهم وكرر الأمر ثلاث مرات واليزيدية ساكتون كأن الطير على رؤوسهم . فأمر الفريق بضربهم فاشبعهم الجند ضرباً عنيفاً حتى مات منهم ثلاثة وألقى الجرحى في المستشفيات ليعالجوا والذين سلموا من الأذى جعلهم عنده وأكرمهم وأحسن مثواهم علمهم يهدون . ثم أبرق الى الاستانة يخبر باهتداء عشرين ألفاً من أبناء الأمة اليزيدية وعلى ذلك طلب أو سمة للأمر ميرزا بك واخوته فارسلت له الاوسمة وكان ميرزا بك مقيماً عنده اما بقية اليزيدية فانهم رجعوا الى قراهم رويداً رويداً . ولما رأى عمر باشا اذ مسعاه لم ينجح في طريق العنف والشدّة أرسل معلمين ليعلموهم القراءة وأصول الدين فطردهم اليزيدية وتهددوهم بالقتل اذا عادوا . ولما بلغ ذلك الى عمر باشا اتقذ ابنه مع كتيبة من الجند الى قرى الشيخان غمّلوا عليها ونهبوها واستاقوا مواشيها وسبوا نساءها واولادها وذبحوا من رجالها خلقاً كثيراً واضرموا النار في أربع قرى من الدنادية (وهي في غربي باعدرا تشتمل على ثمانى قرى يزيديّة اشهرها ببيان وطوغات) فاحترقت باهاليها ومواشيها . ثم سار الفريق عمر باشا على سنجار فاقام عليها مدة طويلة يحاول فتحها وفي مدة غيابه أخبر وكلاء الدول الأجنبية سفراءهم في الاستانة فاطلع الباب العالي على هذه المظالم وعلى أثر ذلك أقبلت الى الموصل لجنة تفتيشية متنكرة بزي جبليين لاستقصاء الاحوال وبعد وقوفهم على حقيقة مظالمه العديدة وصحة الشكايات ابرقوا الى الاستانة فتبلغت الاوامر بعزله وسافر الفريق الى الاستانة بصحبة اللجنة التفتيشية في شهر نيسان سنة ١٨٩١ (١٣٠٩ هـ)

ان اليزيديين مازالوا الى اليوم يذكرون هذه الذكبات باناشيد رثائية على طريق الحكاية يسمونها « ستران » ومنها يستفاد أهم حوادث تلك الوقائع

﴿الولاية الاتراك﴾

« الذين عقبوا اينجه بيرقدار محمد باشا في ولاية الموصل »

١٢٨٩	حاجى علي باشا	١٢٦٠	محمد شريف باشا
١٢٨٩	شبلي باشا دفعة ثانية	١٢٦١	كريدلي محمد باشا
١٢٨٩	عبدى باشا	١٢٦٢	طيبار باشا
١٢٩٠	ويسى باشا	١٢٦٣	اسعد باشا
١٢٩٢	وكيل الفريق نافذ باشا	١٢٦٤	وجيهى باشا
١٢٩٢	مصطفى نجيب باشا	١٢٦٥	علي أشقر باشا
١٢٩٤	أحمد فاضل باشا	١٢٦٦	محمد كامل باشا
١٢٩٥	فيضي باشا	١٢٦٧	مصطفى مظهر باشا
١٢٩٥	عبد النافع أفندي	١٢٦٧	متصرف حلمي باشا
١٢٩٦	وكيل الفريق محمد منير باشا	١٢٧٤	مصطفى باشا
١٢٩٨	تحسين باشا	١٢٧٥	ويسى باشا
١٣٠٣	فائق باشا	١٢٧٦	عبد الله باشا
١٣٠٤	رشيد باشا	١٢٧٧	حاجي يوسف باشا
١٣٠٥	الوكيل طاهر باشا	١٢٧٨	قائم مقام عطاء الله بك
١٣٠٧	عبد القادر كالي باشا	١٢٧٨	كنعان باشا
١٣٠٨	عثمان باشا	١٢٨٤	متصرف آصف أفندي
١٣٠٩	الوزير عزيز باشا	١٢١٥	ضياء باشا
١٣١١	صالح باشا	١٢٨٦	آصف أفندي دفعة ثانية
١٣١٢	الفريق عبد الله باشا	١٢٨٨	شبلي باشا

١٣٢٤	فريق زكي باشا الحلبي	١٣١٢	رفيق باشا
١٣٢٤	رشيد بك	١٣١٢	زهدي بك
١٣٢٥	فاضل باشا الداغستاني	١٣١٣	عبد الوهاب باشا
١٣٢٦	طاهر باشا	١٣١٤	عارف باشا المشير
	حسن محرم بك	١٣١٤	وكيل الوالي حمدي بك
	رشيد بك دوقتور	١٣١٥	حازم بك
	وكانا من أعداء الولاة	١٣١٧	ناظم بك
	سليمان نظيف بك / الأتراك واشفقهم	١٣١٧	فائق باشا
	أوأكثرهم فضلاً على	١٣١٧	حاج رشيد باشا
	أم الربيعين	١٣١٨	نوري باشا
	ممدوح بك	١٣٢١	مصطفى عيني بك
	الوكيل نوري بك		

الى حين الاحتلال البريطاني في ٣ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ (١٣٣٧ هـ)

الفصل الواحد والعشرون

مدارس الموصل في عهد الحكومة العثمانية

رأينا في خلال الفصول السابقة ما كان من أمر العلوم وانحطاطها في طامة هذه البلاد سيما في عهد الدولة الابلخانية والدول التركمانية ثم في زمن تسيطر الاعجام . ولما استولت الدولة العثمانية على الموصل وفوضت حكمها غالباً للوزراء الجليليين أحدث هؤلاء الوزراء النجباء نهضة علمية بما بذلوه من المساعي الحثيثة في انجاح العلوم ونشرها بالمدارس التي شادوها كما رأينا في اخبارهم . وقد تقدمت تلك المدارس تقدماً باهراً في مدة وجيزة وبلغت من العلم مبلغاً راقياً شهد به العلماء والادباء العديدون الذين نبغوا آثراً في الموصل وبرزوا في العلوم وفي الآداب اللغوية ونخص بالذكر منهم : عبد الله افندي

الدملاجي رئيس العلماء صاحب كتاب « شرح العصام في علم الوضع » طرأ به معارضه صالح أفندي السعدي كاتب الديوان . وعبد الله أفندي العمري رئيس العلماء . ومحمد أمين أفندي الخطيب الذي ترك خمسة عشر مؤلفاً مع رسائل وشروحات كثيرة . وعبد الباقي النفوري العمري صاحب كتاب « نزهة الدنيا » . والحاج محمد سعيد الجوادي . والأديب البارع محمد أفندي الغلامي . والسيد محمد أفندي الحسيني صاحب « تخميس القصيدة الحمزية » . والشيخ علي الفهمي . والحاج عبد الرحيم الفارز صاحب « الرحلة الى الاراضي المقدسة » . وأمين الجزية ملا مصطفى وله « تخميس بانت سعاد » وهو تخميس قيس . وأحمد عزت باشا العمري صاحب كتاب « العقود الجوهرية »

واشتهر من المعلمين في هذه المدارس الوطنية الشيخ يوسف العمري . والشيخ قاسم المعروف بابن الخطباز . والشيخ علي محضر باشي . والعالم المفتي عبد الرحمن أفندي الكلاك . والملا محمد أمين أفندي ابن ملا عبدة وغيرهم كثيرون سيرد ذكرهم وذكر مؤلفاتهم في الكتاب الثاني ان شاء الله

وأشهر هذه المدارس الوطنية هي مدرسة الباشا ومدرسة الرابعة ومدرسة النعمانية ومدرسة يحيى باشا . اما مواد دروسها فكانت الاصول الفقهية وعلم المنطق والفلسفة والعلوم الرياضية وتشریح الافلاك والآداب اللغوية من بديع ومعاني وبيان وعلم العروض كما استفدناه من بعض اوراق خطية تعاصر تلك الازمنة وتذكر سير بعض العلماء والادباء الموصليين

ثم لما آل أمر الولاية لولاية اترك اصابت المدارس فترة لانشغال الحكومة آنئذ في كبح جراح العصاة من بدو واكراد سيما في زمن ولاية اينجه بيرقدار كما رأيناه . ولما استتب الأمن في ربوع الموصل سمعت الحكومة العثمانية في انشاء المكاتب عدا مدارس الجوامع وتشيد أول مكتب بسمي الحاج فهمي أفندي بن مصطفى أفندي العمري بجوار باب الجيش (باب لكش) ويقرأ على بابه تاريخ بنيانه من نظم الحاج فهمي أفندي .

ثم افتتحوا فيه اصنافاً رشدية في عهد ولاية كنعان باشا سنة ١٨٦١ (١٢٧٨ هـ) فكان في الموصل الى حوالي سنة ١٨٩٠ (١٣٠٨ هـ) مكتب واحد رشدي ومكتب آخر ابتدائي . ثم اتسع نطاق المعارف تدريجياً حتى تعددت هذه المكاتب الابتدائية في الموصل وفي قراها المجاورة مع بقية المدارس الوطنية الاسلامية والمسيحية . ثم انشأت الحكومة العثمانية مكاتب رسمية أرقى درجة من الابتدائية فكان في الموصل حوالي سنة ١٣٣٠ هجرية مكتب اعدادي وهو يقابل بدروسه الصفوف الثانوية . وست مدارس أولية رسمية عدا مدارس الجوامع ومدارس الطوائف للذكور والاناث . ثم انشأت الحكومة العثمانية دار المعلمين ومكتباً للصنائع وقد أحدثت هذه المدارس حركة علمية بين الاهالي الا ان هذه الحركة كانت دون ما تستحقه الموصل بالنظر الى مركزها التاريخي والاقتصادي . وكان المرسلون الدومنيكيون ممن ساعدوا على النهضة العلمية في الموصل ، فقد أقبل هؤلاء المرسلون الى الحدباء سنة ١٧٥٠ (١١٦٤ هـ) باجازة البابا بندكتس الرابع عشر بعد مبارحة الرسالة الكبوشية وقد قبلهم الأهالي رغبة في الخير الذي املوه منهم ففتحو مدارسهم للطلاب من كل ملة ونحلة ولما رأوا ما يعانيه المعلمون والمتعلمون من المشقات لتقص الكتب اللازمة أسسوا مطبعتهم سنة ١٨٦٠ (١٢٧٧ هـ) سداً لهذه الحاجة وتسهيلاً للمعلمين والطلبة فطبعوا الكتب العديدة في اللغات الثلاث العربية والسكلدانية والفرنسية على أصول حديثة لتعليم الناشئة الجديدة ونشروها في الموصل وقراها

وكان الشماس روفائيل مازهجي الآمدي وطنياً والسكلداني جنساً من العاملين يومئذ في تنشيط العلوم في الحدباء فانه أسس من امواله الخاصة مطبعة مجهزة بكل لوازم الطبع سنة ١٨٦٣ (١٢٨٠ هـ) وأصدرت هذه المطبعة عدداً يسيراً من الكتب العربية والسكلدانية والفرنسية ثم هجرت الى اليوم . وانشأ أيضاً مدرسة داخلية للشبان وجهزها بجميع اللوازم غير ان هذه

المشاريع الجليلة ماتت بموت هذا الرجل المحسن وبعد موته بزمن يسير افتتحت هذه المدرسة الداخلية ثانية ثم استكمل بناءها ووسعها غبطة السيد عما نوثيل قوما بطيريك الكلدان الكلي الطوبى ، واليوم بهم غبطته العالية تضم هذه المدرسة بين جدرانها ما ينيف على الاربعين طالباً يتلقون الدروس الدينية مع سائر العلوم النظرية والأدبية

ثم أسست الحكومة العثمانية مطبعة أخرى في دار الحكومة سنة ١٨٨٥ (١٣٠٣ هـ) فصدرت جريدة رسمية أسبوعية اخلاقية اخبارية في اللسان التركي وبذلك المشاريع تسهلت سبل النجاح وتوفرت اسبابه ونشطت الشبيبة للعلوم وامتاز منهم كثيرون بذكاوتهم فاحرزوا الفوز في الرهان. ومنهم كثيرون سمحت بهم همته ان يقصدوا المدارس العالية في البلاد الراقية حيث تسنى لهم ان يأخذوا العلوم والفنون بحذافيرها واليوم تعد الحداثة من هؤلاء الشبان عدداً وافراً

أما تهذيب البنات وتنقيف مداركن علماً وأدباً فقد كان مهماً قديماً . ولا نغني قديماً بالاعصر العباسية وقبلها حيث تلقى ديوان الخنساء التي تعد من أشعر زمانها ، وفصاحة الزرقاء الكوفية ، وبلاغة الست زبيدة زوجة الرشيد وعلو آرائها في المهام السياسية ، وأم الخير البغدادية ، وزينب بنت أبي البركات ، وجوهر الدوامي وغيرهن كثيرات . فان نساء الشرق قد أثبتن فطرتهن الشعرية وذكاءهن في العلوم واستعدادهن لتلقي التهذيب الاخلاقي . فقد وصف أبو الحسن محمد الاندلسي حفلة شائقة حضرها في الموصل وذكر ما رآه من تهذيب نساء الموصل وآدابهن وانتظام حياتهن الاجتماعية ^(١) . انما نقصد بكلامنا الاعصر التي تلت الحكومات العربية حيث انحطت العلوم وقضي على حياة التهذيب فأصبحت المرأة الشرقية في العائلة مهتزمة الحقوق الاجتماعية لا تأثير لها في السلطة العائلية ولا مشاطرة لها مع رجلها في أموره

ومهامه . ولو سلمنا لها بهذا الحق فن أن لها التهذيب الشخصي ليقتبس من نوره اعضاء تلك العائلة

على انه كان يمنع على المرأة تعلم القراءة ، بل كان يعتبر تعلمها القراءة والكتابة ضرباً من الطيش . واليوم حالة أغلب قرى الموصل هي باقية على ذلك تنبيك عما كانت عليه الموصل نفسها قبلاً . حتى كانت التربية العائلية في أقصى حاجاتها . والحياة البيئية ليس لها شيء من التوازن العائلي . ولم تزل الموصل محرومة من مدارس الاناث حتى أقبلت الراهبات المعروفات باخوات المحبة وكان مجيئهن الى الموصل في شهر تشرين الثاني سنة ١٨٧٣ (١٢٩٠ هـ) ففتحن مدارسهن للبنات المسلمات والمسيحيات وسمعن كل السعي في تنقيف اخلاقهن وتعليمهن القراءة والكتابة وتدريبهن على الاشغال البيتية كالغياطة والتطريز والنقش وغير ذلك . ثم افتتحت الحكومة العثمانية مدرستين للبنات . فأنت تلك المدارس بأنمار صالحة وفوائد جمّة حيث نرى اليوم ان أغلب النساء الموصليات يتقن القراءة والكتابة في اللغة العربية . ويحسنّ الاشغال البيتية كالغياطة والتطريز الخ . ونؤمل اننا بتنشيط هذه المدارس وتكثير عددها للذكور والاناث نتعلم من أوروبا التوازن الاجتماعي ليعرف كل حقه من الحياة وواجبه فيها ونعرف الأم المهذبة تأثيرها في الهيئة الاجتماعية



الفصل الثاني والعشرون

استقلال العراق

بانت الموصل مع سائر بلاد العراق تحت حكم تركيا نحو ٣٨٤ سنة أي منذ استيلاء السلطان سليمان خان القانوني عليها الى أن احتلها الجيش البريطاني بعد انقضاء هدنة الحرب الكونية . وكانت الموصل في أوائل هذه السنين عرضة للحروب سجال بين الاعجام والعثمانيين الذين كانوا يتنازعونها ثم هدفاً لنبال الاضطرابات والانتقالات . ولما انحسرت تلك القلاقل وكف الاعجام عن منازعة الاتراك ، وتمكنت الحكومة العثمانية من القبض على ناصية البلاد ، وأمنت الفوائل الداخلية والخارجية باخضاع الاهالي وكسر شوكة المتنفذين ، ابت تقليد الوظائف المهمة الا لرجالها من الاتراك كما رأينا سيما بعد حكم الجليليين . ورأت ان خير ذريعة تتوصل بها الى ضبط البلاد العربية هي تضييف عصبيتهم شأن سائر الحكومات الفاتحة كما فعله اليونانيون والرومانيون في بلاد ما بين النهرين ، والتتر في بلاد العراق حينما أضعفوا اللغة العربية فيه . فقال ابن خلدون ^(١) : وبقيت اللغة العربية المضربة بمصر والشام والاندلس أما في العراق فلم يبق لها فيه أثر ولا عين وصارت الكتب العلمية تكتب باللسان المعجمي وكذا تدريسه . اهـ

وما زال بعض المتنفذين من الاتراك يسمون في تحقيق هذه الامنية كجعل اللغة التركية لغة رسمية والخط من قدر المدارس الوطنية الاهلية الى غير ذلك حتى تشكل الحزب التركي الشهير المعروف بجمعية الاتحاد والترقي بعد اعلان المشروطية في تركيا سنة ١٩٠٨ فكشفت هذه الجمعية القناع عن مخبات افكارها في تضييف القومية العربية بتريك عنصرها ودثر لغتها . فلما استشمر ابناء العرب بما آرب هذه الجمعية المبينة لهم ورأوا مصير أموال بلادهم

وقعها الى بلاد تركية أو مستترة وإمال عمران بلادهم إمالاً ظاهراً لدعتهم
 غيرة النزعة العربية ففقدوا الخناصر على صيانة حقوقهم العصبية بنوال
 استقلال قومي ، وقامت بعض البلاد بالمطالبة بهذه الحقوق وأخص هذه
 الحقوق جعل اللغة العربية لساناً رسمياً لحكومات البلاد المتكلمة بها ، وتقليد
 الوظائف الكبيرة والصغيرة للمأمرين أهليين . وقصدهم من ذلك تشكيل
 حكومات محلية حائزة على بعض الاستقلال القومي . ثم نزع كثيرون من
 خيرة شبان الحجاز والشام والعراق الى العواصم الكبيرة في أوروبا سعياً
 وراء هذه الغاية . ووجدوا في تلك العواصم من شد أزهر وأخذ بنصرهم .
 وتلك العوامل التي ثارت في أبناء العرب أحدثت في الايام الاخيرة من حكم
 تركيا مظالم عظيمة على البلاد العربية ذهب فيها كثيرون من خيرة أبناء العرب
 ضحية لمطامع بعض المفرضين من كبار المأمورين الاتراك

كان النفوذ والنصر في الشرق للعوامل الأدبية والمعنوية على العوامل
 المادية . ثم لما خضع لام غربية سامته ذلاً فوهنت قواه المعنوية وضعفت
 فيه عواطف الحرية وحب الاستقلال . وباتت كوميض نار خلال الرماد
 تتحين هبوب الرياح ليكون لها اضطرام

ثم ان العوامل الفكرية التي امتاز بها الغربيون على الشرقيين في العصر
 الاخيرة سرت كهربائيتها الى جسم الشرق فأعطته حركة قوية . وذلك ان
 الانقلابات الفكرية التي ظهرت في الغرب حوالي القرن التاسع عشر ليس فقط
 بين افراد الناس بل بين الحكومات والامبراطوريات العظيمة ولدت في
 الشرقيين الخاضعين لام غربية انقلابات فكرية وثورات معنوية في سبيل
 التخلص من ربة التسيطر . وهذا الانعكاس الفكري من الغرب الى الشرق
 سرى الى أبناء العرب وأخذ ينمو وينتشر حتى صمت هذه الفكرة داخلية
 البلاد العراقية كالبصرة وبغداد والموصل سيما في خلال سنة ١٩١٣ الى ١٩١٤
 وكان من الاسباب القوية التي استنهضت العرب الى المطالبة باستقلالهم القومي

الانقلاب الفكري عند الاتراك وقياهم على حكوماتهم العثمانية المطلقة ونواهم الدستور . وكان هذا الانقلاب العظيم الذي دهش له العالم قد حرك شبان العرب الذين كانوا في عاصمة العثمانيين وفي غيرها من عواصم أوروبا الى القيام للمطالبة بحقوق أوطانهم ف عقدوا مؤتمراً في باريس وشكلوا الجمعيات ومنها كانت جمعية العهد العراقي فأصبحت عامة الافكار في سائر الاقطار العربية نائرة ثورة معنوية ضد الحكومة العثمانية . وقام كبار الصحافة ورجال السياسة في أوروبا يعضدون الفكرة العربية ويعهدون السبل امامها . وبينما كانت هذه الجمعيات العربية تضرب على وتيرة واحدة مطالبة باستقلالها على أوراق الصحف كان جو السياسة في أوروبا قد اكفر بنعيم متكبرية لم تنكشف حتى أوقدت نيران الحرب بين صربيا والنمسا وروسيا والمانيا وفرنسا وانكسرت . ثم اندلعت ألسنتها النارية على تركيا . وذلك ان تركيا كانت معلقة آمالها على المانيا وبين هاتين الدولتين روابط شديدة توثقت عراها سيما سنة ١٨٩٧ ميلادية في زيارة امبراطور المانيا اصقاع فلسطين وتقوت هذه الروابط الولائية في اعطاء تركيا لحليفها خط طريق حديد بغداد . ثم زاد هذه الروابط توثيقاً احتياج تركيا الى المانيا في أزمة حربها مع الحكومات البلقانية سنة ١٩١٣ - ١٩١٤ حينما كانت حكومات أوروبا على وشك الاصطدام الهائل الذي علقته منه نيران الحرب الكونية

وكانت تركيا حينئذ واثقة كل الوثوق من ظفر المانيا فرضيت ان تتحمل معها اعباء هذه الحرب الشعواء أملأ ان تنال منها تعويضاً عن خسائرها القادحة في الحروب البلقانية باسترجاع مصر وغيرها فاستقر رأي جمعية الاتحاد والترقي على الاتفاق مع المانيا - رغماً عن خوفهم التقليدي من روسيا - ليكون لهم النصيب من الغلبة

وعلى هذا اضطرت حكومة بريطانيا الى اعلان الحرب على تركيا وأرسلت من ثم الى الاقوام العربية التي على سواحل شط العرب لتوقفهم على مجرى

السياسة وتوثقهم من نفسها مؤيدة لهم ولاءها القديم بما معناه : ليتنضح لكم ان الحكومة البريطانية هي مضطرة مع الاسف الى معاداة تركيا المدفوعة الى محاربتنا باغراء المانيا ، خدمة لمقاصدها وماآربها . ولهذا قدمت الحكومة البريطانية جيشاً الى شط العرب لحماية تجارتها ورجاها دفعاً لمظاهرات تركيا العدائية. وليتق الجميع ان الجيوش البريطانية لم تقاتل ولن تقاتل ابناء العرب اذ تعتبرهم من الموالين لها ، ولا تعاملهم كاعداء ما داموا على الحياد ، وجل مرامها هو تحرير الاقوام العربية وتنشيطهم الى التقدم علماً واقتصاداً . اه
وما دارت رحى الحرب على سواحل شط العرب حتى احتلت الجيوش البريطانية مدينة البصرة في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٤ (١٣٣٣ هـ) وبذلك قبضت على مفتاح العراق بيد من حديد

فانسحب جاويد باشا بعساكره وما زال القواد الاتراك يرجعون القهقري بعساكر تركيا حتى افتتح البريطانيون مدينة بغداد في اليوم الحادي عشر من شهر آذار سنة ١٩١٧ (١٣٣٦ هـ) . ثم أقبلوا الى الموصل وأقامت جيوشهم بين بغداد وشرقات سنة وبضعة أشهر. ثم تقدمت الى الموصل وكانت العساكر قد انسحبت عنها وتركها خالية من المأمورين والملكيين والمسكريين . فاعتنت البلدية المحلية بتشكيل حكومة مؤقتة لصون الأمن الداخلي . ودام هذا الحال مدة يومين . وبينما كانت العساكر البريطانية تحاول الدخول الى الموصل عقدت الهدنة بين الدول المتحاربة فدخلها البريطانيون وصادف دخولهم اليوم الثالث من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٨ (١٣٣٧ هـ)

ولما صار أمر البلاد العراقية الى يد الحكومة البريطانية تقوى عزم المدعين بالاستقلال القومي من ابناء العرب اذ كان رجال هذه الحكومة قد عضدوا النهضة العربية في مطالبتهم بالاستقلال وأمل العرب من ناصرهم وعاضديهم تحقيق أمانهم في الاستقلال . سيما وان الفكرة الغالبة في أوروبا كانت منح هذا الاستقلال للاقوام الصغيرة . ومن نتأج ذلك ان المعاهدات

الصلحية الأخيرة بنيت على مبدأ المحافظة على استقلال الجنسيات ورعاية مصالح الأمم الصغيرة . وأكثر الشعوب التي نصرت هذه الفكرة وأفسحت لها المجال هم البريطانيون . ثم نشأ في أوروبا حزب يخالف لهذه الفكرة فثار عليها الاعتراضات حتى اتهم الموالون لحركة الاستقلال القومي بالخيانة . ثم لم يعض زمن طويل على هذه الثورة حتى تغلب دعاة هذا الاستقلال بعد نضال عنيف فأيدوها الحلفاء وأذاعوا في جميع المحافل الرسمية ان سياسة الحلفاء ستكون مبنية على مبدأ المحافظة على استقلال الأمم الصغيرة استقلالاً قومياً . وظلت بذور هذا الاستقلال تنبت وتتقوى في العقول حتى تمكن رجال الحكومة البريطانية من تطبيق سياستهم القاضية باستقلال الولايات المنسلخة عن المملكة العثمانية التي معظم سكانها أو كلهم من العناصر الغير التركية

الفصل الثالث والعشرون

جلوس جلالة الملك الهاشمي ﴿ فيصل الاول ﴾ على عرش العراق

ان الحركة العربية ما زالت عاملة في نشاط وثبات حتى بعد خمود زيران الحرب السكونية . وكان جلالة الملك حسين ملك الحجاز وهو العامل الأكبر في لم شعث الأمة العربية وتوحيد كلمتها يواصل سعيه في مراجعة دول الحلفاء ويستميل قلوبهم الى المتكلمين بالضاد مطالباً بحقوق أمته النجيبة . بينما كان انجالة اعلام الهدى وآيات الاخلاص الذين خاضوا غمار الحروب الداحسة يبذلون قصاراهم في الذب عن حقوق الاوطان فان العراقيين لم تزل الى ذلك الحين حجة في سبيل استقلال الاقطار العراقية والسورية . وكانت القلوب قد التفت حول سمو الامير فيصل فاتح الاقطار السورية وقد أصبح قطباً لرحي سياستهم فذهب الى أوروبا ليحضر مؤتمر السلم المنعقد في باريس مندوباً عن والده صاحب الجلالة الهاشمية للمطالبة باستقلال العرب . فقرر رأي المؤتمر على المناداة بالامير فيصل ملكاً على سورية . الا ان تلك الحركة خالفت مساعي

خرنسا وأوغرت صدرها على الحكومة العربية السورية فاحتلت فرنسا البلاد احتلالاً عسكرياً وقوضت دعائم تلك الحكومة الوطنية الحديثة البناء أما في العراق فكانت حركة جمعية العهد العراقي قد دخلت في طور جديد وظهرت بمظهر سياسي خطير فتجلت روح الاستقلال بشكل عملي عام . وقد بدت منها طلائع الثورة فان رجال جمعية العهد قد عقدوا في ٩ آذار سنة ١٩٢٠ اجتماعاً في دمشق ونادوا فيه بسمو الامير عبد الله نجل جلالة الملك حسين ملكاً على العراق على ان ينوب عنه أخوه سمو الامير زيد . واستند رجال الجمعية في عملهم هذا على وثائق رسمية من الشعب العراقي تخولهم حق النيابة في المناداة بسمو الامير ملكاً على العراق . وقد أثر هذا الحادث تأثيراً عظيماً في العراقيين فتوى آمالهم وشدد عزائمهم

وكانت الادارة العسكرية البريطانية في العراق تسير سيراً حثيثاً في ازالة الاحن والصعوبات الناشئة في سبيل انجاز مهمتهم واجابة طلب الاهالي من تشكيل حكومة وطنية مستقلة . فوزع الكولونل ا . ث . ويلسن الذي كان وقتئذ وكيل القوميسر الملكي بياناً على الحكام السياسيين في المدن والاقضية خلاصته استفتاء الاهالي . وقد طبعت نتيجة الاستفتاء في كتاب خاص وحمل الكولونل ويلسن هذه المجموعة الى باريس فلندن . وعلى أثر ذلك عهد للحكومة البريطانية بالانتداب على البلاد العراقية الممتدة من الحدود الشمالية لولاية الموصل الى خليج العجم وتقرر تأليف حكومة وطنية . فقدم الى العراق للقيام بهذه المهمة نخامة السر برسي كوكس المعتمد السامي لجلالة ملك بريطانيا العظمى وكان وصوله الى عاصمة العراقيين في شهر تشرين الاول سنة ١٩٢٠ لانجاز السياسة المؤيدة والمنوي اتباعها في القطر العراقي تحت مراقبة حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى وبمساعدها في تشكيل حكومة وطنية يتخير الاهلون شكلها . وعلى هذا أمر المعتمد السامي بتشكيل وزارة أو مجلس مؤقت برئاسة صاحب السماحة السيد عبد الرحمن أفندي الكيلاني نقيب

اشراف بغداد يعمل مع الادارة السياسية ريثما يتقرر شكل الحكومة الوطنية في هذه البلاد . وبعد مضي عشرة أشهر على افتتاح المجلس المذكور حينما انحسرت القلاقل وتمهدت الامور تقرر حينئذ بانتخاب عامة الشعب العراقي ان تكون الحكومة العراقية ملوكية دستورية ديمقراطية . وجرى التصويت العام فبويع لسمو الامير فيصل نجل الملك حسين سليل الالوية الهاشمية ملكاً دستورياً ديمقراطياً على القطر العراقي وذلك بعد عودته من أوروبا حيث كان يشغل في القضية العربية . وجرى تنويجه في بغداد في اليوم الثالث والعشرين من شهر آب سنة ١٩٢١ وكان يوم تنويجه باهراً استعاد فيه العراق مجده العباسي بملكه الهاشمي فدوت ارجاؤه بالابتهال وأدعية النصر بأخلص عواطف الشعب للمليك المفدى صاحب الجلالة فيصل الاول المالك سعيداً . وقد عقدت آمال الأمة على جلالة . أيد الله ملكه بالنصر والسعد

الفصل الرابع والعشرون

نظرة اجمالية في الموصل الحالية

ان مدينة الموصل واقعة في سهل جميل فسيح يحيط بها سور بشكل مثلث غير منتظم يبلغ محيطه عشرة آلاف متر على التقريب . وفيه للمدينة عشرة ابواب وهي : باب الجيش المعروف بباب لكش وباب العراق المسمى أيضاً الباب الجديد وباب الابيض أو باب البيض وباب سنجار وباب المهادي وباب الشط وباب القلعة المسمى أيضاً باب السور أو السر وباب الجسر وباب السراي وباب الطوب . اما اليوم فالقسم الأعظم من هذا السور قد تهدم بحيث انه أصبح ردماً مع بعض آثاره أي جدران وقلاع . ويدور بهذا السور خندق واسع كانت تحول اليه مياه دجلة عند ورود العدو

بناية الموصل - لم يبق عمران الموصل منحصراً ضمن الاسوار بل قد

شيدت في ظاهرها بعض البيوت والقصور والازال على الأساليب الحديثة ، ومعظم هذه الابنية هو في شمالي المدينة وجنوبها . اما ابنية جهتها الغربية فأكثرها ابنية قروية في غاية الحطة والبساطة ، لا سيما قسمها الذي يلاصق الاسوار اذ يسكنها غالباً اعراب لا اجادة لهم في البناء وهم مازالوا الى اليوم جارين على بساطة عيشهم وسذاجة عوائدهم القديمة ملبساً وما كلاً

وترى البيوت في الموصل ملاصقة لبعضها وأغلب أزقتها حرجة ضيقة بحيث ان المارين في بعضها لا يستطيعون المرور الا فرادى . وقد نشطت الحكومة التركية قبل الحرب الكونية لتوسيع الازقة والشوارع وانشاء الجواد ففتحت جادتين واسعتين احدهما تقطع المدينة من جنوبها الى شمالها وهي جادة النبي جرجيس والاخرى تشق المدينة في وسطها من الشرق الى الغرب وهي جادة نينوى ، وقبل نجازهما دخلت الموصل جيوش الاحتلال فاستكمل الانكليز هاتين الجادتين ، وشيد الاهلون على جانبيهما الابنية الشائقة المزخرفة

اما بناية الموصل فهي على العموم بالكس « الجص » والرخام والمرمر الابيض الضارب الى الزرقة ويستخرج هذا المرمر من اراضٍ مجاورة يكتشفها أهل الخبرة وارباب الصناعة . وليس في هذه الابنية شيء من المواد الخشبية ولهذا فبيوت الموصل هي في مأمن من الحريق الذي يحدث في غيرها من البلاد وبهذا الاعتبار تعد من الابنية النفيسة غير انها ذات تأثير شديد في مناخ المدينة اذ ان موادها الانشائية أي الكس والمرمر تقتبس بسرعة حر القيقظ وقر الشتاء فتكسب المناخ حراً وبرودة بل قد تزيده اضعافاً

ان تقويم الموصل ^(١) يورد لنا عمران الموصل وهذا هو : (١٣٠) جامعاً (١٧) كنيسة (٨) اديرة (٩١٢٦) بيتاً (٣٠٦٢) دكاناً (٤٠) زلاً أوخان (١٧) حماماً (٦٥) قهوة (٢٠) بستاناً (٢٥) قصرأ . ويلاحظ ان

الجوامع والكنائس والاديرة وغيرها من الابنية المعمورة لم تزل باقية على عددها كما وردت في التقويم اما الابنية الخصوصية من بساتين وانزال وقصور على الانساق الحديثة المزركشة فقد زادت عدداً مما كانت عليه في ذلك العهد. وبعد الاحتلال البريطاني مدّت الانكليز على (دجلة) جسراً آخر عدا الجسر الاصل على الطرز الجديد. وأنشأوا التنويرات الكهربائية في الجواد ووسعوا الطرق. وجعلوا المستشفيات على الطراز الصحي الجديد. وتسمى الآن بلدية الموصل بعد أن اتيب الماء الى البيوت. وبهذه الاصلاحات الفنية والصحية تحسنت أحوال المدينة. وتسمى الحكومة أيضاً في انشاء معاهد العلم وتعدد المدارس للبنين والبنات

سكان الموصل - ينتمي سكان الموصل الى أصول ثلاثة أقدمها الاصل النبطي وهم بعض سكان قرى الموصل وما زالوا يحافظون على لغتهم الآرامية. ثم القبائل العربية التي سكنت الموصل بعد الفتوحات الاسلامية كما أسلفناه. وبعضهم لا يزالون على لغتهم وملابسهم البدوية وعوائدهم القديمة حيث انهم على خلاف ما يتعاطاه قاطنو المدن من الترف والبذخ كالتألق في الملابس واستعادة المطابخ واتخاذ القصور. وهم يقطنون بالاكثر غربي المدينة. ومنهم القسم الاعظم قد امترجوا بالاتراك واتخذوا عوائدهم بحكم القاعدة ان المغلوب مولع أبداً بالافتداء بالغالب. فتربوا بزيائهم واتخذوا شعارهم واقتبسوا عوائدهم في سائر احوالهم أي في الملابس والمأكل والمشرب

وأهالي الموصل ذوو قامة متوسطة حسنة سمر اللون مع انتظام في ملامحهم متوقدو الذكاء حادّو الأذهان سريعو الحركة تتدفق حياتهم همه ونشاطا للعمل فلا تراهم يتوانون في الاشغال وفيهم المنافسة على وجه المباراة في طلب الثروة والاقبال على الوظائف والمراتب الى حد الحسد. ولهذا قلما يحفلون بالقصص والملاحي. فيرون غالباً مطرقين يهتمون للمستقبل. حتى أن الرجل منهم ليدخر قوت سنتين من حبوب الحنطة وغيرها من ضروريات

المعيشة وياكر الأسواق لشراء قوته اليومي مخافة أن يرزأ شيئاً من مدخره .
 وهم شديدو التمسك بعري الأديان محافظون على مبادئ الأخلاق القويمة أتم
 المحافظة . على أن شهرتهم الصالحة في الاخلاق قديمة يتوارثها الاخلاف عن
 الاسلاف فقد شهد لهم بذلك السياح العرب كأبي الحسن الأندلسي (النصف
 الثاني من القرن السادس الهجري) فانه ينوه بالذكر الطيب عن أهالي الموصل
 ويعدح مبراتهم وحسن أخلاقهم بقوله : وأهالي الموصل على طريقة حسنة
 يستعملون أعمال البر . فلا تلقى منهم الا ذا وجه طلق وكلمة لينة . ولهم
 كرامة للغرباء واقبال عليهم . وعندهم اعتدال في جميع معاملاتهم (١) . وكذا
 أورد عنهم أبو عبد الله الطنجي (مبادئ الجيل الثامن الهجري) : أن لاهل
 الموصل مكارم أخلاق ولين كلام . وفضيلة ومحبة الغريب (٢) اه . وما زال
 أهالي الموصل مثابرين على تلك الأخلاق الكريمة التي كانت القبائل العربية
 تتنافس بها كإكرام الصالحين والغرباء وأهل الاحساب . وانزال الناس منازلهم
 والأخذ بناصر المظلوم مع شجاعة ومروءة ومحبة لبعضهم لا تميز ملة ولا نحلة
 وقد ثبت توادهم في ظروف كثيرة نضرب صفحاً عن إيرادها حذراً
 من الاسباب

أعمالها الزراعية - ان الموصل مدينة زراعية أكثر منها تجارية لحسن
 هوائها . وزكاء منابتها . وخصوبة أراضيها . وجهتها الشرقية جبلية كثيرة
 الاثمار ، كالعنب والتين والزيتون والمشمش والمان والدراقن والأكاجص
 والتوت الاسود والاييض والجوز واللوز والتفاح . وسائر أنواع الفواكه .
 وتمتد خلال جبالها ورباهها سهول واسعة ترويه دجلة والزاب الاعلى ونهر
 قادر ونهر الخازر ونهر الخوصر وبعض العيون الكبيرة التابعة من الجبال .
 وأشهر هذا القسم زراعة أراضي الشيخان والعشائر السبعة وتزرع فيها

(١) ابن جبير ص ٢١٥

(٢) ابن بدوطة ١ ص ١٧٦

المزروعات الشتوية والصيفية كالحنطة والشعير والرز والعدس والحمص والقررة والبطاطة والسهم والتتن والقطن والقنب وغيرها من أنواع الحبوب . ويقطع فيها الواحد نيفاً وخمسين

أما جهتها الغربية فهي سهول واسعة عظيمة تشتمل على قرى ناحيتي شرقات وزمار المشتهرة بمخصب مرافقها وحسن تربتها حتى قيل انه في السنين الممطرة يقطع فيها الواحد مئة . اذ أن هذا القسم مفتقر الى الري أشد الافتقار لقلة المياه فيه . ولهذا فلا يزرع فيها الا المزروعات الشتوية اكثراً على الامطار .

ان مقدار المخلّ السنوي في قضاء الموصل يبلغ على التقريب ٢٠،٠٠٠،٠٠٠ كيلو من الحنطة و ٢٥،٠٠٠،٠٠٠ كيلو من الشعير وبهذه النسبة أيضاً بقية الحبوب . فلو تحسنت أحوال الزراعة لأنت الموصل بأضعاف ذلك

على ان الزراعة في بلادنا لا تزال ترجع القهقري رغمًا عن خصب أراضيها واعتدال مناخها . وذلك لابطاء أربابها في اتخاذ الآلات والادوات المصرية واهمال أسباب ريها . فانه مع كوننا نرى أهمية الزراعة وأهمية اعمالها في البلاد الراقية نشاهد ان حياتها الى اليوم منوطة بإهمال الامطار حتى اذا ما انقطعت قضي على حياة الاهالين كما نراه في اخبار الاولين فانه لم تمض سنتان أو ثلاث على الموصل ونواحيها الا وبداهمها القحط والجوع لاقطاع الامطار فيتلف من الاهالي الوف والوف جوعاً وينزع الباقون الى البلاد الشاسعة طلباً للرزق وهذا كان من اكبر العوامل القاضية على تقدم هذه البلاد . فلو جلبت الادوات المصرية ونشطت الزراعة بمد القنوات والمسارب لري الاراضي لعادت الموصل ونواحيها الى ما كانت عليه قديماً حيث وصفها المؤرخون بالجمان الغناء ، وأصبحت بزمن قصير من أشهر البلاد زراعية

علاقتها التجارية - ان للموصل شأنًا خطيراً في المتجر لا يقل خطورة

عن أهميتها في الزراعة سيما فيما تصدره الى البلاد مما يرد عليها من اطرافها كالاغنام والمواشي والاصواف والجلود وانواع الحاصلات النباتية التي تخرجها الى أوروبا .
 وها اننا نذكر مقدار ذلك بالايحياز نقلا عن التقويم السنوي ^(١) حيث بلغت
 اخراجاتها التجارية الى أوروبا (٢٦٠٠٠٠٠٠٠) أفقة من الصوف و (١٠٥٠٠٦٠٠٠) أفقة من العفص وكذا من الكثيراء والقطن وجلود المعز . وأصدرت الى بلاد
 الاناضول (٤٠٠٠) جبل و (١٥٠٠) جاموس . والى ديار بكر وبتليس وارضروم
 (٢٠٠٠) بغل مع منسوجات قطنية وصوفية وانواع الحبوب . واخرجت الى
 الاصقاع السورية (٢٥١٠٥٠٠) رأس غنم مع سختيان أصفر وأحمر ومعمولات
 دبغية ومنسوجات قطنية . وشحنّت الى بغداد والبصرة (١٠٠٠٠٠) طقار
 من الخنطة و (٦٠٠٠) طقار من الشعير مع غيرها من الحبوب والدهن والجبن
 والتبن والزيت والزبيب وجلود الثعلب والفنك (الصنصار) . وأرسلت الى
 الهند (١٠٠٠) رأس من الخيل المطهمة . والى بلاد العجم شيئا كثيرا من
 العفص والكثيراء والتبغ والجلود . اما ادخالها من أوروبا فهي الاجواخ
 والاقشة القطنية والسكر والغاز والسكرية والادوات الحديدية والآنية
 الدحاسية والزجاجية والوارد اليها من بومباي عن طريق بغداد الاقشة النفيسة
 والشاي والاثيان وانواع الحلويات . ومن الهند وبلاد العجم انواع الشال
 والطنافس والبسط والاقشة الحريرية . ومن بغداد وديار بكر انواع التمر والحلويات
 وقد جاء في قاموس الاعلام (ش سامي) ان مبلغ صادرات الموصل كان يربو
 على مبلغ الوارد اليها ، اذ تقدر اخراجاتها بمبلغ ٤٠٠٠٠٠٠ ليرة وادخالها
 بمبلغ ١١٠٠٠٠٠ وهذا لانحمله الا على حمل الحديد والتخمين ولكننا لا نرتاب
 باكثرية مبلغ صادراتها على مبلغ الوارد اليها ويؤمل تقدم تجارتها تقدما باهرا
 لاسيما اذا تسهلت طرق المواصلات كد طرق الحديد واصلاح نهريها لسير
 السفن فيه

صنائعها - كانت الموصل قديماً على جانب عظيم من الترقى في الصناعات كبقية البلاد العراقية وقد اشار المؤرخون الى ذلك سيما فيما أوردوه من عظمة ملوكها وترفهم في الالبسة الحريرية المطرزة والمقصبة والحلي الذهبية والفضية والاسلحة المتنوعة وانتظام أبنيتهم وقصورهم المزينة والمزركشة بأنواع النقوش على انه بقدر عمران البلد تكون جودة الصناعات للتائق فيها واستجادة ما يطلب منها بحيث تتوفر دواعي الترف . وقد ذكر ابن خلدون ^(١) عن مبلغ حضارة البلاد العراقية والشامية والمصرية لطول آماد دولها واستحكام الصنائع فيها حتى كملت جميع اصنافها على مبدأ الاستجادة والتنميق ، وبقيت تلك الصبغة ثابتة في ذلك العمران حتى انتقض أمر دولها . وانا لنجد آثاراً باقية من ذلك فهي وان كانت اليوم خراباً ففيها لنا قد البصير دليل كاف على مبلغ حضارة هذه البلاد ورفقها في الصناعات

اما اليوم فالصناعة في الموصل منحطة من ذلك الانحطاط اذ لا يرى فيها الا بعض الصناعات الوطنية التي يتسلسلها الاهلون تراثاً عن الاولين وأخصها نسج الاقشة القطنية والتطريز بالحبر وخيوط الفضة المплلة بالذهب وبرقشة الأكية الفخارية وطلائها بالدهان الأخضر أو الملون . ويسمى بعض أهل الصناعة في تقليد الاقشة الحريرية والصوفية الأوروبية باقشة قطنية وطنية الا ان سوقها كاسد لغلاء اسعارها حيث انها تكلف الصانع وقتاً طويلاً وتعباً جزيلاً فيؤثر الاهلون ابتياع الاقشة الأوروبية وهكذا أمست الموصل تستمد سائر مقتضياتها من الدول الأجنبية حيث توجد المصانع العظيمة والآلات السريعة في العمل . وهذه هي الضربة القاضية على اقتصاديات بلادنا

ومن الصناعات الدارجة هي التجارة والبناء والصبغة والدباغة ومعالجة النحاس وطرقه أوعية ومراجل وحمل الأحذية الحديثة الطرز وكلها لا تعد في الصناعة الكبيرة ، حيث لا ترى معملاً يقبل الألوف من الصانع كما

في المصانع الأوروبية . على ان جميع الآلات والادوات المتخذة في هذه
الصنائع يدوية قديمة العهد والاسلوب . وغاية ما نحتاج اليه بلادنا لترقية الصناعة
هو جعل تقانات تهتم بترقية الصنائع الوطنية والاستعاضة عن آلاتها الحاضرة
بآلات عصرية وتوسيع نطاقها لتكون في غنى عن أوروبا

تم الكتاب الاول * والله اسلمد



فهرس

صحيفة

٣ تقديم الكتاب

٥ مقدمة

٨ مصادر الكتاب

١٠ قوطئة . في الحكومة التي نشأت في بلاد ما بين النهرين

حتى استيلاء العرب عليها بعد الاسلام

١٠ الفصل الأول . المملكة الانورية - المملكة السكدانية - كورش

الفارسي - اسكندر المقدوني المملكة السلوقية

١٦ الفصل الثاني . المملكة الارشاقية أو الفرثية وامارتها

٢٣ الفصل الثالث . دولة الفرس الساسانيين

٢٨ الفصل الرابع . دخول العرب في بقعة العراق وآثور

٣٢ الباب الأول . موقع الموصل وقدميتها

ثم دخول العرب فيها بعد الاسلام

٣٢ الفصل الأول . موقع الموصل الجغرافي وثورتها الطبيعية

٣٧ الفصل الثاني . تأسيس نينوى الجديدة وخرابها . أصل منشأ مدينة الموصل

٤٥ ملحق . في أصل الجريمة

٥١ الفصل الثالث . في سكان الموصل قبل الفتح الاسلامي

وفي من سكنها بعده من العرب

٥٥ الفصل الرابع . في اسم الموصل

٥٧ الفصل الخامس . فتح الموصل في عهد الخلفاء الراشدين

٦١ الفصل السادس . الموصل في ايام الدولة الأموية

٦٦ الفصل السابع . اعتزال أهالي الموصل الأمويين ومبايعتهم العباسيين

صحيفة

٦٩ الفصل الثامن . تغير أهالي الموصل على الدعوة العباسية

وظهور الخارجي حسان الهمداني

٧٣ . الفصل التاسع . كثرة الخوارج في الموصل ومحاولة بعضهم في الاستيلاء عليها

٧٩ الفصل العاشر . مساور الخارجي وعصيان أهل الموصل على الخليفة

٨٣ الفصل الحادي عشر . ولاية ابن كنداجق على الموصل وما كان من أمره

مع ابن أبي الساج ثم توطد الأمن بخضوع بني شيبان

وتفرق أصحاب هارون البجلي

٩٠ الفصل الثاني عشر . تقدم الموصل عمراتاً وعلماً في عهد الخلفاء

العباسيين وقبلهم

٩٤ الباب الثاني . في دولة الحمدانيين ودولة بني عقيل

٩٤ المصل الأول . الحمدانيون

٩٦ الفصل الثاني . مبدأ الدولة الحمدانية في ولاية أبي الهيثماء عبد الله بن حمدان

في الموصل

١٠٠ الفصل الثالث . استيلاء مؤنس المظفر على الموصل

١٠٣ الفصل الرابع . ضمان بني حمدان الموصل واعمالها ثم استئثارهم بأموالها

١٠٦ الفصل الخامس . الخليفة المتقي لله وبنيو حمدان

١٠٩ الفصل السادس . بدء دولة بني بويه أو الدولة الديلمية

١١٤ الفصل السابع . سجن ناصر الدولة الحمداني ووفاته ثم نزاع اولاده

١١٨ الفصل الثامن . استيلاء عضد الدولة البويهية على الموصل

وقتل أبي تغلب آخر الامراء الحمدانيين فيها

١٢١ الفصل التاسع . نظرة اجمالية في دولة بني حمدان

١٢٥ الفصل العاشر . وفاة عضد الدولة وظهور باز السكردي وما جرى له مع

بني حمدان

صحيفة

١٣١ الفصل الحادي عشر . دولة بني عقيل ويقال لها أيضاً دولة بني المقلد أو آل المسيب

١٣٧ الفصل الثاني عشر . دخول الغز الى الموصل

١٤١ الفصل الثالث عشر . منازعة بني المقلد ثم تول قريش الامارة

١٤٥ الباب الثالث . الدولة السلجوقية والدولة الاتابكية في الموصل

١٤٥ الفصل الأول . منشأ الدولة السلجوقية ونهاية اماره قريش

١٥٠ الفصل الثاني . اماره شرف الدولة مسلم العقيلي

١٥٣ الفصل الثالث . انقراض دولة بني عقيل واستيلاء الامراء السلجقة على الموصل وأولهم كربوقا

١٥٧ الفصل الرابع . اماره جاولي على الموصل

١٦٠ الفصل الخامس . اماره مودود بن التون تكش وقسيم الدولة اقسنقر سيف الدين البرسقي على الموصل

١٦٣ الفصل السادس . حالة الموصل بالاجمال في عهد الامارات السلجوقية

١٦٥ الفصل السابع . في الدولة الاتابكية

١٦٨ الفصل الثامن . قدوم المسترشد بالله الى الموصل وحصارها ورجوعه عنها ثم اتساع بلاد عماد الدين زنكي

١٧٠ الفصل التاسع . عماد الدين زنكي والسلطان مسمود ومسيره الى بلاد الجزيرة

١٧٤ الفصل العاشر . انقسام بلاد عماد الدين بين ولديه : نور الدين شمره ، وسيف الدين غازي

١٧٦ الفصل الحادي عشر . ملك قطب الدين مودود

١٨١ الفصل الثاني عشر . محاربة سيف الدين الثاني الاتابكي لصالح الدين الايوبي

١٨٥ الفصل الثالث عشر . استيلاء عز الدين مسعود الاول الاتابكي على حاب

١٨٩ الفصل الرابع عشر . وهن الدولة الاتابكية وقدوم السلطان صلاح الدين الايوبي الى الموصل دفعة ثانية

صحيفة

١٩٥ الفصل الخامس عشر . في نهاية الملك عز الدين مسعود الأول وملك ابنه أبي الحرب ارسلان شاه الملقب الملك العادل نور الدين

١٩٩ الفصل السادس عشر . وفاة الملك القاهر وتملك ابنه الملك ارسلان شاه الثاني

٢٠٣ الفصل السابع عشر . الدولة الاتابكية في عهد الملك ناصر الدين بن الملك القاهر

٢٠٨ الفصل الثامن عشر . عصيان بعض اطراف الجبل ثم مآل حكم الموصل الى بدر الدين ثؤلؤ بموت ناصر الدين محمود الاتابكي

٢١٠ الفصل التاسع عشر . نظرة اجمالية في احوال دولة بني اتابك

٢١٧ الفصل العشرون . تقدم الموصل عمراناً وحضارة في عهد الدولة الاتابكية

٢٢٣ الفصل الواحد والعشرون . استيلاء السلطان ثؤلؤ على سنجار وبعض

ديار الجزيرة لمدة وجيزة ثم عمران الموصل

وعلمها في عهد سلطنته

٢٣١ الباب الرابع . الدول التي حكمت الموصل أخيراً وهي :

الدولة الايلخانية والدولة الجلالية والدولة التيمورية

والدولة القوبونية والدولة الصوفية والدولة العثمانية

٢٣١ الفصل الاول . المغول أو التتر ومنشأ الدولة الايلخانية

٢٣٥ الفصل الثاني . ختام ملك بدر الدين ثؤلؤ ، وما حصل من الاضطراب

في الموصل

٢٣٨ الفصل الثالث . عودة الملك الصالح بن بدر الدين ثؤلؤ الى الموصل .

وموته فيها . ثم انتقال حكمها الى عمال التتر

٢٤١ الفصل الرابع . اخبار عمال التتر في الموصل

٢٤٥ الفصل الخامس . حالة الموصل في انقراض الدولة الايلخانية

٢٥٠ الفصل السادس . الدولة القانية أو الجلالية وانقراضها على يد تيمورلنك

صحيفة

٢٥٢ الفصل السابع . استيلاء تيمورلنك على الموصل

٢٥٥ الفصل الثامن . الدولة القره قويونلية والاققويونلية

٢٥٩ الفصل التاسع . الدولة الصفوية

٢٦٥ الفصل العاشر . قدوم السادة والعمرية الى الموصل في عهد الدولة العثمانية

٢٦٨ الفصل الحادي عشر . استيلاء العجم على بغداد والموصل . و قدوم

السلطان مراد خان الرابع العثماني اليهما

٢٧٣ الفصل الثاني عشر . تولي العائلة الجليلية حكم الموصل ثم قدوم طهماسب

نادرشاه الى الموصل في ولاية الوزير الحاج حسين باشا

٢٧٨ الفصل الثالث عشر . قدوم طهماسب نادرشاه ثانية الى حصار الموصل

٢٩٠ الفصل الرابع عشر . في آخر ايام الحاج حسين باشا وفي من خلفه من

الوزراء الجليليين

٢٩٥ الفصل الخامس عشر . كلمة استطرادية في الشيعة اليزيدية

٣٠٢ الفصل السادس عشر . تمة اخبار الوزراء الجليليين

٣٠٥ الفصل السابع عشر . ولاية قاسم باشا آل العمري . وقتله في بغداد .

ثم قدوم امير راوندوز الى اطراف الموصل

٣١٠ الفصل الثامن عشر . اينجه بيراغدار محمد باشا . واجراآته في الموصل

٣١٥ الفصل التاسع عشر . مظالم الفریق عمر وهي باشا في الموصل

٣١٧ الفصل العشرون . الحملات على اليزيدية

٣٢١ الفصل الواحد والعشرون . مدارس الموصل في عهد الحكومة العثمانية

٣٢٦ الفصل الثاني والعشرون . استقلال العراق

٣٣٠ الفصل الثالث والعشرون . جلوس جلالة الملك الهاشمي (فيصل الاول)

على عرش العراق

٣٣٣ الفصل الرابع والعشرون . نظرة اجمالية في الموصل الحالية

تصحیح الخطأ

لم نصحح في هذا الجدول سائر الاغلاط المطبعية

بل اكتفينا بتصحيح الاغلاط التي تغير في المعنى . ثم الاغلاط الحاصلة في اسماء الاعلام والامكنة

سطر	صحيفة	خطأ	صواب
١٢	١١	اثور بانابال	اسور بانابال
١٩	١٦	انطيوخوس ثأوس	انطيوخوس الثاني
٢٣	١٨	سيخار	سنيجار
٦ الخ	٢٠	جبل القاف	جبل القاف
١	٢٢	تللسق	تللسقف
١٦	٢٢	تقلا ثيلاس	تقلا ثيلسر
٢٠	٢٤	بسم	بسهم
٢٠	٣٦	من مخزن	في مخزن
٢٠	٣٦	لا يملأ	لما يملأ
١	٣٩	علاء الدين بن السلطان لؤلؤ	الملك الصالح بن السلطان لؤلؤ
٦	٦٠	هرثمة بن عرثمة	عرثمة بن هرثمة
٩	٦٧	الى شهر زور وهي من	الى شهر زور وعليها عثمان بن
		توابع الموصل	سفيان تحت أمرة عبد الله بن
			مروان فنزل أبو عون وعسكره
			على فرسخين من شهر زور وهي
			من توابع الموصل وناوشوا عثمان
			المروني
١٣	٧٣	السردى	السردى
٢٠	٧٣	عبد الملك بن صالح	عبد الملك بن صالح الهاشمي
١٦	٨١	وزجروهم على	وزجروهم عن
١٦	٨٦	محمود	محمد

صواب	خطأ	صحيفة	سطر
ابن كنداجق	بني كنداج	٨٧	١١
العقيليين	العقيلتين	٩١	٣
تغلب	ثعلب	٩٤	٥ الخ
ارمستان	ارستان	١٠٠	٢١
بجكم	يجم	١٠٥	١٢ الخ
أبو المنصور	ابن منصور	١٠٧	١٤
بكتوزون	بكتوزين	١١٤	١
أبو احمد	أبو حمدان	١١٧	٤
أبا عبد الله	عبد الله	١٣٠	١٣
آل سبكتكين	آلة سبكتكين	١٣٧	١١
تنش	تكش	١٥١	١٥
المقتفي لامر الله	المقتفي بالله	١٧٧	١٥
مارقان	مارقال	٢٩٦	٣
محمد رشيد باشا	محمد باشا	٣٠٦	٢١
محمد رشيد باشا	رشيد بك	٣١١	١٤.١٣



فهرس

أسماء الاعلام الواردة في هذا الجزء

ابن أبي شرمه ٧١	١
ابن أبي الساج ٨٥	
ابن أبي ليلى ٧١	آثور ١٠ - ١٢ - ١٢
ابن أردخل ٢٢٨	آروق ٢٤٢
ابن جني ١٢٤	آلوند ميرزا بن يوسف ٢٥٩
ابن الحلوي ٢٢٨	آقسنقر قسم الدولة الاتابكي ١٥١ - ١٦٥
ابن خلكان ٢٢٨	١٦٦ -
ابن دهان ٢٢١	الشيخ آويس الجليري ٢٥٠
ابن شيرازده ١٠٨ - ١١٠	أبافاخان ٢٤٠ - ٢٤٦
ابن الصائغ ٢٢١	أبجر الاسود ٤٢
ابن الفقيه ٢٢١	ابراهيم أبو طاهر الحمداني ١١٦ - ١٢٨
ابن القوسري ٥٥	١٣٠ -
ابن كنداجق ٨٣ - ٨٦	ابراهيم باشا ٢٧١
ابن مطر ١٠٠	ابراهيم آغان بن عبد الجليل ٢٧٣
ابن مقلة ١٠٤ - ١٠٨	ابراهيم بن الاغلب ١٠٣
ابو اسحاق بن معز الدولة ١١٩	ابراهيم بن العباس ٧٥
ابو احمد بن حوقل ١٢٤	ابراهيم بن الاشتر ٦٣
ابو احمد بن حماد الموصللي ٩٨	ابراهيم بن محمد ٦٧
ابو بكر ٥٧	ابراهيم خفيد الحسين ٦٩
ابو بكر بن سعدون ٢٢٢	ابراهيم الموصللي ٩٣
ابو البركات بن حمدان ١١٦	ابراهيم النشقراني ٤٣
ابو تغلب الحمداني ١١٣ - ١١٨ - ١٢٠	ابراهيم ينال السلجوقي ١٤٨ - ١٤٩
١٢١	ابن الاثير ٧٠

أبو جعفر الحجاج بن هرمز ١١٣ - ١٣٢	أبو نصر بن مروان ١٢٠ - ١٣٦
أبو الحسن بهاء الدين الشهرزوري ١٦٦	أبو نصر خواشاذه ١٢٨
أبو الحسن بن عدلان ٢٢٨	أبو الهيثماء عبد الله بن حمدان ٩٥ -
أبو حنيفة ٧١	٩٧ - ٩٩ - ١٠٢ - ١٢١
أبودرة ٢٢٢	أبو يعلى ٩٣
أبو ذؤاد محمد بن المسيب ١٢٩ - ١٣٢	أبو يوسف القاضي ٧٤
أبو سعيد بن محمد خان ٢٤٥ - ٢٥٠	أحمد باشا بن بكر افندي ٣٠٢
أبو سعيد بن ميرزا ٢٥٧	أحمد باشا بن سليمان باشا ٣٠٣
أبو شعاع بن فناخسرو ١٠٩	أحمد بن اسماعيل الهاشمي ٧٣
أبو طاهر بن معز الدولة ١١٩	أحمد باغا الجليلي ٢٩٢
أبو طاهر شيخ الجبل ١٦٠	أحمد الجلابري ٢٥١ - ٢٥٤
أبو طاهر القرمطي ١٠٥	أحمد خان ٢٤١ - ٢٤٦
أبو الطيب رشيد الدولة الحمداني ٢٤٦	أحمد بن رائق ١٠٤ - ١٠٦
أبو عبد الله البريدي ١٠٦	أحمد بن طولون ٨٤
أبو العلاء سعيد بن حمدان ١٠٠ - ١٠٤	أحمد بن منير ٧٣
أبو علي بن مروان ١٣٠	أحمد بن ميرزا ٢٥٨
أبو علي بن أبي جعفر ١٣٥	الأخشيدي بن طفج ١٠٥ - ١٠٦
أبو علي بن شبل البغدادي ١٤١	أذكو تكين ٨١
أبو عون بن يزيد ٦٧	ارتقاسد ١٧
أبو فراس الحمداني ١٢٤	أردشير بن بابك ٢٣ - ٢٦
أبو الفضائل الحمداني ١٣٠	أردشير الثاني ٢٥
أبو الفوارس الحمداني ١١٦	أردوان ٢٩ - ٤٧
أبو قاسم علي بن أحمد ١٣٢	أرسيس ١٤
أبو قحافة العبسي ٦٥	أرشاق ١٦ - ١٨
أبو كاليبجار البويهبي ١٣٧ - ١٤١	أرطبان الثالث ١٧ - ١٩ - ٤٢
أبو المحاسن بن شداد ٢٢٢	أرطبان الرابع ١٨ - ٢٣ - ٢٩
أبو المنصور بن المتقي ١٠٦	أرغون خان ٢٣٥ - ٢٤١ - ٢٤٣ - ٢٤٦

أطوران ٤٢	ارقاديوس ٢٥
أغاثوكلدس ١٦	اسانكين ٨١ - ٨٣
افراتيوس ١٧	استاسانور ١٦
افراهاط ١٧	استرخان الخوارزمي ٧١
افتكين ١٢٠	اسحاق بن محمد بن مروح ٧٤
افصى ٣١	اسحاق بن ايوب التغلبي ٨٢
الكسندر سويروس ٢٣	اسحاق بن ابراهيم ٩٣
الب أرسلان بن جفري بك ١٥٠	اسحاق المجاهد بن السلطان لؤلؤ ٢٣٦
الب أرسلان بن السلطان محمد السلجوقي	اسحاق النينوي ٩٣
١٦٧ - ١٧٤	أسد ٣١
امروء القيس ٢٩	أمرحدون ١١
امروء القيس الثاني ٢٩	اسطيرون ٤٩
امروء القيس الثالث ٣٠	اسكندر بن قره يوسف ٢٥٦
اميلردوخ ١٤	اسكندر المقدوني ١٤ - ١٧ - ١٨
أمين باشا بن الحاج عثمان بك ٣٠٤ - ٣٠٥	٢٨ - ٣١ - ٤٢ - ٥٠
الامين بن هارون الرشيد ٧٥	اسماعيل باشا الجليلي ٢٧٣ - ٢٧٤
انطيوخوس الاول ١٦	اسماعيل باشا اغا الهادية ٣١١ - ٣١٣
انطيوخوس الثاني ١٦	اسماعيل بن علي ٧٠
أورود ١٧	اسماعيل بن خالد القسري ٧١
أوس العمليقي	اسماعيل الثاني الصوفي ٢٦٢
أولغاش الرابع ١٨ - ٤٣	الشيخ اسماعيل ابن الشيخ حيدر ٢٦٠
اياس بن قبيصة ٥٧	الاسود من المناذرة ٣٠
ايتاخ التركي ٧٨	اسور بانابال ١١ - ١٣
ايشوعياب بن شهاري ١٢٥	الملك الاشرف قانصوه ٢٦٢
ايزاط ١٩	الملك الاشرف الايوبي ١٩٧ - ٢٠٢
ماريليا الحيري ٢٧٦	٢٠٥ - ٢٠٧ - ٢٢٣

ب

بكر بن وائل ٣١	بابا ٢٩
بكر باشا بن اسماعيل ٢٦٧	باباي الجبيلي ٩٠
بكر الصو باشي ٢٦٨	بابكيال ٨٠ - ٨٤
بلال القيسي ٧١	باز الكردي ١٢٦ - ١٢٨ - ١٣٠
بلاش ٣٦	باغو ١٤
بلطاشا صر ١٤	بايسنقر بن يعقوب بك ٢٥٨
بنو الاثير ١٢١	بجكم ١٠٥ - ١٠٦
بهاء الدين ١٦٧	بجيلة ٥٤
بهاء الدولة ١٢٨ - ١٣١ - ١٣٥ - ١٤٧	بخت نصر ١٤ - ٣٨
بهرام ٢٤ - ١٠٩	بختيار عز الدولة ١١٤ - ١١٦ - ١١٨
بهرام الرابع ٢٥	— ١١٩ - ١٢٣
بهرام الخامس ٢٥	بدران العقيلي ١٣٣ - ١٣٦ - ١٣٧
بهرام أبو سعد ١٢٧	بدر الدين لؤلؤ ١٦٦ - ١٩٩ - ٢٠١
بودوين أو بغدادين الاول ١٦٠	— ٢٠٤ - ٢٠٧ - ٢٠٩ - ٢٢٣
بودوين الثاني ١٦٢	٢٣٣ - ٢٣٥ - ٢٣٦
بوقا ٢٤٢	البرسقي سيف الدين افسنقر ١٦١ -
بومبيوس ١٧	١٦٦ - ١٧١
بيالة باشا ٢٦٧	برشميا ٣٠
بيتميش ٢٤٢ - ٢٤٣	بركيارق ١٥٤ - ١٥٦ - ١٦٤
بيدخان ٢٤٥ - ٢٤٦	البساسيري أبو الحارث ١٤٧ - ١٤٩
بهرام خواجه ٢٥١	— ١٦٣
بيروز ٢٥	بشر بن خزعة ٦٨
بيغو ١٤٥ - ١٤٦	بنا الصغير ٧٩
ت	بنا الكبير ٧٩
تنش تاج الدولة بن الب ارسلان ١٥١	بكتوزون ١١٣ - ١١٤
١٥٤ - ١٦٥ - ١٦٦	

جيوش بك ١٦١ — ١٧١

جيورجيس وردا ٢٢٢

ح

الحاج حسين باشا الجليلي ٢٧٤ — ٢٧٧

— ٢٨٢ — الى ٢٩٠

الحارث بن حسان ٥٨

حافظ احمد باشا ٢٦٨

الحاكم بامر الله ١٣٥

حبشي بن جكرمش ١٥٩

الحجاج بن يوسف الثقفي ٦٣ — ١٤١

حرب بن عبد الله ٧٠ — ٧١

الحرث بن لقمان ٩٤

الحرب بن يوسف ٦٤

حزقيا ٢٢

حسام الدين البشنوي ١٧٢

حسان المنيعي ١٧٢

حسان بن مجالد الهمداني ٧١

حسن باشا الجليلي ٣٠٣

الحسن بن أيوب بن احمد التغلبي ٧٩

الحسن بن صالح الهمداني ٧١

الحسن بن علي كوره ٩٠

حسن بن صباح ١٦٠

الحسن بن المسيب ١٣٣ — ١٣٤

حسن الجوباني ٢٥٠

حسن الطويل أو أوزون حسن ٥٥

— ٢٥٧ —

تقلفلسر الاول ١٣

تقلفلسر الثالث ١٣ — ٢٢ — ٣٧

تكين الشيرازي ١١١

توزوف ١٠٨

توقا ١٣٧

توما المرجي ٩٣

تيمورلنك ٣٩ — ٢٥١ — ٢٥٤ — ٢٥٩

ج

جاولي سقاو ١٥٧ — ١٥٩ — ١٦٠

جاولي ١٦٣ — ١٦٥ — ١٦٧ — ١٧١

جرموق بن اشوذ ٤٤ — ٤٦

جعفر بن فهرجس ٧٨

جعفر بن المعتمد ٨٣

جعفر بن المنصور ٧٠

جكرمش شمس الدولة ١٥٥ — ١٥٧

— ١٥٨ — ١٦٤

جلال الدولة ١٣٦ — ١٣٩ — ١٤٠

— ١٤١

جلال الدين أبو الحسن ١٨٤

جلال الدين بن خوارزمشاه ٢٢٣

جمال الدين محمد الجواد ١٧٤ — ١٧٦

١٧٨ — ١٨٤

جنكيزخان ٢٣١ — ٢٣٢

جنيد بن صفى الدين ٢٦٠

جهانكير بن علي بك ٢٥٦

جيلو خان ٢٨٣

خالد بن الوليد ٣٠ - ٥١ - ٥٧ - ٥٩	حسن علي بن جهان شاه ٢٥٦
خالد بن يزيد بن حاتم ٧٤	حسين أبو عبد الله بن ناصر الدولة
خدا بنده الصوفي ٢٦٣	الحداني ١١٦ - ١٢٨ - ١٢٩
خسرو ١٧	الحسين بن علي ٦١
الخضر بن أحمد التغلبي ٨٣	الحسين بن القاسم بن عبد الله بن وهب ١٠١
السلطان خليل ٢٥٨	الحسين بن حمدان ٨٨ - ٩٤ - ٩٧
خليل أغا الجليلي ٢٧٣	٩٩ - ١٠٢
خمار تكين السلجوقي ١٤٩	حسين باشا الجرکسي ٢٦٩
خارويه أبو الجيش ٨٤ - ٨٦	حسين باشا الدرندی ٢٧٤
خميس بن القرداحي ٢٢٢	حسين بك ٢٥٣
د	حسين الجلايري ٢٥٠
دانا ١٣٧	الشاه حسين الصوفي ٢٦٤
داود بن حمدان ١٠١	الحكم بن سليمان ٧٤
داود باشا ٢٦٦ - ٣٠٥	حكيم بن سلام ٦٠
ديس ابن أبي الامز ديس بن صدقة	حمدان بن حمدون التغلبي ٧٩ - ٨٢
الاسدي بن علي بن مزيد ١٦٢	الى ٩٤
دريابوش ١٤	حمدان بن ناصر الدولة ١١٥ - ١١٧
دعوى ٣١	١١٩ -
دغفل الطائي ١٢٠	حمزة بك ٢٥٦
دومطيانا ٢٣	حمزة ميرزا بن خدا بنده الصوفي ٢٦٣
ر	حنظلة بن قيس بن هريز ٩٤
رائق الكبير ٩٨	حيدر بن جنيد الصوفي ٢٦٠
الراشد بالله بن المسترشد ١٦٩ - ١٧٧	حيص بيص البغدادي ١٧٦
الراضي بالله أحمد بن المقتدر ١٠٤	الحيقاد ٢٩
ربيعي بن الامكل ٥٨	خ
الملك الرحيم ١٤٢ - ١٤٥ - ١٤٧	خالد بن برمك ٧١ - ٧٣

رستم ميرزا ٢٥٨

رستم ٥٨

رسول بك أغا الهادية ٣٠٩

رشيد الدين بن أبي الخير ٢٤٨

الملك رضوان طغتكين ١٥٨ - ١٦٠

ركن الدولة الحسن ١٠٩ - ١١٨

ر

زبيدة ٧١

زديق بن علي بن صدقة ٧٧

زعيم الدولة أبو الكامل ١٤٢ - ١٤٤

زكريا الأزدي ١٣

الزكي الأربلي ٢٣٩

زما سب ٢٦

زلكي بن جكرمش ١٥٧

زياد بن شهرأكويه ١٢٧

زين الدين علي كوجك ١٧٦

س

سابق بن مالك ٤٤

الساطرون ٤٨ - ٥٠

سام ميرزا الصوفي ٢٦٤

سبريشوع بن المسيحي ٢٢٢

سبكتكين ١١٢ - ١١٧ - ١٤٦

سرجون ١٣ - ٥٠

سردنابال ١٢

سركوس ١٣ - ١٤

السري الرفاء أبو الحسن ١٢٤

سعد بن أبي وقاص ٣١ - ٥٨

سعد الدين كمشكتين ١٨١

سعد الله باشا الجليلي ٣٠٢

سعد الدولة بن سيف الدولة ١٢١

سعد الدولة اليهودي ٢٤٣ - ٢٤٤

سميد بن سلم الباهلي ٧٤

سميد بن عبد الملك بن مروان ٢٧٥

سميد بن هذيل ٦٥

سقمان بن ارتق ١٥٥ - ١٦٤

سلامة البرقعدي ١٢٠

سلجوق ١٤٥ - ١٤٦

سلطان الدولة بن بهاء الدولة ١٣٥

سلوقوس ١٥ - ٥٠

سليمان باشا المجرلي ٢٦٥

سليمان باشا بن محمد باشا الجليلي ٢٩٣

سليمان بك بن جفري بك ١٥٠

سليمان بن حكم ٦١

سليمان بن قتلش ١٥٢

سليمان بن نصر الدولة ١٣٨ - ١٤٣

سليمان بن هشام ٦٦

السلطان سليمان خان القانوني ٢٦٥

سليمان شاه ١٧٧

سمدغو ٢٣٨

سميراميس ١٢

سنان باشا ٢٦٧

سنجر بن ملكشاه ١٦٨ - ١٧١

سنحاريب ١١ - ٢٢ - ٤٦

شبروي ٢٧

ص

الملك الصالح اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ

٣٩ - ٢٣٥ - ٢٣٨ - ٢٣٩

الملك الصالح نجم الدين الايوبي ٢٢٣

الملك الصالح بن نور الدين ١٦٦ - ١٨١

١٨٥ - ١٨٦

صفي الدين الاردبلي ٢٥٩

صفي الدين ميرزاشاه ٢٦٤

صمصام الدولة أبو كاليبجار ١٢٦

صلاح الدين الباغسياني ١٦٦ - ١٧٤

صلاح الدين الايوبي ١٨٢ - ١٨٤

١٨٧ - ١٨٩ - ١٩١ - ١٩٣ - ١٩٤

ض

الضحالك بن قيس ٦٥ - ٦٦

الضيزن ٣٠ - ٤٩ - ٥٠ - ٥٤

ط

الطائع لله بن المطيع ١١٨

طاهر بن الحسين ٧٥

طرايانوس ١٧ - ٣٨

الطغراني أبو اسماعيل الاصمباني ١٦٥

طغرلبك ١٤٠ - ١٤٦ - ١٤٨ - ١٥٠

طهماسب الاول ٢٦٢

طهماسب الثاني ٢٦٤

طهماسب نادرشاه ٣٩ - ٢٦٤ - ٢٧٥

٢٨٤ الى ٢٨٨

سنحاريب ٢٠

سنقرجه ١٥٤ - ١٥٥

سوريان ٤٦

السيد بن أنس ٧٦ - ٧٧

سينشار شكين ١٣ - ١٤

سينوس بن يالوس ٤٤

سيف بن ذي يزن ٤٥ - ٤٦

سيف الدولة الحمداني ٩٥ - ١٠٦

١٠٨ - ١١٣ الى ١٢٤

سيف الدين غازي ١٧٤ - ١٧٦ - ٢١٠

سيف الدين بن قطب الدين ١٧٩ -

الى ١٨٤ - ٢١٠

ش

شاور الاول ٢٣

» الثاني ٢٤ - ٢٥ - ٤٩ - ٥٠

» الثالث ٢٥

شرف الدولة أبو الفوارس ١٢٦ - ١٢٨

شرف الدين بن قطب الدين الانابكي ١٨٧

شرف الدولة مسلم بن قريش ١٥٠ - ١٥٢

١٥٣ - ١٦٣

شركينا ١٣ - ٣٢

شمس الدين الجوني ٢٤٣

شمس الدين محمد البمشيقي ٢٣٦ - ٢٣٩

شمعون الجرمنياني ٤٩

شهاب الدين غازي ٢٠٨

شهرات ١٩ - ٢٣

طيبار باشا ٣١٨

طبريوس ١٧

ظ

السلطان الظاهر برفوق ٢٥٤

الملك الظاهر البندقدار ٢٣٦

ع

الملك العادل الايوبي ١٩٥ - ١٩٧

الشاه عباس الصوفي الاول ٢٦٣ - ٢٦٨

العباس بن الحسن ٩٧

عباس الثاني الصوفي ٢٦٤

عباس الثالث الصوفي ٢٦٤

عبد الباقي باشا الجليلي ٢٩٤

عبد الجليل بن عبد الملك ٢٧٣

عبد الحميد خان الاول ٢٩٢

عبد الحميد خان بن عبد الحميد ٣١٥

عبد الرحمان بن معاوية ١٦

عبد الرحمان بن سعيد ٦٢

عبد الرحمان باشا بن محمود باشا ٣٠٣

عبد الرحمان الخنمعي ٦٠ - ٦١

عبد العزيز بن عمر ٣٥

عبد الفتاح باشا الجليلي ٢٩٢

عبد القيس ٥٣

عبد الملك بن صالح الهاشمي ٧٣

عبد الملك بن مروان ٦٢

عبد الله الاعرجي الحسيني ٢٦٦

عبد الله بن الزبير ٦٢

عبد الله السفاح ٦٧ - ٦٩ - ٧٠

عبد الله بن سليمان الازدي ٨٠

عبد الله بن علي ٦٧ - ٦٨

عبد الله بن مروان ٦٧

عبد الله بن المعتم ٥٨

عبيد الله بن زياد ٦١ - ٦٣

عتبة بن فرقد ٥٩ - ٦٠

عثمان بن سفيان ٦٧

عرجة بن هرثمة ٦٠

عز الدين مسعود الاقباكي ١٨٢ الى

١٩٥ - ٢١٠

عز الدين مسعود البرسقي ١٦٢ - ١٦٦

الملك العزيز أبو منصور ١٤١

العزيز حماد الدين الايوبي ١٩٤ - ١٩٦

عضد الدولة البويهبي ١١٨ - ١٢٠

١٢٥ - ١٢٦

عقبة بن محمد الخزاعي ٧٩

علاء الدين بن السلطان ثولث ٣٣٦

علاء الدين بن حيدر ٢٤٦ - ٢٤٩

علاء الدين التركاني ٢٥٦

علم الدين سنجر ٢٣٨

علي بن أبي طالب ٦٠ - ٦١

علي بن القرات ٩٧ - ٩٨

علي بن المسيب ١٣٢ - ١٣٣

علي بن شرف الدولة العقيلي ١٥٤

علي افندي المفتي أبو الفضائل ٢٧٢

علي باشا ٢٧١

كيوك خان ٢٣٣

ل

لقمان بن أسد ٩٤

م

مالك بن كالي ١٠٩

مالك بن بكر التغلبي ٩٤

مالك بن زهير ٢٩

مالك بن هيثم الخزاعي ٧٠

المأمون ٣٤ - ٧٥ - ٧٧ - ٩٣ - ١٢٢

المتقي لله ابراهيم بن المقتدر ١٠٦

المتوكل على الله ٧٩

مجاهد الدين قايماز ١٧٤ - ١٨٥ -

١٩٠ - ١٩٩

محمد بن اشعث ٦٢

محمد بن اسحق كنداجق ٨٦ - ٨٧

محمد باشا ٢٦٨

محمد باشا بن بكر باشا ٢٦٨

محمد باشا بن الشاهوار ٢٧١

محمد باشا بن أمين باشا ٢٩٤

محمد باشا اينجه بيراقدار ٣١٠ - ٣١٣ -

٣١٤ -

محمد باشا ميركور ٣٠٦ - ٣٠٩ - ٣١١

محمد بن حميد الطوسي ٧٧ - ٧٨

محمد بن خطاب ٩٣

محمد بن خرزاد ٨٤

محمد سعيد باشا ٣٠٦ - ٣١١

قره يوسف ٢٥٥

قرواش بن المقلد ١٣٣ الى ١٤٤

قريش بن بدران ١٤٢ الى ١٤٨ - ١٦٣

قريع بن الحارث ٦١

قطب الدين محمد بن عماد الدين ١٩٦

قطب الدين مودود ١٧٦ - ١٧٨ - ٢١٠

قلج ارسلان السلجوقي ١٥٨

ك

كاروس قيصر ٢٤

السكامل بن العادل الايوبي ١٩٧ -

٢٠٣ - ٢٢٣

كراسوس ١٧

كربوقا أبو سعيد ١٥٤ - ١٦٤ - ١٦٦

كريدلي محمد باشا ٣١٦

كسرى ابريز ٢٦ - ٤٣ - ٤٥

كسرى انوشروان ٢٦ - ٤٣

كليوب ٣١ - ٥١

كمال الدين بن يونس ٢٢١

كهلان ٥٤ - ١٣١

كو اصار ١٣

كورتيكين ١٠٧

كورش الفارسي ١٤ - ١٧ - ٢٣

٣٨ - ٤٢

كوكتاش ١٣٧ - ١٤٠

كيخاتوخان ٢٤٤ - ٢٤٦

كيتباز الديلمي ١٦٢

محمد بن السلطان محمود السلاجوقي ١٧٧	مروان بن الحكم ٦٢
محمد بن شرف الدولة ١٥٣ - ١٥٤	مروان بن محمد ٥٥ - ٦١ - ٦٥ - ٦٧
محمد بن صالح ١٠٠	٦٨ -
محمد بن صول ٦٧ - ٦٩	المسترشد بالله ١٦٣ - ١٦٨
محمد بن العباس ٧٤	المستعصم بالله ٢٢٤ - ٢٣٤
محمد بن علي بن الطباطبة ٢٤٩	المستعين بن محمد بن المستعصم ٧٩
محمد خان خدابنده ٢٤٥	المستضيء بنور الله ١٨٣ - ١٨٤
محمد بن مروان ٦٣	المستظهر بالله ١٥٥ - ١٦٨
محمد بن ملكشاه ١٥٥ - ١٥٧ - ١٥٩	المستكفي بالله ١٠٨ - ١١٠ - ١٢٢
١٦١ - ١٦٤ - ١٦٥	المستنجد بالله ١٨٣
محمد بن الفضل بن سليمان ٧٤	المستنصر بالله ١٢٢ - ١٤٧
محمد بن المستعصم ٧٨ - ١٢٣	مسمود برقوطي ٢٤٠ - ٢٤٢
محمد ميرزا ٢٥٩	الملك المسمود بن المعظم بن سنجر شاه
محمود الافغاني ٢٦٤ - ٢٧٤	الاتابكي ٢٢٤
محمود باشا الجليلي ٣٠٢	مسمود بن السلطان محمد ١٦١ - ١٦٥
محمود بن سبكتكين ١٣٧ - ١٤٠	١٦٩ - ١٧١ - ١٧٥ - ١٧٧
محمود بن السلطان محمد السلاجوقي ١٦١	مسيح بك ٢٥٨
١٦٣ - ١٦٧ - ١٦٨	مشرف الدولة بن بهاء الدولة ١٣٥ -
السلطان محمود بن السلطان مصطفى	١٣٦
الثاني ٢٧٥	مصطفى باشا الاسير ٢٧١
محمود بن سنجر شاه الاتابكي ١٩٧	مصطفى رشيد باشا الدبلوماسيات ٣١٢
مراد بك بن يعقوب بك ٢٥٩	المطيع بن المقتدر ١١٠ - ١١٨
مراد خان الثالث العثماني ٢٦٣	مظفر الدين كوكبري ١٨٦ - ١٩٧ -
مراد خان الرابع ٢٧٠	٢٠١ - ٢٠٥ - ٢٠٨
مرداويج بن زيار ١٠٩ - ١١٠	معاوية بن ابي سفيان ٦١
مرقوس انطونيوس ١٧	معاوية بن يزيد ٦٢
مرقيانوس ١٨	المعز بالله بن المتوكل ٧٩ - ٨٤

المعتضد بن المتوكل ٨٦ - ٨٨ - ٩٠	منصور عماد الدين بن ارسلا ن شاه الاتابكي
٩٤ - ٩٦ - ١٦٨	١٩٨ - ٢٠١ - ٢٠٥ - ٢٠٧
المعتمد على الله بن المتوكل ٨٠ - ٨٣	المهتدي محمد بن الواثق ٨٠
٨٥ - ٨٦	المهتدي بن المنصور ٧٢ - ٧٣
معد بن عدنان ٢٨	مؤنس المظفر ٩٨ - ١٠٠ - ١٠٣
معز الدولة ابو الحسن أحمد ١٠٩ -	المؤيد بالله بن المتوكل ٧٩
١١١ - ١١٣ - ١٢١ - ١٢٣	مودود بن التون تكش ١٥٩ - ١٦٠ -
معز الدين سنجار شاه ١٨٥	١٦٤
المعظم عيسى الايوبي ٢٠٨	موسى باشا ٣٠٩
المقتدر ٩٧ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠٢	موسى بن بغا ٨٠ - ٨٣
المقتدى بأمر الله ١٥٥	موسى بن كعب الخثعمي ٧٢
المقتفي لأمر الله بن المستظهر ١٧٧	موسى بن الامين ٧٥
المقلد بن بدران ١٤٤	موسى التركاني ١٥٤ - ١٦٤
المقلد حسام الدولة بن المسيب ١٣٢	مونككا خان ٢٣٣ - ٢٣٤
المكتفي بالله بن المعتضد ٩٦ - ١٢١	ميران شاه بن تيمورلنك ٢٥٣ - ٢٥٥
١٦٨	ميرزا بك ٣١٩
ملكشاه بن الب ارسلان ١٥٠ - ١٥٢	ميرزا جهان شاه ٢٥٦ - ٢٦٠
١٥٥ - ١٦٠	
ملكشاه بن السلطان محمود ١٧٧	ن
ملكشاه بن قلاج ارسلان ١٥٨ - ١٥٩	نابو پولاسار ١٣ - ١٤
المنتصر بالله بن المتوكل ٧٩ - ١٦٨	نادر شاه « انظر طهما سب »
المنذر الاول ٣٠	ناصر الدولة أبوعلى الحمداني ١٢٢
« الثاني ٣٠	ناصر الدولة الحمداني ٩٥ - ٩٩ - ١٠٣ -
« الثالث ٣٠	١٠٦ الى ١٢٣
« الرابع ٣٠	الملك الناصر صلاح الدين يوسف ٢٢٤
المنصور ابو جعفر ٧٠ - ٧٢ - ٩١	ناصر الدين فأعاً ٢٤٠
١٣٨	ناصر الدين محمود الاتابكي ١٦٦

٧	٨	الملك ناصر الدين محمود ٢٠٣ - ٢٠٩	٢١١
	٧٣	المهدي بن المهدي	ناصر الدين كسك ١٨٥
	٧٦	هارون بن سببا	الناصر لدين الله ١٨٤ - ١٩٠ - ٢٠٢
	٩٤	هارون بن المغير	نبوكد ناصر ١٤ - ٢٨
٩٠ - ٨٩ - ٨٦ - ٨٤	هارون البجلي	نبونهيدي ١٤	
٩٥ - ٩٤		نوسا ٢٤	
١٠٣ - ٧٣ - ٣١	هارون الرشيد	نوسا ١٩ - ٤٣	
٧٣	هاشم بن سعيد بن خالد	نصر بن احمد الساماني ١٠٥	
٥٨	هاني بن قيس	نصر بن حدان ١٠٠	
١٤٨	هرزاسب	نصر القشوري ٨٨ - ٨٩	
٢٣	هرمزد الساساني الاول	نصر بن هارون ١٢٥	
٢٤	» » الثاني	نصر الدولة بن مروان ١٤٢	
٢٥	» » الثالث	نصر الدين جقري ١٦٢ - ١٦٩ - ١٧٢	
٢٧ - ٢٦	» » الرابع	نصير الدين الطوسي ٢٤٨	
٩٤ - ٥٨ - ٢٦	عرقل	النعمان اللخمي الاول ٢٩	
٦٥ - ٦٣	هشام بن عبد الملك	» » الثاني ٣٠	
٦٨	هشام بن عمر التغلبي	» » الثالث ٣٠	
٣١	هنب	» » الرابع ٣٠	
٣٠	هند	نعمان باشا بن سليمان باشا ٢٩٤ - ٣٠٢	
٢٤٦ - ٢٤٠ - ٢٣٤ - ١٤٢	هولاكو	نور الدين ارسلان شاه الاول ١٩٥ -	
٨٢	الهيثم بن عبد الله بن المممر التغلبي	١٩٨ - ٢١٠	
٩		نور الدين ارسلان شاه الثاني ٢٠٠ -	
٥١ - ٣١	وائل	٢٠٣ - ٢١١	
٧٩	الواثق بالله بن المعتمد	نور الدين محمود ١٧٤ - ١٧٦ - ١٧٩	
٢٤	وارهاران الساساني الاول	١٨٢ -	
٢٤	» » الثاني	نينوس ١٢	

يزيد بن أنس ٦٢ - ٦٣

يزيد بن سلمى ٢٩٥

يزيد بن عبد الملك ٦٥ - ٢٩٥

يزيد بن مزيد الشيباني ٧٤

يزيد بن معاوية ٦١ - ٢٩٥

يزيد بن الوليد ٢٩٥

يشوعيا بن الحزي ١٩

يعقوب بك ٢٥٨

ينال كوشه ١١٠

يوحنا الجرهماني ٤٩

يوحنا الموصلي ٢٢٢

الوزير يوسف باشا ٣٦٨

يوسف بن الساج ٩٨

يوسلين ١٧١ - ١٧٥ - ١٧٧

يوفنيانوس ٢٤

يوليانوس ٢٤

يونس بن عبد الجليل ٢٧٣

وارهان الساساني الثالث ٢٤

والريانوس (قيصر) ٢٣

وصيف موشكير ٨٨ - ٩٤

الوليد بن تليد العبسي ٦٤ - ٦٥

ي

ياوز السلطان سليم خان ٢٦١

يحيى باشا بن نعمان باشا ٣٠٣ - ٣٠٩

يحيى بن خالد ٧٢

يحيى بن سعيد الحريشي ٧٤

يحيى بن سليمان ٨٢ - ٨٣

يحيى بن معاوية بن هشام ٦٨

يحيى المفتي ٢٧٩

يحيى الهاشمي أخو السفاح ٦٩ - ٧٠ - ٩١

يزدجرد الساساني الاول ٢٥

» الثاني ٢٥

» الثالث ٥٧ - ٥٨ - ١٠٩



4698
51A